

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن المنتدى الإسلامي

من العدد

السابع والثلاثين ـ الثاني والأربعين

البيان

العدد السابع والثلاثون
شعبان / رمضان ١٤١١ هـ
٣ / ١٩٩١ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لنــدن

رئيــس التحــرير

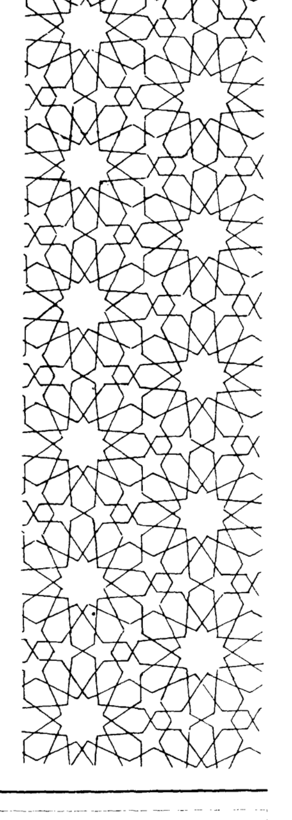
محمد العبــدة

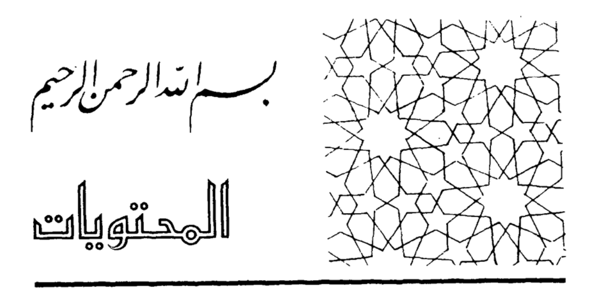
العنــوان

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 736 4255




بسم الله الرحمن الرحيم
المحتويات

المسلمون في العالم ٥٤

ركن الأسرة ٧٥

الشرق والغرب

ليس هناك منطقة في العالم تعرضت للغزو ورد الغزو، وقامت على أرضها حروب ومعارك كالمنطقة العربية، أو ما يسمونه في لغة الغرب (الشرق الأوسط) إنها التفاحة التي تغري الآخرين بقطفها فهي دائماً في نظر هؤلاء بلاد (السمن والعسل) جاءها الاسكندر من الغرب، وجاءها هولاكو من الشرق، وذهب الغازيان وبقيت المنطقة محتفظة بهويتها وثقافتها، هكذا قدر لها، وهكذا ينظر إليها الغرب كما يؤكد تقرير صادر عن مجموعة العمل الخاصة بالشرق الأوسط التابعة للمجلس الأطلسي حينما عبر عن (الأهمية العظمى) للشرق الأوسط [1]

لقد كنا نحاذر أن تقع هذه الحرب التي أعقبت أزمة الخليج، وكنا نتمنى ألا تقع، لأنها ستترك جرحاً ليس من السهل برؤه في المدى القريب، ولكن ستبقى هوية المنطقة (الإسلام) وستبقى أصالة المنطقة.

لقد تذكرنا في هذه الأيام قول أحد شعراء الانكليز المشهورين (الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا) هذه المقولة التي حاول كثير من الكتاب في الشرق والغرب أن يثبت عكسها، ولكنها الحقيقة التي تثبت نفسها مع الأيام، فطبيعة الثقافة الغربية التي يرضعها الطفل من المنزل والمدرسة والمجتمع تختلف جذرياً عن طبيعة الثقافة الإسلامية، فالغربي الذي يعطف على الحيوان وفي الوقت نفسه يخرب البلدان إنما يعبر عن ثقافته، وليس من باب التمثيل أن يعطف على الحيوان لإظهار رقته ورحمته ولكنها الثقافة الغربية، ومن النماذج الواضحة في

١- وثائق ١١٩/١٧ الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ذلك ما يروى أن جندياً انكليزياً كان يصوب بندقيته على مواطن كيني ، فما كان من هذا الكيني إلا أن هجم وعض الانكليزي فاستغرب الأخير هذا التصرف والتفت إلى زميل له وقال له أنظر إلى هذا المتوحش...!

كان أجدادنا على علم بعقلية الأوروبيين وطريقة تصرفهم، فعندما كتب مسلمو الأندلس معاهدة مع ملك أسبانيا يؤمنهم على أموالهم وأعراضهم، وحرية تدينهم قام فيهم القائد العربي موسى بن أبي الغسان وقال: « يا قوم لا تغشوا أنفسكم، ولا تتسلوا بالمحال، ولا تظنوا أن ملوك النصارى وافون بمواعيدهم لكم، فوالله إن الموت الأحمر هو أهون مما نتوقع، وانما نحن مستقبلون أمراً أيسره اكتساح الأوطان وفضيحة العيال وانتهاب الأموال وقلب المساجد».

كما يعبر عن هذه الحقيقة المستشرق النمساوي الذي اعتنق الإسلام محمد أسد عندما قال: « قد لا تقبل أوربا تعاليم الفلسفة (البوذية) أو (الهندوكية) ولكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن ومبني على التفكير، إلا أنها عندما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفي في التسرب..»[1]

ويقول غوستاف لوبون: « لقد تجمعت العقد الموروثة، عقد التعصب التي ندين بها ضد الإسلام ورجاله، وتراكمت خلال قرون سحيقة حتى أصبحت ضمن تركيبنا العضوي»[2].

إن الغرب وهو في نشوة انتصاره لا يتنبه إلى قوانين التاريخ الصارمة، إنه لا يستطيع العيش طويلاً وهو يجترح الأزمات ويمتص خيرات الشعوب، وله عبرة في الامبراطورية الروسية، التي أضعفت الدولة العثمانية ثم بدأت تلتهم الأقاليم الإسلامية في آسيا، ثم جاءها العقاب الخفي، وجدت نفسها فجأة خاوية على عروشها، تستجدي المعونة الاقتصادية، وهكذا علمت روسيا وسيعلم الغرب أن الظلم مرتعه وخيم.

١- محمد البهي / الفكر الإسلامي ص ١٨٩ .

٢- مالك بن نبي / وجهة العالم الإسلامي ص ٢٨ .

وقفة مع ابن تيمية

عبد القادر حامد

لا تقل: كيف يكون هذا ؟ وكيف يستوقف البوطي ابن تيمية ؟ فهكذا كان! افترض أنه استوقفه! ولكن هل وقف رحمه الله، وهل أصاخ لتحرشات البوطي بعد ستمائة وثمانين سنة من وفاته، لقد تُحُرِّشَ به كثيراً في حياته وبعد مماته إلى الآن، ولم يهادن، ولم ينحن، بل ها هو ما يزال يزداد على التحرشات سطوعاً وانتشاراً. لقد تعاوره ناس من طبقات شتى، وناشته أسلحة عمالقة وأقزام، كلهم يحاول جهده، ويجرب حظه ! ولكن أين هؤلاء، ومن يذكرهم ؟! ومن يقرأ لهم ؟ نحن نجيب: لا يقرأ لهم - في الأغلب - إلا من يريد أن يجرب حظه مع ابن تيمية من جديد، ليجرد عليه أسلحة ثبت أنها إما كليلة أو فليلة.

مجلدات، رسائل مجردة، فتاوى، قصائد، ترجمات..كلها ساهمت في هذه الملحمة التي بدأت في حياة ابن تيمية ولما تنته بعد : أهواء يختلط فيها الحسد والغيرة، بالتصوف الأعجمي، بالعداء للسنة، بالحقد على الصحابة، بالحرص على المنصب، بحب الظهور عند جهة مدخولة العقيدة، بالشعوبية المبنية على كره كل ما هو عربي، بالتعصب للمذاهب والأشخاص، بكثير مما يصعب حصره من الدوافع التي تظهر خطوطها في كلام أصحابها بادية للعيان، أو تلك التي تتوارى وتتدارى وتتلفف وتتدثر، ولكن تدل عليها رائحتها وفحيحها من وراء الكلمات. كل ذلك وأكثر منه قد أُرصد ويُرصَدُ كي يخفت صوت ابن تيمية، ويسدل الستار على المنهج الذي نصب له جهده وحياته. ولكن هل نجح ذلك الإرصاد في خفت صوته وتغييب منهجه ؟ ما أحرى ابن تيمية بمعنى قول المتنبي:

كم قد قتلت وكم قد مت عندكم ثم انتفضت فزال القبر والكفن

قد كان شاهد دفني قبل قولهم جماعة، ثم ماتوا قبلَ من دفنوا

هذا أمر ومنهج قد استتب، وهو إلى قوة وانتشار بحمد الله ومنه وكرمه.

إننا لا ندافع عن ابن تيمية فابن تيمية يدافع عن نفسه بأسلوبه، وعلى الرغم من ضياع كثيرٍ مما كتب؛ ففيما بقي من تراثه كفاء خصومه، وإذا أشرنا إلى فقرات من آرائه في مؤلفاته فهذا ليس تعبيراً عن تعصب للرجل، بل إنصافاً للحق المجرد الذي نؤمن به وندين الله عليه، فإذا أحبه محبوه فللحق الذي ينافح عنه، وإذا تحامل عليه من تحامل فللباطل الذي يمدون إليه بسبب أو أكثر.

كما لا نظن بابن تيمية العصمة، فهو بشر يصيب ويخطىء، ولكن المناقشة العلمية شيء، والتحامل الصارخ، والتشفي العاري شيء آخر.

لا زال مغروساً في ذاكرتي ذلك الموقف الذي كنت عاجزاً عن فهمه وتحليله يوم حدث، وذلك أني كنت طالباً في كلية الشريعة في دمشق، وكانت مقررة علينا مادة سموها الفقه المقارن، وكان تدريسها مسنداً للدكتور الذي نناقش بعض ما جاء في كتابه هذا، وكان صنف ورقات تحتوي عدة مسائل فقهية خلافية وكان من بين هذه المسائل مسألة: الطلاق بلفظ الثلاث هل يقع ثلاثاً أم واحدة وهي مسألة مشهورة، وابن تيمية يخالف في هذه المسألة المفتى به عند الفقهاء، وطبيعي أن الشيخ البوطي ينصر رأي الفقهاء ولا لوم عليه في ذلك، لكن الذي استوقفني في ذلك الوقت أمران:

١- وضع الأدلة وسياقها كما ناقشها البوطي حتى ننتهي إلى ما انتهينا إليه من تأييد رأي الجمهور، فعلى الرغم من الجهد الواضح والحشد وكثرة الأقوال إلا أنه ظل في أعماق النفس شيء من هذه الاستدلالات وطريقة عرضها.

٢- الصورة التي عرض البوطي علينا المسألة فيها.

فلا أزال أذكر أنه عندما عرض الأدلة وبدأ يناقشها تغيرت صورته التي أعرفها أنا على الأقل، فارتفعت لهجته واحتدّت، وهذه الحدة كانت ترافق عرض الحجج التي يعتمدها ابن تيمية، بل كنت أحس أن الشيخ - وهو الهادىء الرزين في نظري كان - يتهيأ للنهوض عن كرسيه بغضب ظاهر ليدفع خصماً أمامه لم يبق له معه كلام ولا بد من اللجوء إلى لغة الدفع باليد بعد عجز لغة الحجة والبرهان. طبعاً لم يخلف هذا الموقف في نفسي شيئاً نحو الشيخ حتى عندما سعّر الحرب بينه وبين خصومه الذين يحرص على نعتهم بأقبح الصفات لم تكن هذه الحروب من اهتماماتي، فلم أتابع ما قال كل طرف في الآخر. حتى قرأت له هذا الكتاب فعجبت أن يكتبه دكتور سلخ مدة ليست بالقصيرة من عمره يُدرِّس ويحاضر ويؤلف.

هل النضج يؤدي إلى هذه النتيجة ؟ أم هي فتنة يفتن بها الشيخ بعد هذا العمر ؟ أم هذا ديدنه في سائر إنتاجه ؟

وبعد أن قرأت « وقفته مع ابن تيمية » أدركت تلك الصورة الغريبة التي عجزت عن تفسيرها في ذلك الوقت المبكر، لأنني لم أكن قد اطلعت على شيء كافٍ مما كتب ابن تيمية تؤهلني لإدراك ما وراء الآكام.

تتجمع خصائص البوطي في التأليف والجدل وتحتشد على نحو بارز وطريف حينما يتصدى لابن تيمية (منبهاً إلى أخطاء وقع فيها؛ ومعتذراً له !) وحتى يكون لتصديه هذا مؤيدون فلا بد من اللجوء إلى رمز له جمهوره، وهكذا فما إن افتتح البوطي اللعبة التي سماها «وقفة مع ابن تيمية» حتى دلف وألق الرمز بين يدي جمهوره ! هذا الرمز هو الغزالي.

والمجيء بالغزالي إلى هذا المعمعان حيلة يراها البوطي ناجحة، فلا بد من إثارة العواطف، وهذه لا تثور إلا بندب وتفجع وتوجع ! ولا بد أن يكون موضوع هذا الندب والتفجع والتوجع رمزاً معروفاً، ولعله يستخدم هذه الوسيلة تأثراً بالذين يستغلون حب المسلمين قاطبة لآل البيت من أجل الوصول إلى أهداف أخرى. وهو الذي تحول بأخره إلى الاحتطاب بحبلهم !

وسبب آخر وهو تحويل المعركة من طرفين يشك الجمهور في تكافئهما؛ وهما: البوطي وابن تيمية، إلى طرفين قد يوجد من الناس من يقول بتكافئهما وهما: الغزالي وابن تيمية ! والتبعة على البوطي ستكون أخف وأهون - أو هكذا يظن - إذا ما جعل هذين الإمامين يتصارعان وعندها قد يقف على مبعدة منهما يفرك يديه ضاحكاً قائلاً:

وكـتـيـبـةٍ لـبـسـتـهـا بـكـتـيـبـةٍ   حتى إذا التبست نفضت لها يدي

يقول البوطي [ص ١٦٠] :

« ولكن ابن تيمية أنحى باللائمة على الغزالي بسبب خوضه في تلك المصطلحات والمقاييس (مصطلحات ومقاييس الفلاسفة) واتهمه أكثر من مرة، بما كان جديرا به أن يشكره عليه، انطلاقاً من قراره الجازم بأن الاشتغال بعلم الكلام لإحقاق الحق الذي جاء به القرآن والسنة، عمل مبرور لا حرج فيه ولا مانع منه ». ويضع البوطي على طريقته في الإيهام والتلبيس في الحاشية ما يشير إلى أن مضمون ما قاله موجود في صفحة ١٨٤ من الجزء التاسع من مجموع فتاوى ابن تيمية.

ولكن - قبل أن نرجع إلى الموضوع المشار إليه - ما مضمون كلامه ؟

إن مضمونه أن ابن تيمية :

١- أنحى باللائمة على الغزالي بسبب خوضه في مصطلحات ومقاييس الفلاسفة.

٢- اتهمه أكثر من مرة بما كان جديراً أن يشكره عليه !

ولكن ماهذا الذي كان يجب على ابن تيمية أن يشكر الغزالي عليه ؟! لقد تركه البوطي مبهماً !

٣- إن لابن تيمية قراراً جازماً لا مثنوية فيه بأن الاشتغال بعلم الكلام لإحقاق الحق الذي جاء به القرآن والسنة عمل مبرور لا حرج فيه ولا مانع منه.

نقول:

أما إن لابن تيمية كلاماً في الغزالي فلا ينكر ذلك أحد، وأما أن يكون هذا الكلام حقاً أو باطلاً في نفسه فهذا متروك للعلماء ليقرروه، وهو مباح لكل ناظر وباحث - لكن بشروط البحث والنظر - لينظر فيه ويبحث عن وجه الحق فيما احتواه. ولكن غير المباح، بل المعيب؛ أن تُدَّعى دعاوى لا دليل عليها لمجرد تشويه السمعة والصد ليس إلا ! وإذا كان البوطي غيوراً على من يحب - وهذا حقه - فاللائق به أن يجمع أطراف كلام ابن تيمية في الغزالي، وأن يناقش ذلك مناقشة العلماء، وأن لا يقصقص أطراف النقول والاستشهادات حتى توافق هواه، وتتفق مع ما في نفسه من دخن على ابن تيمية.

ولنعد إلى ص ١٨٤ من الجزء التاسع من مجموع الفتاوى.

يتكلم ابن تيمية عن عيب نظار المسلمين طريق أهل المنطق، وبيانهم قصورها وعجزها ورأيهم في المنطق جملة فيقول:

« ومازال نظار المسلمين يعيبون طريق أهل المنطق؛ ويبينون ما فيها من العي

واللكنة وقصور العقل وعجز النطق؛ ويبينون أنها إلى إفساد المنطق العقلي واللساني أقرب منها إلى تقويم ذلك. ولا يرضون أن يسلكوها في نظرهم ومناظراتهم، لا مع من يوالونه ولا مع من يعادونه.

وإنما كثر استعمالها في زمن «أبي حامد» فإنه أدخل مقدمة من المنطق اليوناني في أول كتابه «المستصفى» وزعم أنه لا يثق بعلمه[1] إلا من عرف هذا المنطق. وصنف فيه «معيار العلم» و «محك النظر»؛ وصنف كتاباً سماه «القسطاس المستقيم» ذكر فيه خمس موازين: الثلاث الحمليات؛ والشرطي المتصل والشرطي المنفصل. وغير عباراتها إلى أمثلة أخذها من كلام المسلمين وذكر أنه خاطب بذلك بعض أهل التعليم، وصنف كتاباً في تهافتهم، وبين كفرهم بسبب مسألة قدم العالم وإنكار العلم بالجزئيات وإنكار المعاد؛ وبين في آخر كتبه أن طريقهم فاسدة؛ لا توصل إلى يقين؛ وذمها أكثر مما ذم طريقة المتكلمين. وكان أولا لا يذكر في كتبه كثيراً من كلامهم: إما بعبارتهم؛ وإما بعبارة أخرى، ثم في آخر أمره بالغ في ذمهم؛ وبين أن طريقهم متضمنة من الجهل والكفر ما يوجب ذمها وفسادها أعظم من طريق المتكلمين؛ ومات وهو مشتغل بالبخاري ومسلم.

والمنطق الذي كان يقول فيه ما يقول؛ ما حصل له مقصوده؛ ولا أزال عنه ما كان فيه من الشك والحيرة؛ ولم يغن عنه المنطق شيئاً.

ولكن بسبب ما وقع منه في أثناء عمره وغير ذلك، صار كثير من النظار يدخلون المنطق اليوناني في علومهم، حتى صار من يسلك طريق هؤلاء من المتأخرين يظن أنه لا طريق إلا هذا، وأن ما ادعوه من الحد والبرهان هو أمر صحيح مسلم عند العقلاء ولا يعلم أنه مازال العقلاء والفضلاء من المسلمين وغيرهم يعيبون ذلك ويطعنون فيه. وقد صنف نظار المسلمين في ذلك مصنفات متعددة، وجمهور المسلمين يعيبونه عيباً مجملاً لما يرونه من آثاره ولوازمه الدالة

١- هكذا في مجموع الفتاوى ولعلها: لا يوثق بعلم.

على ما في أهله مما يناقض العلم والإيمان ويفضي بهم الحال إلى أنواع من الجهل والكفر والضلال ». [مجموع الفتاوي ٩/١٨٤-١٨٥]

هذا ما جاء فيه ذكر الغزالي في هذا الموضع، فهل فيه اتهامات ؟ فقد قال ابن تيمية أن نظار المسلمين يعيبون طريق أهل المنطق، وأن هذه الطريق كثر استعمالها منذ زمن الغزالي، وأنه أدخل مقدمة من المنطق اليوناني في أول كتابه «المستصفى»، وزعم - أي الغزالي - أنه لا يوثق بعلم من لا يعرف المنطق، وصنف في المنطق كتباً مثل: «معيار العلم» و «محك النظر» وصنف أيضاً «القسطاس المستقيم» و «تهافت الفلاسفة»؛ فهل هذا كذب على الغزالي ؟

وبين أن الغزالي بين كفر الفلاسفة وأسبابه، وكذلك ادعى على الغزالي أنه حكم بفساد طريق المعرفة على طريق الفلاسفة وادعى ذمه لطريق المتكلمين؛ فهل هذه مجرد دعاوي لا دليل عليها؛ أم أن أدلتها مبثوثة في كتب الغزالي المعروفة ؟

وكذلك ذكره التطور الذي حصل لأبي حامد وأنه مات وهو مشتغل بالبخاري ومسلم هل هذه دعوى غير صحيحة ؟ أم أنها لوم وشيء معيب أن يسند للغزالي ؟

هل في قول من قال في عالم من العلماء: إنه قال كذا وفعل كذا وبيان أسباب ذلك ظلم لهذا العالم أو تهمة أو لوم ؟

ثم ما معنى قولك:

«بل إن ابن تيمية رحمه الله ازداد حماسة في الهجوم على المنطق ومقاييسه واصطلاحاته حتى لكأن فرط الحماسة أنساه ما قد قرره بشأن علم الكلام وجواز الاستفادة من اصطلاحات المناطقة وأساليبهم في بيان الحق فأخذ يقرر بأن ما يعتمده النظار من أهل الكلام من الأدلة العقلية شيء لا حاجة إليه ولا موجب

للاشتغال به فإن القرآن جاء بما يغني عنه» [ص ١٦٠]

لماذا تغار على المنطق غيرتك على الغزالي حتى لكأنهما توأمان ؟ وهل علم المنطق وعلم الكلام شيء واحد في نظرك ؟ إن ابن تيمية لم يخرج عن ما قرره، ولم يناقض نفسه - كما يحلو لك أن تثبت، وتقيم ما تسميه أنت أدلة على ذلك - فالموضع الذي تشير إليه على أن ابن تيمية تحدث فيه طويلاً في علم الكلام. وحكم دراسته وممارسته والاحتجاج في مسائل العقائد الإسلامية به؛ وانتهى بحمد الله إلى أن ممارسته ليست بدعة، والاعتماد عليه في الدفاع عن العقائد الإسلامية ليس محرماً، إذا لم يقصد به الاستدلال بالأدلة الفاسدة أو تبني ما قد يكون من المقولات الباطلة !

نقول: هذا الفعل منك تحميل لكلام ابن تيمية ما لا يحتمل، وعلى طريقتك في البتر والقصقصة والتشويه تستدل على ما تريده، وتلوي كلام ابن تيمية عن مقصده، متوهماً أنك بهذا البتر والتشويه تصيِّر كلامه ملائماً لهواك.

ولكن هيهات ! فأي عاقل يقرأ كلام ابن تيمية في سياقه التام يكتشف استهانة وتلاعباً بالنصوص لا يليقان بطلبة العلم فضلاً عن الذين نصبوا أنفسهم للتدريس والإرشاد.

ولو وضعنا - هنا - الكلام الذي يحيل على شذراته؛ بتمامه؛ لطال الموضوع، ولأمللنا القارىء، فليرجع من يشاء إلى ذلك الموضوع من مجموع الفتاوى [٩/ ٢٩٣-٣٢٧] وليقرأ كلاماً كانت لهُ روح هناك، فجاء البوطي وانتزع روحه، وجعله عضين، وقدمه على أنه هو الذي يقول به ابن تيمية !

والغريب أنه لا يفطن لهذا التشويه؛ فيبني عليه، أو يستنتج منه آراء شائهة من مثل قوله: «فإن أحداً منهم لم يتبنّ المضامين الباطلة للفلاسفة والمناطقة

اليونانيين » [ص ١٥٩]

وقوله: « وقد انعكس هذا الاضطرابِ في كلام ابن تيمية على أذهان كثير من يقرؤون له بسطحية ودون صبر أو استيعاب » [ص ١٦١]، ففي كلامه هذا أمور:

١- وصف لكلام ابن تيمية بالاضطراب.

٢- انعكاس هذا الاضطراب على أذهان كثير ممن يقرؤون لابن تيمية بسطحية ودون صبر أو استيعاب، وهذه العبارة ملتوية أشد الإلتواء، وبيان ذلك أن وصف كلام ابن تيمية بالاضطراب تركه البوطي معلقاً، حتى إذا قال له قائل: يا شيخ، كثير عليك أن تحكم على كل كلام ابن تيمية بالاضطراب، لربما قال: لا، أنا لا أقصد جميع كلامه؛ وإنما أصف بالاضطراب هذه الفقرة التي نقلتها من الجزء التاسع ص ٢٢٥ من مجموع الفتاوى ! فيقال له: حتى على هذه النية، أين الاضطراب في هذا الكلام ؟ وهل هذه الفقرة وحدها كافية لبلبلة أفكار من يحكم عليهم البوطي هذا الحكم الجائر ؟ فإن كان كلام ابن تيمية مضطرباً كله فهو يعني قراءه، وأنت منهم ! إلا أن تحصن ذهنك من الاضطراب بالابتعاد عنه والفرار منه فرارك من مجذوم ! وياليتك فعلت هذا؛ إذن لكفيت واستكفيت، ولكن ها أنت من قراء ابن تيمية ! لكن استغفر الله، فقد كدنا ننسى ما قلت فأنت من القلة القليلة التي أفادها مفهوم كلامك السابق، والتي تقرأ له بعمق وصبر واستيعاب ! فالحمد لله الذي عصمك - عند نفسك - من الاضطراب !

مثال من المبالغة والتحدي الفارغ :

قد يظن ظان أن هجوم البوطي على ابن تيمية، واستظهاره بالغزالي آتٍ من دراسة مستفيضة لعلم الرجلين، ومن تعمق فيما كتبا، ثم من تبيُّن عادل لما كتبه ابن تيمية حول الغزالي؛ أو حول المسائل العلمية التي تعرض لها، ومن توصلٍ إلى

أن وجه الحق في هذه المسائل كان إلى جانب الغزالي...

والحق أن كل ذلك لم يكن - وسوف نبرهن على ذلك - وإنما الذي كان أن البوطي سمع من المتعصبين مثله أن ابن تيمية عاب على الغزالي وهو بنظر هؤلاء (قدس الأقداس) الذي لا يمس ولا ينتقد.

ومن جهة ثانية يريد البوطي أن يجعل هذه المشكلة - انتقاد ابن تيمية للغزالي - سلاحاً من الأسلحة التي يرمي ابن تيمية بها لعله يصيب منه مقتلا بعد أن تيقن أن علمه وآراءه لم تمت، وأنه لا زال حياً على الرغم من قول متعصب شعوبي حاقد من المتأخرين[1] فيه: « وحيث لم يكن له شيخ يرشده في العلوم النظرية أصبح علمه لا يرتكن على شيء وثيق خليطاً كثير التناقض، توزعت مواهبه في أهواء متعبة، ثم أفضى إلى ما عمل وزالت فتنته برد العلماء عليه ».

ولا شك أن البوطي قد مر بهذه العبارة المظلمة، ولا ندري هل أمّن عليها؛ أم أشاح عنها وجهه لقبحها وعفونة رائحتها ؟! إن كان أمن عليها فقد أمّن على كذب، إن كان أشاح عنها فمضمون كلامه عن ابن تيمية مخالفة عملية لهذه الإشاحة !

وحتى نقيم الدليل على مجازفات البوطي ننقل فقرة من فِقر كتابه تدلك على ما حكمنا به عليه من قلة التعمق والتبين التي سببها العجلة أو الهوى أو كلاهما، يقول عن الغزالي:

«... وأما أنه قد انطلى عليه شيء من أوهامهم أو انزلق إلى أي من الباطل الذي ضلوا في أوديته، فهذا ما شهدت الدنيا كلها بنقيضه، بل شهد بنقيض ذلك ابن تيمية نفسه (سبحان الله !) وما عرف تاريخ الفلسفة رجلاً مزق

١-زاهد الكوثري في مقدمته لكتاب « تبيين كذب المفتري » لابن عساكر.

الأوهام الفلسفية بمباضع المقاييس الفلسفية ذاتها (هذه استعارة مكنية!) **وانتصر للحق الذي دل عليه كتاب الله عز وجل. بالاصطلاحات الفلسفية نفسها كالإمام الغزالي**» [ص ١٦٣]

ليس ابن تيمية وحده من ينقض أمثال هذه الفقرة التهويلية التي جادت بها قريحة الشيخ البوطي، بل هو عندما يشير إلى أن الغزالي تأثر بأساليب الفلاسفة ينقل كلام العلماء قبله من جهة، ويعتذر للغزالي من جهة أخرى لأنه لم يتيسر له العلم بالسنة، التي تعصم الإنسان من العدوى بطرق الفلاسفة وأساليبهم، ومعروف أن الغزالي قال: «بضاعتي في الحديث مزجاة»، وكتبه ومن أشهرها الإحياء تشهد بذلك (ولا ندري أينكر البوطي ذلك ؟!) وابن تيمية في نقده ينهج المنهج الأعدل، فيبين أوهامه وأسبابها وعذره فيها، ويذكر ماله من محاسن، ويذكر أقوال العلماء فيه فلا يقبل ما جاء به دون نقاش، ولا يرد كل ما جاء به دون دليل، يقول عن الغزالي:

«ولكن كان هو وأمثاله - كما قدمت - مضطربين لا يثبتون على قول ثابت. لأن عندهم من الذكاء والطلب ما يتشوفون به إلى طريقة خاصة الخلق، ولم يقدر لهم سلوك طريق خاصة هذه الأمة، الذين ورثوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم العلم والإيمان، وهم أهل حقائق الإيمان والقرآن، - كما قدمناه - وأهل الفهم لكتاب الله والعلم والفهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتباع هذا العلم بالأحوال والأعمال المناسبة لذلك، كما جاءت به الرسالة.

ولهذا كان الشيخ «أبو عمرو بن الصلاح» يقول - فيما رأيته بخطه - : «أبو حامد كثر القول فيه ومنه، فأما هذه الكتب (يعني المخالفة للحق) فلا يلتفت إليها، وأما الرجل فيسكت عنه، ويفوض أمره إلى الله». ومقصوده: أنه لا يذكر بسوء، لأن عفو الله عن الناسي والمخطئ وتوبة المذنب تأتي على كل ذنب، وذلك من أقرب الأشياء إلى هذا وأمثاله، ولأن مغفرة الله بالحسنات منه ومن

غيره، وتكفيره الذنوب بالمصائب تأتي على محقق الذنوب، فلا يقدم الإنسان على انتفاء ذلك في حق معين إلا ببصيرة، لا سيما مع كثرة الإحسان والعلم الصحيح، والعمل الصالح والقصد الحسن. وهو يميل إلى الفلسفة، لكنه أظهرها في قالب التصوف والعبارات الإسلامية.

ولهذا: فقد رد عليه علماء المسلمين، حتى أخص أصحابه أبو بكر بن العربي، فإنه قال: «شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر». وقد حكى عنه من القول بمذاهب الباطنية ما يوجد تصديق ذلك في كتبه. ورد عليه أبو بكر الطرطوشي ورد عليه أبو الحسن المرغيناني ورفيقه، رد عليه كلامه في مشكاة الأنوار ونحوه، ورد عليه الشيخ أبو البيان، والشيخ أبو عمرو ابن الصلاح، وحذر من كلامه في ذلك هو أبو زكريا النواوي وغيرهما، ورد عليه ابن عقيل، وابن الجوزي وأبو محمد المقدسي وغيرهم». [مجموع الفتاوى ٤/٦٥-٦٦]

ويقول عن كتابه الإحياء:

« و (الإحياء) فيه فوائد كثيرة؛ لكن فيه مواد مذمومة، فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدواً للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين. وقد أنكر أئمة الدين على «أبي حامد» هذا في كتبه، وقالوا: مرضه (الشفاء) يعني شفاء ابن سينا في الفلسفة.

وفيه أحاديث وآثار ضعيفة؛ بل موضوعة كثيرة. وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم. وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ما هو موافق للكتاب والسنة، ما هو أكثر مما يرد منه، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه». [مجموع الفتاوى ١٠/٥٥١-٥٥٢]

وهكذا يتبين لنا من هاتين الفقرتين السابقتين حقيقة الدعوة العريضة من قول البوطي: «فهذا ما شهدت الدنيا كلها بنقيضه» ! ياليته ذكر لنا أسماء من أهل هذه الدنيا ! وقوله كذلك: «بل شهد بنقيض ذلك ابن تيمية نفسه» ! فهلا ذكر الشيخ أين شهد ابن تيمية بنقيض ذلك ؟! وما تبق من فقرة الشيخ فهو صراخ وحدة وتحدي «قبضايات» لا علماء.

على أننا نضع هنا بين يدي البوطي درساً في النقد يعلمناه ابن تيمية لعله ينتفع به، فتهدأ نفسه وتعتدل، ويضعه نصب عينيه إذا كتب في المستقبل معلماً ومرشداً وناقداً، إذن، يكفر عن تحامله وأخطائه التي يقتحم فيها بدافع العجلة والهوى، ولا ريب عندنا وعند الشيخ أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. يقول ابن تيمية في معرض ذكره شيئاً مما ينتقد على أبي ذر الروي واعتذاره له ولمن يُنْتَقَدُ عليه شيء من العلماء، وذكره ما هو معروف عنه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة وغير ذلك من المحاسن والفضائل :

« ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداءً من المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك: منهم من يعظمهم؛ لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم، لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوساطها.

وهذا ليس مخصوصا بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين، والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات؛ ويتجاوز لهم عن السيئات، ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً**

للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ [الحشر ١٠].

ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخطأ في بعض ذلك فالله يغفر له خطأه، تحقيقاً للدعاء الذي استجابه لنبيه وللمؤمنين حيث قالوا: ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾ [البقرة ٢٨٦].

ومن اتبع ظنه وهواه فأخذ يشنِّع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صواباً بعد اجتهاده، وهو من البدع المخالفة للسنة، فإنه يلزمه نظير ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يعظِّمه هو من أصحابه، **فقل من يَسلم من مثل ذلك في المتأخرين، لكثرة الاشتباه والاضطراب، وبُعد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة الذي به يحصل الهدى والصواب، ويزول به عن القلوب الشك والارتياب**، ولهذا تجد كثيراً من المتأخرين من علماء الطوائف يتناقضون في مثل هذه الأصول ولوازمها، فيقولون القول الموافق للسنة، وينفون ما هو من لوازمه، غير ظانين أنه من لوازمه، ويقولون ما ينافيه، غير ظانين أنه ينافيه، ويقولون بملزومات القول المنافي الذي ينافي ما أثبتوه من السنة، وربما كفَّروا من خالفهم في القول المنافي وملزوماته، فيكون مضمون قولهم: أن يقولوا قولاً ويكفروا من يقوله، وهذا يوجد لكثير منهم في الحال الواحد؛ لعدم تفطنه لتناقض القولين، ويوجد في الحالين، لاختلاف نظره واجتهاده.

وسبب ذلك ما أوقعه أهل الإلحاد والضلال من الألفاظ المجملة، التي يظن الظان أنه لا يدخل فيها إلا الحق، وقد دخل فيها الحق والباطل، فمن لم ينقب عنها أو يستفصل المتكلم بها - كما كان السلف والأئمة يفعلون - صار متناقضاً أو مبتدعاً ضالاً من حيث لا يشعر.

وكثير ممن تكلم بالألفاظ المجملة المبتَدَعة كلفظ الجسم والجوهر والعرض

وحلول الحوادث ونحو ذلك، كانوا يظنون أنهم ينصرون الإسلام بهذه الطريقة وأنهم بذلك يثبتون معرفة الله وتصديق رسوله، فوقع منهم من الخطأ والضلال ما أوجب ذلك، وهذه حال أهل البدع كالخوارج وأمثالهم، **فإن البدعة لا تكون حقاً محضاً موافقاً للسنة، إذ لو كانت كذلك لم تَخفَ على الناس، ولكن تشتمل على حق وباطل، فيكون صاحبها قد لَبَسَ الحق بالباطل: إما مخطئاً غالطاً، وإما متعمداً لنفاق فيه وإلحاد.** كما قال تعالى: ﴿ **لو خرجوا فيكم مّا زادوكم إلَّا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سَّماعون لهم** ﴾ [التوبة ٤٧]. فأخبر أن المنافقين لو خرجوا في جيش المسلمين ما زادوهم إلا خبالاً، ولكانوا يسعون بينهم مسرعين، يطلبون لهم الفتنة، وفي المؤمنين من يقبل منهم ويستجيب لهم: إما لظن مخطئ، أو لنوع من الهوى، أو لمجموعها؛ فإن المؤمن إنما يدخل عليه الشيطان بنوع من الظن واتباع هواه، ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات).

وقد أمر المؤمنين أن يقولوا في صلاتهم: ﴿ **اهدنا الصِّراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين** ﴾ [الفاتحة ٦-٧]، فالمغضوب عليهم عرفوا الحق ولم يعملوا به، والضالون عبدوا الله بلا علم.

ولهذا نزه نبيه عن الأمرين بقوله: ﴿ **والنَّجم إذا هوى * ما ضلَّ صاحبكم وما غوى** ﴾ [النجم ١-٢] وقال تعالى ﴿ **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار** ﴾ [ص ٤٥].

[درء تعارض العقل والنقل ٢/١٠٢-١٠٥]

صورة ابن تيمية كما رسمها البوطي

إنه لشيء مؤسف لي أن أجمع خطوط صورة ابن تيمية كما رسمتها ريشة البوطي

الصناع، وأبرزها للقراء، حتى يطلعوا على هذا الفن الذي يضطلع به الرجل ويأخذ به نفسه، وبادئ ذي بدء فإنني أهمس في أذن الشيخ البوطي همسة لعلها تفيده في دنياه، وهي أن في هذا العصر - عصر ثقافة التلفاز - قد شاع هذا النوع من الكتاب الذين يكتبون لهذا الجهاز، ويغذون برامجه بإنتاجهم، فيكتبون قصصاً وحكايات يستخدمها ويعتمدها منتجو هذه البرامج والمسلسلات.

وقد اكتشفت في تصوير الشيخ لابن تيمية رحمه الله، هذه الموهبة النادرة في التصوير الذي يناسب أهداف أصحاب هذه المسلسلات ومن يقف وراءهم، وبخاصة إذا كانت مادتها تتعلق بشخصيات إسلامية تاريخية لها دور في البناء الاجتماعي والفكري والحضاري للمسلمين، فتراهم ينتقون من الكتابات أكثرها سطحية وتشويهاً، أو يتعاقدون مع «خياطي» الكتابة الذين يكتبون لا عن مبدأ أو عقيدة، خلا عقيدة الارتزاق (والشيخ البوطي ليس من هؤلاء)، فيسطون على الكتب والمراجع، ويقصون منها ما يناسب شروط العقد ! ويفصلونه زياً على حسب الطلب صيفياً أو شتائياً، رجالياً أو نسائياً، طويلاً ضافياً فضفاضاً؛ أو قصيراً ممسوخاً، كاسياً عارياً، أو منتعلاً حافياً، وهكذا.. وابن تيمية من هذه الشخصيات التي تعتبر موضوعاً غنياً لكتاب المسلسلات هؤلاء، والنَفَس المستفاد مما صوره به البوطي نَفَسُ هؤلاء الكتاب: دعاوى عريضة، وتشويه مقصود، وهوى غلاب والعياذ بالله .

هذه أمثلة مما جادت به قريحة الشيخ في تصوير ابن تيمية:

اللوحة الأولى:

هذه مائدة الفلسفة مفروشة، مصفوفة أطباقها بتنسيق وترتيب جميل، وقد أعدت وجهزت حتى يرتادها الناس، كل الناس، وفجأة يدخل صبي صغير طائش، وإن شئت فرجل أخرق مجنون يذود الناس يمينا وشمالاً عن هذه المائدة،

يريد أن يختص بها لنفسه فقط، لا يستفيد منها، بل «ليعثوا»[1] بأطباقها كما يحب» تكسيراً وتحطيماً وتخليطاً، يضع من هذا الطعام على ذاك، دون مراعاة للأذواق أو المراسم ! وهو بين هذا وذاك «يصيح في كل من حوله»[2] ! !

هذه صورة ابن تيمية عند هذا الرجل الداعية الذي يحترم العلم والعلماء ! أليس هذا ما ينطق به كلامه التالي :

« أما الثاني (أي ابن تيمية) فقد تربع على مائدة الفلسفة يتناول منها ويعثو بأطباقها كما يحب، ويصيح في كل من حوله ! يطردهم عن المائدة، ويحذرهم من أن يذوقوا منها مذاقاً، لأن كل ما عليها طعام آسن ضار غير مفيد ! !» [ص ١٦٣].

صورة طريفة مع أنها مزعجة، وبخاصة عندما يختلط صراخ ابن تيمية رحمه الله بصوت الأطباق التي ينهال عليها تكسيراً وتفتيتاً. وقديماً قيل: أعذب الشعر أكذبه !

ولوحة ثانية :

هذا ابن تيمية قد طوح بنفسه في بحر الفلسفة، وتعرض لما لا يحسن أن يتعرض له، وخدعته نفسه حين ظن أنه قادر على السباحة في هذا البحر، والسلامة من أخطاره، فها هو يتطوح هكذا وهكذا مضطرباً تائهاً لا يدري كيف الخلاص كشخص فقد دليله في مفازة مترامية الأطراف لا يدري أين طريق النجاة.

١- يراجع معنى يعثو في لسان العرب. و (يعثو) هذه أخت (ينغضون) التي وصف بها الصحابة !

٢- اقرن هذه العبارة بالعبارة الواردة في كتابه [ص ٢٤٥]: (فصاح فيه أن يخرج..) ! والتي أشرنا إليها في مجلة البيان العدد السابق (٣٦) ص ١٤ وليعلم أن هذه ليست عربية صحيحة ولا فصيحة ولا لائقة، بل هي - لسوء حظه وحظنا - لغة أزقة يزين بها الشيخ أسلوبه الراقي !

اقرأ قول البوطي بنصه التالي وتأمل :

« والعجب الثاني، أنه – وهو المحذر من سمادير الفلاسفة وأوهامهم – لم ينج من هذه الأوهام والسمادير، بل أصابه بعض رشاشها، بل أصابه بعض من أخطر رشاشها؛ ومع ذلك فهو لم يتبنَّها ويعتقد بها من منطلق التثبت العلمي الجازم، ولكن تطوح في شأنها تطوح المضطرب، وناقض نفسه في حديثه عنها مناقضة التائه وقع في مهمه لا يتبين سبيلاً للخلاص منه» [ص ١٦٣].

وبعد:

فإن هذا الأسلوب الذي يكتب به البوطي ابن تيمية يناقض ما جاء في حاشيته على (وقفته مع ابن تيمية) ص ١٥٨ والتي يقول فيها:

« ليس الهدف من عرض ما قد يؤخذ على ابن تيمية هنا، تفسيقه أو تبديعه كما فعل بعض خصومه، وإنما القصد أن ننبه إلى خطأ ما وقع فيه، ثم إلى التماس العذر له من خلال العثور على نصوص أخرى يناقض فيها نفسه في هذه النقاط التي أخذت عليه...»

لو أن البوطي فسق أو بدع لكان الخطب أهون والتبعة أخف محملا على نفسه، إذا لا يعدو بعمله ذاك أن يكون كرر شيئاً قد قيل من قبل، ولم يأت بجديد، ولكن الشيخ البوطي يأبى إلا أن يبذ الأوائل ببدواته وإبداعه، فيسخر ويتشفى، ويتعالى ثم يتواضع، ويقدر ثم يعفو، ويدين المجرم بجرائمه الواضحة، ثم – لفرط إنسانيته وفروسيته – يذهب ويفتش في حيثيات القضية لعله يعثر على ما يجعله يتجاوز عن إنزال العقوبة الرادعة المستحقَّة. هذا ما تدل عليه حاشيته تلك التي تلح علينا بأن يكون لنا معها وقفة أخرى.

* يتبع *

وضوح الأهداف

إذا أردت لدعوتك أن تكون قوية مؤثرة تجمع عليها الناس يؤيدونها ويناصرونها، فعليك أن تكون واضحاً في عرضها، واضحا في عرض أهدافها، اذكر الحقيقة التي تؤمن بها ناصعة وبصورة حاسمة، أما الغمغمة واتباع الطرق الملتوية فهذا سيبعد الطريق ولا يؤدي إلى الغرض المطلوب، ومعنى هذا أن أفراد الدعوة أنفسهم يجب أن يكونوا متشبعين بفهمها، وفهم أهدافها ووسائلها، وإذا لم يكونوا كذلك فهناك التشويش والخلط بين المراحل الأولى والمراحل الأخيرة، الذي يؤدي إلى التعثر والتخبط.

لقد كانت الأهداف المرحلية واضحة تماماً في السيرة النبوية، كان دعاؤه صلى الله عليه وسلم مركزا وواضحاً في البداية، دعوة الناس جميعاً إلى عبادة الله وحده، وترك كل ما يعبد من دون الله من أصنام وطواغيت وأهواء وشهوات، ثم انتقل إلى مرحلة البحث عن مكان آمن للدعوة وأهلها، وأن تكون منطلقاً للتمكين في الأرض.

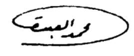
فيسر الله له أهل يثرب ودخلوا في دين الله وانتقلت الدعوة إلى الدولة، ثم انتقلت الدولة من مرحلة الجهاد الدفاعي إلى مرحلة الجهاد حتى يكون الدين كله لله.

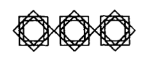
إن هذا الوضوح والإصرار عليه جعل بعض العرب يعجبون بالدعوة وصاحبها، فإن الإصرار على الحق والدفاع عنه لا بد أن يوقظ الناس، وسيقولون لو لم يكن هذا الشيء حقاً لما دافع عنه الناس بهذه التضحية.

وهذا الإصرار يتلوه النجاح، وهذا أيضاً من أسباب إقبال الناس عليه، فإن الدعوة الحق لا بد أن تنجح ولو في بعض المراحل أو بعض الأحيان ﴿ والله غالب على أمره ﴾ أما فشلها مرة بعد مرة فهذا دليل على أن أفرادها لم يميزوا من المقصد والوسيلة، فيتسرعون حيث البطء أو يبطئون حيث يجب الاندفاع.

وفي هذا العصر وجد زعماء من غير المسلمين وضعوا أهدافاً واضحة، واستخدموا وسائل واضحة، وقد وصلوا إلى كثير مما كانوا يؤملون؛ يقول أحد هؤلاء الزعماء:

« لا يمكن لحزب سياسي أن يبقى على المسرح ويحقق النجاح إلا إذا كانت لديه أفكار ومعتقدات صلبة وخطة عمل واضحة » ونحن نقول أيضاً لا بد للعمل الإسلامي من خطة عمل واضحة.





رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر

إعداد : عادل الشدي

لاتزال المطابع تقذف لنا كل يوم بالجديد من الإصدارات، وطالب العلم حري به أن يكون لديه قدر من المتابعة لما يطرح في الساحة يمكنه أن يعيش عصره ويفيد من علم الآخرين وتجاربهم. وبين يدي كتاب جديد بعنوان (رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر) للأستاذ محمد قطب.

المقدمة:

تحدث فيها المؤلف عن أهمية تكوين رؤى مستقلة للأمة الإسلامية وأن الرؤى لها منطلقات إيديولوجية وبناء على ذلك فتحديد الرؤية المتميزة مطلب شرعي.

الفصل الأول : الجاهلية المعاصرة:

ومهد له بتعريف للجاهلية وناقش من ينفي عن الجاهلية المعاصرة هذا الوصف. ثم تحدث عن جذور الجاهلية المعاصرة وارتباطها بالجاهلية الرومانية والإغريقية وأنها استفادت من الأمة الإسلامية مع العلم إرادة الحياة ومواجهة الظلم واحترام العقل الإنساني وعدم القداسة للبشر وقد كادت تدخل الإسلام لولا تشويه الكنيسة له. ثم تحدث عن خصائص الجاهلية المعاصرة وأولها إرث

العقلانية عن الجاهلية الإغريقية والرومانية وثانيها تحكيم العقل في التشريع الذي نشأ عنه التمرد على حق الله في التشريع وعلى حكمته. والخاصية الثالثة تحكيم العقل في منهج الحياة ونجحت في ذلك لكنها أخفقت في الأهداف.

ثم تحدث عن السنن الربانية التي تحكم أوضاع الجاهلية المعاصرة وأجاب عن تمكينهم بأن ذلك لهوان الدنيا على الله، وأن من سنته تعالى الإملاء للظالمين ولغياب الحق عن الساحة وأخيرا فالتمكين ليس بمجرد الكفر إنما بفعل الأسباب ثم قارن بين تمكين الاستدراج وتمكين الرضا (الذي يكون للمؤمنين).

الفصل الثاني : السيطرة العالمية لليهود:

وابتدأ الفصل بالإشارة إلى أنهم لم يعودوا يخفون مخططاتهم. ثم تحدث عن العقدة اليهودية في احتقار الآخرين واستعبادهم. وأشار إلى ثلاث نماذج من مكرهم (ما قام به بولس لإفساد النصرانية، ابن سبأ، إشاعة الفاحشة).

ثم تحدث عن السيطرة الحالية لليهود وبين أنهم يستغلون الأحداث ولا يصنعونها وبين كيف استغلوا ثلاث وسائل: الثورة الفرنسية وحطموا من خلالها سلطة الدين المتمثل في الكنيسة، ورجال الإقطاع ليحصلوا على الثراء. ثم استغلوا الثورة الصناعية التي أثروا من خلالها وحطموا القيم والأسرة والمجتمع عن طريق تحرير المرأة. وأخيراً استغلوا الثورة الداروينية التي تقول بحيوانية الإنسان.

ثم أشار إلى أحوال اليهود بين الكتاب والسنة ووعد الله ووعيده وكيف أن الله مكنهم بحبل من الناس وعقوبة لهذه البشرية على كفرها، وأن هذا التمكين مؤقت لا تلبث الأمة المحمدية بعده إلا أن تعود إلى الشهادة والقوامة.

الفصل الثالث : أمة التوحيد بين الماضي والحاضر:

وفيه قال إن كل الأمم داعية إلى التوحيد في الأصل لكنهم لم يسيروا عليه كما سارت هذه الأمة. ثم قارن بين خيرية هذه الأمة وادعاء اليهود أنهم شعب الله المختار، وأن هذه الخيرية ليست تعصبا عرقيا أو لجنس دون غيرهم وهي خيرية بحكم الله عز وجل. ولما كان دور هذه الامة الشهادة والقوامة تطلب هذا الدور الضخم ضخامة الأساس والإعداد.

ثم أشار إلى بعض لمحات من التاريخ وهي :

١- الهداية للتوحيد فما من أمة حافظت على التوحيد كهذه الأمة، وكان من نتائجه الإيمان باليوم الآخر وتحكيم الشريعة وأن عاشت الأمة لم تعرف الإقطاع، وكانت أقل بلدان العالم جريمة.

٢- كان الإسلام ميلادا جديداً للبشرية.

٣- كانت حركة التوسع الإسلامي حركة فريدة في التاريخ مضمونا وأهدافا فحررت البشرية من الظلم وقام فيها تجمع فريد على أساس الإسلام رغم اختلاف الأجناس والألوان.

٤- قامت على يد هذه الأمة حركة علمية واسعة صححت أخطاء الإغريق واكتشفت المنهج التجريبي وقبل ذلك وأهم منه قامت على أساس العقيدة.

٥- قامت على يد هذه الأمة حركة حضارية ضخمة منبثقة من العقيدة دون تناقض أو تعارض أو خصام.

٦- أن الإسلام قد أثر في جوانب كثيرة من حياة الأمة في اتجاه مغاير للبيئة

فحول الذين اعتادوا الفوضى وعدم الانضباط إلى مجتمع منضبط بدءا من الصف في الصلاة والمواقيت وانتهاءً بالدعوة والحرب والسلم.

٧- وأخيرا تحدث عن الواقع المعاصر لأمة التوحيد وبين كيف انحسرت المفاهيم الإسلامية في حس الكثير من المسلمين إلى شعائر ومظاهر هامدة.

الفصل الرابع : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين:

وقد استعار هذا العنوان من كتاب لأبي الحسن الندوي، وبين في هذا الفصل كيف أن العالم خسر كله بانحطاط المسلمين. ففقد النموذج الصحيح حين برزت أوربا (النموذج الفاسد) ولو بقيت الأمة على ماهي عليه لما برز النموذج الفاسد. ولقامت الثورة الصناعية في الأمة الإسلامية. وحينئذ تسلم من الربا الذي توصل الغرب من طريق إباحته إلى أن استقر عند الناس أن الدين يقف عائقا عن التقدم. وهكذا كانت ستسلم من تحرير المرأة وما عاقب ذلك من فساد في القيم والعقائد والأخلاق.

توقعات المستقبل:

وتحدث في هذا الفصل عن سقوط الأنظمة الجاهلية الشرقية والغربية وإفلاس جميع النظم في تقديم ما يسعد الإنسان. وذكر أربعا من نقاط الخلل تتصف بها الجاهلية المعاصرة والإسلام منها بريء. وأشار إلى أنه عندما نقول إن المستقبل للإسلام فلا يعني إهمال الجهد والبذل. وركز في آخر المبحث على العناية بالتربية الجادة، والشورى، والنظام، وحذر في آخر الفصل من استدراج الإسلاميين ووقوعهم في شرك العلمانية والمهادنة معها.

العلم قبل العمل

ما معنى قول الصحابي « تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن » ما المقصود بالإيمان هنا ؟ وكيف يكون قبل تعلم القرآن ؟

حملنا هذا السؤال إلى الدكتور **عبد العزيز القارىء** الأستاذ المشارك في الجامعة الإسلامية فأجاب مشكوراً :

روى الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها، ولقد رأيت رجالاً يُؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره وما زاجره وما ينبغي أن يقف عنده، ينثره نثر الدَّقل.

نفهم من هذا الخبر بعضاً من أهم معالم منهج الصحابة في تلقي الدين:

أولاً: لابد من التعلُّم قبل العمل، فالعلم قبل القول والعمل، هذه قاعدة أساسية في منهج السلف يكررها علماء هذا المنهج ويؤكدون عليها، وتجدها عنواناً بارزاً في صحيح البخاري. قد يقول قائل: هل نعطل العمل والدعوة والجهاد حتى نتعلم ؟ التعلم نفسه عمل ؟ إنه بداية الطريق، ألم تسمع قول النبي صلى

الله عليه وسلم: « من سلك طريقا يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » فماذا تريد غير الجنة ؟ وبداية طريقها العلم، أما إذا غلبتك العجلة فبدأت الدعوة والجهاد بغير علم فإننا نخشى عليك ألا تصل إلى الجنة، نقول هذا ونكرره في مناسبات كثيرة هذه منها، شفقة على أولئك الذين لم يفهموا المنهج الصحيح ولا يحاولون فهمه، إنهم يُتعبون الأمة، ولا يخدمون الدعوة، لماذا لا يتعلمون أولاً ؟!

ثانيا: في عملية التعليم: العقيدة (أولاً)، وهي التي عبر الصحابي عنها بالإيمان، وهذا أمر واضح، فالتصورات الأساسية إذا لم تكن صحيحة فكل ما سيُبنى عليها سيلحق بها، هنا في هذا الحديث يُرتِّب الصحابيُّ على فهم الإيمان فَهْمَ سائر أحكام الدين، كما يرتب العكسَ علىَ العكسِ. ثم إننا نتساءل ؟ إذا لم تكن غاية المسلم هي معرفة الله وعبادته، فما هي غايته ؟ هل هناك هدف أغلى وأهم من هذا للفرد والجماعة ؟ إذا لم نعرف ربنا معرفة صحيحة فما فائدة جهودنا المتراكمة ؟ وإذا لم نعبده عبادة صحيحة، فما هي الحكمة من جهادنا؟ لماذا لم يَفْرَقْ بعض الدعاة إذا ذكرت صِفَاتُ الله ؟ لا يريدون أن يعرفوه ؟! لماذا يخاف بعض الدعاة من تعليم الناس توحيد العبادة ؟ بل قل: من تعلّمه ؟! لا يريدون أن يعبدوا ربهم ؟!

أحسنهم حالاً من بدأ يتعلم القرآن ونسي الإيمان، أي ذهب يتعلم أحكام الدين في التشريع، ونسي الأساس، وهذا كله انحراف عن منهج الصحابة الذي تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم.



بين المفكر والمختص

د.عبد الكريم بكار

يزداد تشعب العلوم يوماً بعد يوم، ويصبح الفرع فروعاً، ويتولد من العلم الواحد علوم، وتتفجر المعرفة نتيجة الأعداد الضخمة من المثقفين الذين يعملون في مجالات البحث العلمي ونتيجة الوسائل الكثيرة المتاحة لهم، وعلى رأسها الحاسب الآلي.

وإلى جانب هذا فإن العلم نفسه صار يفرز مشكلات جديدة يوصف كثير منها بأنه مصيري، وبتقدم العلم ويزداد تشابكه مع العلوم السياسية والأخلاقية مما دفعنا إلى تسليط الضوء على هذه القضية.

من هو المفكر ؟

يمكن أن نقول بإيجاز: إن المفكر هو من يملك رؤية نقدية ينقل من خلالها تناقضات مجتمعه ومشكلاته إلى حسِّ النَّاس وأعصابهم، لتصبح إحدى مفردات همومهم اليومية. وهو بما يعرف من سنن الله تعالى في الأنفس والآفاق، وبما يملك من رؤية شاملة فاحصة للواقع والتاريخ يتمتع بـ (حاسة

الاستشعار عن بعد) فيرى ما لا يراه الناس، فينذرهم ويوجههم نحو طريق الفلاح. وكثيراً ما تكون حياة المفكر قلقة بل قد يدفع حياته ثمناً لما يحمل من فكر، إذ أن المفكر كثيراً ما يكون سابقاً لمعاصريه، وهذا يجعل إدراك أبعاد ما يقول غير متيسر لأكثرهم، كما أن ما يحدثه من استبصار في مشكلات أمته يتعارض مع مصالح فئات في المجتمع تقتات من وراء وجود تلك المشكلات مما يثيرها عليه، ويجعله هدفاً لها. وقد يكون المفكر متخصصاً في أحد فروع العلم وقد لايكون. وقليل أولئك الذين يتقنون تخصصاً ما ثم تكون لهم رؤية مجتمعية شاملة.

أما المختص فإنه يكون – في الغالب – متبحراً في علم من العلوم التطبيقية أو الإنسانية، فهو لا يصدر عنه إلا ليعود إليه، وكثيراً ما يكون المختص فاقداً للوعي الاجتماعي، إذ إن التخصصات في حالة من التوسع المستمر، كما أن مشكلاتها في تزايد مستمر، ومهما بذل المرء من جهد بغية إتقان تخصصه وجد أن التراكم المعرفي يبعده عن غايته تلك، وهذا يقتضي منه المزيد من الانهماك فيه والمزيد من البعد عن مشاكل الحياة اليومية، وبالتالي فهو يبتعد باستمرار عن الرؤية الشاملة.

وحياة المختص – في الغالب – أقرب إلى السلامة والاستقرار، لأن الفئات التي تنزعج من المفكرين تتخذ من الاختصاصيين وسائل تساندها – ولو بصورة سلبية – في الوصول إلى مصالحها.

ويمكن أن يقال: إن المختص يشبه طبيباً في قافلة كبيرة، فهو لا يعرف الكثير عن أهداف المسيرة أو محطات التوقف إذ إن معاجة الأعداد الكبيرة من المرضى تستغرق كل وقته. أما المفكر فهو قائد القافلة الذي عنده معرفة تامة بكل المشكلات الكبرى التي تواجه القافلة كما أن مخطط السير واضح لديه تماماً، وهذا في الغالب يجعله لا يتمكن من معرفة التفاصيل الدقيقة لكل شؤون الرحلة، ولماذا يهتم بذلك وهناك المختصون الذين يعملون على علاجها وتسييرها.

التخصص ومشكلاته :

يجب القول ابتداءً أن مجالات التخصص آخذة في التفرع يوماً بعد يوم، والباحثون يشعرون بضيق المجالات التي يعملون فيها وميلها إلى شدة التخصص وهذه الحال نفسها هي التي أدت إلى التراكم المعرفي الضخم الذي نراه اليوم، حتى إن بعض المولعين بالإحصاء يقولون إن المعرفة تتضاعف فيما بين كل عشر سنوات إلى خمس عشرة سنة، وهذا كله ما كان ممكناً لولا التخصص الدقيق والدقيق جداً، لأنه وحده الذي يسعف في رفع سقف المعرفة، وهو وحده الذي أدى إلى وجود كل هذه الإنجازات التي نراها. والذين يحاولون إظهار أنهم على معرفة موسوعية يعرضون – في الغالب – معلومات ناقصة أو مزيفة لأن زمان المعرفة الموسوعية قد انتهى.

ولكن لابد هنا من القول: إن ما تم من إنجاز علمي وبذل في سبيله الغالي والنفيس إنما وجد من أجل خدمة الإنسان وتحقيق سعادته، وعلى المختصين أن يتأكدوا من أن تلك الإنجازات حققت أهدافها. وظلت في مأمن من أن تستخدم لتدمير إنسانية الإنسان بل وجوده كله ! !

ولنضرب لذلك مثالاً واحداً نجلو به ما نرمي إليه.

فقد كان من المعروف قبل الحرب العالمية الثانية أن العلماء الألمان قطعوا شوطاً بعيداً في محاولة استغلال المعرفة النظرية المتعلقة بالتركيب الداخلي للذرة، وكان من المسلَّم به أن هذه المحاولات ستسير في المجال العسكري، وكان هناك خوف من أن تستغل الطاقة الهائلة التي تتولد عن انشطار الذرة في تدمير الإنسان على يد هتلر الزعيم النازي، ومن ثم فإن مجموعة من العلماء الفارِّين من جحيم النازية إلى أمريكا طلبوا من الرئيس (روزفلت) رئيس أمريكا آنذاك تخصيص الأموال والوسائل اللازمة لإنتاج القنبلة الذرية قبل أن يتمكن العلماء

الألمان من صنعها وجعلها في يد حاكم مثل هتلر يستخدمها في فرض قيم معادية للإنسانية، وكان في ظنهم أن حيازة أمريكا لها سوف يردع هتلر - فيما لو امتلكها - عن استخدامها. وتم ذلك في مدة قصيرة حين أجريت أول تجربة ذرية في عام ١٩٤٥ في صحراء نيفادا، ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى ألقيت أول قنبلة على (هيروشيما) في اليابان في الثامن من آب عام ١٩٤٥، وأعقبتها بعد أيام قنبلة أخرى على (نغازاكي) مما عجل بالاستسلام النهائي لليابان.

وقد كان من رأي العلماء الذين اخترعوا القنبلة الذرية أن تجرى تجربة دولية أمام مندوبين من مختلف بلاد العالم لإطلاعهم على مدى القوة التدميرية للقنبلة، ويطلب من اليابان أن تستسلم على هذا الأساس ولكن الحاكم السياسي لأمريكا آنذاك، وهو الرئيس (ترومان) كان له رأي آخر.

وتكفيراً عن الذنب أمضى كثير من أولئك - ومنهم أنشتين - بقية عمرهم في الدعوة إلى السلام. ومن العسير على العلماء اليوم أن يتحكموا في كيفية استخدام علومهم وتطبيقاتها حيث أن الشركات والمؤسسات الكبرى هي التي تنفق على أبحاث العلماء في الغرب كما أن الدولة في المعسكر الشرقي ترعى العلماء وتنفق عليهم مما يجعل إسقاط حقهم في التحكم فيها أمراً مسلماً به مسبقاً.

ولا تقف مشكلات التخصص المغلق عند هذا الحد، فقد وجد مثلاً أن بعض الأمم تولي ثقة للمختصين والفنيين، وربما يحثونهم على القيام بتشكيل حكومة تسمى بالحكومة (التكنوقراطية)، أي حكومة الاختصاصيين، وقد خيب هؤلاء الآمال في كثير من الأحيان، لأنه ثبت أنهم ينظرون إلى المشكلات الكبرى بمنظور أضيق مما هو مطلوب؛ لأن مهنتهم وتخصصهم الدقيق يغلب عليهم، ومن ثم فإنهم عاجزون عن تأمل الأمور من منظور شامل. ومن هنا فإن المجتمع كثيراً ما يلجأ إلى السياسيين والشخصيات العامة لإصلاح ما أفسده المختصون. إن في المجتمع حوارات داخلية غامضة لا يقف عليها إلا من خالط الناس في

شرائحهم العديدة، ومن ثم يعجز غالباً المختصون عن قيادتهم وتحسس مشكلاتهم.

وقد عزلت التخصصات المغلقة أصحابها عن طبيعتهم الإنسانية حين تحول العلم على أيديهم إلى مجموعة من الإجراءات التي تقتضي تدريباً وتعليماً مكثفاً، ومن ثم فإن المختص يتباعد تدريجياً عن رؤية الصورة الكلية للحياة، كما أن العلم وفق هذا المنهج يفقد وظيفة من أهم وظائفه، وهي فقه الذات والعودة إليها واستكناه أغوارها ﴿ **وفي أنفسكم افلا تبصرون** ﴾ [الذاريات ٢١]. ومن ثم فقد برز اتجاه يدعو إلى ضرورة خروج العالم من تخصصه إلى تخصصات أخرى قريبة منه تتكامل معه وتثريه، كما نشأت دعوات للعلماء التطبيقيين أن يقرؤوا في الدراسات الإنسانية، وأن يعايشوا المشكلات اليومية لمجتمعاتهم - ولو بمقدار - حتى يحدث التوازن في ثقافاتهم وشخصياتهم المجتمعية.

وهذه المشكلات هي مشكلات الباحث في العالم المتقدم مادياً، أما المختصون عندنا فلهم إلى جانب هذه المشكلات مشكلات أخرى من نوع آخر، حيث إن الباحثين في ميادين العلوم التطبيقية مازالوا إلى هذه اللحظة عند العلوم، أما التطبيق فإن الأوضاع في العالم الإسلامي لا تساعد على التطبيق الصحيح، ولذلك فإن من استطاع من الباحثين الهجرة إلى الغرب هاجر، ليجد هناك المجال الرحب لتطبيق النظريات التي توصل إليها، وليضاف إنتاجه بعد ذلك للحضارة الغربية، ومن لم يستطع الهجرة توقف النمو العلمي لديه، ثم تراجع لأن العلم لا ينمو إلا بالتجربة والتطبيق.

أما الباحثون في ميادين العلوم الإنسانية عامة فلهم مشكلة من نوع آخر حيث إن عدم تنظيم المعرفة لدينا بالشكل المناسب وانعدام التواصل بين الباحثين جعل كثيراً منا يجاهد في غير عدو، وذلك لأن البناء المعرفي أشبه شيء ببناء ذي طوابق، مع فارق واحد هو أن العلماء كلما انتهوا من بناء طابق معرفي

انتقلوا إليه وتركوا ما تحته فارغاً ليشكل أساس البناء ومنطلقاته، وهذا هو التراكم المعرفي. والمشكلة أن كثيراً من الباحثين لدينا يرفضون الانتقال من الطابق الأول إلى ما فوقه، إما لعدم إدراكهم لضرورة الانتقال. وإما لعجزهم عنه. وإما لعدم معرفتهم أن هناك طوابق أخرى فوقهم. وهذا ما نعنيه عند القول إن المعرفة عند كثير من باحثينا تفقد صفة التراكم اليوم.

إن كثيراً ممن يملك أفضل العقول لدينا مشغولون بنشر كتب تراثية أو كتابة بحوث كتب خير منها من أكثر من قرن من الزمان، وقد يعمل الواحد من سنوات في تحقيق كتاب مخطوط نقله مؤلفه عن كتاب مطبوع بين أيدينا. فما الحاجة إلى تكرار غير مفيد !! إن ما ينبغي العمل فيه في ميادين العلوم الإنسانية هو كل ما يمثل إضافة للذات، أو يساعد في حل مشكلة واقعة أو متوقعة؛ وما عدا ذلك فهو هدر لطاقاتٍ الأمةُ بأمس الحاجة إليها.

ولا يقف الأمر عند هذا، بل يتجاوزه إلى أن بعض المختصين يفني عمره في حفظ مسائل وقراءة أبواب لا يحتاج إليها الواقع المسلم في شيء، ولو أنه التفت إلى واقعه ثم أعمل النظر فيما يحتاج إليه ذلك الواقع من فقه وفهم وتفجير للنصوص وقراءة للتاريخ لاستطاع عمل الكثير لهذه الأمة.

ومن هنا يرى بعض المفكرين أنه لا يمكن تنمية فقه الأولويات وفقه الموازنات في وضع حضاري شديد التعقيد إلا إذا امتلك المختصون رؤية شاملة. وعرفوا مواضع أقدامهم من خلال معرفة الواقع المعاش والواقع التاريخي، ومن خلال الانفتاح على الأنشطة الحياتية المختلفة.

الشرك الأصغر تعريفه وأنواعه

عبد العزيز بن محمد عبد اللطيف

إن الشرك بالله تعالى أعظم ذنب عصي الله به، كما قال جل وعلا: ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ [لقمان ١٣].

ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « عن أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك » رواه البخاري ومسلم.

ولذا فإن الشرك وحده لا يغفره الله تعالى ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ [النساء ٤٨]. ومن ثم فهو محبط للأعمال الصالحة ﴿ **ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون** ﴾ [الأنعام ٨٨].

ويقسم العلماء الشرك إلى قسمين. أحدهما شرك أكبر وهو أن يصرف العبد نوعا من أنواع العبادة لغير الله تعالى.

والآخر هو الشرك الأصغر. وهو موضوع هذه المقالة، وهذا الشرك من الموضوعات المهمة التي تحتاج إلى دراسة وافية، نظراً لخطورته وشدة وعيده، حيث خافه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحابته - أكمل الأمة إيمانا رضي الله عنهم - ولكثرة من وقع فيه من المسلمين. فلا يكاد أحد ينجو منه إلا

من عصم الله، وأرجو من الله تعالى التوفيق في عرض هذا الموضوع المهم الخطير للأخوة القراء، وهو جهد مقلٍ سعى في جمع كلام أهل العلم في هذا الموضوع من خلال العناصر التالية:

أولاً- تعريفه :

يمكن أن نعرّف الشرك الأصغر بأنه هو : (ما أتى في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر)[1].

وهناك دلالات معينة يمكن اعتبارها ضوابط في تبيين الشرك الأصغر من الأكبر، منها: صريح النص عليه، كقوله صلى الله عليه وسلم: « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا يارسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال: الرياء » رواه أحمد.

ومن الدلالات على الشرك الأصغر أن يأتي منّكرا غير معرّف، فإن جاء معرّفاً بـ **ال** دل على أن المقصود به الشرك المخرج من الملّة[2]، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » رواه أحمد وأبو داود.

ومن الدلالات أيضاً على الشرك الأصغر ما فهمه الصحابة من النص، فالصحابة أعلم الأمة بمعاني نصوص الكتاب والسنة، ومثاله حديث « الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل » رواه أحمد والترمذي.

فإن آخر الحديث على الصحيح هو من قول ابن مسعود رضي الله عنه ومعناه: وما منا إلا ويقع له شيء من التطير.

ومن ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد

١- انظر حاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم على كتاب التوحيد ص ٥٠ .

٢- انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢٠٨/١ .

أشرك » رواه الترمذي وحسّنه، فقد فسر ابن عباس رضي الله عنه أن الحلف بغير الله من الشرك الخفي والذي يعتبر شركاً أصغر.. فقد قال ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿ **فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون** ﴾ [البقرة ٢٢]، «الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يافلان، وحياتي ..» رواه ابن أبي حاتم.

والشرك الخفي يعتبر شركا أصغر حيث فسّر الرسول صلى الله عليه وسلم الشرك الخفي بالرياء، والذي يعد شركاً أصغر، وإليك الدليل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قالوا: بلى ! قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل » رواه أحمد.

وعن شداد بن أوس قال: «كنا نعد الرياء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر » رواه الحاكم وصححه[1].

ومن هذه الدلالات أن يفسر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الشرك الذي جاء في نص بما يوضح أن المراد به ما دون الشرك الأكبر، ومن ذلك حديث معاوية الليثي مرفوعاً «يكون الناس مجدبين فينزل الله عليهم رزقا من رزقه فيصبحون مشركين يقولون مُطرنا بنوء كذا» رواه أحمد. فالمراد بهذا الشرك هو كفر النعمة ضد الشكر، وهو من الكفر الأصغر (العملي) لما أخرجه الشيخان من حديث زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء (أي مطر) كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا

١- أكثر هذه الدلالات استفدتها مما كتبه الشيخ عايض القرني في رسالته «الماجستير» ضوابط التكفير عند أهل السنة -- جامعة أم القرى بمكة - ص ٢٥٧-٢٥٨ وكتاب حد الإسلام وحقيقة الإيمان لعبد المجيد الشاذلي ص ١٨٣ .

بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب». وفي رواية لمسلم عن ابن عباس مرفوعاً: « أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا ».

ومن الشرك الأصغر ما يكون شركاً بحسب قائله ومقصده[1]، فمثلاً الحلف بغير الله تعالى - في حد ذاته - من الشرك الأصغر (شرك الألفاظ). لكن إن قصد قائله تعظيم غير الله تعالى كتعظيم الله تعالى مثلاً فهذا شرك أكبر.

ولا أنسى أن أشير إلى أن الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله قد عرَّف الشرك الأصغر بما يلي: « كل وسيلة وذريعة يُتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة[2]». ويبدو لي والله أعلم أن الحد السابق للشرك الأصغر أكثر دقة وانضباطاً من هذا الحد الذي لا يمكن تمييزه وحصره.

ثانيا: الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

إن الشرك الاكبر محكوم على صاحبه بالخروج من الإسلام في الدنيا، والتخليد في النار وتحريم الجنة في الآخرة، وأما الشرك الأصغر فهو بخلاف ذلك، فلا يحكم على صاحبه بالكفر ولا الخروج من الإسلام، ولا يخلد في النار.

كما أن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، بينما الأصغر يحبط العمل الذي قارنه.

وتبق مسألة - هي محل خلاف - وهي هل الشرك الأصغر لا يغفر إلا بالتوبة

١- انظر مدارج السالكين ٣٤٤/١

٢- القول السديد في مقاصد التوحيد ص ٤٣ .انظر كتابه سؤال وجواب في أهم المهات ص ١٨

كالأكبر أم هو مثل الكبائر تحت المشيئة الإلهية ؟

هناك من العلماء من قال إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة لعموم الآية: ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ لكن يدخل تحت الموازنة بخلاف الأكبر الذي يحبط كل الأعمال كما سبق، فإن حصل معه حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة وإلا دخل النار[١].

وكأن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يميل إلى ذلك حيث يقول مثلاً: «وأعظم الذنوب عند الله الشرك به. وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به. ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، والشرك من جليل ودقيق، وخفي وجلي»[٢].

ويقول بعبارة أصرح من السابقة: «وقد يقال: الشرك لا يغفر منه شيء لا أكبر ولا أصغر على مقتضى القرآن. وإن كان صاحب الشرك [أي الأصغر] يموت مسلما لكن شركه لا يغفر له بل يعاقب عليه. وإن دخل بعد ذلك الجنة»[٣].

لكن يفهم من عبارات ابن القيم أن الشرك الأصغر تحت المشيئة، حيث يقول رحمه الله: «فأما نجاسة الشرك فهي نوعان نجاسة مغلظة ونجاسة مخففة. فالمغلظة الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، والمخففة الشرك الأصغر كيسير الرياء»[٤].

١- انظر حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص ٥٠-٥١. وانظر الدين الخالص لمحمد صديق حسن ٣٨٨/١ وقد أشار الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في كتاب التوحيد باب من الشرك لبس الحلقة إلى أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

٢- جامع الرسائل ٢٥٤/٢

٣- الرد على البكري (تلخيص كتاب الاستغاثة) ص ١٤٦ وانظر رسالة البيان الأظهر لعبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين ص ١٠. وانظر تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٩٨ .

٤- إغاثة اللهفان ٩٨/١. وانظر الجواب الكافي ص ١٧٧

ومرة يقول: «الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه[1]» إلى أن يقول: «وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للمخلوق[2]»

وقد ذكر العلاّمة السعدي كلاماً مهما في هذا المسالة، أنقل بعضه: « من لحظ إلى عموم الآية [يعني قوله تعالى: إن الله لا يغفر أن يشرك به]، وأنه لم يخص شركاً دون شرك، أدخل فيها الشرك الأصغر. وقال إنه لا يغفر، بل لا بد أن يعذب صاحبه. لأن من لم يغفر له لا بد أن يعاقب، ولكن القائلين بهذا لا يحكمون بكفره ولا بخلوده في النار. وإنما يقولون يعذب عذاباً بقدر شركه، ثم بعد ذلك مآله إلى الجنة. وأما من قال إن الشرك الأصغر لا يدخل في الشرك المذكور في هذه الآية، وإنما هو تحت المشيئة فإنهم يحتجون بقوله تعالى: ﴿**إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار**﴾ [المائدة ٧٢]، فيقولون كما أنه بإجماع الأئمة أن الشرك الأصغر لا يدخل في تلك الآية، وكذلك لا يدخل في قوله تعالى: ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾ [الزمر ٦٥] لأن العمل هنا مفرد مضاف ويشمل الأعمال كلها، ولا يحبط الأعمال الصالحة كلها إلا الشرك الأكبر.

ويؤيد قولهم أن الموازنة واقعة بين الحسنات والسيئات التي هي دون الشرك الأكبر؛ لأن الشرك الأكبر لا موازنة بينه وبين غيره فإنه لا يبقى معه عمل ينفع»[3].

ثالثاً: أمثلة الشرك الأصغر وصوره:

الشرك الأصغر قد يكون ظاهراً جلياً، وربما كان خفياً دقيقاً، كما أنه يكون في الإرادات والنيات، ويكون في الأقوال والأفعال.

١- مدارج السالكين ٣٣٩/١

٢- المرجع السابق ٣٤٤١/١

٣- عن كتاب الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبد الرزاق العبّاد. حيث نقل هذا الكلام عن فتوى بعثها السعدي للشيخ عبد الرحمن الحصين سنة ١٣٧٤هـ ص ١٨٨-١٨٩.

فمن أمثلة هذا الشرك: التطير: وهو التشاؤم بالطيور، والأسماء، والألفاظ، والبقاع وغيرها، فنهى الشارع عن التطير وذم المتطيرين. قال تعالى: ﴿ **ألا إن طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ [الأعراف ١٣١].

وقال صلى الله عليه وسلم: « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » وعن ابن مسعود مرفوعاً «الطيرة شرك» رواه أبو داود والترمذي.

إن التطير سوء ظن بالله تعالى، وتعلق بأسباب موهومة.. ومن ثم فإن التشاؤم إنما هو في نفس الشخص المتشائم لا في الشيء المتشائَم منه، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يُطَيره ويصده لا ما رآه وسمعه، ولذا لما قال معوية بن الحكم السلمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ومنا أناس يتطيرون. فقال: «ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم» رواه مسلم. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل ويكره الطيرة، لأن الفأل الحسن إنما هو حسن ظن بالله تعالى، ودون تعلق للقلب بغير الله بل فيه من المصلحة والسرور وتقوية النفوس، وموافقة الفطرة إلى ما يلائمها.

وقد جاءت الأحاديث في بيان علاج ذلك منها: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك» رواه أحمد.

ولأبي داود عن عقبة بن عامر قال: «ذُكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أحسنها الفَأل ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك».

إن هؤلاء المتشائمين والواقعين في شَرَك هذا الشرك الأصغر إنما هو لظنهم أن التطير سببٌ في حصول نفع أو دفع ضر. ومن ثم فإنه يتعين على المكلف أن

يعرف في الأسباب ثلاثة أمور :

أحدها: أن لا يجعل منها سببا إلا ما ثبت أنه سبب شرعاً أوقدراً، والطيرة ليست كذلك، فالشارع نهى عنه، وأما القدر فإن التطير ليس سبباً مادياً معهوداً في حصول المقصود، ومن ثم فلا بد من إبطال التطير وإلغائه.

ثانيا: أن لا يعتمد العبد عليها بل يعتمد على مسببها ومقدرها مع قيامه بالمشروع منها وحرصه على المنافع منها.

ثالثاً: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره ولا خروج لها عنه[١].

ومن أمثلة هذا الشرك، شرك الألفاظ، ومنه الحلف بغير الله لما جاء في الأحاديث الكثيرة من التحذير من ذلك، ووصفه بأنه شرك، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه أحمد وأبو داود.

وكذلك حديث ابن عمر مرفوعاً «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» أخرجاه، وعن بريدة مرفوعاً «من حلف بالأمانة فليس منا» رواه أبو داود وقد جاءت كفارة ذلك من حديث أبي هريرة مرفوعاً «من حلف باللات والعزّى فليقل لا إله إلا الله» رواه البخاري ومسلم.

ومن شرك الألفاظ ما ورد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فلا تجعلوا لله انداداً ﴾ [البقرة ٢٢]، حيث قال رضي الله عنه: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صخرة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يافلان، وحياتي، وتقول لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه: ماشاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله

١- انظر الفتاوى لشيخ الإسلام ١/١٣٧، والقول السديد للسعدي ص ٣٣-٣٤

وفلان، لا تجعل فيها «فلان» هذا كله شرك. رواه ابن أبي حاتم.

ومن الشرك الأصغر : الشرك الخفي: وهو الشرك في الإرادات والنيات، ورحم الله ابن القيم عندما يقول عن هذا الشرك: «فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه فمن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته».

ومن هذا الشرك: يسير الرياء لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن يسير الرياء شرك» رواه ابن ماجه وأما الرياء المحض فهذا من النفاق الأكبر المخرج من الملة كما ذكر ذلك ابن رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم. وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء شركاً خفياً، وسماه شرك السرائر، فعن أبي سعيد مرفوعاً «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قالوا: بلى. قال: الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل» رواه أحمد.

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: « يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الرجل إليه، فذلك شرك السرائر» رواه ابن خزيمة.

إن الرياء داء عضال، وآفة عظيمة تحتاج إلى علاج شديدي وتمرين النفس على الإخلاص ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والاستعانة بالله على دفعها[1].

وكما قال الطيبي عن الرياء: «هو من أضر غوائل النفس، وبواطن مكائدها، يبتلى به العلماء والعباد، والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة، فإنهم مهما قهروا نفوسهم وفطموها عن الشهوات، وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة، الواقعة على الجوارح، فطلبت

١- انظر الرياء وأحكامه وعلاجه في الإحياء للغزالي، وكتاب مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر

الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل، فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق، ولم تقنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى، وفرحت بحمد الناس، ولم تقنع بحمده اللّه وحده، فأحبت مدحهم، وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل، فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات، وأعظم الشهوات، وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعبادته، وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعمي عن دركها العقول النافذة، قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين، وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون، ولذلك قيل: «آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة».

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزيّن بما ليس فيه شانه الله[1] ».

وقد أرشد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى علاج لهذا الشرك، فقد جاء في حديث أبي موسى الأشعري أنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: «أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل، فقيل له: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال: قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه » رواه أحمد[2].

١- انظر تعليق ابن القيم على هذه العبارة في إعلام الموقعين ١٧٨/٢ .

٢- هذا المبحث - أعني صور الشرك الأصغر وأمثلته - مأخوذ في غالبه من كتاب تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وانظر تفسير ابن كثير ٤٧٥/٢ عند قوله تعالى **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾** [يوسف ١٠٦]

لمحات في طرق نقل التقنية والتخلف التقني في العالم الإسلامي

د.عبد الله بن صالح الضويان

إن المتأمل في أحوال الدول يجد ان القرار بيد تلك الدول القوية عسكرياً والتي وصلت إلى مستوى متقدم من حيث امتلاك التكنولوجيا. وعلى النقيض تجد أن الدول المتخلفة (والمسماة مجاملة بالنامية) وفي مقدمتها الدول الإسلامية لا تملك أي قدرة على اتخاذ القرار فيما يتعلق بالأحداث الدولية، بل فيما يتعلق بأوضاعها الداخلية، ولا ريبَ أن السنن الربانية اقتضت أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وعملية التغيير النفسي هذه تشمل التغيير في شتى المجالات، فنرى أن العالم الإسلامي متخلف سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات أو الحكومات. ولا شك أيضاً أن عملية التغيير الشاملة هذه لا بد أن تكون ضمن إطار متكامل ومتزن ثابت في جوانب، متطور في جوانب أخرى، ذلكم هو المنهج الإسلامي الصافي من الخرافات والبدع، الملائم لكل زمان ومكان.

قال تعالى ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من**

قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾، وإن انتشار ظاهرة التدين بين الأمة وخاصة الشباب لهي بشارة خير، ومع قناعتنا أن هذا الرجوع إلى الله وهذه الصحوة لابد أن تقرأ التاريخ وتتمسك بمنهج أهل السنة حفاظاً عليها من الوقوع في الانحراف - أي انحراف كان - في مجال التربية أو الفكر، فإنه لابد لهذه الصحوة أن تأخذ دورها في جميع المجالات الاعلامية والاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية، إننا نعيش في مرحلة تأسيس تكنولوجي للعالم الإسلامي وذلك يستلزم الابتداء من حيث انتهى الغرب، هنا لابد من نقل ما توصل إليه من رقي تكنولوجي واستلام عجلة القيادة منه. إن عملية النقل عملية شاقة وطويلة مضخمة تأخذ بعين الاعتبار الضوابط الشرعية التي تدين بها الأمة وهي مرتكزة على مبدأ إسلامي ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾

وهذا البحث ما هو إلا لمحات في قضية التخلف التكنولوجي (التقني) لدى الأمة الآن وسبل تخطيها ونقل التكنولوجيا إليها من دول سبقتها قمت بتجميعه من مصادر متنوعة بالاضافة إلى بعض الاقتراحات والتي أدرجتها في آخر البحث. ولا بد أن أذكر مرة أخرى بأن الأمة ما عادت تثق إلا بجيل الصحوة وطرحت كل فكر ومفكر وقائد ملحد علماني لا يقيم لدين الأمة وزناً. فهل تأخذ زمام المبادرة ؟

ما هي التكنولوجيا :

إن تحديد المصطلحات أمر في غاية الأهمية، إذ بدونه سندور في حلقة مفرغة ولا نستطيع أن ننطلق من مفاهيم واضحة للوصول إلى حل أي مشكلة، ونظراً للمطاطية التي اكتسبها مفهوم التكنولوجيا، فقد أصبح من الصعب التوصل إلى تعريف دقيق موحد للتكنولوجيا يقبل به جميع المهتمين بالموضوع، لا سيما

وقد ارتبط لفظ تكنيك technique وهو قديم بلفظ تكنولوجيا technology وهو حديث نسبياً.

إن كلمة تكنولوجيا اغريقية الأصل وهي تعني في عصر الحضارة اليونانية والرومانية القديمة كل الفنون المتعلقة بالمهارة والبراعة وحذق الصناعة وهي الجهد المنظم الرامي لاستخدام نتائج البحث العلمي في تطوير أساليب العمليات الانتاجية لتسخير البيئة المحيطة بالإنسان وتطويع ما فيها من مواد وطاقة لإشباع مصالحه الضرورية والحاجية والتحسينية.. وبصورة عامة مجموع السبل التي توفر للإنسان حياة مادية آمنة.

إن هذا التعريف فيه شيء من الشمولية المرضية، مع أنه يوجد تعريفات أخرى ويستطيع أي واحد منا أن يعطي نفس التعريف ولكن بألفاظ يختارها من عنده، ومن التعريف يتضح الارتباط الوثيق بين لفظ العلم ولفظ التكنولوجيا.

العلم والتكنولوجيا :

للتفرقة بين العلم والتكنولوجيا نستطيع القول بأن العلم هو معرفة السبب (لماذا know - why) في حين أن التكنولوجيا هي معرفة الكيف (know - how).

العلم يأتي بالنظريات والقوانين العامة، والتكنولوجيا تحولها إلى أساليب وتطبيقات في مختلف النشاطات والميادين، فمثلاً: إذا كانت العلوم الفضائية قد توصلت إلى نظريات محددة عن طبيعة القمر وتنبأت بإمكانية إنزال الإنسان على سطحه، فإن التكنولوجيا الفضائية قد استطاعت أن تصل إليه وتحصل على عينة من تربته وتعيدها إلى الأرض ليتم فحصها من قبل العلماء لمعرفة مدى تطابق خصائصها مع ما توقعته نظرياتهم.

كذلك يمكن القول بأن العلم يملك صفة العمومية أما التكنولوجيا فتملك صفة الخصوصية، فالعلم نتاج

فكري، أما التكنولوجيا فهي نتاج عملي، كذلك نلاحظ أن العلم متاح لكل من يملك الذكاء والقدرة المادية لتحصيله على خلاف التكنولوجيا. ومن هذا يأتي الفرق بين الاكتشاف والاختراع، فمثلاً اكتشف نيوتن قانون الجاذبية واينشتين النظرية النسبية، واكتشف الإنسان النار من احتكاك حجرين ولكن اخترع طرقاً وأساليب لتوليدها وهكذا، ولا نخلط بينهما بسبب حدوث بعضها (الاكتشافات والاختراعات) بالصدفة كما هو معلوم. هذه مقدمة موجزة لتعريف بعض المصطلحات الحاقّة والفكر الذي يوجه أمّة من الأمم.

تأثير صراع الايديولوجيات على توجيه العلم :

يظن الكثير أن حقائق العلم غير قابلة للصراع الأيديولوجي، وفي حقيقة الأمر يتعرض العلم والتكنولوجيا للخضوع للنزاعات الايديولوجية والقومية، وهذا أمر نجده بصورة قليلة فيما يتعلق بكشف القانون العلمي، ولكن بصورة كبيرة في الجانب التكنولوجي، وللتوضيح نورد بعض الأمثلة.

١- عندما هرب اينشتين من الحكم النازي ولجأ إلى السويد ثم أمريكا هوجمت نظرياته في ألمانيا، وقوطعت فيزياء اينشتين لفترة طويلة وكان ينظر في الاتحاد السوفيتي إلى النسبية على أنها نظرية مثالية.

٢- لعب اليهود دوراً بارزاً للترويج لنظرية دارون في أوربا نكاية بالكنيسة، وكانت من الأسباب التي غيرت فكرة الأوربيين حول عقيدة الخطيئة وصلب المسيح (في عقيدتهم) لا سيما في بدء عصر النهضة في أوربا آنذاك.

٣- في فترة من الفترات كان عالم الأحياء السوفييتي (لايسنكر) يحصل على دعم السلطة الشيوعية، فكان يوفق بين نظرياته العلمية وبين النظرية الشيوعية كما كان يحجب الكثير من

الأبحاث العلمية عن أصدقائه ومواطنيه الذين كانوا على خلاف معه وكانت نتيجة ذلك تأخر هذا الفرع من المعرفة في هذه البلاد.

ولهذا فإن نتائج العلم تطوع أحياناً لفلسفات باطلة تبين علاقة الإنسان بالمجتمع والكون. لهذا فحرّي بأهل الحق أن يستلموا الراية ليوقفوا الفوضى الضاربة الأطناب ويضعوا الإنسان في مكانه الصحيح.

أسلمة العلوم :

يأتي دور أسلمة العلوم في شكل متناسق مع عملية النقل التكنولوجي، لا لإضافة ايديولوجية جديدة إلى العلم - وإن كان هذا مسوغا لها - ولكن لكي تعيد للعلم موضوعيته كما كان في عصر الحضارة الإسلامية، إن أسلمة العلوم ضرورة حتمية خاصة بعد ظهور نزعات في الغرب الآن مثل (العلموية) التي تقدس العلم وتعتبره القادر على حل كل شيء. ويقابل ذلك نزعة (التكنوقراطية) والتي تؤكد على أن التكنولوجيا أفضل من غيرها على صياغة قوانين المجتمع. يقابل هاتين النزعتين نزعة أخرى وهي (اللاعلمية) وهي معادية للعلم وتحذر منه ومن خطورة المادية المعاصرة وأنها ستؤدي بالبشرية إلى الهلاك ولابد من العودة إلى الفطرة والبعد الكامل عن العلم. ونشير هنا إلى ذلك التحقيق عن منطقة في ويلز ببريطانيا يعيش أهلها بعزلة عن العالم (منذ سنتين) ويوجد نفس التفكير عند مجموعات أخرى في أمريكا.

هذه المسوغات كافية لبيان ضرورة أسلمة العلوم، بالإضافة إلى أن عقيدة التوحيد تدفع العلم إلى ما لا يعرفه الغرب لأنها تعطي تصوراً أن هناك علماً ظاهرياً وآخر غيبيا، ومن ثم يعرف الباحث حدود بحثه. وهذا من شأنه أن يشعر العالم بالاطمئنان، لأن الظواهر التي يدرسها تتسم بالاضطراد والاستمرارية، حيث أن مشيئة الله شاءت أن تؤكد استمرارية الأشياء واضطراد الظواهر، وأن التعميم فيها له معنى من خلاله

يتعرف الباحث على قدرة الله، وهذه نقطة مفقودة في الفلسفة المادية الغربية.

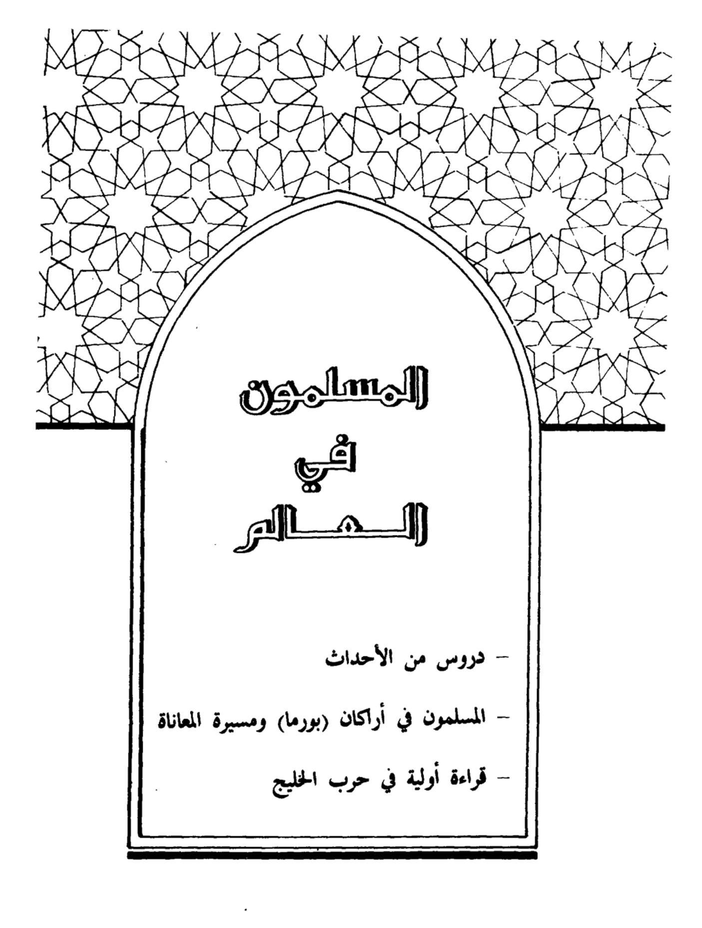
التكنولوجيا فريضة وضرورة :

إن التكنولوجيا وتطورها له دور في توجيه الصراعات القائمة، وهذا يفرض إعادة نظرة بصورة شاملة في الرؤية التغييرية وتحديد أساليب العلم من أجل التنمية المتكاملة للأمة الإسلامية لتفرض نفسها بين الأمم بقوة العلم والجسم. إن التحديات اليهودية المعاصرة (مثلاً) تفرض على الأقطار الإسلامية الدخول في عصر العلم والتكنولوجيا وخلع ربقة التشكيلات والهياكل البالية على جميع الأصعدة.

إن الغرب والشركات الاحتكارية الدولية الكبرى وهي تعمل على احتكار العلم والتكنولوجيا، يضعان شروطاً صعبة على حركة المد الإسلامي وجعلها تعيش في واقع محدد لا تتعداه. وإن تدمير المفاعل النووي العراقي وخوفها من المفاعل النووي الباكستاني لدليل على سعي أعداء الأمة للحيلولة دون إنجاز تكنولوجيا متقدمة في العالم الإسلامي. ولسنا بصدد ذكر مقولات قادة الغرب والشرق عن عدوهم المشترك المقبل ولجوئهم إلى ما يسمى سياسة الوفاق الدولي والذي هو في حقيقة الأمر وفاق على عدو مشترك وهو المد (الإسلامي !) المتنامي، مع يقيننا بأن أهل الباطل يختلفون على المصالح، كيف لا والخلاف قد يحصل بين دعاة الحق.

ولقد أثبتت الأحداث في الخليج ضرورة السعي إلى الاستقلال الكامل لأمة الإسلام عن أعدائها في المجال الاقتصادي والعسكري والعلمي والفكري والتكنولوجي وفي اتخاذ القرار. وكل واحد من هذه المجالات يحتاج إلى بحوث مستمرة يتبعها عمل جاد.

* يتبع *


المسلمون
في
العالم
- دروس من الأحداث
- المسلمون في أراكان (بورما) ومسيرة المعاناة
- قراءة أولية في حرب الخليج

دروس من الأحداث

عبد العزيز بن ناصر الجليل

فإن من الأصول المستقرة في باب الإيمان بالله عز وجل الإيمان بقضاء الله وقدره وأن شيئاً لا يحدث في هذا الكون صغيراً أو كبيراً إلا بعلم الله عز وجل وإرادته وخلقه له قال تعالى ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ [القمر ٤٩] وقال جل شأنه ﴿ **وكل صغير وكبير مستطر** ﴾ [القمر ٥٣].

كما أن الإيمان بالله سبحانه وقضائه وقدره وأسمائه وصفاته لا يحصل إلا بأن يجزم المسلم أن ما يكتبه الله عز وجل ويقدره في هذا الكون فمن ورائه حكمة بالغة ولو ظهر للناظر أنه شر

ومكروه. فالإنسان بإدراكه المحدود في الزمان والمكان ولأن من طبيعته الجهل والظلم فإنه لا يمكن أن يدرك مآلات الأمور وعواقبها ولا يعلم بذلك إلا العليم الحكيم خالق الأشياء ومقدرها وعالم الغيب والشهادة قال تعالى ﴿ **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون** ﴾ [النمل ٢٥] وقال تعالى ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ [الملك ١٤] وقال تعالى ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير** ﴾ [الحديد ٢٢].

إذ الأمر كذلك فلا شك ولا ريب أن ما حصل من أحداث وشرور في أحداث الخليج إثر الاجتياح العراقي للكويت لابد وأن نخضعها للأصول الآنفة الذكر، وأن من حاد عن هذا المنهج فقد خسر إيمانه بالله عز وجل أصلاً، وانحاز إلى معسكر الكفر والإلحاد الذين لا يؤمنون بشيء من هذه الحقائق وإنما يفسرون أحداث التاريخ تفسيرا مادياً معزولاً عن علم الله عز وجل وتقديره وحكمته البالغة فيما يخلق وعلى ضوء ما سبق فإن الواجب على المسلم إزاء هذه الأحداث أن يؤمن إيمانا جازماً أن ماقدره الله عز وجل في أحداث الخليج وإن كانت موجعة ومؤلمة فإن من ورائها حكمة بالغة اقتضتها حكمة أحكم الحاكمين والمرتبطة بإسمه (الحكيم) سبحانه وتعالى.

ولقد ظهرت بعض الدروس والحكم جلية من خلال هذه الأحداث المؤلمة، مع أن ما خفي علينا في غيب الله عز وجل من الحكم والمصالح أكثر ومن هذه الدروس التي ظهرت ما يلي:

الدرس الأول:

التعرف على سنة الله عز وجل في التغيير وهي التفسير الإسلامي للأحداث.

إن ما حصل من أحداث في دولة

الكويت وما ترتب على هذا الحدث من أمور ومستجدات قد فتح أعينا عمياً وآذاناً صماً على حقيقة مهمة وسنة ثابتة لا تتغير ألا وهي ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ [الرعد ١١].

وأصبحنا والحمد لله نجد هذه الحقيقة على ألسن كثير من الناس الذين منَّ الله عليهم باليقظة بعد الغفلة رجالاً ونساءً وعوام ومثقفين. وهذا بحد ذاته نعمة ومنحة ورحمة من الله عز وجل لم تكن لتحصل لولا قدر الله عز وجل لهذا الحدث.

لقد كنا نعترف ونؤمن بهذه الحقيقة قبل ذلك ولكنه إيمان ضعيف أما الآن فقد تحول هذا الإيمان إلى صورة واقعية عملية صار الخبر فيها عياناً، ولا شك أن الإيمان بهذه السنة الثابتة وأثرها على النفوس سيكون أبلغ وأقوى من الإيمان بها قبل وقوعها، وكما هو معروف أن الطرق على الحديد وهو ساخن أقوى بكثير في تليينه وتأثره من الطرق عليه وهو بارد.

كما أن رحمة الله عز وجل وحكمته البالغة قد تجلت في هذا الحادث بأنه لم يترك الناس ينحدرون وبعجلة سريعة إلى الفساد وهم غافلون عما ينتظرهم من الهوة السحيقة التي هم قادمون عليها لو استمر انحدارهم ولم يأت ما يوقفهم ويحد من انحدارهم، ولذا فإن من رحمة الله عز وجل أنه يوقف الناس عن فسادهم بالوسائل الشرعية للإصلاح فيقدر عليهم أحداثاً مؤلمة تشدهم عن المزيد من الإنحدار وتقف أمام تهالكهم على الفساد لعلهم يرجعون ويتوبون ويستيقظون من غفلتهم، قال تعالى ﴿ **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون** ﴾ [الروم ٤١] وهذه والله هي عين النعمة والرحمة وإن كان ظاهرها التشريد والقتل وفقد الأموال؛ فإن كل هذه المصائب تهون وتصغر عند فقد الدين وما يترتب عن ذلك من مفاسد كبيرة فيما لو استمرت عجلة الفساد في انحدارها الشديد ولم يأت للناس ما يوقفهم ويهز رؤوسهم ليستيقظوا ويتداركوا انفسهم من

السقوط في هوة سحيقة هم يتجهون إليها لو لم يوقفهم الله عز وجل بما يقدره من أحداث. وإن هذا الدرس العظيم لا يدركه ولا يستفيد منه إلا المؤمن الذي يجعل من مثل هذه الأحداث باباً إلى التوبة ومحاسبة النفس والرجوع إلى الله عز وجل وتغيير الأحوال. أما المنافق والمادي والعلماني وغيرهم من أهل الإلحاد والزندقة فلا تراهم إلا ساخرين ومستهزئين من هذه المعاني العظيمة والأصول الإيمانية الثابتة، ولا تزيدهم هذه الأمور إلا كبراً ما هم ببالغيه ولن يزيدهم هذا إلا رجساً إلى رجسهم كما قال تعالى ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون** ﴾ [التوبة ١٢٤-١٢٦] وقال تعالى ﴿ **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** ﴾ [الأنعام ٤٣].

الدرس الثاني : تمييز الخبيث من الطيب :

يقول الله تعالى ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب..** ﴾ [آل عمران ١٧٩]، إن من رحمة الله تعالى وحكمته البالغة أن يقدر أحداثاً مؤلمة تتميز من خلالها الصفوف وتتعرى فيها النفوس فتظهر على حقيقتها للناس، وهذا هو الذي ظهر من خلال هذه الأحداث حيث ظهرت حقائق مهمة ساهمت في توعية الناس والدعاة منهم بصفة خاصة وذلك بحقيقة أعدائهم وتهافت راياتهم وانكشاف مخططاتهم وادعاءاتهم الكاذبة التي كانوا يخدعون بها الناس، وتعرت بذلك دول وأفكار ودعوات بل إن الإنسان نفسه قد تعرى أمام نفسه وكشف من خلال هذه الأحداث حقائق من حوله ومن نفسه ما كانت لتعرف لو لم يقدر الله عز وجل مثل هذه الأحداث وإن هذه الثمرة الكبيرة من توعية المسلمين بحقيقة أعدائهم وبحقيقة الأفكار

والنحل التي تتلاطم من حولهم ما كانوا ليعرفوا عنها شيئاً وبهذا الكم الهائل من المعلومات لولا تقدير الله سبحانه وتعالى لهذا الحدث.

وقد حقق الله عز وجل هذه الثمرة في أسابيع عدة ما كانت الدعوة الإسلامية لتحصل عليها في عدة سنوات والأيام حبلى بدروس وعبر جديدة، أليس هذا من رحمة الله وفضله ؟ بلى والله، ولا يعني هذا أننا نتمنى المصائب والفتن معاذ الله فإن المسلم لا يدري ما تكون حاله حينئذ وقد نهانا الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله: «ولا تتمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموه فاصبروا» متفق عليه.

ولكن أردت الإشارة هنا إلى ربط الأحداث بعلم اللّه عز وجل وحكمته البالغة وأن شيئاً في هذا الكون لا يكون إلا بعلم اله عز وجل وحكمته البالغة ويريد الله عز وجل منه الخير للمسلمين في الحال أو المآل.

الدرس الثالث : أهمية التوحيد والتربية عليه :

لقد ظهر من خلال هذه الأحداث الأهمية البالغة لتربية النفوس على عقيدة التوحيد الخالص ولقد بدا من خلال الأحداث أن هناك ضعفا شديدا في هذا الجانب المهم في حياة المسلم كما ظهر من خلال الأحداث أن هذا الأصل المهم من أصول الإيمان لم يأخذ حقه من التربية العلمية والعملية، ولعل من أهم دروس هذا الحدث أن يشعر المسلمون وأرباب التوجيه بضعف هذا الجانب وما كان ليعرف هذا الخلل لولا تقدير الله سبحانه وتعالى لهذه الأحداث.

ومن مظاهر هذا الضعف ما حصل من الارتباك الشديد في بعض المفاهيم العقدية والتي تعتبر من الثوابت والأصول التي لا تتزعزع ولا تهتز ولا تتغير مهما تغيرت الأحوال والأزمان والأمكنة، ومن أهم هذه الأصول التي اعتراها الاهتزاز مفهوم الولاء والبراء، الولاء لله عز وجل ولرسوله

صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، والبراءة والعداوة للكافرين والمشركين والمنافقين بشتى مللهم وأفكارهم. أما أن يصبح العدو صديقاً والصديق عدواً، وأما أن تبذل المحبة للكافر والعداوة للمسلم ويكون الميزان في الحب والعداوة موازين الارض وموازين المصالح الشخصية فهذا كله مما ترفضه عقيدة التوحيد الثابتة والتي تقوم الموالاة والمعاداة على أساسها وهذا هو أصل لا لله إلا الله الكلمة الطيبة التي وصفها الله عز وجل بقوله: ﴿ **ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها** ﴾ [إبراهيم ٢٤-٢٥]. وهي الكلمة التي من أجلها أرسل الرسل وأنزلت الكتب وجاهد من أجلها أنبياء الله عز وجل ودعاته الصادقين كما قال تعالى ﴿ **لقد كانت لكم أسوة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ [الممتحنة ٤]، أما ما سواها من المصالح الشخصية والموازين الأرضية عدم الثبات والروغان فالذي يحب ويعادي من أجل المصالح الدنيوية يدور مع هذه المصالح حيث دارت فقد يعادي في الصباح من أحبه في المساء وقد يوالي في المساء من عاداه في الصباح وصدق الله العظيم ﴿ **ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** ﴾ [إبراهيم ٢٦-٢٧]. اللهم ثبتنا بقولك الثابت ولا تضلنا مع الظالمين.

ومما يؤيد الاهتمام الشديد بالتربية على التوحيد ما ظهر من النقص والضعف في توحيد التوكل والاستعانة والاستغاثة وغيرها مما نتج عن هذا الضعف من الركون إلى غير الله عز وجل من أعداء هذا الدين والثقة بما عندهم أكثر من الثقة فيما عند الله عز وجل.

ولأجل كل ما سبق ظهر أن الحاجة ماسة جداً إلى مزيد من التربية على العقيدة علماً وعملاً بان نتعلم أركان التوحيد وما يضاده من الشرك القديم والجديد وأن لا يستخفنا الذين لا يوقنون من أرباب السياسة والمصالح الارضية فيستهونا معهم ويُركبوننا في ركابهم بل يجب علينا الحذر الشديد منهم ومن مكرهم وأن نُقبل على ديننا نتعلمه ونعمل به وندعوا إلى الله ونصبر على الأذى فيه وأن لا نستطيل الطريق أو الوقت الذي نمضيه في تعلم التوحيد وكل متعلقاته كما يجب علينا أن نعي واقعنا وأن نربط ما تعلمناه من دين الإسلام بقضايا عصرنا ومستجداته من الأفكار والنحل التي لم تكن موجودة عند أسلافنا وأن يكون للتربية الشاملة على التوحيد دورها في مواجهة الشرك المعاصر والتي تشن فيه العلمانية معارك طاحنة ضد المسلمين بوسائل شتى أي أننا نريد منهجاً دعوياً يقوم على (سلفية المنهج وعصرية المواجهة) ونقصد بالسلفية العودة بأصول الفهم والإستدلال إلى الكتاب والسنة وقواعد الفهم المعتبرة لدى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان، وذلك لنتمكن من خلال هذا المنهج من المواجهة السلفية المعاصرة لمشكلات عصرنا المتجددة حيث لا نقصد بالسلفية الوقوف فحسب عند القضايا العقدية التي واجه بها سلفنا الصالح انحرافات عصرهم وكانت فريضة الوقت يومئذ ثم نتخلى عن المعارك الطاحنة التي تديرها الجاهلية في المجتمعات المعاصرة حيث ضاعت إسلامية الراية وإسلامية النظم.

إن السلفية الحقة لا تقبل أن تستهدف الدعوة في بض المواقع تحرير العقائد من شرك الأموات والتمائم وتضرب صفحاً عن شرك الأحياء والأوضاع والنظم والتي لا تقل خطراً عن شرك الأصنام، وكلا الشركين خطير كما لا تقبل السلفية الحقة أن تحارب التشبيه والتعطيل في صفات الله عز وجل وتقف عند ذلك ولا تعلن الحرب على تعطيل الشريعة وتحكيم القوانين الوضعية وفصل الدين عن الدولة. وإننا بهذا المنهج الشامل

والسلفية المعاصرة نسلم وتسلم عقيدتنا الثابتة من أي خلط أو اهتزاز كما هو الحاصل في هذه الأيام ولكنها الفتن نعوذ بالله منها ما ظهر وما بطن.

وما أحسن ما كتبه الأستاذ محمد قطب في كتابه القيم (واقعنا المعاصر) حول أهمية التربية والرد على من يستطيل طريقها ويريد قطف الثمرة قبل استكمالها فيقول ص ٤٨٦: (أما الذين يسألون إلى متى نظل نربي دون أن (نعمل) ؟ فلا نستطيع أن أن نعطيهم موعداً محدداً فنقول لهم: عشر سنوات من الآن أو عشرين سنة من الآن ! فهذا رجم بالغيب لا يعتمد على دليل واضح، إنما نستطيع أن نقول لهم نظل نربي حتى تتكون القاعدة المطلوبة بالحجم المعقول..) ثم يستمر وفقه الله حول هذا الموضوع إلى أن يقول : (..ونكتفي بثلاثة أبعاد ننتقيها من بين أبعاد كثيرة ومجالات عديدة لأنها ذات أهمية خاصة وذلك بالنسبة لبناء القاعدة المطلوبة:

يقول سبحانه وتعالى ﴿ إن الله هو **الرزاق ذو القوة المتين** ﴾، ولو أنك سألت أي إنسان في الطريق من الذي يرزقك لقال لك على البديهة: الله ولكن انظر إلى هذا الإنسان إذا ضيق عليه في الرزق يقول: فلان يريد قطع رزقي ! فما دلالة هذه الكلمة ؟ دلالتها أن تلك البديهة التي نطق بها لم تكن «يقينا» قلبيا إنما كانت بديهة ذهنية فحسب وبديهة تستقر في وقت السلم والأمن، ولكنها تهتز إذا تعرضت للشدة، لأنها ليست عميقة الجذور. فلا يصلح لتلك الأعباء إلا شخص قد استقر في قلبه إلى درجة اليقين أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن الله هو المحيي والمميت، وأن الله هو الضار والنافع، وأن الله هو المعطي والمانع، وأن الله هو المسير، وان الله هو الذي بيده كل شيء.. ترى كم جلسة، كم درسا، كم موعظة، كم توجيها يحتاج إليها الإنسان ليرسخ في قلبه إلى درجة اليقين إن الله هو الذي يدبر وأن هذه المخلوقات البشرية التي يخالطها في حياته إن هي إلا أدوات لقدر الله، وانها حين تضره فهي بشيء قد كتبه الله له، فلا يتوجه إلا

إلى الله في سرائه وضرائه سواء ويعلم – يقينا – أن الخلق كلهم لا يملكون له ولا لأنفسهم ضراً ولا نفعاً).

الدرس الرابع : صحة الفهم وحسن القصد ودورهما في درء الفتن :

في أيام الفتن تضطرب الأفهام وتحتار العقول أمام الشبهات كما أن القلوب تضعف أمام الشهوات ولا يعصم منها إلا من عصمه الله تعالى بعلم صحيح وفهم دقيق يدرأ بها الشبهات، وبدين وتقوى وصبر يدرا بها الشهوات ولا يسلم من الفتن ورياحها إلا من تحلى بهاتين الصفتين: الفهم الصحيح، والقصد الصحيح ومن فقد أحدا من هاتين احداً من هاتين الصفتين فقد عرض نفسه للفتن ولقد اتضح مظاهر فقد هذين الأمرين أو أحدهما في هذه الايام أيام الأحداث والفتن فسقط في هذه الفتن من سقط وهلك فيها من هلك ولا يتعدى أسباب السقوط هذين الأمرين الآتي الذكر فبضعف اليقين والبصيرة تسيطر الشبهات وبضعف التقوى وفساد المقصد تسيطر الشهوات. وصحة اليقين والفهم يتمان بأمرين اثنين: بالعلم بدين الله عز وجل وأحكامه وشرعه، وبالعلم بالواقع والفقه فيه وأبعاده، فمن فرط في أي من هذين العلمين والفهمين فسد فهمه وعرض نفسه للشبهات وأخذ الباطل يحسبه حقاً. أما من تحلى بالفهم بأحكام الله والفهم بالواقع ثم وقع الأول على الثاني فقد تمت له البصيرة ووصل إلى الحق. ولكن معرفة الحق لا تكفي في النجاة من الفتن حتى ينضم إليها التقوى والصبر وحسن القصد فينقاد إلى الحق الذي ظهر ويذعن له، وإلا لو كان الصبر ضعيفا أو القصد فاسداً فإن المسلم يتعرض للفتن من باب الشهوات فلا يصبر على الحق والثبات عليه أمام المغريات والشهوات.

ولقد ساق الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى هذه المعاني بأوضح عبارة وأدقها وأبلغها حيث قال رحمه الله في كتابه القيم (أعلام الموقعين) في معرض شرحه لخطاب عمر رضي الله عنه إلى

أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في القضاء فقال في شرحه لقول عمر: (فافهم إذا أدلى إليك):

« صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما بل هما ساقا الإسلام وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت فهومهم وقصودهم. وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة.

وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به الصحيح والفاسد. والحق والباطل. والهدى والضلال. والغي والرشاد. ويمده حسن القصد وتحري الحق وتقوى الرب في السر والعلانية. ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا. وطلب محمدة الخلق وترك التقوى.

ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً.

النوع الثاني: فهم الواجب في الواقع وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الواقع ثم يطبق أحدهما على الآخر، فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجراً فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله»(١)

وبعد هذا الكلام المفيد من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، وبعد النظر الدقيق للمواقف المضطربة إزاء الأحداث والفتن هذه الأيام، وبعد خوض من خاض وهلاك من هلك فيها. إما بقلبه أو لسانه أو يده،

يتبين لنا أن هناك خللاً في منهاج الدعوة عند بعض الدعاة ونقصاً في التربية لعل من دروس هذه الأحداث اكتشافنا لهذا الخلل حتى نتفاداه ويمكن مما سبق تلخيص هذا الخلل في النقاط التالية:

١- عدم التربية على طلب العلم الشرعي من مصادره الصحيحة وأصوله المنضبطة.

٢- عدم التربية على طلب العلم والفقه بالواقع والوعي الصحيح بسبيل المؤمنين فيه وبسبيل المجرمين.

٣- هناك خلل في القلوب وفساد في القصود لابد من تداركه والاهتمام بتزكية القلوب وتربيتها على الإخلاص لله عز وجل وإنشاء همّ الآخرة والزهد في الدنيا وعدم طلب محمدة الناس والتربية على الصبر والثبات أمام الشهوات والمغريات.

وعندما يتم التغلب على هذه الأنواع من الخلل ويربى الناس عليها وعلى طلبها فإنه بإذن الله تتم العصمة من الفتن وأخطارها فبالعلم بدين الله والعلم بالواقع نتقي الشبهات وبحسن القصد والإخلاص لله عز وجل والصبر أمام المغريات نتقي الشهوات والله أعلم وبعد:

فإن الدروس والحكم كثيرة وكثيرة وليس مقصود البحث هذا هو التفصيل فيها، ولكن ذكرت بعض هذه العبر والحكم والمصالح من هذا الحادث المحيط بنا هذه الأيام لنتذكر من خلاله أن لأسماء الله عز وجل وصفاته لوازم ومقتضيات لا يتم الإيمان إلا بها، ومن هذه الأسماء الكريمة اسم الله (الحكيم) والذي هو موضوع بحثنا في تفصيل لوازم هذا الإسم الجليل والتعرف على العبوديات التي يتضمنها والآثار التي يتركها في القلب والجوارح، وما يلزم عليه من لوازم ومقتضيات، ومنها ما تم استعراضه من الدروس الماضية لحدث واحد مما يقضيه الله عز وجل ويقدره من بين أحداث وأحداث كثيرة تصغر في حجمها وتكبر ولكنها كلها لا تخرج عن علم الله عز وجل وتقديره ولا تخرج عن حكمته البالغة وتيسيره.

المسلمون في أراكان (بورما) ومسيرة المعاناة

أحمد موفق زيدان

ما تزال مسألة الأقليات المسلمة غائبة عن أذهان كثير من المسلمين في المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة، بل حتى لو سألت الواحد منهم عن «أراكان» أو «تراقيا» أو غيرها لصعب عليه تحديد موقعها وشيئا بسيطاً من تاريخها، ومسلموا الأراكان تعرضوا لهجمات شديدة من الاضطهاد والقتل والتعذيب والاستلاب على أيدي البوذيين البورميين في محاولة لاستيعابهم ضمن المجتمع البورمي في البداية، وعندما عجزوا عن هذه السياسة شرعوا في سياسة جديدة وهي التخلص من المسلمين إمّا بالقتل، والإبادة، أو بطرد البعض إن عجزوا عن إبادته، وما مجازر ١٩٢٢ و ١٩٤٢ و ١٩٧٨ ببعيدة عن أذهان المسلمين المهتمين بشؤون أراكان، وقد التقت (البيان) أخيرا ببعض أركان وأعمدة منظمة تضامن الروهنجيا أراكان أثناء زيارة لهم لأرض الجهاد في أفغانستان وحاورتهم وحصلت منهم على منشوراتهم وبياناتهم ومجلاتهم في محاولة لعرض مسيرة المعاناة التي يعانيها هذا الشعب، وهنا حصيلة التقرير:

١- خلفية تاريخية :

تقع (أراكان) جنوب غرب بورما على الحدود مع بنغلاديش وتبلغ مساحتها ٢٠ ألف ميل مربع، ويحدها غرباً خليج البنغال الذي كان يسمى تاريخياً (بحيرة العرب) ثم غير اسمه، ويحدها شمالاً بنغلاديش وذلك على طول ١٧١ ميل، ومن الشرق جبال

الأراكان التي تعتبر حداً فاصلاً بين أراكان وبورما الدولة الغازية، ويصل عدد سكان أراكان إلى ٤ ملايين نسمة منهم ٧٠ ٪ مسلمون. ويطلق على سكان أراكان (الروهنجيا) وهي مأخوذة من (روهانج) وهو الإسم القديم لأراكان، وتعرف الآراكيون على الإسلام في القرن الأول من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك مع مجيء التجار العرب المسلمين إلى هذه البلاد، وكان لهؤلاء التجار الفضل الأكبر بعد الله عز وجل في نشر الإسلام، بل وتذكر الروايات أن التجار العرب كانوا يمرون بأراكان حتى قبل الإسلام لأنها طريق تجارتهم، وبدأت علاقات العرب مع بعض السكان المحليين منذ تلك الفترة، وفي القرن الرابع عشر وحتى التاسع عشر بدأت قوميات أخرى غير العرب بالوفود إلى أراكان مثل الباتان والبنغال والفرس والمغول والمغاربة، وبهذا الاختلاط اعتنق الأراكيون الإسلام حتى غدا الإسلام دين الأغلبية في القرن الخامس عشر الميلادي.

وفي عام ١٤٠٦ م لجأ (نراميخله) ملك أراكان آنذاك إلى ملك البنغال المسلم وتسمى الآن (بنغلاديش) ويدعى (الياس شاهي) بسبب إغارة ملك بورما البوذي على أراضي أراكان واحتلالها، واعتنق (نراميخله) الإسلام بعد ٢٤ عاما من مكوثه عند الملك البنغالي، واستطاع (نراميخله) مع ملك البنغال في ١٤٢٠م الانقضاض على أراكان وطرد الملك البوذي منها وتأسيس مملكة إسلامية هناك بقيادته وتعاقب عليها حوالي ٤٨ ملكا مسلما مدة ٢٥٠ عاماً إلى أن غزاها البوذيون الزاحفون من بورما مرة أخرى عام ١٧٨٤م واحتلوا أراضيها.

ويقول الأستاذ محمد زكريا ويشغل منصب القائد العام لمجاهدي الحركة الإسلامية في أراكان وكان محاضراً في جامعة بورما: في أوائل ١٤٢٠م دخل ١٥ ألف مسلم مجاهد من منطقة غزني في أفغانستان لبلادنا وأسسوا هناك مملكة إسلامية، ويضيف الأستاذ زكريا في حديثه بأن المملكة الجديدة فرضت اللغة الفارسية واستمر نفوذ هؤلاء الأفغان حتى عام ١٧٨٤ .

وفي عام ١٧٨٤م قام البورميون

بغزو أراكان واحتلال أراضيها، وبعد ٤٢ عاماً من هذا الاحتلال أقدمت القوات البريطانية على احتلال بورما وأراكان وذلك عام ١٨٢٤م واستطاع المستعمر البريطاني إحكام قبضته بضم أراكان لبورما، وعشية الاستقلال وعندما حاولت الحكومة البورمية الجديدة تعيين الوزراء ضمّت وزيرين من المسلمين إليها وقامت بتعيين (١٢) عضواً مسلماً في البرلمان، فظن المسلمون أن هذا يعني فتح صفحة جديدة بعيدة عن الاضطهاد والإبادة، ولكن سرعان ما تلاشى الأمل لتجاهل الرئيس البوذي لحقوق المسلمين حيث أعلنوا أن اسم بورما مشتق من (بوذا) وبالتالي فهي للبوذيين فقط، وعلى المسلمين إن أرادوا البقاء معهم أن يغيروا حروف القرآن الكريم إلى الحروف البورمية وأن يتبادل المسلمون والبوذيون الزواج، وأن يقوم المسلمون بالتسمي بأسماء بوذية، وترفع النساء حجابها الشرعي وبشكل مختصر فقد أرادوا تذويب شخصية المسلم هناك.

حملات الإبادة والإضطهاد:

يقول الأستاذ محمد زكريا: (عندما عجزت الحكومة البورمية عن استيعاب المسلمين في مجتمعها البوذي، وفشلت في سياسة التذويب والامتصاص شرعت في سياسة الإبادة والإضطهاد، ففي عام ١٩٤٢ وقبل الاستقلال قتل من المسلمين ١٠٠ ألف شخص، وفر عشرات الآلاف إلى الدول المجاورة مثل بنغلاديش، ويتابع حديثه فيقول: مازلت أذكر عندما كنت صغيراً في الخمسينات عندما أقدم الجنود البوذيون على قطع رؤوس المسلمين وبدؤوا يلعبون بها ككرة القدم ويتقاذفونها، أما القتل والسلب والنهب فهو الغذاء اليومي للجنود البوذيين في مناطق المسلمين، وأخذهم بالقوة للشباب والكبار من أجل استخدامهم في الأعمال الشاقة كبناء الطرق والجسور ونحوها دون دفع أي مقابل لهم حتى ولا الطعام وإذا لم يجدوا الشباب في المنازل يأخذون النساء.

وبعد وصول الحكومة العسكرية للسلطة في بورما عام ١٩٦٢م اشتد الفتك بالمسلمين، ويتحدث عن هذه الفترة الأستاذ سيف الإسلام وهو يشغل نائب رئيس الحركة في حديثه

ل (البيان) يقول: (في عام ١٩٧٨ أجبر ٣٠٠ ألف مسلم على الهجرة من أراكان إلى بنغلاديش وبعد سنة واحدة من حكومتهم هناك طردتهم بنغلاديش بعد توقيعها الاتفاقية مع بورما الحكومة وأعادتهم لأراكان، وطلبت الحكومة البورمية آنذاك مساعدة غذائية ونحوها لإعادة توطين المهاجرين دون أن تعطي للمسلمين إلا النزر اليسير).

وفي عام ١٩٨٢ قامت الحكومة البورمية بتعديل دستور البلاد بحيث يقضي بسحب الجنسية من المسلمين الأركانيين.

وسلكت الحكومة العسكرية الجديدة سياسة التأميم وقام الجنرال (ينون) الجديد الذي عزل رئيس الوزراء السابق (أونو) باتباع هذه السياسة (وبعد مدة قليلة من استيلائه على السلطة نفذ مخططاً واسعاً في تأميم ومصادرة العقارات والممتلكات بصورة (الاشتراكية البورمية) وتحت هذا الشعار أمم ٩٠ ٪ من ممتلكات وعقارات المسلمين أما البوذيون فلم يتأثروا سوى بـ ١٠ ٪ من أراضيهم، كما قامت الحكومة الجديدة بمنع المسلمين من أداء الحج وذلك في الفترة الواقعة بين ١٩٦٢-١٩٨٢ وإذا سمحت بذلك في مجال محدود فهو لعملاء الحكومة، وليس هناك عضو واحد من المسلمين في البرلمان البورمي ولا المجلس التشريعي.

ميلاد منظمة تضامن الروهنجيا:

يقول محمد زكريا: (ردا على هذه السياسات التعسفية والظالمة بحق شعبنا قمنا في عام ١٩٨٢ بتأسيس هذه المنظمة وذلك لمواجهة سياسات الحكومة البورمية الرعناء تجاه المسلمين، وذلك لقيام حكومة إسلامية في أراكان منفصلة تماماً عن بورما، وما زلنا نعد العدّة حتى الآن لهذا تربويا وعسكرياً).

ويقول أحد منشورات الحركة: (نظراً لهذه الأوضاع الخطيرة التي يتعرض لها المسلمون في أراكان استشعر جماعة صالحون مهمة واجبهم، ومسؤولياتهم نحو دينهم، وعقيدتهم وأمتهم ووطنهم فقاموا للجهاد في سبيل الله للدفاع عن أنفسهم وأعراضهم وللحفاظ على دينهم وعقيدتهم وهويتهم الإسلامية).

ويحدثنا الأستاذ زكريا عن بداية التفكير والإرهاصة الأولى لتأسيس الحركة وهو الذي كان أحد عناصر الحركة الوطنية الأركانية والتي تتعارض توجهاتها مع الحركة الإسلامية (روهجيا) يقول: (لم نكن في البداية على اطلاع بالايديولوجية الإسلامية، وبعد حضورنا المؤتمرات مع بعض الجماعات الإسلامية في كوالالمبور ودكا وغيرها اطلعنا على ذلك واستفدنا كثيراً، وبدأنا بالاتصال مع بعض الاخوة حيث كنت أعرف الأخ عمر رئيس الحركة حالياً من الجامعة وكان يشغل آنذاك منصب نائب رئيس المستشفى العام وبعد التدارس توصلنا إلى ضرورة قيام حركة إسلامية بعيدة عن الحركة الوطنية الأخرى المعارضة للتوجهات الإسلامية).

وحول نشاط الحركة يقول محمد زكريا وسيف الإسلام: (حتى الآن نركز على التدريب العقدي لشبابنا والتدريب العسكري أيضاً ونحتفظ بـ ٢٠٠-٥٠٠ مجاهد في مخيماتنا التدريبية ونرسل الباقين للداخل وقمنا حتى الآن بتدريب ٢٠٠٠ مجاهد واكتسبنا أشخاص من كافة شرائح الشعب الأراكاني من علماء وطلبة وموظفين وأساتذة جامعات، وبشأن تمويلنا فنعتمد على تبرعات إخواننا في الداخل وتبرعات إخواننا المسلمين.

وعن سبب سماح الحكومة البنغلاديشية للحركة أن تزاول بعض نشاطها هناك قال: (هناك حقيقة جغرافية وهي الحدود الطويلة بين أراكان وبنغلاديش، وليس هناك أي حدود بين الأخيرة وبورما ولهذا لا تريد بنغلاديش أن تستعدي شعبا بكامله ضدها وهذا ليس في صالحها مستقبلاً، والأمر الثاني هو وجود حركة (شنتي بهيلي) الانفصالية البنغالية وتتخذ من الهند مقراً لها وإذا أرادت شن هجمات على بنغلاديش فلا بد أن تمر بأراضينا وعلاقتنا الجيدة مع بنغلاديش ستعرقل من نشاطات هذه الحركة، ولعل مشاطرتنا لهم عقيدة واحدة سبب في ذلك).

وبخصوص البدء بالعمل العسكري يقول سيف الإسلام نائب رئيس الحركة: (حتى الآن نقوم بإعداد أنفسنا وسنقوم بالنشاط العسكري قريباً حالما يتحسن وضعنا وتجهيزاتنا).

قراءة أولية في حرب الخليج

هناك نظرية في التاريخ تقول: «إن وقوع الأحداث الكبيرة أمر محتم عندما تتفاعل الظروف الموضوعية والأسباب المؤثرة،» ولكنها نظرية مرجوحة لأن الإنسان اولاً وأخيراً هو المسؤول عن أعماله في الخير والشر، فلو لم يتصرف فلان كذا أو يفعل فلان كذا لما وقع كثير من الحروب. والكوارث العظام التي تصيب البشرية إنما هي نتيجة الظلم والفساد في الأرض قال تعالى: ﴿ **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً، ويذيق بعضكم بأس بعض، انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون** ﴾ [الأنعام ٦٥]

إن قراءة أولية في هذه الحرب تؤكد لنا:

أولاً: عند نزول الكوارث العظام لابد من الرجوع إلى القرآن الكريم الذي يقول لنا ﴿ **قل هو من عند أنفسكم** ﴾ وإذا رجعنا إلى التاريخ الحديث سيتبين لنا كيف هو من عند أنفسنا.

لقد وقعت الكارثة الأولى للمسلمين في هذه المنطقة عندما

استطاع أعداء الإسلام هدم الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٣، وقد ساعد فريق من العرب الانكليز في الحرب العالمية الأولى، ساعدوهم على ضرب الأتراك طمعاً في دولة عربية، فكانت العقوبة أن عاش العرب تحت حكم الإنكليز والفرنسيين عشرات السنين.

وجاءت الكارثة الثانية عام ١٩٤٨ بإنشاء دولة (إسرائيل) على أرض فلسطين، فقامت على إثر ذلك انقلابات وثلت عروش، ولكن الناس اتجهوا إلى القومية والوطنية والاشتراكية وما زالوا في هذا التخبط إلى أن جاءت الكارثة الثالثة عام ١٩٦٧ حين احتلت إسرائيل سيناء والضفة الغربية والجولان في الساعات الأولى من الحرب. وكانت صدمة عنيفة للناس، اتجه كثير من بعدها إلى الدين، وامتلأت المساجد وخاصة من الشباب المسلم، وأصبحت ظاهرة واضحة في كل أنحاء العالم الإسلامي، وأعجبت المسلمين كثرتهم فتعجلوا قطف الثمرة، وأصيبت الدعوة الإسلامية بنكسات هنا وهناك، فهل جاءت هذه الحرب لتهز العالم العربي والإسلامي هزة أقوى من سابقاتها، ليعود مثخنا بالجراح متأملاً: ما هي الأسباب، وما هو السبيل وكيف نتعامل في السياسة، وكيف يفكر الغرب، ولماذا وصل إلى ما وصل إليه ؟

ثانيا: من أخطر ما ابتلي به المسلمون طوال حقب طويلة من تاريخهم وخاصة في هذا العصر هو داء الاستبداد والدكتاتورية، وما يعقب هذا من الذل والهوان اللذين يمارسان على الشعوب، ففي هذه الأنظمة الفرد هو الذي يستطيع أن يورط أمة بكاملها في حرب لا تبقي ولا تذر، وما على كبار القوم والعلماء والمثقفين إلا السكوت أو التصفيق لهذا القرار أو ذاك.

إنها مصيبة المصائب هذه التي ابتلي بها المسلمون وأهل الشرق عامة، حتى سرى الداء إلى العلماء والدعاة، بينما نجد أن الشورى أصل

أصيل في السياسة الشرعية الإسلامية، واعتقد أننا إذا لم نرجع إلى هذا الأصل في كل شؤوننا فلن يكون هناك أمل بالنجاح وقد كتب علماؤنا السابقون حول هذا الموضوع وهم مدركون لخطورته، وكانوا يعانون مثل ما نعاني نحن الآن، كتب الإمام الطرطوشي عن الشورى وذكر مثالاً فقال: ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام أُمر بذبح ابنه عزمة لا مشورة فيها، فيحمله حسن الأدب على الاستشارة فيه فقال: ﴿ **يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى** ﴾ فإذا كان هذا في أمر إلهي فكيف في غيره؟!

ثالثاً : لماذا يخاف قومي من اليهود، وقد أثبتت الأحداث الأخيرة أنهم أضعف مما نتصور، ورغم امتلاكهم للأسلحة المتطورة فإن عنصر الإنسان يبقى له دور مهم، وهؤلاء يعتمدون على التكنولوجيا، لأنهم لا يملكون الإنسان الجاد وهذا يؤكد لنا مرة أخرى أن المشكلة ليست في صعوبة مواجهة الكيان الصهيوني بل في النية أصلاً لمواجهته، حتى لاسترجاع الأراضي التي فقدت عام ١٩٦٧ على الأقل، وحتى لتأييد الانتفاضة التي تقاتل بالحجارة، فلماذا مؤتمرات السلام والحرص عليها، ولماذا لا يبحثون هم عن السلام.

رابعاً: أظهرت هذه الحرب خفايا الدول والمجتمعات الغربية، وانكشف ما كان مستوراً، كان التعصب وكره الإسلام والمسلمين مغطى بقشرة رقيقة من الحرية والديمقراطية. لقد تعرض المسلمون الذين يعيشون في الغرب في هذه الأيام للاستهزاء والسخرية ثم الشتائم والضرب، وقد وقع في الولايات المتحدة أكثر من مئة اعتداء على المسلمين من شتى الجنسيات، وفي بريطانيا تعرض مسجد في مدينة (ووكنج) لحرق أبوابه، كما تعرض مسجد في مدينة (باتلي) لاعتداء مماثل، وفرنسا أشد من بريطانيا في هذا المجال، والكتاب الأكثر مبيعاً الآن في ألمانيا هو كتاب (سيف الإسلام) وأنه الخطر القادم. وفي ندوة تلفزيونية في بريطانيا قال

أستاذ جامعي قادم من إسرائيل: «أنتم تتحدثون عن عاصفة الصحراء، وتنسون عاصفة أشد وهي عاصفة الإسلام».

لقد ظهرت الفجوة العميقة بين ما يعلنه الغرب، وما يريده فعلاً، هذا مع أنه لم يقع منهم ضحايا كثيرة فكيف لو وقع!

خامساً: سيكون من نتائج هذه الحرب ظهور أصناف من الناس، منهم المتشائمون الذين سيقولون (ما في فائدة)، العرب كذا، والمسلمون كذا... ودعنا نبحث عن جهة في العالم نعمل ونعيش، ويكون بعضهم متديناً فيقول: نعبد الله لوحدنا ولا نتدخل في شيء، وهؤلاء رغم إخلاصهم ولكن تصرفهم يدل على ضعفهم وعدم قدرتهم على الصبر والاستفادة من النتائج.

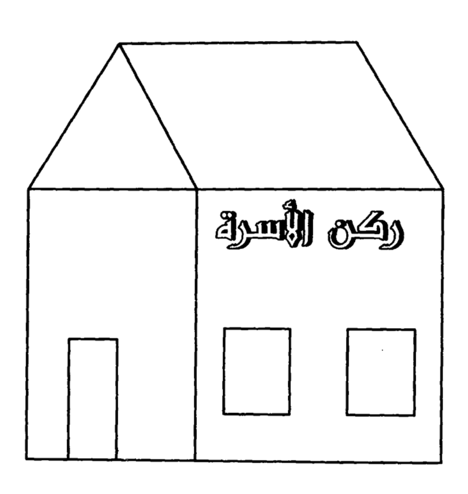
ومنهم الذين يضخمون المشكلة ودور الغرب وأننا لا نستطيع الوقوف في وجههم، وأن العالم كله ضدنا، وهذا الصنف قريب من الأول، وهؤلاء وأولئك ممن لم يرسخوا بعد.

والصنف الثالث هم الذين تهب عليهم العواصف فلا تبددهم، ويتابعون الجهد وعملية الإنقاذ، ويعلمون أنه لا ينجي من النوائب إلا الإخلاص والوعي والعمل الدؤوب.

سادساً: أثبتت هذه الحرب أن العرب إذا لم يهتدوا بهدي الإسلام، الذي يغير من تركيبتهم الداخلية ويصوغهم صياغة جديدة فإنهم سيعيدون حرب (البسوس) و (داحس والغبراء) التي يفنى فيها المال والأهل والولد.

لقد قامت حرب البسوس بين ربيعة وبكر لأسباب تافهة، من أجل ناقة جرباء ولم تنته إلا بعد أربعين عاماً.

إن الذين يراهنون على المد القومي يثبتون أنهم أغبياء للمرة الثانية، فليس هناك إلا (الله أو الدمار).



- هكذا أتمنى أن تكون أمي

- البديل...

- تعويد الأطفال تحمل المسؤولية

هكذا أتمنى أن تكون أمي

مؤمنة الشلبي

١- أتمنى أن تكون أمي وكل أم مسلمة من أرهف الإسلام مشاعرها، وفتح نوافذ البصيرة في نفسها، فأضاء لها معالم الطريق الذي ستسير عليه في تربية أبنائها، وتوجيههم بعيدا عن الخطر الذي يدسه لهم أعداء هذا الأمة، متبعة في ذلك شتى الأساليب التربوية النبوية.

٢- أتمنى أن تكون أمي على قدر كبير من الوعي والثقافة بما يدور حولها من مؤامرات ودسائس تُحاك لها بدقة وتدبير لصرفها عن مهمتها الأساسية في تربية أبنائها الذين هم شباب الإسلام وسده المنيع. ولتنهمك هي بتوافه الأمور وصغائر الأعمال من إغراءات دنيوية مثيرة وزخارف فانية وموديلات جذابة كذابة وشهوات تؤجج وزينة هدامة وتقليد أعمى لأولياء الشيطان وجنود إبليس.

٣- أتمنى أن تكون أمي وكل الأمهات المسلمات على يقين أن وظيفة الأم المسلمة لا تقتصر على العناية بالأطفال من حيث المأكل والمشرب والملبس فقط، فهذه هبة من الله أعطيت لها، إنما هي المسؤولية الكبرى اتجاه الأبناء والتي طوق الله بها عنقها وجعلها بمقتضاها مسؤولة عن تربية أولادها تربية إسلامية قائمة على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات فيشبوا مهيئين لتحمل المسؤوليات وقادرين على نشر الإسلام بقلوب مؤمنة ونفوس صافية.

٤- أتمنى من أمي أن تغرس العقيدة الإسلامية في نفوس أبنائها وأن ترشدهم إلى الحلال والحرام وتدربهم على العبادات التي تناسب أعمارهم كالصلاة والصيام

والصدقة. كما تحرص على أن تطرب أسماعهم بقصص السيرة وقصص أبطال الإسلام وعلمائه لتثير في نفوسهم حب العلم والعمل والبطولة والجهاد في سبيل الله.

٥- أتمنى من أمي أن تنصب من نفسها حكماً بين أبنائها فلا تظلم ولا تجور ولا يذهب بها الهوى أن تميل مع بعض أبنائها دون البعض بل تخصهم جميعاً بحبها وعدلها وتعترف بالفروق الفردية والعقلية بينهم فلا تطالبهم فوق طاقاتهم، وقدراتهم العقلية والجسمية المختلفة ما بين صغير وكبير وذكر وأنثى.

٦- أتمنى من أمي أن تحرص على سلامة الجو العائلي من الخصومات التي تؤدي إلى اضطراب شخصية الطفل وضعفها، مستخدمة من سيرة رسول الله وصحبه المنهل الذي تنهل منه في كل موقف لها مع أبنائها.

٧- أتمنى من أمي أن تعلم أنها موضع القدوة لأبنائها، فهي معقد نظرهم ومنار حياتهم فإن هي أحسنت وقرنت القول بالعمل غرست فيهم السلوك الراشد والعادات الحسنة وجعلت منهم شباباً صالحاً يكون موضع أمل الإسلام وعدته.

٨- أتمنى من أمي أن تتيح لأبنائها التمتع بطفولتهم من لهو ولعب وأن تختار لهم الألعاب المناسبة لعقولهم ضمن إمكانيات الأسرة وضمن حدود ما أباحته الشريعة الإسلامية.

٩- أتمنى من أمي أن تحرص على إيجاد جو من الحرية ليتمكن أبناؤها من التعبير عن أنفسهم وحاجاتهم دون خوف أو خجل أو تردد.

١٠- وأخيراً أتمنى من أمي ومن كل أم مسلمة - بعد أن تستفرغ كامل جهدها لتعذر إلى الله بالأخذ بجميع الوسائل والأسباب المشروعة - أن تستغرق بالدعاء وبسط أكف الضراعة إلى الله عز وجل تناشده توفيقها وإصلاح ذريتها فإن الله سبحانه وحده هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

البديـــــــل...

عبد الله بن مبارك آل سيف

يشكو كثير من الناس الملتزمين من حاجتهم إلى معرفة البدائل عن منكرات البيوت وحاجتهم إلى سد فراغ أهاليهم ومن يعولونهم، ويتذرع كثير من الناس بهذا الأمر إلى إبقاء هذه المنكرات في البيوت بشبهة عدم وجود ما يملأ فراغهم، ولأجل هذين الأمرين دعت الحاجة إلى طرح مثل هذا الموضوع على الساحة؛ فأذكر هنا ما يحضرني - ولعل هذا يشعل الحماس في قلوب الكتاب المجيدين فيكتبون فيه - فأقول: من هذه البدائل:

١- العبادة: وهي من الأمور المهمة التي ينبغي تربية الأبناء والبنات والزوجات والأهل عليها وإشغال وقتهم بها وكل وقت المسلم يمكن أن يكون عبادة بالنية الصالحة.

فمثلاً: من كان لسانه رطباً بذكر الله ألا يمكن أن يحس بالفراغ وضياع الوقت، وكذلك من يحافظ على الصلوات والنوافل والصيام والحج والعمرة والصدقة وقراءة القرآن والنوافل المطلقة فمن اشتغل بهذه العبادات سوف يشعر - بلا ريب - بضيق في وقته وأنه بحاجة إلى وقت أطول لإدراك كل هذه العبادات ولذا نلاحظ أن وقت العلماء والعباد الصالحين هو وقت قصير في نظرهم ويُحستون بقصر الوقت وضيقه ويتضايقون من ذلك، في حين أن أصحاب البطالة والفساد يحسون بفراغ رهيب، ولذا تراهم يقولون: نقتل الوقت، بأي شيء كان يريدون ملء فراغهم وقتل الأوقات وإهدار الأعمار الثمينة.

٢- الاشتغال بالعلم وتعويد الأهل على مصابرته بالأساليب المناسبة وتحبيب الأطفال إلى العلم وتحفيزهم بما يناسب وسيأتي تفصيل هذا.

٣- وضع دروس علمية في البيت على مدى الأسبوع ويختار منها الدروس المشوقة المحببة مثل السيرة والتاريخ والتراجم ومن ثَمَّ تطور إلى دروس أكثر تنوعاً وعمقاً ويراعى فيها الجانب التربوي بالربط بين العلم والعمل.

٤- الاعتناء بمراعاة حفظ الأهل للأذكار والأدعية ووضع برامج حفظ على المدى الطويل لحفظ الأذكار والأدعية.

٥- وضع دروس لحفظ القرآن على مدى السنة، مع تكرارها في الأسبوع أكثر من مرة، في برامج حفظ ومراجعة، سهلة، وجادّة.

٦- وضع مسابقات علمية في قراءة كتاب وإدراك القدرة على استيعابه وفهمه. ومن ثم تنمية القدرات، ووضع مسابقات علمية بالأسئلة والأجوبة.

٧- التشويق في القراءة و التحبيب فيها بوضع كتاب مشوق في القصص السهلة الأسلوب، جيدة العرض، والمجلات الجيدة ذات المواد الجذابة.

٨- إشغالهم في برامج علمية مفيدة تقربهم من الكتب وقد يطلعون في أثناء الفهرسة على كتب تشد قلوبهم قرائتها، ومثل فهرسة كتب معينة أو إدخال معلومات عن الكتب في برامج الكمبيوتر.

٩- تكوين مكتبة خاصة في غرفة كل فرد، كلٌّ بحسبه وبما يناسبه، هذا ينمي الاهتمام بالكتب والحفاظ عليها ومِنْ ثمّ قراءتها والاستفادة منها.

١٠- الاستفادة من برامج الكمبيوتر الجاهزة والبرامج المفيدة فيه في التعليم وتنمية الذكاء والقدرات.

١١- النزهات المأمونة في حفظ وصون إلى أماكن مناسبة بعيدة عن التهتك، وممارسة الألعاب المباحة فيها.

١٢- اصطحاب الأطفال إلى مجالس الرجال لتعويدهم على الانطلاق في

الكلام ومعرفة آداب الرجال من كرم ومروءة وشهامة وخلق حسن.

١٣- إشغال الفتيات الصغيرات بأمور المنزل وتعويدهن على تدبير البيت وإدارته والتعلم على فنون الخياطة والطبخ والنظام، والنظافة، وتعويدهن على تحمل مسؤولية البيت وتربية الأطفال.

١٤- حضور المحاضرات القيمة والدروس العلمية المفيدة.

١٥- انتظام الأطفال في حلقات القرآن الكريم ومتابعتهم فيها.

١٦- وضع مكتبة صوتية في المنزل ومتابعة الأشرطة الجديدة واختيار المناسب منها وتوجيه الأهل إليه.

١٧- ممارسة الألعاب الرياضية التي تقوي البدن بالنسبة للأطفال والمراهقين والشباب وغيرهم مثل ألعاب الكراتيه والجودو وغيرها، وأدوات رياضية تقوي أجزاء معينة من الجسم.

١٨- وضع أوقات مخصصة لزيارة الأرحام والأقارب ووضع برامج مفيدة في هذه الزيارات.

١٩- بث هموم الأمة في مجالس الأنس والسمر لتكون هموم الأمة تخالج مشاعرهم وتسيطر على إحساسهم وبث الوعي بينهم وإرشادهم إلى مصادر الوعي الموثوقة.

٢٠- استكتاب الأهل والأولاد وتعويدهم غلى الكتابة وتقويمهم فيها وتنمية قدراتهم الكتابية وتحبيبهم فيها بوضع حوافز مناسبة.

٢١- ربطهم باللغة العربية والأدب العربي وحفظ دواوين العرب ووضع برامج حفظ للقصائد المختارة وتحفيزهم بما يناسب.

٢٢- التركيز على الاعتناء بالدروس المدرسية ومذاكرتها ومتابعة حل الواجبات والمساعدة على شرح الغامض وتذليل الصعب.

وأخيراً وليس آخرا « الحاجة أم الاختراع » ومن جدّ وجد، ومن صدق أعين، ومن أخلص وُفق.

تعويد الأطفال تحمل المسؤولية

خولة درويش

« يرى جميع المربين أن تنمية الشعور بالمسؤولية لدى الطفل ينبغي أن يكون الهدف الذي تسعى إليه تربيته وتعليمه فيما تقدمه له من خبرات وتتبع معه من أساليب »[1].

وذلك أن الإنسان اللاهي العابث لن يفيد أمته ولا نفسه بشيء ذي بال. وقد غرس الإسلام في نفوس أتباعه منذ فجر الدعوة الإحساس بمشاعر الأخوة والتزاماتها، ذلك أن الإحساس بالمسؤولية تجاه الآخرين لن يتكون إلا نتيجة تحمل المسؤولية فعلا، أي عن طريق المشاركة مع الآخرين من أفراد الجماعة في دراسة ومواجهة المشكلات العامة التي تضمهم وتربط بينهم جميعا وهذا نموذج من توجيه النبوة يرشدنا إلى أسلوب بناء شخصية الناشىء قال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿ **فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين** ﴾ [القصص ٢٦].

١- مشكلات الأطفال اليومية ص ٤١ دوغلاس توم.

فلم يتعجل عليه السلام على ولده ليقضي أمر الله تعالى وإنما شاوره لتكون الاستجابة عن رضا نفس.

فاحترام شخصية الطفل وإشعاره بالثقة في نفسه خير معين له على تحمل المسؤولية والقدرة على حمل التبعات.

روى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟ فقال الغلام : لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحدا » رواه مسلم.

وهكذا يعتاد الطفل الجرأة الأدبية، وينشأ بعيدا عن الانهزامية، وفيه قوة رأي وحجة.

هذا ولتحميل الأطفال المسؤولية حدود لا يجوز للمربي أن يتعداها. فلا يصح تكليف الأطفال فوق طاقتهم، وكذا الاستعانة بهم استغلالاً لهم في أمور تجري فيها الإجارة وقد جاء في المدونة: وكل من استعان غلاماً ما لم يبلغ الحلم فيما ينبغي في مثله الإجارة فهو لما أصابه ضامن[1]. كما وأنه لا يصح بحال أن نئد شخصياتهم، ونهدم فيهم روح الابتكار والتجديد بالتسلط، وحد باب الحرية أمامهم.

« إن التحكم الفارغ من الأبوين لمجرد الإلزام بالطاعة وتعويد الطفل عليها، فذلك حري بأن ينتهي بالطفل إلى التمرد إن كان شديد المراس، أو الاستكانة والانطواء إن كان لين القوام، وكلاهما فاسد »[2] .

١- المدونة - المجلد الرابع ص ٤٢٠ .

٢- منهج التربية الإسلامية - محمد قطب - ص ١٢٦ .

ويبقى التوازن بين الضبط والحرية اللامسؤولة هو الأسلوب الحكيم، وخير الأمور أوسطها.

نعود الطفل الاعتماد على نفسه في الأكل والشرب، بل واختيار ملابسه فتنمو شخصيته، يشارك في ترتيب السرير والمائدة والكتب ... ونحوها، فينبذ الكسل والتواكل والخمول ويتجه إلى العمل المنتج.

يتعامل مع مصروفه الشخصي بحرية موجهة.. ماذا يشتري وماذا يترك؟ وفي العمل تشاوره المربية: إنك سترتب ألعابك وتمسح غبار الغرفة، فأيهما ترغب تقديمه الآن، وأيهما يؤخر إلى ما بعد ساعة من الآن؟

لعل ذلك يساعد في قدرته على تحمل المسؤولية، والإحساس برغبات الآخرين، وتقدير قيمة ما سيعمله لأنه سيجني نتائجه. فعندما يخطىء ندربه كيف يتعلم من أخطائه ونعالج الخطأ بحكمة، فيصلح الطفل ما أفسد، ويزيل آثار فعلته، فإن وسخ ينظف وإن تكلم بكلمة خاطئة يعتذر..أو يحرم من لعبة ما.. وفي كل حال لا بد من الحكمة والعبر في التعامل مع الأطفال والنظر إلى الأسباب الكامنة وراء أعمالهم من وجهة نظرهم هم لا كما يراها الكبار، ومن ثم معالجتها بتحميلهم تبعات أعمالهم. وبالمقابل تشجيع من يبدي استعدادا لتحمل المسؤولية، نشعرهم بلهجة الحب والحنان بواجبهم وإمكانياتهم، وأنهم سيصبحون من أبطال الإسلام فقد كانوا أطفالا مثله، وبذلك نبعث الثقة في نفوسهم ويتوثبون نحو العمل الخير المفيد. فإذا بالبنت تعين أمها والولد يساعد أباه حسب إمكانيات الأطفال وكل يبذل جهده راضياً ليعمل بعيداً عن اللهو والعبث.

بني قومي

مروان كجك

لمن أشكو ضلالكم ... وأنتم مقلة الزمن

وأنتم أنس هذا الدهر ... ذي التنكيل والمحن

ألستم خير من ركبوا ... إلى الجوزاء والقنن

ألستم يا بني قومي ... دعاةَ الطيِّب الحسن

وأيديكم إذا امتشقت ... حسام الحق لم تهن

فمن في الأرض ينصفكم ... إذا حدتم عن السنن

ومن في الأرض يرفعكم ... إذا لذتم بكل دني

ومن يا قوم يرحمكم ... غداة الروع والوهن

ومن يأسو جراحكم ... إذا ثعبت من الفتن

فهذا الناس قد جمعوا ... لكم في السر والعلن

جياعاً قد رأوا فيكم ... شهي الروح والبدن

تداعوا لا إلى خير ... سوى الإيذاء والإحن

صليب الأمس والأفعى ... وذاكم عابد الوثن

فقوموا نحو بارئكم ... وصونوا النفس عن دخن

وهبوا هبة الأبطال ... أهل البأس والفطن

وزحوا عن ضلالتكم ... فأنتم مقلة الزمن

المرحلة الإعلامية والشريط الإسلامي

خالد بن صالح السيف

أحسبني لست بحاجة إلى اجترار الكتابة عن الدور الإعلامي وبخاصة بعد أن استحال إلى حقيقة بدهية تستظهرها العامة فضلا عن الخاصة.. وإن شئت فارقبها جلية في تشكل عقلياتهم.. وأبعاد تفكيرهم.. ومنتهى إدراكهم بل وفي منطق ألسنتهم..

إذن فليس ثمة حاجة في إعادة كلام استمرأه القارئ من ذي قبل، ولا ضير حينئذ في تجاوز هذا الجانب اتكاءً على ما سلف.

المفهوم قبل اختلاط الأوراق:

يبدو أن لكثرة تداول لفظة - إعلام - واستفحال انتشارها أحالها إلى مصطلح لا يكتنفه غموض وكأنه لايحتاج إلى تعريف مع أنها - حقيقة - مازالت غير واضحة المعالم ندرك هذا من خلال خلط فج بين مفهوم الدعاية ومفهوم الإعلام بل تجاوزه إلىخلط بين هذين المفهومين ومفهوم التعليم ، وربما جاء عرضا مفهوم الدعوة أيضا رغم اجتماعها في نقاط تلاق ،مع تباين في بعض الوسائل ، ومن قبل في سبل الغايات ، وسلامة المقاصد ، وخلوص ذات الوسيلة من شوائب التحريم ، وبخاصة في جانب الدعوة إلى الله تعالى ، ولا مشاحة في أن الوسائل ليس لها حكم الغايات من حيث الأمر التوقيفي.

ما سبق لا يعفيني البتة من تجاوز المفهوم، بل أحسبه يضطرني بداهة إلى إبراز مفهوم الإعلام إضافة إلى وسيلته من جانبي اللغة والاصطلاح: في اللغة: ربما قصر على مجرد التبليغ.. ويقال: «بلغت القوم بلاغاً» أي أوصلتهم الشئ المطلوب، والبلاغ ما بلغك أي وصلك، وقد جاء في الحديث: «بلغوا عني ولو آية»[1].

كما يقال أيضاً «استعلم لي خبر فلان فأعلمنيه حتى أعلمه»[2].

نخلص من هذا التعريف إلى أن المفهوم اللغوي للأعلام هو: إحاطة الغير علماً بشيء ليدرك حقيقته.

والوسيلة هي الأخرى: ما يتوصل به إلى الشيء برغبة.

وبإضافة كلمة واحدة على ما سبق يقترب المعنى اللغوي من المعنى الاصطلاحي وهو: إحاطة الغير علماً بشيء ليدرك حقيقته بقصد التأثير.

إذن فمحصلة المفهوم إجمالاً هي: تلك الأدوات المستخدمة في نقل المعلومات والمفاهيم والمشاعر والعواطف وغيرها مما يؤثر فى حياة الناس.

ما سلف أرجو أن يكون قدراً كافياً يبين عن هوية المفهوم تلافياً لاختلاط أوراق المنظرين.

إذن.. فالإعلام من هذا المنطق ليس مرتعاً مستهجناً لترفيه فاحش وليس مرآة ينعكس على أثرها الواقع بتجاوزاته المريبة.

إنما هو وسيلة صالحة ذات قدرة فاعلة على التصحيح والتقويم في مسار أمة وفق منهج راشد يستشرفه الخلص من أبناء الأمة..

١- رواه البخاري وأحمد والترمذي والدارمي في المقدمة.

٢- اللسان (مادة علم).

تهيئة الطرح الإعلامي :

الوسائل الإعلامية متعددة وخاصة ما يمكن استخدامه على نطاق واسع شامل، وأحسبها تتراوح ما بين وسائل اتصال شخصي بمختلف أنواعها ووسائل اتصال جماهيري، بيد أن ثمة عوامل تقتضي اختيار هذه الوسيلة منها : مدى توافر فاعليتها وتأثيراتها في محيط معين، كما أن ثمة أسسا للاختيار نفسه تدور حول ما تملكه هذه الوسائل من خصائص موضوعية أو وصفية إضافة إلى مقدار خدمتها الإعلامية ومدى الانتشار الجغرافي لها مع الإدراك المسبق لطبيعة الوسيلة وإمكانياتها الفنية.

كل ذلك تتم الإحاطة به مسبقاً ليتساوق مع مستوى طرح المادة الإعلامية رغبةً في استكناه بعد أثر « المعطيات الإعلامية » في الملتق.. واستشرافا من لدن الإعلاميين – على اختلاف مساربهم – للأثر الفاعل والذي من أجله كان التسخير الإعلامي.

وتجيء هذه الكتابة – المجتزأة – وقد قصرت على نوع واحد وحسب، وهو شريط الكاسيت لذا وسنضرب صفحاً عن الوسائل الإعلامية الأخرى.

ميلاد الكاسيت :

في ذات صباح يوم من ابريل عام ١٨٧٧م تقدم إلى أكاديمية العلوم الفرنسية العامل الفيزيائي (تشارلز كروس) ليسجل لديها فكرة محدثة لتسجيل الأصوات وإعادة سماعها متى شاء مرة ثانية.

ولضعف القدرات المستحدثة حينها لم يتمكن من تطوير جهاز عملي لتنفيذ فكرته، إلا أن هذه الفكرة لم تخبُ بعد، حيث رأت النور في شهر ديسمبر من العام نفسه عندما أعلن في الولايات المتحدة الأمريكية كل من (توماس أديسون) ومساعده الميكانيكي (جان كروسي) عن اختراعَ جهاز عجيب لتسجيل الصوت ومن ثم إعادة إسماعه، وأطلق عليه إسم (الفونوغراف) وبذلك أسهم جهاز

التسجيل الصوتي في إحداث ثورة عارمة في مجال الاتصالات. وتحفل الأسواق اليوم بالعديد من أنواع التسجيلات الصوتية التي بلغت ذروتها باختراع أشرطة (الكاسيت) عام ١٩٦٤م وهو أصغر الأنظمة التسجيلية حجماً.

وإفرازاً لما سلف ذكره مع ما يمتاز به التسجيل الصوتي من ميزات متعددة تبوأ مكانة تُعدّ من أهم وأبرز وسائل الاتصال المؤثرة في المجتمعات على اختلاف أنواعها وتباين فئاتها.. ويحسن بنا ألا نغفل في - سياقنا هذا - جانب الصناعة المتقدمة للتسجيل الصوتي حيث أسبغت عليه لبوساً بأن جعلته أكثر وسائل الاتصال الحديثة انتشاراً وتوزيعاً.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية أكثر بلدان العالم استهلاكاً للأشرطة بلغت مبيعات الأشرطة فيها ثلاثة بلايين دولار سنوياً في إحصاءات مضت عليها سنوات عديدة.

كما أن عدد شركات تسجيل الأشرطة فيها يبلغ أكثر من ١٥٠٠ شركة ولو لم تجيء هذه الأرقام في إحصاءات معتمدة لحسبتها ضرباً من المبالغة.

وليس ثمة شك في أن ما تحمله بين أعطافها لا يعدو عن كونه غناءً ماجناً صاخباً أو فكراً منحلا منتناً تمارس فيه الدعوة إلى التنصير وإلى الانحلال الأخلاقي في أرذل صورة ! كل ذلك يتم من خلال إدراك طبيعة الوسيلة - الشريط - إمعانا في تأكيد أثرها في الجماهير المتلقية قاطبة حيث الإغراء والإثارة.

ماذا بعد السّنة ؟!

وعقب سنة من النوم غطت فيه أمتنا أفاقت على إثر غزو سافر لم تألفه من ذي قبل إمعانا في إباحة الفجور !! ومحاولة جادة في سلب أثمن ما تملكه الأمة - إسلامها - ليس غير!!

كل ذلك جاء ويجيء من قبل من لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة ! وقد أقضَّت مضاجعهم تباشير الصحوة الإسلامية، فلله الحمد من قبل ومن بعد **﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**.

ونجم عن هذه الإفاقة المتأخرة جهود لا تزال في بدايتها، بيد أن هذا لا يبرر لنا البتة – بقاءنا في المؤخرة.. ونروح من حينها ننحو باللائمة على المادة وعدم تناسبها مع طبيعة الوسيلة.. عند ذلك تقصر بنا الهمة عن تجاوز العقبات متذرعين بحجج واهية لا تنهض لمدع عادة ! ولست أدري من لهذه الثغور ؟! إن زهد بها المقتدرون ممن يقع على كواهلهم تبعات الواجب.. وليس ثمة نفل يُمَنُّ به.

على المرء أن يسعى إلى الخير جهدهوليس عليه أن تتم المقاصد

أمة فأل :

ومع ما سلف فإنا نربأ بأنفسنا أن يغشانا التشاؤم ونحن أمة فألٍ تربينا على منهجه السوي وما ارتضينا به بديلاً.

وإنا ننتظر يوماً تتوافر فيه جهود علمائنا وطلاب العلم وذوي التخصص والاقتدار في هذا المجال للانتقال بوسائل الإعلام عامة – وشريط الكاسيت – بخاصة من أطواره الأولى إلى أن يؤدي دوره في التربية والبناء.

وأخيراً :

كم هو جدير بك أيها الأخ المسلم وأنت تدلف إلى أعتاب محالٍّ بيع الأشرطة الخيرية أن لا تتعامل مع ما تقتنيه بالمقياس المادي فإنك – والحالة هذه – خاسرٌ لا محالة !!

ولست أدري أين التساؤل – المفترض – من قبلك عن المردود الإيجابي الخير لما تقتنيه – حيث المادة العقدية والشرعية والسلوكية والمعرفية بعامة، وأربأ بك أن تنسى أن التعامل مع الله تعالى يقتضي التجرد من المساومة المادية.

مفارقات

القـــــراءة

خالد الموسى

إن المتأمل لحياة وواقع الشعوب الغربية يجد أنها شعوب قارئة متعلمة بل ومولعة بالقراءة تحب الثقافة بمفهومها العام وليس هذا إعجاباً بهم..لا..فالطريق مختلف..لكنها حقيقة يعيشونها وسلوك يحيونه فلا تجد شخصاً (بشكل عام) إلا ويقرأ جريدة أو صحيفة مجلة أو قصة أو كتاباً.. تلمح ذلك في الشوارع والمحلات التجارية.. في المكاتب، في الحدائق العامة والأماكن الترفيهية، في الحافلات العامة والقطارات، ولن أخوض في ماهية ما يقرؤون من روايات تافهة أو قصص سخيفة أو مقتطفات سطحية أو أو.. فهذا ينعكس عموماً على طبيعة شعوبهم ونمط حياتهم الاجتماعية والفكرية.. ولن أتعمق أيضاً في خلفيات هذه القراءة وهذا النشاط.. ولا الأسباب التي دعتهم بل ونمت فيهم حب المطالعة والقراءة.. من أساليب تربوية ومناهج تعليمية أثناء مراحل الدراسة..لكن شيئا واحدا ملاحظاً ونؤكد عليه كظاهرة عامة واضحة: إنها شعوب قارئة..

والعجيب أن أمة الإسلام التي بدئت رسالتها بأول آية نزلت من السماء ﴿**إقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾. قلما تجد قارئا ونادراً ما تجد مولعاً بالعلم أو شرهاً للمطالعة وحب المعرفة. بل حتى طلبة العلم انتقلت إليهم العدوى، وكأنهم مرغمون أو مجبرون على القراءة والتعلم.

وإنها لمفارقة أن تجد أعداء الإسلام والعلمانيين وأصحاب الفكر والمذاهب الهدامة والتيارات المنحرفة لا يكلون ولا يملون من المطالعة والبحث والكتابة فتجد مؤلفاتهم وكتبهم تملأ الأسواق ومقالاتهم تغطي الصحف والمجلات والجرائد ويتناولون مواضيع مهمة ويتطرقون لأبحاث جديدة.. فيبدو وكأنهم رواد

الحضارة والثقافة العربية المعاصرة.

وهذا الكسل له أسباب أذكر بعضها:

١- منهج التعليم والأسلوب التربوي الخاطئ في المدارس والبيوت المحشو بكثرة المعلومات وإجبار الطلاب على الحفظ وملء دماغه بمعلومات مفيدة أو غير مفيدة وجعل ذلك أصلا ومقياساً للنجاح أو التفوق يخلق نوعاً من الكراهية والملل والضجر من القراءة وحب البحث. وغياب البحث العلمي واسلوب تنمية التفكير والمشاركة لكل ما يلائمه وإعطاء الأطر العامة وترك الخيار والتشجيع للطلاب بالحب الذاتي والرغبة الداخلية للبحث العلمي.

٢- طبيعة البيئة التي نعيشها والرواسب السلبية الراسخة منذ عهد الانحدار الفكري والخلقي والعلمي إضافة لتأثيرات رواسب الاستعمار الغربي الفكري والثقافي والاجتماعي على مجتمعاتنا.

٣- التركيز والتصويب نحو هدف وغاية العلم والحياة: هي رغد العيش ورفاهية الحياة وليس هدفاً سامياً.. خلق في نفوس الكثير اللامبالاة وضعف الإحساس وفقدان اهمية الوقت وأهمية العلم.

٤- انعدام المسؤولية مسؤولية حمل الرسالة وحمل الأمانة والنهضة بالأمة النهضة السليمة التي أوكلت إلينا كما يقول الله عز وجل: ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا** ﴾ ومتى فقدت الأمة مسؤوليتها فقل عليها السلام..

٥- نوعية ما يوجد في الأسواق وما يكتب في الصحف وما يوجد في وسائل الإعلام، تنفر الفرد من الإقدام.

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له». أليس من جذور الإيمان التعلم والعلم والعمل به، وبالعودة لهذه الجذور والأصول وحب العلم والعمل تعود لنا المكانة التي أرادها الله لنا.

إصدارات جديدة

١- عن حركة الجهاد الإسلامي الإرتري صدر العدد الثاني من مجلة **(الجهاد)** وفيه « دروس من التاريخ الإسلامي » « أفيورقي وجزاء سنمار للعرب » و « دراسات تاريخية عن ارتريا » وغيرها من المواضيع.

٢- العدد الثالث من السنة السادسة من مجلة الاستجابة التي تصدر في السودان تضمن : ضوابط الاجتهاد، مراتب القضاء والقدر وآثاره، فتنة الردة والإمامة في الدين وغيرها من المواضيع.

٣- من مؤلفات الدكتور محمد صلاح الصاوي صدر (**قضية تطبيق الشريعة بين المبدأ ودعاوى الخصوم**).

وقد تكلم فيه عن تحكيم الشريعة وصلته بأصل التوحيد والإيمان، والرد على دعاوى الخصوم والعلمانيين ثم دور الأمة في هذه المعركة، وهذه هي الطبعة الثانية من الكتاب وقد صدر عن (دار الحكمة للإعلام والنشر في مصر)

تصحيح مفاهيم حول كتاب واقعنا المعاصر

حينما نزل العمل الإسلامي إلى الساحة السياسية ثارت بلبلة في صفوف بعض الشباب الذين أخذوا أطراف الحديث حول هذا الموضوع مستدلين بتجارب لا يمكن مقارنتها مع الوضع القائم في الجزائر[١] ومستشهدين في ذلك بمواقف الأستاذ محمد قطب الذي تعرض في كتابه « واقعنا المعاصر » للعمل الإسلامي الذي ينطلق من منبر الحكم ليصل إلى القاعدة مع العلم أن الحال في بلادنا يكاد يكون العكس تماما والفرق شاسع بين طليعة تريد أن تبلغ الإسلام إلى الشعب من خلال منبر الحكم وبين شعب يريد أن يبلغ الإسلام إلى منبر الحكم من خلال طليعة.

إن الجبهة الإسلامية هي وليدة إرادة شعب وليس إرادة أشخاص .

« فهي ظهرت وليدة روح وإرهاصات تاريخية وليست حركة كونتها جماعة أرادت أن تكون حزباً إنما هي مولود تاريخي »[٢]

إن من حظوظ الحركة الإسلامية في الجزائر هو كونها تتعامل مع شعب يتميز بروح جادة يمكن أن نقارنها بحرارة الشعب الأفغاني ويكفي أن نشير بأن عدد

١- كتجربة السودان.

٢- استجواب الشيخ عباسي مدني مع مجلة الهلال الدولي.

ضحايا أكتوبر كانوا أكثر من عدد ضحايا بعض الشعوب في ثوراتها التحريرية.

إنه لا يمكننا مقارنة الجبهة الإسلامية ببعض الحركات في الشرق ولا سيما في مصر حيث تعرض الأستاذ محمد قطب لتلك التحالفات التي خاضها المسلمون مع بعض الأحزاب من أجل الوصول إلى البرلمان. فالجبهة الإسلامية بقوة أنصارها وولاء الشعب لا تزال متميزة بشعارها وأهدافها ووسائلها وهي بهذا غنية عن أي تحالف يكون على حساب أهدافها.

وهذا الكلام لا يعني التقليل من شأن الحركة الإسلامية في مصر التي نعتبرها هي الرائد في مطلع هذا القرن، إنما أردنا أن نقول إن للشعوب حظوظاً وأن حظ الحركة الإسلامية في الجزائر كان في عزيمة الشعب وحماسته وإخلاصه لدينه.

إن فضيلة الأستاذ حينما يتعرض للمسلمين الذين يشتركون في الحكم بعد ما كانوا ينتقدونه ويقولون للناس ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ – صادق في كلامه مصيب في انتقاده – وموقف الجبهة الإسلامية في هذا الصدد واضح ليس فيه التباس، فهي تستعمل المطالبة والمغالبة دون إفراط أو تفريط لقوله تعالى ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم) وتستعمل المطالبة لإقامة الحجة لقوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** ﴾.

كما تستخدم المغالبة لضمان مصالح الأمة والمحافظة على ثوابتها وصيانة مكاسبها لقول عمر بن الخطاب « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

إن مسألة تحكيم شرع الله أصبحت مطلبا شعبيا وليست مطلب الحركة الإسلامية فحسب وهذا ما يوافق قول الأستاذ محمد قطب في التغيير حينما قال: (إن المسلمين يصلون إلى الحكم ممكنين في الأرض حين تعي الجماهير جيدا أن «لا إله إلا الله» معناها تحكيم شريعة الله[1] فالشعب الجزائري بوعيه الفطري لمقتضيات الشهادة عبر عن رغبته في تطبيق شرع الله وذلك من خلال الانتخابات التي كانت فيها الأغلبية الساحقة للجبهة الإسلامية.

فالجبهة الإسلامية كالحوتة بحرها الشعب[2] شعب واعٍ متحمس لدينه وعقيدته.. ويكفي أن نشير بأن هذا الشعب في تجاوبه مع الجبهة أصبح مستعداً لمواجهة أشد التحديات.

زين الدين جاج الطيب

أمـــــــاه...

أماه أنت غريبة في موطني

هذا الرويبضة الحقير بذلك

هذا الرويبضة الحقير وغيره

زرعوا رغم أنوفنا

زرعوا على أشلائنا ودمائنا

يبنون كل رذيلة لا تحمد

أماه ثوبك طاهر منذ الشروق

أماه أعلم أنك لا ترتضين

١- موضوع لمحمد قطب في مجلة الوعي العدد ١٩ .

٢- تعبير الشيخ عباسي في حوار مع مجلة السلام، انظر جريدة المنقذ العدد ٢٠ .

أماه قد زرع الطغاة بأرضك

أمّاه هذا دورنا

نادى المؤذن..فتوضأت أيدي الرجال

يطؤون أرضك يسجدون

وقلوبهم نور على نور

هم فتية رفضوا الخنوع أو القيود

أماه هذي روحهم ودماؤهم

نار على قلب الطغاة الحاقدين

أماه يا أرض العقيدة والسلام

أماه يا أمّ الأُباة

أماه قد هلك الطغاة

قراء الكتاب

رفع السلام بأرضك

كَثُرَ الدعاة

قام الرجال لعرضك

بكت النساء لأجلك

علم الشيوخ نام الصغار بحبك

أماه عودي بثوبك

أماه عاد بياضك

أماه لسنا غريبين في موطني

وليد ابن إبراهيم

الفرار إلى الله

أخبرني صديق أن شاباً اسمه خالد يسأل عني، فكرت ملياً، من يكون خالد هذا ؟ أهو ذاك الشاب السوري الذي قابلته في الجامعة منذ أكثر من ثلاث سنوات ؟ نعم كان اسمه خالد ولكن ما أحببته قط، كان لا يعرف ربه لا في صلاته ولا صيامه، ولا أزال أذكره طويلاً، أشقر البشرة، تلمح في وجهه علامات الكِبْر، فخوراً بعضلاته المفتولة، مخلصاً في تقليد الأمريكيين.

مرت هذه الذكريات سريعة في خاطري وأنا أدلف إلى المنزل عندما فوجئت بذاك الشاب خالد ولكنه الذي عرفت، ما هذه اللحية العظيمة، أين شعره الطويل، و(الشورت الأمريكي). لم أصدق ما أرى، قام إلي وعانقني عناق المحب الذي يبحث عني من سنين، سألته عن أحواله ورغباته، فبادرني بلهجة جازمة وقال: أريد أن أرحل عن هذا البلد قررت الذهاب لأفغانستان. الحياة هنا بين الكفار لا تطاق.

فهمت ما حدث. إنها الصحوة الإسلامية، لا تزال تجذب لها من هنا وهناك شباباً هداهم الله وأعادهم إلى الصراط المستقيم بعد ضياع أحمق، ونوم عميق.

أما قصة التزامه بدينه الحنيف فهي غريبة عجيبة لقد تعرف على شاب أمريكي مسلم، وراح هذا الأمريكي يحدثه عن الإسلام ويدعوه للرجوع إلى الله، وإذا بخالد ينتفض ويفيء من غفلته ويقول لنفسه: أأمريكي لم يمض على إسلامه سنوات قليلة يدعوني إلى التوبة وقد كان الأحرى بي أن أدعوه للإسلام. إنه قدر الله أن يكون هذا الأمريكي سببا في هداية خالد، لقد نفض عن قلبه غبار الغفلة وبدأ حياة جديدة أراد فيها إرضاء الله، لقد تغيرت حياته بشكل جذري وطلق زوجته اللاهية العابثة، التي بدأت تصفه بالجنون، وأبدله الله خيرا منها، وقرر

أن يعيش حياة إسلامية في هذه المدينة (سانتياغو) ولكن أنّى له هذا في تلك البلاد، والفتن فيها كقطع الليل المظلم كيف يعيش هنا والمعاصي ترتكب أمام أعيننا، قال لي: ماذا أفعل يابني عندما تكبر في هذا المجتمع. لا بد أن أخرج إلى أفغانستان لقد سمعت عن فضائل الجهاد في سبيل الله وقررت الخروج لأرض الجهاد.

سبحان الله كيف تتغير الأيام وتتغير الأهداف إنه الفرار إلى الله.

أمين فايز

السر الذي احتفظ به السلطان عبد الحميد

ما هو السّر الذي احتفظ به السلطان عبد الحميد طوال حكمه (٣٣) سنة، ولم يبح به لأحد ؟

ما هو السر الذي كان يؤمل عليه رجوع الدولة العثمانية دولة كبرى ؟ ما هو السر الذي احتفظ به وهيأ الظروف له حتى اتهمه الصديق بالضعف والعدو بالظلم والغدر ؟ لنستمع إليه حيث يقول في مذكراته (١٧ مارس ١٣٣٣):

(منذ أربعين عاماً وأنا أنتظر أن تشتبك الدول الكبرى مع بعضها البعض – روسيا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا – كان هذا كل أملي. كنت أرى أن سعادة الدولة العثمانية مرتبطة بهذا وجاء ذلك اليوم الذي كنت انتظره، ولكن... هيهات فقد ابعدوني عن العرش. وابتعد الذين حكموا البلاد بعدي عن العقل والتبصر والفرصة العظيمة التي ظللت أربعين عاماً في انتظارها ولت وأفلتت من يد الدولة العثمانية إلى الأبد.

جاهدت لكي لا يعزلونني عن العرش طوال ثلاثين عاماً وجهادي هذا كان من أجل هذه الفرصة. حبست الأسطول في الخليج ولم أخرجه ولو للتدريب، وحبسي له كان من أجل هذه الفرصة. تجاهلت الحرب اليونانية لكي لا أدع للانجليز منفذا للاستيلاء على كريت، وتجاهلي هذا كان من أجل هذه الفرصة بمعنى آخر إن كل مجهودي قرابة ثلاثين عاماً، بصوابه وبخطئه، إنما كان من أجل هذه الفرصة.

وحفظت هذا السر في نفسي أربعين عاماً. وسأوضحه لأحفادي لكي يعرفونا أني لم أفاتح فيه أحداً حتى مع أكثر صدوري العظام ثقة، لأني تعلمت بالتجارب أن شيئاً يعرفه اثنان يخرج عن كونه سراً ولذلك كان من الزم الأمور ألا يعرف مقصدي هذا أحد، وألا تحس به الدول الأجنبية.

كان تقديري أن استخدام العثمانيين لفرصة كهذه في وقتها، وبتبصر كفيل بأن ينقذهم فيعيدون لدولتهم مكانتها في مصاف الدول العظمى.

كان الواضح أن التنافس بين الدول الكبرى سيجرها أخيراً إلى التصارع والتصادم فيما بينها، وعلى هذا فإن الدولة العثمانية أمام تصارع وتصادم كهذا تصبح بعيدة عن أخطار التمزق والتقسيم، ويوم التصادم سيوضح قيمتها بين الدول. هذا هو سر سياستي التي استمرت ٣٣ عاماً).

رحم الله السلطان عبد الحميد الذي هضم قدره من قبل مثقفينا والذي كان يفكر بقوة وإرادة أجداده سلاطين بني عثمان، وقاتل الله أدعياء العلم والتحرر كيف جروا هذه الأمة إلى ويلات وإلى نكبات عظام لها أول وليس لها آخر، حتى أصبحت دولة عظيمة من دول الإسلام، تمتد عبر قارات ثلاث، أصبحت في مدى عشر سنوات حفنة من تراب.

أبو البراء عبد العزيز بن محمد

هل هناك صحافة إسلامية ؟

عبد القادر حاه

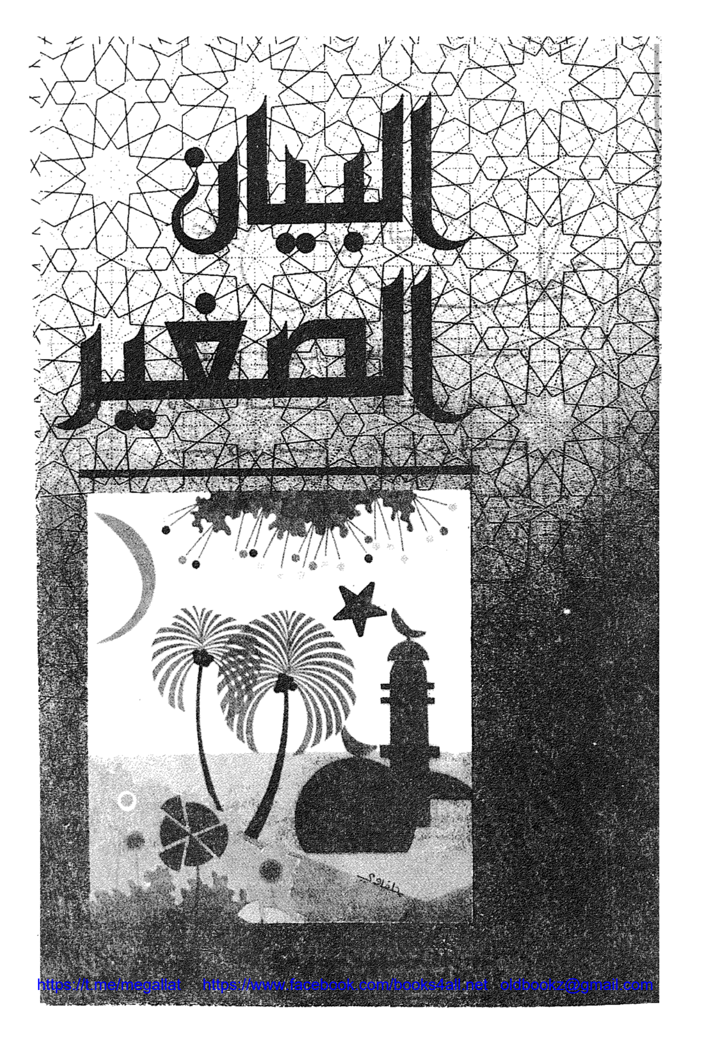
عندما نقول: صحافة إسلامية، نعني: صحافة تعبر عن شمولية الإسلام، وتعرض عقائده وأحكامه كما أنزلها الله وطلب من البشر اتباعها، دون تحريف، أو تعطيل، أو تزوير، أو استغلال.

ووجود صحافة من هذا النوع ضرورة شرعية وإنسانية. ولكن المشاهد مما يسمى «صحافة إسلامية» بعيد عن تناول الإسلام بهذا الشكل الشامل، بل هناك موضوعات هي من بدهيات الإسلام وأساسياته محظور على هذه الصحافة أن تتعرض لها أو أن تضعها في اهتماماتها، وإذا تعرضت لها فبأسلوب فيه المداورة والتورية والرمزية ما يجعله معدوم الأثر، قليل الفائدة.

نضرب على سبيل المثال موضوعات مثل التشريع، ومناهج التربية والتعليم وصلة ذلك بعقيدة الأمة، وكذلك الجهاد وتحديد مفهومه شرعاً، ومسائل مهمة مثل الولاء والبراء، ومن هو العدو والصديق في نظر المسلم، ووضع النقاط على الحروف في مثل هذه القضايا، وتوضيحها بدون لبس أو إجمال موهم أو مخلّ.

إن ما هو موجود من «صحافة إسلامية» غالباً ما يشتغل بقضايا فرعية ونظرية يقتلها بحثاً، بينما يمر على القضايا الرئيسية مر الكرام، أو يتحرج من البحث فيها، أو لا يمكنه ذلك لما هو مبثوث في طريقه من الحواجز والموانع.

إن البديل عن الحرية في تناول مثل هذه القضايا المصيرية هو الكبت الذي يسبب الفوضى، ويشل الأفراد والجماعات عن إنجاز أي شيء نافع، ويعيق أي توجه للخروج من جو السلبيات والعراقيل والمشاكل التي تعصف بالمسلم في هذا العصر، وتجعله عرضة للمهانة والإذلال الذي أصبح وصمة لازمة له.


البيان الصغير


أهلاً أهلاً بالأطفال
هيا هيا يا أبطال
نتعاون في كل مجال
نحمل دعوة مَنْ أوجدنا
مَنْ يحمينا مَنْ يرزقنا
مَنْ أبدع أحلى الأكوان
داراً أبهى للإنسان
من أنزل هذا القرآن
نوراً هادي للحيران
أهلاً أهلاً بالأبطال
أهلاً أهلاً بالأطفال



من هدي القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾

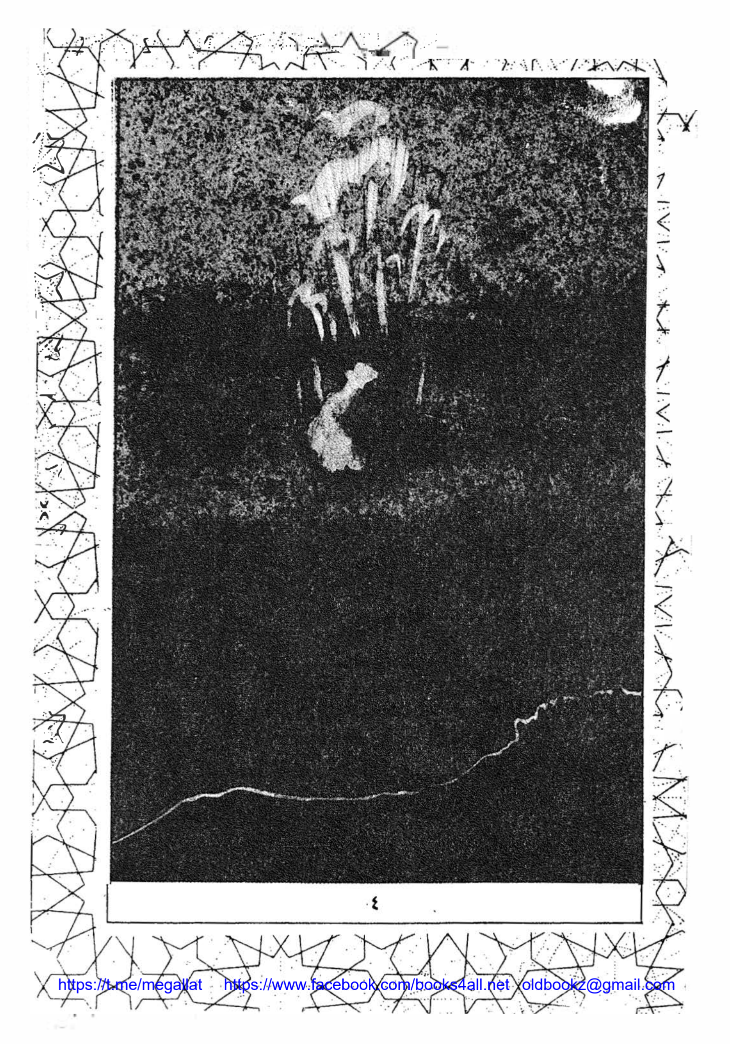
صدق الله العظيم

بيان: ألم تقل لي يا أبي، أننا سنقرأ في القرآن الكريم، الإجابات الصحيحة، عن أسرار رحلة الإنسان على ظهر الأرض؟.

هذا صحيح يا بيان، لكنني أرى أن نستفيد أولاً من الدراسة العلمية، للظواهر الكونية، التي قمتم بها مع الأستاذ سعيد، لتزداد معرفتنا بالله عزّ وجلّ، لأن معرفة الله هي الأساس في فهم الكون وأسراره، وهي معرفة مهمة [illegible] في هذه الحياة.

[illegible]

[illegible]



ـ لأنَّ ناساً كثيرين، أنكروا وجود الله عزّ وجلّ، لأنهم لم يروه بأعينهم، ولم يلمسوه بأيديهم، فهؤلاء يقولون إننا لا نؤمن بوجود الشيء إلا إذا رأيناه أو لمسناه.

ـ وكيف بينتم خطأ هؤلاء يا بني؟

ـ بيناه بالبراهين العلمية يا أبي. وهاك مثالاً منها.

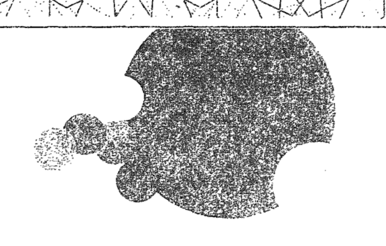
لو أنك حملت حجراً في يدك، ثم تركت ذلك الحجر، فإنّ ذلك الحجر لا يرتفع إلى الأعلى، ولا يتجه إلى اليمين، ولا يتجه إلى اليسار، بل يسقط إلى الأسفل، باتجاه الأرض. وكأن شيئاً ما بداخل الأرض يشده شداً، وهذا ما أطلق عليه العلماء إسم ـ الجاذبية الأرضية ـ وإذا نظرنا إلى هذه الجاذبية، فإننا لن نراها بأعيننا، وإذا حاولنا أن نلمسها بأيدينا، فإننا لا نجد شيئاً، مع أنها موجودة قطعاً. ولكنَّ آثارها، وهو سقوط الحجر، جعل العقل يؤمن بوجودها دون أن يراها الإنسان بعينه، أو أن يلمسها بيده. وبالتالي، فإن الحواس ليست هي الطريق الوحيد للمعرفة.

ـ هذا جميل يا بيان. وسأروي لك طرفة جميلة حول هذا الموضوع.

ـ هات يا أبي. كلّي آذان صاغية.

وقف المعلم يقول لطلاب السنة السادسة الابتدائية:

أترونني؟. قالوا: نعم، قال: فإذن أنا موجود. أترون اللوح؟ قالوا: نعم، قال: فاللوح إذن موجود. أترون الطاولة؟ قالوا: نعم، قال: فالطاولة إذن موجودة، قال: أترون الله؟ قالوا: لا، قال: فالله إذن غير موجود.



ذهب الصياد إلى الغابة لصيد بعض الفيلة ، ومكث في الغابة وقتاً ليس بالقصير ولكن دون جدوى ، وعاد الصياد حزيناً افشله في صيد الفيلة ، وفي الطريق قابل صديقه «أكيرما» وهو صياد ماكر ، ودار بينهما الحوار على النحو الآتي :

أكيرما: ما يحزنك يا صديقي العزيز؟

الصياد: لقد ذهبت إلى الغابة البعيدة لاصطياد بعض الفيلة ، ولكني لم أستطع . إنها فيلة قوية وذكية .

أكيرما: عندي فكرة لو وافقت عليها ، ستأتيك الفيلة حتى حظيرتك!

الصياد: هل تمزح يا صديقي؟ كيف تأتيني حتى حظيرتي؟

أكيرما: إنها خبرة الصيد في الغابات لسنين طويلة يا صديقي العزيز.

الصياد: ما هي هذه الفكرة؟

أكيرما: أتعرف الفيل (طويل)

الصياد: نعم أعرفه جيداً ، إنه فيل مغرور وأناني

أكيرما: وهذه الخصال هي ما نريده في مهمتنا .

الصياد: وضح ما تقصد يا صديقي ، فلم أعد أفهمك .

أكيرما: سنأتي بهذا الفيل المغرور الأناني ، فنقدم له الطعام الكثير ونعده

فوقف أحد الطلاب الأذكياء وقال: أترون عقل الاستاذ؟ قالوا: لا، قال فعقل الأستاذ إذن غير موجود. فضحك الطلاب، وأطرق الأستاذ رأسه خجلاً.

- قصة طريفة يا أبي. ومنها نستنتج النتيجة التالية:

إنَّ الطريق إلى معرفة الله، هي آثاره التي تدل عليه.

وإنَّ العقل والفكر والعلم، هي الوسائل التي تدلنا على هذا الطريق.

- بارك الله فيك يا بني.

وسنكمل حديثنا في المرة القادمة إن شاء الله.



بأن يكون ملك الغابة إن فعل ما نريده منه .

الصياد : ثم ماذا؟

أكيرما : ثم نجعله يتسلل راجعاً إلى قطيع الفيلة في الغابة البعيدة وبالطبع سيألفه القطيع لأن جلده مثل جلدهم، وسيسمعوا ما يقوله لهم، لأن صوته يشبه صوتهم، [illegible] لغتهم، فيحدثهم عن الغابة القريبة وما فيها من طعام وفير ومساكن [illegible].

الصياد: لقد بدأت أفهم [illegible] يا صديقي.

أكيرما: سيأتي الفيل (طويل) بالقطيع [illegible] الغابة القريبة ويدخلهم إلى [illegible] زاعماً لهم أن فيها الطعام [illegible]

[illegible] حظيرة تصنع أنت بالفيلة [illegible]

الصياد: نعم يا صديقي، [illegible] أنيابها [illegible] أصنع منها مقابض للـ[illegible]، وأبيع بعض الفيلة [illegible] حدائق الحيوان ليركب الأطفال ويلعبون به[illegible]

أكيرما: [illegible] في فكرتي يا صديقي العزيز

الصياد: إنها فكرة [illegible] يا صديقي العزيز.

إنه يحق لي [illegible] أطلق عليك «صائد الفيلة».

محمد محمد بدري



جلست عصفورة البيان في حضن جدّتها، تستمتع بحديثها اللذيذ عن القمر الجميل، وعن الجلسات الممتعة التي كان يقضيها أهل القرية في ليالي الصيف المقمرة.

سألت العصفورة جدتها: ألا نستطيع أن نذهب إلى القمر يا جدتي؟

قالت لها جدتها: لا، لا نستطيع أن نذهب إلى القمر؛ لأننا عندما نرتفع عن سطح الأرض، عدة آلاف من الأمتار، فإننا سنموت.

قالت العصفورة: ولماذا نموت يا جدتي؟

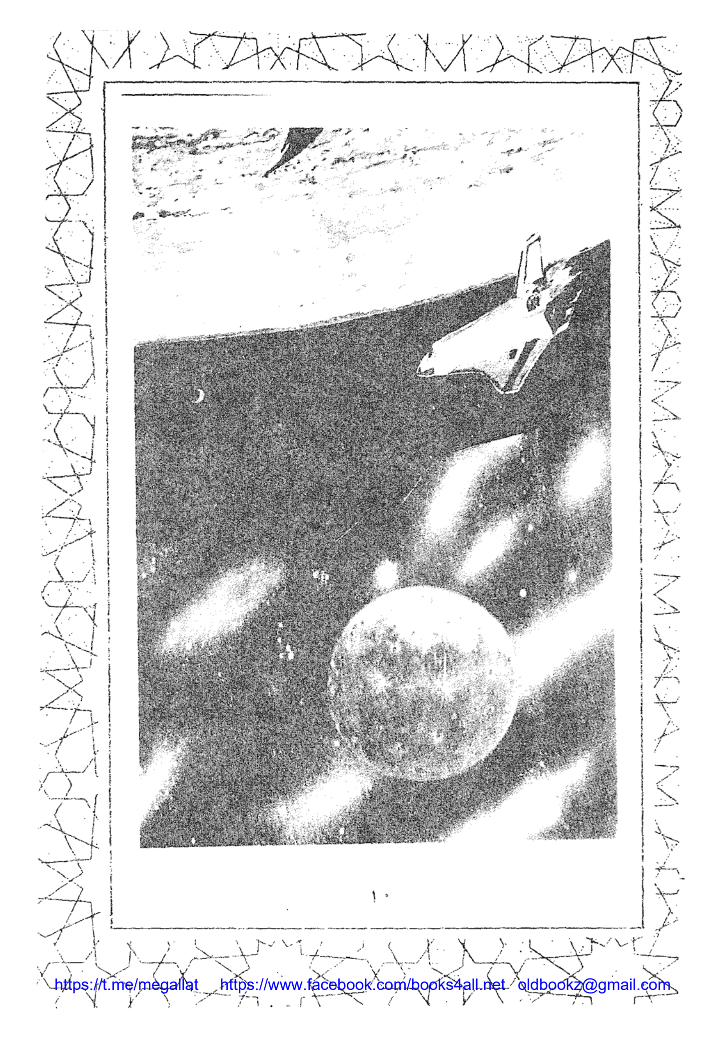
أجابت الجدة: لأنه لا يوجد هناك هواء فالهواء حول الأرض فقط.

أجابت العصفورة: لكنني سمعت يا جدتي أنَّ الإنسان سافر إلى القمر، ومشي على سطح القمر برجليه؟.

قالت العجوز: هذا صحيح. لكنّه سافر بواسطة طائرة كبيرة تدعى «المركبة الفضائية». وأخذ معه كل ما يحتاج. هواء، وماء وغذاء.

ـ وهل القمر بعيد يا جدتي؟





ـ يبعد القمر عن الأرض مائتان وأربعون ألف ميل تقريباً.

ـ وإلى أين يسافر القمر يا جدتي؟

ـ القمر لا يسافر إيتها العصفورة، إنه يدور حول الأرض فقط.

ـ وكم يستغرق القمر حتى يدور حول الأرض دورة كاملة يا جدتي؟

ـ يستغرق القمر حتى يدور حول الأرض دورة كاملة ثلاثين يوماً.

ـ سمعت يا جدتي أن القمر يولد صغيراً، ثم يكبر. فمن هي أمّ القمر يا جدتي؟

ـ القمر ليس له أم يا عصفورتي.

ـ سامحك الله يا جدتي، وهل يولد أحدٌ من غير أم؟

ـ القمر يا صغيرتي كوكب يدور حول الأرض، ويسقط عليه ضوء الشمس فينير الجانب الذي يطل علينا ويبقى الجانب الآخر مظلماً.

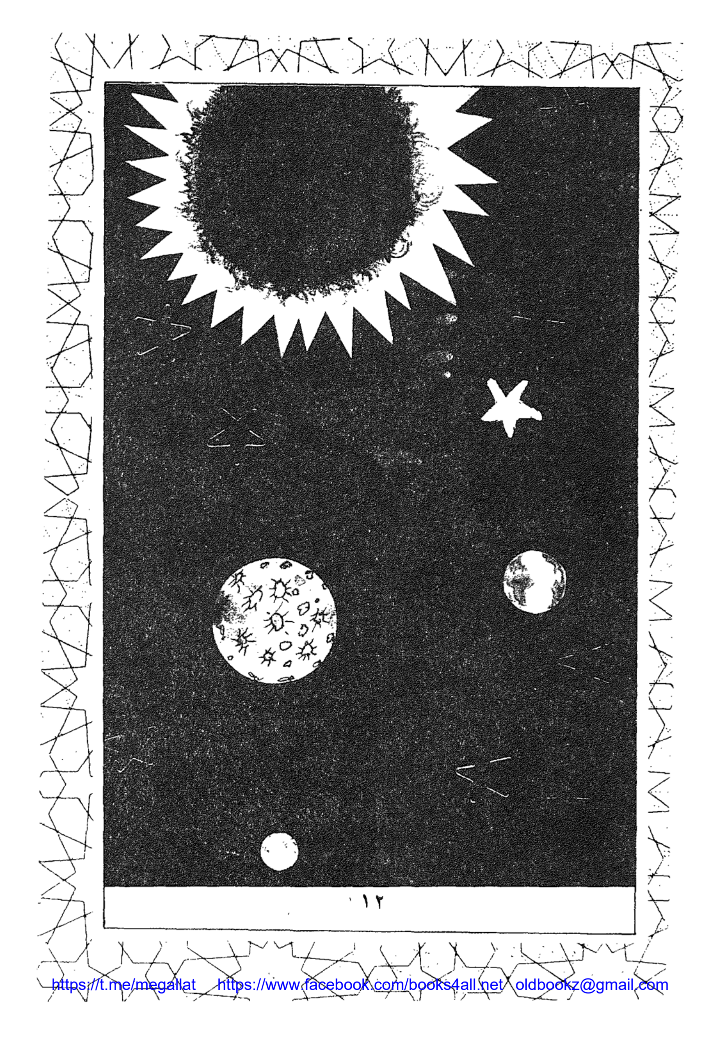
ـ إنّ جدتي كبرت وبدأت تتكلم كلاماً غير معقول.

ـ ماذا تتكلمين يا صغيرة؟

ـ لا شيء... لا شيء.

ـ ولماذا يبقى الجانب الآخر من القمر مظلماً؟

ـ لنفرض أننا وضعنا كرة أمام مصباح فإن أشعة المصباح ستسقط على الجزء



الأمـامي من الكرة، بينما لا تسقط أشعة المصباح على الجزء الخلفي. وصـديقنا القمر كذلك ينظر إلى الشمس من جهة واحدة أثناء دورانه في الفضاء فتكون هذه الجهة مضيئة والجهة الأخرى مظلمة.

ـ أفهم من حديثك يا جدتي أن القمر يختلف عن الشمس بل يحتاج إليها، ويعتمد على أشعتها، فما الفرق بينهما.

ـ الشمس يا صغيرتي: كرة ملتهبـة ترسل أشعتها وضوْها بكل اتجاه بينما القمر كوكب جامد مثل الأرض يحتاج إلى ضوء الشمس مثلها.

ـ كنت أظن أنّ جدتي أصابها الخرف، لكنها على ما يبدو تتكلم كلاماً معقولاً.

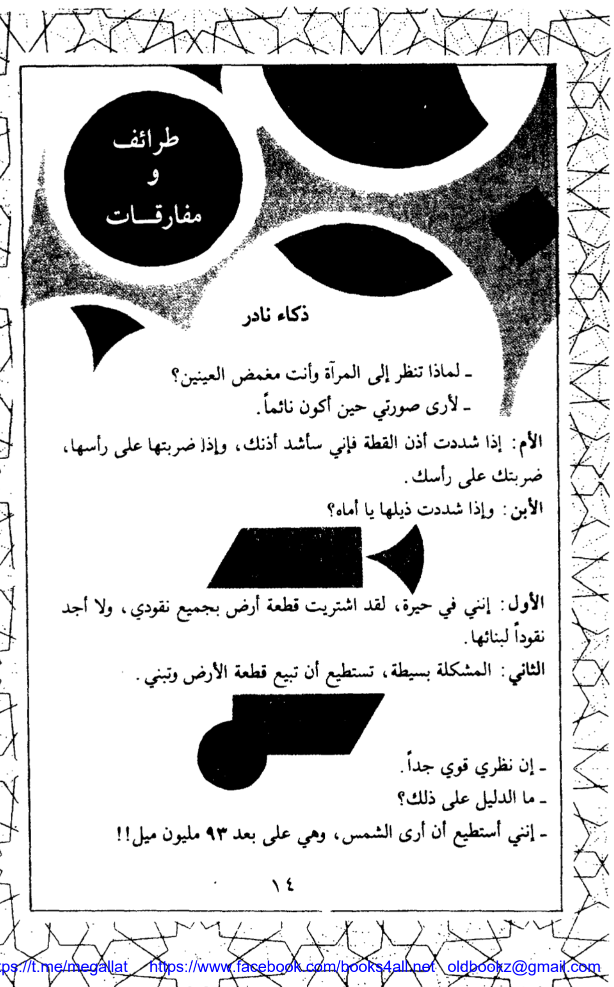
ـ ماذا تتكلمين كل مرة بصـوت منخفض يا عصفـورة؟ إذا كان كلامي لا يعجبك فلا تسأليني مرة أخرى؟

ـ لا يا جدتي. لا والله. إنّ حديثك جميل جداً. وفيه معلومات رائعة. ولكنَّ الأمر الذي لم أفهمه، هو: كيف يعمل القمر حتى يرينا جزءاً صغيراً من جانبه المضيء، أول الشهر ثم يكبر هذا الجزء كل يوم، حتى يصبح بدراً جميلاً في منتصف الشهر، ثم يبدأ بإخفاء نفسه يوماً بعد يوم حتى يختفي تماماً آخر الشهر؟

ـ أما جواب هذا السؤال فإننا سنتركه للمرة القادمة. ما رأيك يا عصفورة.

ـ كما تحبين يا جدتي.





ذكاء نادر

- لماذا تنظر إلى المرآة وأنت مغمض العينين؟
- لأرى صورتي حين أكون نائماً.

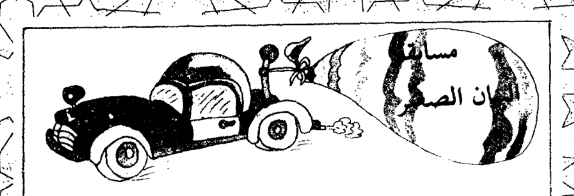
الأم: إذا شددت أذن القطة فإني سأشد أذنك، وإذا ضربتها على رأسها، ضربتك على رأسك.

الأبن: وإذا شددت ذيلها يا أماه؟

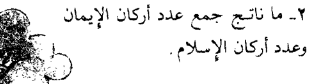
الأول: إنني في حيرة، لقد اشتريت قطعة أرض بجميع نقودي، ولا أجد نقوداً لبنائها.

الثاني: المشكلة بسيطة، تستطيع أن تبيع قطعة الأرض وتبني.

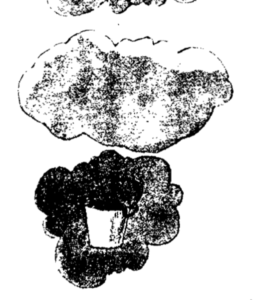
- إن نظري قوي جداً.
- ما الدليل على ذلك؟
- إنني أستطيع أن أرى الشمس، وهي على بعد ٩٣ مليون ميل!!



١ـ الحروف الأولى الموجودة في أسماء الصور الأربع المجاورة تكون إسم مكان يجتمع فيه المسلمون للعبادة ما هو؟



٢ـ ما ناتج جمع عدد أركان الإيمان وعدد أركان الإسلام.

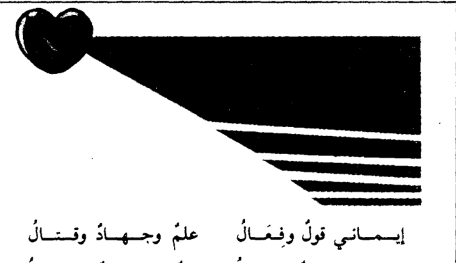


٣ـ كون جملاً مفيدة من الكلمات المبعثرة:

أ ـ الله ـ كنت ـ واتبع ـ اتق ـ تمحها ـ السيئة ـ حيثما ـ الحسنة.

ب ـ تملأ ـ شطر ـ والحمد ـ الإيمان ـ لله ـ الميزان ـ الطهور.

جـ ـ في ـ العبد ـ ما ـ العبد ـ عون ـ الله ـ في ـ كان ـ أخيه ـ عون.



إيـمـانـي قولٌ وفِـعَـالُ   علمٌ وجـهـادٌ وقـتـالُ

إيـمـانـي صومٌ وصـلاةُ   حجٌ مـبـرورٌ وزكـاةُ

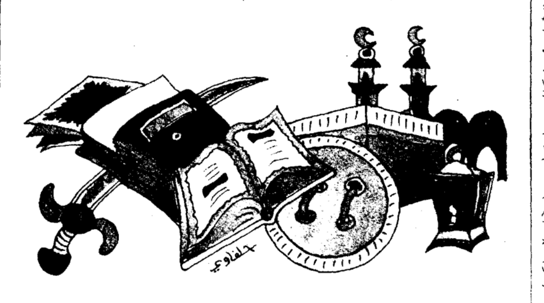
إيـمـانـي بَذلٌ وعـطاءُ   وحـديثٌ عذبٌ وصـفـاءُ

إيـمـانـي تسليم مطلقْ   لقـضـاءٍ عدلٍ ومحققْ

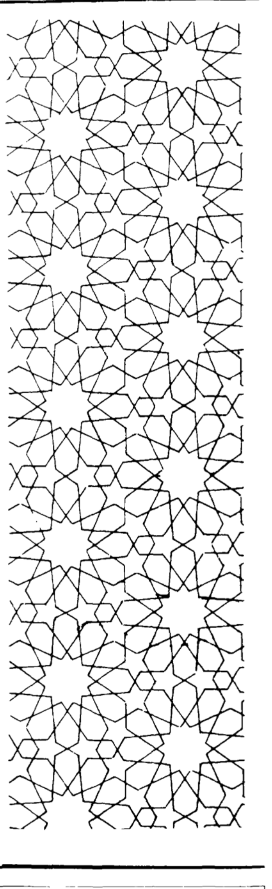
إيـمـانـي إعمـارٌ مبـدع   والله المـنعمُ والمبـدعْ

إيـمـانـي قولٌ وفِـعـالُ   تخشى من قولي الأبـطالُ

فالقـول كلام لا يجدي   مالم تصنعـه الأفعـالُ







العدد الثامن والثلاثون

شوال ١٤١١ هـ

٤/ ١٩٩١ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لنـدن

رئيـس التحـرير

محمد العبـدة

العنـوان

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 736 4255

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المسلمون في العالم ٦٨

دفاع عن المنهج
(٣)

لم يشعر المسلمون أنهم بحاجة إلى منهج يضبط أقوالهم وتصرفاتهم كما يشعرون في هذه الأيام، حيث أثبتت الأحداث الأخيرة أنه بغياب هذا المنهج ضاعت الرؤية الإسلامية الصحيحة، وغاب الوعي عن خطورة الأعداء، ووضح العجز عن اتخاذ موقف يرضي الله سبحانه وتعالى، موقف تاريخي لتعلقه بأحداث كبيرة لها شأن في مستقبل الأمة.

وللمرة الثالثة نعود لنؤكد أن المنهج الصحيح هو منهج أهل السنة، فهو العاصم من الزلل وهو الذي يهدي في حالك الظلمات، هذا المنهج هو الذي جعل أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقف من حركة الردة ذلك الموقف الصلب حتى أذعن له بقية الصحابة، وهو الذي عصم الإمام أحمد حين تساقط كثير من الشخصيات، وهو الذي جعل ابن تيمية يصمد للتتار في دمشق حين صمم أهلها على تركها خوفًا من الدمار الزاحف، وحين فكر العلماء أنفسهم بترك دمشق، وقد ذكرهم ابن تيمية بغزوة الأحزاب وأن النصر للمسلمين.

إن التمسك بهذا الميزان العادل والقسطاس ليس صعباً ولا هو من الأمور المستحيلة بل كما قال تعالى ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر ﴾ فهو يسير على من يسره الله عليه، وعسير على من لم يوفق لذلك لضعف في الرأي أو هوى خفي، أو لجهل في فقه الكتاب والسنة، ومبادئ الإسلام الكبرى في السياسة والحكم وفي الحرب والسلم، وفي تقدم الأمم ورقيها، وسنن الله في فشلها وذهاب ريحها.

إن هذا المنهج ليس للذين يقيسون الأمور بآرائهم، ويسمونها (اجتهاد) دون علم شرعي دقيق ودون فقه للولاء والبراء، ولا هو للذين يبترون النصوص مع قلة معرفتهم بالواقع ومعرفة مناط الحكم، والذين يتكلمون عن المصلحة لا يملكون وسائل الاجتهاد، فكيف يجتهدون في أمور خطيرة ؟! هلا استشاروا قبل أن يقدموا، وهلا دققوا في تحقيق المناط والإحاطة بكل جوانب القضية، وماذا يقول قادة الرأي وزعماء الأمة حين يتركون شعوبهم تتيه في بيداء الأوهام وهم المكلفون بقيادتها إلى مواقف العزة والكرامة، وإذا كانوا هم الرواد فإن الرائد لا يكذب أهله.

إن التمسك بالمنهج عند بعضهم كان نظرياً وعندما جاء التطبيق ابتعد كثيرا عن الأصل، بل إن بعضهم لا يحبون امتلاك منهج ما لأن هذا يتعبهم، وهم تعودوا التنقل حسب المزاج وما يسمونه (المصلحة) وهل هناك مصلحة غير مستنبطة من فقه الكتاب والسنة وتطبيقات هذا الفقه عندما كان المسلمون يعيشون في ظل الاستعلاء الإيماني اللهم لا مصلحة إلا في هذا الفقه ولا بد من العودة إلى هذا المنهج.

في إشراقة آية

﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾

د.عبد الكريم بكار

طالما وقفت خاشعاً في محراب هذه الآية الكريمة، وطالما غمرني ضياؤها بأشعته الهادية حيث أودع الرحمن عز وجل في كلمات قليلة من المعاني الكريمة الفياضة ما يمدنا بالمفاهيم النيرة كلما اتسعت مساحات الوعي لدينا وكلما تعاظم رصيدنا من التجارب.

وسأقف مع القارئ الكريم وقفات عدة في إشراقة هذه الآية نغرف من معينها النمير.

الوقفة الأولى:

تمثل هذه الآية مظهرا من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده حين رضي منهم أن يطيعوه على قدر طوقهم وقدرتهم؛ وهذا الأمر أحد أهم الأسس التي يرتكز عليها التشريع الإسلامي. وهو في الوقت ذاته أحد دعائم خلود الشريعة الغراء إذ أن تصرف الأيام والليالي يأتي بما لا يحصى من الظروف والأحوال، وحينئذ فإن قدرات الناس على القيام بأمر الله تتفاوت تفاوتاً كبيراً، وقد يجد المسلم نفسه في حالة طارئة خاصة لا يجد المفتي لها حكماً تفصيلياً يغطيها. وتأتي هذه الآية لتمثل المنطلق الرحب والناموس الأعلى الذي يحكم فقه الضرورات، وفقه ارتكاب أخف الضررين ودفع شر الشرين، وتشعر هذه الآية الكريمة المسلم

الذي وقع في ظروف حرجة ضاغطة بالطمأنينة بالسلامة من الإثم ما دام اتقى الله ما استطاع، كما أنها تستنهضه لمقاومة الظرف الطارئ وبذل الوسع في الاقتراب من المركز أكثر فأكثر، وهو إذ يفعل كل ذلك يشعر برقيب ذاتي منبعه خشية الله سبحانه وتعالى.

الوقفة الثانيـة:

إن دوائر الاستطاعة تتسع على صعيدي القيام والعمل كلما استطاعت الأمة أن ترق صعداً في سلم الحضارة. أما على صعيد القيم فإن التقدم المادي والتقني يهيء الظروف المناسبة لنشر القيم وقبولها وحملها، وإذا أخذنا قيمة (الحرية) باعتبارها واحدة من أخطر القيم المتفق عليها بشكل عام لوجدنا أن هذه القيمة ليست حالة يتصف بها الفرد أو دعوى يطلقها، وإنما هي عملية مواكبة للإمكانات التي يحصل عليها؛ فإذا ما امتلك الواحد منا ثروة كبيرة من المفردات اللغوية وجد نفسه حراً في اختيار الألفاظ والأساليب المتعددة التي تمكنه من نقل المعلومة التي يريد إيصالها لمخاطبيه مهما تفاوتت مستوياتهم الثقافية. ومن توفرت في بلاده فرص كثيرة للعمل بشروط ميسرة وجد نفسه قادراً على رفض ما يمكن أن يتعرض له من ظلم أو حيف من أرباب العمل وعلى رفض ما يعده مهنة شاقة أو غير مناسبة، وهو بذلك يجد أمامه مجالات واسعة للحركة وقدراً أكبر من الخيارات المريحة، وقد عبر العرب قديماً عن هذه الحالة بمثل شائع حين قالوا: (من أخفض تخيّر).

وفي المقابل فكيف يمكن لمن بحث عن فرصة للعمل سنوات عدَّة حتى عثر عليها أن يتصرف كما تصرف الأول، وأن يشعر بأنه قادر على أن يكون حراً يأبى الظلم ويعيش بعيداً عن القسر والقهر ؟!!

وأما على الصعيد العملي فإن أكثر المخترعات أعطت جوارح الإنسان نوعاً من الامتداد في سلطانها وقدراتها؛ فالآلة مدَّت في سلطان اليد والطائرة في سلطان

الرجل والهاتف في سلطان السمع و(الرائي) في سلطان العين وهكذا..

ويترتب على اتساع دوائر الاستطاعة تعاظم المسؤولية ووجود إمكانات جديدة للمزيد من التقوى وبهذا الاعتبار فإن العمل لتحسين المناخ العام الذي يعيش فيه المسلم عبادة لله تعالى تهيء الناس لمزيد من الطاعات والعبادات، وإذا ما حدث خلل في الارتباط بين الاستطاعة والتقوى فإن ذلك يعني نوعاً من البغي الممقوت الذي يخل بالتوازنات العميقة للفرد كما يستنزل المحن والعقوبات له.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى عقوبة شيء من ذلك الخلل حين ذكر الملك الكذاب في جملة من لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم إذ أن السلطان ذو قدرات كبيرة فإذا لم يواكبها الصدق أحدث من الضرر ما لا تنفع معه رقابة الرقباء ! ولذلك استحق العقوبة التي تتناسب مع فعله.

الوقفة الثالثة :

لكل منا طاقات محدودة في مجالات محددة، ولكل منا طموحاته وأهدافه التي يرمي إلى تحقيقها في هذه الحياة قبل أن يرحل وتنتهي الإمكانات والطموحات؛ ومهما كانت قدرات الإنسان كبيرة فهي محدودة، ونشاهد في كثير من الأحيان أن طموحاتنا أكبر من طاقاتنا، وكثير منا يصاب آنذاك بالعجز والإحباط ويؤدي بنا هذا إلى البقاء في إجازة مفتوحة !!

وهذا مع علمنا بأن التكليف على قدر الوسع، ولو أننا باشرنا ما هو ممكن اليوم لصار ما هو مستحيل اليوم ممكناً غداً، ولنوضح هذا بمثال صغير، فلو أننا عمدنا إلى طفل في الخامسة من عمره لم يدخل المدرسة، وطلبنا منه كتابة اسمه لوجد أن ذلك بالنسبة له مستحيل، فإذا علمناه كتابة حروف اسمه حرفاً حرفاً، ثم علمناه الوصل بينها لوجد أن ما كان مستحيلاً قبل ساعة صار الآن ممكناً وهكذا...

ونحن في كثير من الأحيان نطوف في المجلس الواحد في أنحاء العالم الإسلامي متألمين لما يحدث للمسلمين، وشاكين من التآمر عليه، ثم ينفض المجلس على نحو ما انعقد عليه دون ان يستفيد مسلم من شيء مما قلناه، وذلك لأننا لم نباشر الممكن، وإنما أذهبنا أوقاتنا في الحديث عن أمور لا حول لنا ولا طول في التأثير فيها!!

ولو أننا تحدثنا بما يصلح أمراً من أمور الحي أو في كيفية جعل فلان من الناس يرتاد المسجد لكان ذلك أنفع للمسلمين وأبرأ للذمة من شيء مشغولة به.

الوقفة الرابعة :

إن النبي صلى الله عليه وسلم تركنا على المحجة البيضاء، ووقع التكليف من الله تعالى باتباع ذلك المنهج والتزامه على قدر الوسع والطاقة، وهذا التكليف سنة الله تعالى في الأنبياء عليهم السلام وسنة أممهم؛ فقد مكث نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين، وكانت حصيلته في ذلك وصف الله تعالى: **﴿وما آمن معه إلا قليل﴾** [هود ٤٠] نعم إنهم قليل حملتهم سفينة واحدة ومع هذا فإن نوحاً ظل رسولاً من أولي العزم الأبرار، ذلك لأن المنزلة على مقدار الجهد الموافق للمنهج المنزل، وليس على مقدار ما يحقق من نجاح وفلاح.

ولكن الذي يحدث في بعض الأحيان أننا نضع أهدافاً معينة نريد الوصول إليها عاجلاً، ولو كانت هذه الأهداف تستدعي الضغط على المنهج أو القفز عليه أو الانحراف عنه، وحين يحدث ذلك تفقد الدعوة انسجامها الذاتي كما تهتز الفلسفة النظرية التي تستند إليها؛ وربما أدى ذلك إلى استعمال وسائل غير مشروعة.

ولا يعني هذا أن نعفي أنفسنا من عمليات المراجعة، بل يعني أن المراجعة المطلوبة هي التأكد من موافقة أساليبنا ووسائلنا للمنهج الرباني الذي تعبدنا الله تعالى باتباعه والحركة على هديه.

«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»

محمد المنجد

حديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، مشتمل على آداب جمة، حتى عده بعض علماء الإسلام أحد أربعة أحاديث تتفرع عنها أبواب الخير، وعده أبو داود رحمه الله أحد أربعة أحاديث التي يدور عليها مسنده.

- «من حسن» تربوية تورث في النفس التحفز لنيل المطالب العالية، والوصول للكمال، ومحاولة تحسين المرء لإسلامه.

- وكلمة «ما» تدل على أن الحديث يعمُّ جميع الأقوال والأفعال.

- وكلمة «ما لا يعنيه» أي ما لا يهمه في دنياه وآخرته سواء كان ذلك في شؤون نفسه أم من شؤون الآخرين.

- وتحديد ما يعني منا يعتمد على الشرع ويُستمد منه، كما يدل على ذلك إسلامُ الواردة، فليس الناس الذين يحددون ذلك بأهوائهم وشهواتهم، إذا لفسدت السموات والأرض.

أولاً:

نماذج مما لا يعني المسلم عموماً، والداعية خصوصاً في أمر نفسه:

- أنواع اللهو واللعب التي تصد عن ذكر الله ويدخل فيها كثير من وسائل

الترفيه والتسلية اليوم كالأسفار التي لا يقصد بها غرض شرعي، كجهاد أو دعوة إلى الله، أو هرب من أعداء الله، أو دنيوي صحيح كالتجارة المباحة وطلب التداوي النادر.

- كثير من الهوايات المضيعة للوقت والمال، كجمع التحف النادرة واللوحات الفنية التي تزخر بها بيوت الأثرياء، ينفقون فيها الأموال الطائلة، ويخصصون لها زوايا في بيوتهم.

ولنسائل أنفسنا بتجرد: ماذا تفيد هواية جمع الطوابع، او العملات والصور وغيرها من صلاح في الدين أو الدنيا ؟

القراءات الفارغة، وعند بعض الناس اليوم مضمونها جاهلي بعنوان (القراءة للقراءة) فيقرأ ولا يميز بين الغث والسمين، والضار والنافع، ومن أمثلة تلك القراءات:

- قراءة القصص والروايات والمقالات الرديئة التي تثير الغرائز بالطرق المحرمة، أو تحلق بالقارىء في أجواء الخيال، أو تورث في نفسه دافع العنف والإجرام أو الإعجاب بشخصيات الكفار.

- الإفراط في قراءة دقائق الأخبار وتفاصيلها التي لا تهم المسلمين، ومتابعة الجرائد والمجلات المتكاثرة ووسائل الإعلام الأخرى، وقد يدخل الشيطان على المسلم في ذلك من باب تكوين الوعي والإلمام بأمور السياسة العالمية، والحق أن الناس يختلفون في هذا ويتفاوتون، والشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده.

- القراءة في الكتب والمجلات ذات الاهتمامات التافهة، ككتب التراث الشعبي والمأكولات والأزياء المختلفة، وأخبار الفن الفاجر، وكم أضرت تلك القراءات بمن يفترض أنهن محاضن للجيل المسلم.

الخوض في بعض مسائل تنسب للعلم ولا تبنى عليها فائدة في الدنيا ولا في الآخرة وليس إلى معرفتها سبيل صحيح فيها كبعض تفاصيل أخبار الماضين وآثارهم.

ومن مسؤولية طالب العلم أن يفرق بين مثل هذا والتحقيقات العلمية المفيدة، وعلى أية حال فكل مسألة لا يبنى عليها عمل ولا عقيدة (سواء أكان قول القلب أو عمل القلب أو قول اللسان أو عمل الجوارح، خلافاً لما يفهمه البعض عند ذكر مثل هذه القاعدة) فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه.

ولذلك نُهي عن الأغلوطات، وذم السلف المسائل وعابوها، ومنها السؤال عما هو مستبعد الوقوع أو لا يقع عادة.

ويرتبط بما سبق ما يقع اليوم عند بعض الغثائيين من انفاق الأوقات في تآليف وتحقيقات (زعموا) فائدتها لا تساوي الاشتغال بها وقيمة محتوياتها لا تساوي الورق الذي أُنفق فيها.

أو الخوض في مسائل القضاء والقدر مثلاً، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إذا ذكر القدر فأمسكوا».

ثانيا :

نظرات فيما لا يعني المسلم الاشتغال به من شؤون الآخرين:

التدخل في خصوصيات الآخرين وشؤونهم مما لا يصادم الشريعة الإسلامية وليس مجالاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سلبية عمت الكثيرين وهي نابعة من غريزة الفضول وحب الاستطلاع.

ومن أمثلة هذا النوع :

- محاولة معرفة الأخبار الخاصة عن طريق الأسئلة الملحة المزعجة المتكررة، من أين جئت؟ وإلى اين ستذهب؟ ومن كان عندك في البيت؟ ...الخ.

التدخل المزعج بفرض الرأي على الشخص الآخر في الأمور العائدة إلى الذوق المباح، كطريقة ترتيب أثاث المنزل وألوان السلع المشتراة ونحو ذلك.

التجسس بأنواعه وهو أخطرها، وورد النهي المقتضي للتحريم عن جميع أنواع ووسائل التجسس على المسلم بكلمة واحدة من كتاب الله **﴿ولا تجسسوا﴾** كنهي الرجل أن ينظر في كتاب أخيه إلا بإذنه.

ولنا عند هذا الموضوع وقفات تندرج تحت ما يمكن أن نطلق عليه أصلاً من الأصول في هذا الموضوع، وهذا الأصل هو أن التدخل يختلف حكمه باختلاف الأشخاص والأحوال.

من التدخل ما يكون دعوة إلى الله ونصحاً في الدين وليس تدخلاً فيما لا يعني، كنهيك الرجل عن منكر يفعله حتى ولو كان ضرره مقتصراً عليه يفعله وحيداً داخل بيته.

وهنا يبرز ادعياء التحرر ويقولون هذا تدخل في الحريات الشخصية، وهذا متوقع من أناس لا يفقهون مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن والسنة وأهميتها في دين الله، وللرد عليهم موطن آخر، ويكفينا حديث البخاري رحمه الله في القوم الذين استهموا على سفينة.

ومنه ما يكون وجيهاً معتمداً على صلة القرابة فالأب والأم أو الإخوة لهم التدخل في أمور لا يصح أن يتدخل فيها غيرهم.

فمثلاً الأب الصالح يحق له معرفة أين كان ولده، ومن يصادق، وله عليه الولاية وحق التأديب.

ومن التدخل ما يكون مطلوباً معتمداً على الصلة التربوية بين المعطي والمتلقي، والمربي والمربى من أمور التربية والتهذيب والتعليم، إلا أن تدخل المربي في بعض الأحوال الشخصية لمن يربيه ضروري في تسديده وتقويم اعوجاجه. وتفصيل هذا طويل قائم على المصلحة الشرعية، ويتضح في الواقع العملي، وفي الإشارة العابرة ما يغني عن الكَلِم.

ومما يضبط التدخل أيضاً، «درجة الاستفصال» عند السؤال، فلو قابل رجل أخاه المسلم فسأله أتزوجت أم لا فقال نعم فقال له بارك الله لك وبارك عليك... لَعُدَّ هذا أمراً حسناً من واجب سؤال المسلم عن أحوال أخيه المسلم، أما لو زاد عن ذلك واستفصل منه عن شيء محرج؛ لَعُدَّ هذا تدخلاً مستهجناً.

وقدوتنا عليه الصلاة والسلام كانت كل استفصالاته في موقعها، تدل المسلم على خير أو تحذره من شر.

ولو استعرضنا مثلاً حديث جابر في البخاري لّما سأله عليه الصلاة والسلام عمن تزوج بها أبكراً أم ثيباً فقال بل ثيب فقال عليه الصلاة والسلام «فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك» فالسؤال هنا ليس تطفلاً أو مجرد حب استطلاع، حاشا وكلا، وإنما سؤال المعلم الذي يريد من وراء السؤال التوصل إلى نفع المسؤول.

ولما عرف السلف حدود السؤال والتدخل، ارتقت حياتهم الاجتماعية إلى مستويات لم يعرفها العالم من قبل.

فهذا سعيد بن المسيب رحمه الله لما زوج ابنته الجميلة الفقيهة من تلميذه الفقير ثم سأله كيف وجدتَ أهلك (سؤال عام) فقال بخير على ما يحب الصديق ويكره العدو، لم يتدخل سعيد رحمه الله أكثر من ذلك وإنما قال إن رابك شيء فالعصا، والقصة مشهورة في السير للذهبي وغيره.

ومن التدخل ما يكون حسناً في الأمور الدنيوية المباحة، كإبداء الخبرات والإشارة بالرأي من غير إلزام من باب تقديم النصيحة.

ولما جهل الناس اليوم حدود السؤال والتدخل، انقسموا قسمين:

وقع الأول في الإفراط والثاني في التفريط، قسم يدسون انوفهم في كل شيء، فجروا على حياتهم وحياة غيرهم شقاء ونكدا. وقسم وقع في التفريط فلا يسأل عن أحوال إخوانه مطلقاً، فوقعت القطيعة وانقصمت عرى الأخوة.

ونتيجة لفقدان تمييز أواسط الأمور، فقدْ فَقَدَ السؤال عن الحال والصحة الأهمية اليوم وأصبح أمراً شكلياً لا تأثير له في نفس السائل والمسؤول.

ومن تبلُّد الإحساس وخمود حرارة الإيمان أن ينظر بعض المسلمين اليوم إلى أحوال إخوانهم المستضعفين في الأرض والمنكوبين نظرة اللامبالاة والإهمال الشديد لأن أمرهم لا يعنيهم بزعمهم ما داموا بعيدين وما دامت القارعة لم تحل في دارهم، فالاهتمام هنا والاعتناء من حسن الإسلام، والقاعدة عندنا: من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

وبالجملة فقد يكون التدخل واجباً مثل التدخل لتغيير المنكر، ويأثم لو لم يتدخل وهو يستطيع.

وقد يكون التدخل مستحباً، مثل التدخل لتحسين وضع أخيك في طريقة كلامه مثلاً.

وقد يكون التدخل مباحاً، كسؤال إنسان هل سافر أم لا.

وقد يكون التدخل مكروهاً، مثل سؤال رجل يتحرج في الجواب في أمر خاص به.

وقد يكون التدخل محرماً، مثل التجسس على المسلم.

فالعلم الشرعي عامل أساسي للتدخل من عدمه.

تتمة وقفة البوطي مع ابن تيمية*

عبد القادر حامد

مر معنا في المقال السابق تصوير البوطي لابن تيمية، وقد كانت تلك الصورة على ما قد بيناه من استهزاء وبعد عن الإنصاف، وحطة في الأسلوب تعكس نفساً قلقة بعيدة عن الاتزان.

وقد حاول البوطي جهده في رسمه تلك الصورة أن يضع في وهم قرائه أن ديدن ابن تيمية هو هكذا: اضطراب وتطويح وتناقض، وصال وجال مشيراً إلى هنة هنا، وهنة هناك، مما يعتبره هو مآخذ على ابن تيمية، ولكن حينما أحس أن هذه الهنات قد لا تقنع قراءه برأيه في ابن تيمية هز كتفيه ونفض كنانته؛ فأخرج منها هاتين الفاقرتين:

١- المسألة الأولى:

تعليق لابن تيمية على كتاب (مراتب الإجماع) لابن حزم.

٢- المسألة الثانية:

رأي ابن تيمية في مسألة الكسب عند الأشاعرة.

أما المسألة الأولى؛ فهي مسألة حاول أعداء ابن تيمية قديماً وحديثاً أن

* سقطت من عنوان المقال في العدد الماضي كلمة: (البوطي) خطأً، فنرجو المعذرة.

يستخدموها للنيل منه، فراشوا بها سهامهم، والبوطي يسير على هدي الكوثري عند تعرضه لهذه المسألة، ورأي الكوثري في ابن تيمية معروف ومشهور. أما تحليل هذا الموقف وأسبابه فلا زال يحتاج إلى مزيد من إلقاء الضوء عليه، لأن نتائج هذا التحليل لها صلة بالمنهج العام الذي تقبل بمقتضاه الأقوالِ أو ترد، ويقوم على أساسه فهم المسلم لتاريخه الفكري، وتتضح على ضوئه المؤثرات التي كان لها فعلَ سيء في حياة المسلمين خلال القرون الماضية. وشخص كالكوثري في تركيبته الفكرية وخلفيته التربوية لا يمكن إلا أن يكره ابن تيمية وكل ما جاء به.

فابن تيمية له رأي فذ في العلاقة بين العرب والإسلام، وارتباط الإسلام باللغة العربية، ويرى أن كره العرب نفاق، هذا مع أنه يقول: «فضل الشخص لا يستلزم فضل الجنس»، والكوثري أبسط ما يقال فيه من هذه الناحية أنه شعوبي، وشعوبيته قد أدخلته مداخل صعبة وعنَّته عناءً يعرفه من قرأ له.

وابن تيمية حر التفكير، حرب على التقليد والجمود، لا يسير خطوة دون الاهتداء بالدليل، والكوثري مقلد جامد ومتعصب ضيق العَطَن، حبس نفسه في حدود المذهب الحنفي، ويرى أن الإسلام هو هذا المذهب فقط، فهو لذلك حرب على الشافعية، والمالكية، وسم زعاف على الحنابلة، أما كبار علماء الحديث فأقل ما يقوله فيهم أنهم «حشوية»، أما ما يقوله في كل واحد منهم على انفراد: من تجنٍ وتحامل وتعسف، ومن تهم باطلة، ومن بعد عن منهج العلماء في النقد؛ فأمره مشهور وشرحه يطول. وهكذا فقد حجّر واسعاً، ورسم لنفسه دائرة ضيقة من دخلها فهو منه، ومن لا فلا !

هذا هو الكوثري الذي يسير البوطي على خطاه، فهل مثل هذا الصنف

من يقبل قوله في خصمه ؟! أخصم وحكم ؟!

ولنعد الآن إلى المسألة التي أعتبرها البوطي مقتلا من مقاتل ابن تيمية، وهي ما جاء في تعليقه على مراتب الإجماع لابن حزم والتي قامت لها قيامة البوطي.

ونريد أن نناقش بعض ما ساقه من الدعاوى واحدة واحدة باختصار، فنقول:

هل صحيح أن ابن تيمية «**يكفر خصومه لأدنى المواقف الاجتهادية التي قد يخالفهم فيها**» ؟! لم يسق لنا البوطي دليلاً واحداً على ذلك، بل إن هذه المسألة التي اهتم لها وحشد لها بعض ما في جعبته من زخيص التهم العشوائية دليل على أن ابن تيمية ليس ممن يهجم بالتكفير لأدنى المواقف الاجتهادية التي تخالف رأيه. ولينظر الشيخ البوطي في هذه المسألة هادئ النفس والنَفَس وسيتبين له ذلك. وكذلك فإن لابن تيمية كلاماً في غير موضع من كتبه يدل بصريح العبارة على عكس ذلك، فمن ذلك قوله:

«...هذا مع أني دائماً – ومن جالسني يعلم ذلك مني – أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية، إلا إذا عُلِمَ أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة؛ وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وأني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية» [مجموع الفتاوى ٣/٢٢٩].

ومن ذلك أيضاً قوله – مما يصلح أن يكون ضابطاً للتكفير، ودرساً للذين يلقون الكلام على عواهنه –:

«ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة، فإن الله تعالى قال: **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾** وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم.

والخوارج المارقون الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين. واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لأنهم كفار. ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم.

وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم ؟ فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن تكفر الأخرى ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضاً ؟ وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه.

والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض لا تحل إلا بإذن الله ورسوله. قال النبي صلى الله عليه وسلم لما خطبهم في حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام

كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا» وقال صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه». وقال صلى الله عليه وسلم: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ذمة الله ورسوله» وقال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»، قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول ؟ قال: «إنه أراد قتل صاحبه» وقال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، وقال: «إذا قال المسلم لأخيه يا كافر! فقد باء بها أحدهما»، وهذ الأحاديث كلها في الصحاح.

وإذا كان المسلم متأولاً في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك كما قال عمر ابن الخطاب لحاطب بن أبي بلتعة: يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه شهد بدراً، وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟ » وهذا في الصحيحين.

وفيها أيضاً: من حديث الإفك: أن أسيد بن الحضير قال لسعد بن عبادة: إنك منافق تجادل عن المنافقين، واختصم الفريقان، فأصلح النبي صلى الله عليه وسلم بينهم. فهؤلاء البدريون فيهم من قال لآخر منهم: إنك منافق، ولم يكفر النبي صلى الله عليه وسلم لا هذا ولا هذا، بل شهد للجميع بالجنة.

وكذلك ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد أنه قتل رجلاً بعد ما قال لا إله إلا الله، وعظم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لما أخبره، وقال: «يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟» وكرر ذلك عليه حتى قال أسامة: تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ. ومع هذا لم يوجب عليه قوداً، ولا دية

ولا كفارة، لأنه كان متأولاً ظن جواز قتل ذلك القائل لظنه أنه قالها تعوذاً.

فهكذا السلف قاتل بعضهم بعضاً من أهل الجمل وصفين ونحوهم وكلهم مسلمون مؤمنون كما قال تعالى: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾** فقد بين الله تعالى أنهم مع اقتتالهم، وبغي بعضهم على بعض إخوة مؤمنون، وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل.

ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضاً موالاة الدين؛ لا يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم عن بعض ويتوارثون ويتناكحون ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض؛ مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه «أن لا يهلك أمته بسنة عامة فأعطاه ذلك، وسأله أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطاه ذلك، وسأله ألا يجعل بأسهم بينهم فلم يعطه ذلك» وأخبر أن الله لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم يغلبهم كلهم حتى يكون بعضهم يقتل بعضاً وبعضهم يسبي بعضاً.

وثبت في الصحيحين لما نزل قوله تعالى **﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾** قال «أعوذ بوجهك» **﴿أو من تحت أرجلكم﴾** قال «أعوذ بوجهك» **﴿أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾** قال «هاتان أهون».

هذا مع أن الله أمر بالجماعة والائتلاف، ونهى عن البدعة والاختلاف،

وقال: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة» وقال: «الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد» وقال: «الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم والذئب إنما يأخذ القاصية والنائية من الغنم» [مجموع الفتاوى ٣/ ٢٨٣-٢٨٦]

وكذلك يشير إلى ضوابط تكفير أهل البدع في ٣٥٣/٣ من مجموع الفتاوى فليراجع.

فلا ندري بعد ذلك ماذا سيقول الشيخ في هذه النصوص من أقوال ابن تيمية، لعله يهز كتفيه ويقول: يعني ماذا ؟ لقد أثبتنا في كتابنا هذا أن ابن تيمية متناقض! وعندها يكون السكوت أفضل.

وبعد أن سقنا من أقوال ابن تيمية ما يكذب الدعوى بأنه «يكفر خصومه لأدنى المواقف الاجتهادية التي يخالفهم فيها»؛ نقول أيضاً: إن هذه المسألة التي يتواصى بها خصومه شاهد على عكس ذلك، أي على أن ابن تيمية يتريث، ويبحث، ويستوثق قبل أن يحكم. ويتحرج من إلقاء تهمة الكفر، أو إعلان الإجماع عليها دون تثبت. فكيف ذلك ؟ فلننقل عبارة ابن تيمية التي نقلها البوطي، وتحكم فيها ما تحكم، وحذف منها ما حذف، وفهم منها ما فهم، وسخر منها ما سخر، ولنضعها بين حاصرتين ولننظر فيها نظر من يريد أن يفهم؛ لا من يريد أن يصطاد ويشوه.

يقول ابن تيمية:

«قلت: أما اتفاق السلف وأهل السنة والجماعة على أن الله وحده خالق كل شيء فهذا حق. ولكنهم لم يتفقوا على كفر من خالف ذلك، فإن

القدرية الذين يقولون: إن أفعال الحيوان لم يخلقها الله، أكثر من أن يمكن ذكرهم من حين ظهرت القدرية في أواخر عصر الصحابة إلى هذا التاريخ. والمعتزلة كلهم قدرية، وكثير من الشيعة، بل عامة الشيعة المتأخرين، وكثير من المرجئة والخوارج وطوائف من أهل الحديث والفقه نسبوا إلى ذلك منهم طائفة من رجال الصحيحين. ولم يجمعوا على تكفير هؤلاء». [نقد مراتب الإجماع ١٦٨]

ما معنى هذا ؟

إن هذا النص سيق أصلاً للرد على من ادعى إجماع السلف من أهل السنة والجماعة على تكفير من خالف هذه المقدمة: «**الله وحده خالق كل شيء**».

فالمسألة هنا ليست مسألة إثبات هذه الحقيقة ونفي عكسها، وإنما هي إثبات دعوى الإجماع على أمر آخر، وهو تكفير من قال قولاً يخالف ما انطوى عليه هذا العموم، فالسلف وأهل السنة والجماعة الذين اتفقوا على أن الله خالق كل شيء، لم يتفقوا على تكفير من خالف ذلك، أي إن منهم من كفَّر، ومنهم من لم يكفِّر. ثم استطرد ابن تيمية مفصلاً، فذكر من هؤلاء الذين لم يجمع السلف على تكفيرهم: القدرية، وكثير من الشيعة، بل عامة الشيعة المتأخرين، وكثير من المرجئة والخوارج، وطوائف من أهل الحديث والفقه، بل وبعض رجال الصحيحين نسب إليه القول بأن: «أفعال الحيوان لم يخلقها الله».

إذن، هناك رجل (وهو ابن حزم) يقول: اتفق السلف على كفر من خالف القول بأن الله خالق كل شيء.

ورجل ثانٍ (وهو ابن تيمية) يقول: لا، لم يتفق السلف على كفر من خالف ذلك: فمنهم من كفر، ومنهم من لم يهجم بالتكفير.

ورجل ثالث (وهو الكوثري)، يتتبع الثاني بما لا طائل تحته.

ورجل رابع (وهو البوطي) يؤيد الأول، ويستظهر بالثالث، ويتهم الثاني «بالخلط والتخبط» طبقاً لمبدأ «رمتني بدائها وانسلت» !

أما الأول: فساق القضية مجردة عن الدليل، على سبيل التعداد.

وأما الثاني: فذكر أدلته فقال: دليلي على أن لا إجماع على القول بالتكفير لمن خالف منطوق أن الله خالق كل شيء أنني وجدت طوائف من المسلمين (وسماهم) لم يتفق السلف وأهل السنة والجماعة على تكفيرهم، بل تنازعوا في كفرهم، ومعلوم أن ابن تيمية ينقل ما يعرف، وهو الذي عاش في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن، ومن يدري فلربما لو كان البوطي معاصراً له وبلغه قوله هذا لأثبته، كأن يقول: أما ماقاله البوطي في كتابه السلفية[1]: «غير أنني ما سمعت وما رأيت إلى هذا اليوم أن القدرية يعتقدون أن أفعال الحيوان لم يخلقها الله، وها هي ذي كتب الفرق والملل والنحل أمامنا، ولم أجد في شيء منها مثل هذا النقل عنهم» فيقال له: ما دامت كتب الفرق والملل والنحل أمامكم فافتح منها الجزء الثالث من: (الفِصَل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم) ص ٥٤ واقرأ:

«قال أبو محمد: اختلفوا في خلق الله تعالى لأفعال عباده، فذهب أهل السنة كلهم، وكل من قال بالاستطاعة مع الفعل؛ كالمريسي، وابن عون، والنجاربة، والأشعرية، والجهمية، وطوائف من الخوارج، والمرجئة،

١- ص ١٦٦

والشيعة؛ إلى أن جميع أفعال العباد مخلوقة، خلقها الله عز وجل في الفاعلين لها. ووافقهم على هذا موافقة صحيحة من المعتزلة: ضرار بن عمرو، وصاحبه أبو يحيى حفص الفرد. وذهب سائر المعتزلة، ومن وافقهم على ذلك من المرجئة، والخوارج والشيعة إلى أن أفعال العباد محدثة، فعلها فاعلوها، ولم يخلقها الله عز وجل.»

فماذا عسى البوطي يقول بعد ذلك ؟ أيصر على تكذيب ابن تيمية ويجمع إليه تكذيب ابن حزم الذي يدافع عنه ؟ هذا لا يكون ! لأن القضية تسقط برمتها حيث سقط موضوعها.

لقد كان البوطي في غنى عن هذه النهاية التي انتهى إليها لو أنه قرأ كلام ابن تيمية كاملاً[1]، ولم يحذف منه ما حذف ومع ذلك تراه يقول: «**هذا هو كلام ابن تيمية بطوله**»!، والقارئ يعجب ويحار في تفسير هذا الحذف في هذا الموضع: هل هو الحرص على تكذيب ابن تيمية وعدم الثقة فيما ينقل، مع أن الرجل لم يرمه أحد من خصومه بالكذب والتقول، وخاصة في نقل آراء الناس والفرق، بل المشهور عنه أن الناس تضبط ما عندها من آراء الفرق والمذاهب على نقله. أم لأنه ذكر الشيعة فيمن ذكر ممن يقول بخلق أفعال العباد؛ فخاف البوطي من تبعة النقل، أو جامل على الأقل، عادّاً ذلك من الحكمة مثلاً! أم هو دافع العجلة والتسرع وغليان الدم ؟ الله أعلم أي ذلك كان!

إن الشيخ يثير الشفقة حقاً.

يثير الشفقة حينما يحرص على أن يصم ابن تيمية بالتناقض.

١- الدافع لعدم إثبات بقية الكلام هنا ليس العجلة، بدليل أنه ساق بعد ذلك قطعة من كلام ابن تيمية، لكن بعد إسقاط الفقرة التي ساق فيها ابن تيمية أدلته وأسماء الفرق المخالفة.

ويثير الشفقة حينما يخلط اجتهاداته بكلام الكوثري.

ويثير الشفقة حين يقول: «**ودونك فاستعرض ما هو مدون في مجموع فتاوى ابن تيمية تجده يكرر الحكم بتكفير من ينساق وراء أحد هذين الوهمين في كل مناسبة**».

ويثير الشفقة حينما يعد بنقل بعض من تلك النصوص، لكنه لم يفعل، ولكن؛ ألم يعلق الأمر على مشيئة الله ؟! إذن، فلا لوم عليه !

تبق مسألة أخيرة تتعلق بهذا الجدل غير المتكافئ، فالقارئ لتعليق البوطي يخرج بنتيجة وهي أن ابن تيمية يرى رأي هؤلاء الذين يقولون: «إن أفعال العباد محدثة. فعلها فاعلوها، ولم يخلقها الله عز وجل».

بل يفهم القارئ - من حدته وخوضه يمينا وشمالاً - أن لا أحد يقول بهذا القول إلا ابن تيمية، وهذا واضح من نفيه أن يكون أحد قد قال بذلك، وأنه «ما سمع ولا رأى»، لا هو ولا العلامة المحقق الكوثري[1] أن القدرية يعتقدون ذلك، ولا يدري أن رأي ابن تيمية فيمن يقول بهذا القول يوجد في غير هذا الوضع الذي يختص - فقط - في بيان حقيقة بعض الإجماعات التي يدعيها بعض الناس ؟ وقد أشار رحمه الله إلى ذلك بعبارة تبين مقصوده، وتدفع كل توهم فقال: «والمقصود هنا الكلام على ما يظنه بعض الناس من الإجماعات». أي لا مجال هنا لتفصيل القول فيمن قال بالتكفير ومن لم يقل. لكن «الهوى يعمي ويصمّ» كما كتب الكوثري في واحد من تعاليقه، وما أصدق هذا القول فيه وفي من يمشي على خطاه.

ويدعي أيضاً أن ابن تيمية «**يمارس سعادة ولذة كبيرة في نقده معظم**

١- ما أرخص الألقاب التي تكال جزافاً في سُوق العلم !

الأئمة والعلماء».

والجواب على ذلك: أما أن ابن تيمية ينقد كثيرا من العلماء فهذا حق، ولا حرج عليه في ذلك إن شاء الله، فلم يزل العلماء ينقد بعضهم بعضاً ويرد بعضهم على بعض، وهذا مما يفتخر به الفكر الإسلامي، ونعتبره مظهراً من مظاهر حرية الفكر التي طبعت هذا التاريخ، وأما أنه يمارس سعادة ولذة كبيرة في النقد فهذا يحتاج إلى بينة: إما من إقرار ابن تيمية نفسه؛ كأن يقول مثلاً: ما أسعدني حين أنقد عالماً ! أو: ما ألذ الهجوم على فلان من العلماء؛ أو ما في معنى ذلك! أو أن ينقل لنا البوطي شيئاً مما نقد به ابن تيمية غيره، ويضع أصابعنا على تلك السعادة وتلك اللذة ! وحيث إنه لا إقرار من ابن تيمية، بل عكس ذلك كثير ومثبوت في تضاعيف مؤلفاته؛ ولا نقل من البوطي، ولم يدّع هو لنا - كما لم نعهد عنده - القدرة على التدسس في مشاعر وأحاسيس ونوايا غيره؛ فستظل هذه دعوى لا تضر إلا مدعيها.

ويتطرف البوطي في أوهامه وتقديراته، فيرى أن ابن تيمية يستسيغ ويستجيز تبرئة الفلاسفة القائلين بقدم العالم من الكفر إذا كان في ذلك وسيلة لتخطئة ابن حزم وبيان جهله ! وهذه عبارته:

«.. إذ لما كان في الانتصار لمذهب الفلاسفة في هذه المسألة، بإبعاد تهمة الكفر عنهم بسببها على أقل تقدير، ما يظهر ابن حزم في الإجماع الذي نقله، في مظهر المخطىء المتسرع الذي لا يتثبت في الأحكام، فلقد كان للجنوح إلى مذهب الفلاسفة وتهوين القول بالقدم النوعي للمادة، ما يبرره! ولعل من أقوى المبررات في نظره وشعوره[1] أن يصل إلى تخطئة ابن حزم وبيان جهله !» [كتابه ص ١٧٣].

١- حتى شعور ابن تيمية يدعي البوطي الإحاطة به!

وحتى يكتمل عجبنا من هذه الجرأة (ونستحي أن نسميها بغير هذا الإسم) لنستمع إلى رأي ابن تيمية بابن حزم الذي يدافع عنه البوطي هذا الدفاع المبطل، ويرى أن ابن تيمية يستحل الكفر إذا كان ذلك سبيلاً إلى ماذا ؟! إلى أمر بسيط بالنسبة للكفر ! تخطئة ابن حزم وبيان جهله !

يقول ابن تيمية معقباً على ذم العلماء لابن حزم بسبب اتباعه الظاهر، ونفيه المعاني في الأمر والنهي والاشتقاق، وما في كلامه من الوقيعة في الأكابر، والإسراف في نفي المعاني، ودعوى متابعة الظواهر:

«...وإن كان له من الإيمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة ما لا يدفعه إلا مكابر، ويوجد في كتبه من كثرة الاطلاع على الأقوال والمعرفة بالأحوال، والتعظيم لدعائم الإسلام ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره. فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح، وله من التمييز بين الصحيح والضعيف والمعرفة بأقوال السلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء». [مجموع الفتاوى ١٩/٤-٢٠].

ولا ندري بعد هذا كيف نوفق بين هذه الشهادة التي يشهدها ابن تيمية في ابن حزم، وبين الشهادة التي يستخلصها البوطي ويقول: إنها ديدن ابن تيمية لا مع ابن حزم بل مع معظم الأئمة والعلماء ! والأعجب من هذا أنه يعتبر هذه الافتراءات والترهات التي أوصله إليها تفكيره دفاعاً عن ابن تيمية حيث يقول:

«ولعل خير دفاع عنه (عن ابن تيمية) في تحليل أسباب هذا التناقض العجيب الذي تلبس به، أن نتذكر طبيعته النقدية لمعظم الأئمة والعلماء، حتى لكأنه يمارس سعادة ولذة كبيرة في ذلك». أرأيت إلى هذا الدفاع ؟! ألا

يذكرك بتسمية هجوم إسرائيل وإغارتها على ما حواليها من الدول واحتلالها أرضها دفاعاً ؟!

بل لا يستحي من تكرار هذا المعنى عندما يقول: «إن هذا التحليل لهذا الاضطراب المتناقض[1] في موقف ابن تيمية في هذه المسألة هو - بنظري - أقرب ما ينسجم مع الدفاع عن عقيدته الإسلامية التي لا نحب أن نرتاب فيها» والحمد لله على أن وضع هذا الاحتراس: (بنظري) في ثنايا هذه النتيجة التي وصل إليها، فهو احتراس جميل بقدر ما هو منصف، حيث لم يسد الباب أمام أنظار أخرى تقرأ لابن تيمية وتحكم عليه.

المسألة الثانية : نظرية الكسب :

ينسب البوطي لابن تيمية مخالفته عامة أهل السنة والجماعة. ومن يسميهم عامة أهل السنة والجماعة هنا هم الأشاعرة.

وعلى عادة البوطي في الإيهام والعبارات الملتوية. يدعي على الخصم ادعاءات، ثم يبني على هذه الادعاءات نتائج، ثم يضع هذه النتائج في قوالب المسلمات التي لا تقبل الجدل كما فعل هنا. فبعد أن أشار إلى رأي الفلاسفة القدماء من أن الأشياء تكمن فيها أسباب ذاتية بالطبع؛ وإلى رأي بعض الفلاسفة «الإسلاميين» كالفارابي وابن رشد من أن الأشياء فيها أسباب أودعها الله فيها؛ ويضع قاسما مشتركاً بين أولئك وهؤلاء، وهو أن في الأشياء فاعلية كامنة في ذاتها تسمى العلة أو السبب، ليصل إلى نتيجة موافقة ابن تيمية - القائل بالأسباب - للفلاسفة، وهذا ما لا يغتفر.

١- لم استطع هضم ولا فهم: (الاضطراب المتناقض)، وأرجو ممن يأنس من نفسه القدرة على فهم هذه العبارة تفهيمي إياها.

ومن حيث الأصل فإن الحكم بصحة الرأي لا ينبني على موافقته لهذا الفريق من الناس مهما كانوا، أو عدم موافقته، بل لا بد أن يكون هذا الرأي صحيحاً في نفسه حتى لو أعرض عنه من أعرض، أو أخذ به من أخذ، ولكن العجب لا ينقضي من البوطي الذي يتجاوز عن الغزالي في تبنيه منطق اليونان برمته، وحكمه «أنه من لا يحيط به فلا ثقة بعلومه أصلاً»[1]، بل يقرر أن ذلك ماهو جدير أن يشكره عليه ابن تيمية وغيره؛ فإذا ما قال ابن تيمية برأي وتبين أن للفلاسفة قولاً يوافقه كانت جريمة، وأي جريمة !

نقول هذا ونتحفظ كثيراً على أن ابن تيمية وافق الفلاسفة، فهكذا أراد البوطي، وإلا فابن تيمية يرى رأيه مستنداً قبل كل شيء وبعده إلى الكتاب والسنة - وهذا شأنه دائماً - وحتى في هذه المسألة فإن رأيه في غاية الوضوح والسطوع، ولا يعكر عليه إلا الابتسار والتشويه والتدخل المغرض في لي عباراته والتقول عليه، وبتر ما يدفع أي شبهة في فكر الرجل وعقيدته، وكمثال على هذا البتر المغرض فإن البوطي نقل عنه قوله:

«ومن قال: إنه يفعل عندها لا بها، فقد خالف ما جاء به القرآن، وأنكر ما خلقه الله من القوى والطبائع، وهو شبيه بإنكار ما خلقه الله من القوى التي في الحيوان التي يفعل الحيوان بها، مثل قدرة العبد». فسكت البوطي هنا، ووقف، ووقوفه مريب جداً حيث إن تتمة الفقرة تقول: «**كما أن من جعلها** (أي الأسباب) **هي المبدعة فقد أشرك بالله وأضاف فعله إلى غيره**». [مجموع الفتاوى ١١٢/٣] واستبعاد هذه العبارة من الاستشهاد يهدم تهويلة البوطي من أساسها من أن «ابن تيمية يثبت بكلامه هذا العلة الأرسطاطاليسية صراحة (!) ويقرر نظرية الغريزة بمعناها الفلسفي الذي يعطي المادة فعالية ذاتية

١- مناهج البحث للنشار ١٧٢ نقلاً عن المستصفى للغزالي ١٠١/١

مستقلة. وبتعبير أدق: إن ابن تيمية يثبث من خلال كلامه هذا في السبب (ماهية) هي في الحقيقة مسبب السبب (!)، وبهذا يخرج ابن تيمية هنا عن روح المذهب الإسلامي، ويعتنق أكبر الأفكار التي يقوم عليها المنطق الأرسطاطاليسي كما يقرر الدكتور علي سامي النشار». [كتابه ١٧٥].

ومرة أخرى ننبه إلى أنه هنا خلط كلامه بكلام النشار، فبينما يبتدىء الفقرة فتظن أن هذا كلامه؛ إذا به يختتمها محيلاً على النشار، لكن أين ينتهي كلامه؛ وأين يبدأ كلام النشار؛ فهذا غير مهم عنده.

ونحن هنا ننقل عبارة النشار للمقارنة، فهو يقول:

«..أو بمعنى موجز إنه أثبت العلية الأرسططاليسية (زاد البوطي هنا: صراحة!) فأثبت بقوله هو الغريزة أو النحيزة. أو الخلق (اجتهد البوطي هنا فأضاف كلمة: نظرية، وأضاف القوسين، وأضاف جملة: بمعناها الفلسفي الذي يعطي المادة فاعلية ذاتية مستقلة. وهذا حتى يثبت إضافته على ما جاء به النشار، فكم ترك الأول للآخر!) أو بمعنى أدق: أثبت في السبب «ماهية» وجوهراً هو مسبب السبب (عبارة البوطي: (ماهية) هي في الحقيقة مسبب السبب) ! وبهذا خرج عن روح المذهب الإسلامي، واعتنق أكبر الأفكار التي يقوم عليها المنطق الأرسططاليسي»[١].

البوطي والنشار :

لابد هنا من كلمة تضاف حول النشار، نضعها لما لها من مساس بمنهج البوطي، فقد قرأت ما كتبه النشار في كتابه «مناهج البحث عند مفكري

١- اختار البوطي الفعل المضارع: يخرج ويعتنق، ولعل ذلك للدلالة على الاستمرار، وليطبع الكلام بأسلوبه المميز!!

الإسلام» وخاصة ما كتبه عن الغزالي وابن تيمية، ووجدته في الأغلب ينصف الرجلين، ولا يجانبه الصواب إلا في هذا الرأي الذي يقوِّم فيه رأي ابن تيمية في نظرية (الأسباب)، والنشار بالدرجة الأولى دارس فلسفة، وقد يكون معذورا في اعتباره أن أهل السنة والجماعة هم الأشاعرة فقط، وأن من خالف الأشاعرة فقد خالف أهل السنة، وأن نصيبه من الاعتماد على الأدلة الشرعية في بحثه قليل إن لم يكن معدوماً. وإنما قصاراه أقوال يجمعها لهذا وذاك، ومقارنات بين آراء فلاسفة اليونان والغرب؛ وفلاسفة المسلمين، وعلى هذا فإذا قال ما قال بحكم التقليد فهذا ما أداه إليه علمه، على أن له في تقييم تراث ابن تيمية ما يغضب البوطي ويضيق به صدره، فهو القائل في ابن تيمية: «وليس هناك في الحقيقة من تكلم - فيما قبل العصور الحديثة - بما تكلم به ابن تيمية. لقد وصل حقاً إلى أوج الدرج في فلسفة المنهج التجريبي بنقده للمنطق اليوناني القياسي، وبدعوته إلى المنطق الإسلامي التجريبي، وعبر عن روح الحضارة الإسلامية الحقة في عصر الانهيار الحضاري الإسلامي الذي عاش فيه».(١)

ويقول في كتاب ابن تيمية: «**الرد على المنطقيين**» :

«أعظم كتاب في التراث الإسلامي عن المنهج، تتبع فيه مؤلفه تاريخ المنطق الأرسطاليسي والهجوم عليه، ثم وضع هو آراءه في هذا المنطق في أصالة نادرة وعبقرية فذة»(٢).

من المؤكد أن الشيخ البوطي قد مر على هذه الآراء في كتاب النشار، ولكن لم يختر إلا ما يوافق هواه بغض النظر عن صحته. وكمقارنة بين

١- مناهج البحث للنشار ٢٧٠-٢٧١

٢- مناهج البحث للنشار ٣٦٩

الرجلين: النشار والبوطي؛ فإن النشار يكتب عن ابن تيمية بعقلية العالم الحيادي، وحتى لو أخطأ في بعض آرائه - فلا يمنعه التعصب والهوى أن يعلن ما يعتقد أنه صواب، وما يبدو من خطئه فمرجعه إلى ما ألفه واعتاده من آراء، أما البوطي فيكتب عن ابن تيمية بعقلية الذي يصيح: يالثارات الغزالي. وعلم الكلام، وابن حزم، والصوفية، وابن عربي، ونظرية الكسب، يالثارات كل الأشخاص وكل المسائل التي تعرض لها ابن تيمية وعصف بها. وفي الجملة؛ فمن الصعب عليه أن ينصف من يرى أن مصلحته في الهجوم عليه، إنه قد يوهمك أنه يحاول الإنصاف، ولكن طبيعته لا تطاوعه في ذلك، وهذه كتبه هل ترى فيها شيئاً من إنصاف من ينزل بساحتهم، بل هذا كتابه (السلفية) اقرأه وقلب النظر فيه، فإنك لن تعثر فيه على رائحة إنصاف.

ومما عرضناه حول هاتين المسألتين اللتين جاء بهما البوطي ليستدل على تخبط وتناقض ابن تيمية تبين لنا: من المتخبط ومن المتناقض ؟ على أن عدم الأصالة في الفهم؛ وعدم إصابة المعنى الصحيح للكلام قد تغتفر، فالناس فهوم وطاقات. لكن الذي لا يغتفر هو البعد عن الأمانة في النقل، وتحريف الكلام ليوافق الهوى.

وكلمة أخيرة: فالبوطي ليس مبدعاً في التعرض لهاتين المسألتين: لا من حيث اختيارهما؛ ولا من حيث معالجتها. ولم يفعل سوى أن دلل على قدرة لا يحسد عليها في ادعاء اجتهادات ليست له، ويا ليتها كانت اجتهادات صحيحة! إذن لهان الخطب! ولكنها اجتهادات خطأ فأصبحت بتبني البوطي لها وتعليقه عليها خطأ مركباً.

إنه أمـــر الله

كنا نقول في السنوات السابقة: إن المسلمين لا ينقصهم الإخلاص، وإنما جاء الضعف والتقصير من جانب قلة الصواب ومعرفة سنن الله في التغيير، وهذا الكلام - بمجمله - مازال صحيحاً. ولكن عند التدقيق سوف نجد أن الإخلاص أيضاً تشوبه شوائب، ويحول حوله حوائل، من أعظمها حب الرئاسة، هذا الداء العضال الذي أهلك الناس قديماً وحديثاً، حتى قيل إنه آخر داء يخرج من قلوب العلماء، فكيف بالدهماء وأصحاب الأهواء و (مجانين الزعامة).

وهذا الداء وإن كان غريزة في جميع البشر، إلا أنه قد يكون أظهر وأوضح في بعض الشعوب، والعرب حظهم وافر منه، إلا إذا هذبهم الإسلام وردهم إلى الاعتدال والجادة المستقيمة، وقد فعل ذلك في الرعيل الأول فظهر أمثال أبي عبيدة بن الجراح أمين الأمة، والذي لا يهمه إن كان أميراً أو مأجوراً وقد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ذاك المؤمن في قوله: « طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن

كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع »[1] ولذلك قال العلماء : (ما صد عن الله مثل طلب الرفعة ، ولا يفلح من شمت رائحة الرياسة منه).

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يعطي من هذه الدنيا المؤمن والكافر، وذلك لهوانها ومنزلتها عنده، ولكنه سبحانه أغير من أن يتم أمره بالتمكين لهذا الدين في الأرض على يد أناس عندهم شوب في الإخلاص، ويحبون الرئاسة والاستعلاء في الأرض، فكيف إذا كانوا مشعبذين يتخذون الدين مطية للدنيا، يبيعون دينهم بعرض قليل، ويسخرون كل شيء لأهوائهم ومطامعهم، فهؤلاء أبعد وأبعد عن التمكين، لأنه أمر الله ولا يعطيه إلا لمن أحب.

والعجيب أن زعماء الغرب عندما تنتهي مدة رئاستهم يرجعون إلى مكانهم الأول ويعيشون مع المجتمع كأفراد عاديين، وربما رجع المدرس إلى عمله والتاجر إلى تجارته، ولا يبحثون عن الرئاسة مرة ثانية. فهل يكون هؤلاء أقل حباً للرئاسة منا وذلك لما اعتادوه من النظام الذي ارتضوه لأنفسهم، ونحن عندنا كتاب ربنا يؤدبنا ويهذبنا !

أيكون لغير المسلمين منظمات ومؤسسات استطاعوا من خلالها التعايش بينهم، ولم تنهدم بسبب تسلط واحد منهم، ولا يقوم للمسلمين مثل ذلك، ولا يجتمعون على صيغة تحل فيها عُقد حب الرئاسة، ويتنازل المسلم لأخيه قليلاً حتى تستمر آصرة التعاون ؟

نرجو أن يكون لهم مثل ذلك وخاصة في مثل هذه الأيام.

محمد العبدة

١- صحيح البخاري، كتاب الجهاد.

منهج أهل السنة
في النقد والحكم على الآخرين

هشام بن اسماعيل

إن الذي دفعني للكتابة في هذا الموضوع هو عدة أمور :

أولا : أهمية بيان منهج أهل السنة في النقد والحكم على الآخرين، لكثرة صدور الأحكام من جهات إلى أخرى دون تحري المنهج السليم في إصدار الأحكام، مما أدى إلى الوقوع في أخطاء جسيمة في حق الآخرين.

ثانيا : حاجة المجتمع إلى أن تكون عنده قواعد عامة في الحكم على الآخرين، ليكون الحكم بعلم وعدل وإنصاف، يقول ابن تيمية رحمه الله : (لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا يبق في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم).[١]

ثالثا : عظم حرمة المؤمن عند الله تعالى.

رابعا : الآثار السيئة المترتبة بسبب الانحراف عن هذا المنهج، من بخس للناس، وتقطيع الأواصر، وحدوث الفرقة، ووقوع الغيبة والحسد والبغضاء، وغير ذلك من الأدواء الكثيرة، والتي لا تخفى على القارئ لكثرة وقوع هذا الأمر.

١- انظر منهاج السنة النبوية (٥/٨٣).

القاعدة الأولى :

الخوف من الله عز وجل عند الكلام في الآخرين

حرم الله عز وجل الغيبة في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال الله عز وجل : ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه** ﴾ [الحجرات ١٢].

وتفسير الغيبة جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم : (أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته).[١]

ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن حرمة الأعراض بحرمة يوم عرفة من الشهر الحرام في البيت الحرام، فقال: (إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت).[٢]

وعن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم: (خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا ذكر الله، وشرار عباد الله : المشاءون بالنميمة، المفرقون للأحبة، الباغون للبرآء العنت).[٣]

ومعنى الباغون للبرآء العنت : أي الذين يحبون أن تقع المشقة للأبرياء، وغالباً لا يكون هذا إلا عن حسد وحقد.

١- رواه مسلم ٢٠٠١/٤

٢- المصدر السابق ٨٨٦/٢-٨٩٢

٣- أخرجه أحمد ٢٢٧/٤، وعزاه صاحب حصائد الألسن ص ٦٨ إلى صحيح الترغيب والترهيب، باب الترهيب من النميمة، وهذا الجزء لم يطبع.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يامعشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله).[1]

وقد كان السلف عليهم - رحمة الله - من أشد الناس بعدا عن الغيبة والخوف منها.

ومن ذلك ما قاله البخاري - رحمه الله - : سمعت أبا عاصم يقول: منذ أن عقلت أن الغيبة حرام ما اغتبت أحدا قط.[2]

وقال البخاري - رحمه الله - : أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا.

قال (الذهبي) : صدق رحمه الله، ومن ينظر في كلامه في الجرح والتعديل، علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعفه... حتى إنه قال: إذا قلت: فلان في حديثه نظر، فهو متهم واه، وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدا، وهذا والله غاية الورع.[3]

وقال رحمه الله: (ما اغتبت أحدا قط منذ أن علمت ان الغيبة تضر أهلها).[4]

بل إن المغتاب في الحقيقة يقدم حسناته إلى من يغتابه، حتى إن عبد الرحمن

١- صحيح سنن الترمذي (٢/٢٠٠).
٢- التاريخ الكبير ٤/٣٣٦ .
٣- سير أعلام النبلاء ١٢/٤٣٩ .
٤- المرجع السابق ١٢/٤٤١ .

ابن مهدي – رحمه الله – قال: (لولا أني أكره أن يعصى الله، لتمنيت أن لا يبق أحد في المصر إلا اغتابني، أي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته لم يعمل بها). [(١)]

وأما ما يفعله بعض من ينتسب إلى الدعوة في هذا الوقت من غيبة الآخرين بحجة التقويم والإصلاح، فإنه ينبغي لهم قبل أن يتكلموا في غيرهم أن يتدبروا عدة أمور :

أولا : يسأل نفسه، ما هو الدافع الحقيقي لكلامه في غيره ؟ هل هو الإخلاص والنصح لله ورسوله وللمسلمين ؟ أم هو هوى خفي، أو جلي ؟ أم هو حسد وكراهية له ؟!

فإنه كثيرا ما يقع الأشخاص في غيبة غيرهم بسبب أحد الأمور المذمومة السابقة. ويظن أن دافعه هو النصح وإرادة الخير، وهذا مزلق نفسي دقيق قد لا ينتبه له كثير من الناس إلا بعد تفكر عميق وبإخلاص وتجرد لله تعالى. [(٢)]

ثانيا : ينظر في هذا الدافع الذي دفعه للكلام في أخيه المسلم، هل هو من الحالات التي تجوز فيها الغيبة أم لا ؟ [(٣)]

ثالثا : أن يتأمل كثيرا قبل أن يقدم على الكلام في الآخرين: ما هو جوابي عند الله تعالى يوم القامة إذا سألني: يا عبدي فلان لم قلت في فلان كذا وكذا؟

وليتذكر أن الله تعالى يقول : ﴿ **واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه، واعلموا أن الله غفور رحيم** ﴾ [البقرة ٢٣٥].

١- سير أعلام النبلاء ١٩٥/٩ .
٢- وللمعلمي في التنكيل ١٨٠/٢ كلام نفيس جدا عن اتباع الهوى، ذكر فيه بعض مزالق الهوى الخفية.
٣- وانظر ما ذكره الشوكاني في كتابه : رفع الريبة عما لا يجوز من الغيبة.

القاعدة الثانية

تقديم حسن الظن بالمسلم

والأصل في هذه القاعدة هو قول الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا** ﴾ [الحجرات ١٢]

فأمر الله عز وجل باجتناب كثير من الظن لأن بعض هذا الكثير إثم، وأتبع ذلك بالنهي عن التجسس، إشارة إلى أن التجسس لا يقع في الغالب إلا بسبب سوء الظن.

وأمر المسلم – في الأصل – قائم على الستر وحسن الظن به، ولذلك أمر الله عز وجل المؤمنين بحسن الظن عند سماعهم لقدح في إخوانهم المسلمين، بل وشدد النكير على من تكلم بما سمع من قدح في إخوانه.

في حادثة الإفك، عندما قيل ما قيل، بيّن الله عز وجل الموقف الصحيح الذي ينبغي لكل مسلم أن يقفه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين**﴾ ثمَّ بين سبحانه وتعالى أن التلفظ بهذا الكلام ونقله أمر عظيم، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم** ﴾ ثم وعظنا الله عز وجل أن نعود إلى الوقوع في مثل هذا الذنب العظيم فقال : ﴿ **يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين** ﴾.

وقد بين سبحانه وتعالى أن مجرد نقل الجرح في الآخرين بلا ضرورة شرعية، وبلا تثبت وروية، أنه إثم، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم** ﴾.

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كفى بالمرئ كذبا أن يحدث بكل ما سمع).[1]

وبوب الإمام مسلم في مقدمة الصحيح : باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ، وأورد تحته الحديث السابق، كما أورد قول الإمام مالك لابن وهب اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع ، ولا يكون إماما أبدا، وهو يحدث بكل ما سمع.

وقال عبد الرحمن بن مهدي : لا يكون الرجل إماما يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع.[2]

وقد أمر الله عز وجل بالتثبت من الأخبار فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾ [الحجرات ٦].

القاعدة الثالثة :

الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل وإنصاف

والأصل في هذه القاعدة هو قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾ [المائدة ٨] وقوله عز وجل: ﴿ **ولا تبخسوا الناس أشياءهم** ﴾ [هود ٨٥] ونحو ذلك من الآيات.

يقول ابن جرير في آية المائدة : (يعني بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين آمنوا

١- أخرجه مسلم في المقدمة برقم ٥ .

٢- المرجع السابق ١/١٠-١١ .

بالله ورسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم، ولا تقصّروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي، واعملوا فيه بأمري.

وأما قوله: ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، فإنه يقول: ولا يحملنكم عداوة قوم أن لا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم من العداوة).[1]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم، كحال أهل البدع).[2]

وقال الذهبي في ترجمة الفضيل : (قلت: إذا كان مثل كبراء السابقين قد تكلم فيهم الروافض والخوارج، ومثل الفضيل يتكلم فيه، فمن الذي يسلم من ألسنة الناس، لكن إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله، لم يضره ما قيل فيه، وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل والورع).[3]

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس جدا، يتضح فيه المنهج الصحيح في الحكم على الآخرين - وخاصة العلماء - إذا أخطأوا حتى في مسائل الاعتقاد، يقول: (قلت: أبو ذر (يعني الهروي) فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة، وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة، وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به، وقد كان قدم إلى بغداد من هراة، فأخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها إلى الحرم، فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم، كأبي نصر

١- انظر تفسير ابن جرير ٩٥/١٠ تحقيق : أحمد ومحمود شاكر.

٢- منهاج السنة النبوية ٣٣٧/٤ .

٣- انظر سير أعلام النبلاء ٤٤٨/٨ .

السجزي، وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني، وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين بما ليس هذا موضعه، وهو ممن يرجح طريقة الصبغي والثقفي، على طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث، وأهل المغرب كانوا يحجون، فيجتمعون به، ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة ويدلهم على أصلها، فيرحل منهم من يرحل إلى المشرق، كما رحل أبو الوليد الباجي، فأخذ طريقة أبي جعفر السمناني الحنفي - صاحب القاضي أبي بكر - ورحل بعده القاضي أبو بكر بن العربي، فأخذ طريقة أبي المعالي في الإرشاد.

ثم إنه ما من هؤلاء إلا له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين، ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداءً عن المعتزلة، وهم فضلاء وعقلاء، احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك:

١- منهم من يعظمهم، لما لهم من المحاسن والفضائل.

٢- ومنهم من يذمهم، لما وقع في كلامهم من البدع والباطل.

وخيار الأمور أوساطها.

وهذا ليس مخصوصا بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين، والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات ﴿ **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾ [الحشر ١٠].

ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول صلى الله عليه

١- أنظر تعارض العقل والنقل ٢/١٠١-١٠٣ .

وسلم، وأخطأ في بعض ذلك، فالله يغفر له خطأه، تحقيقا للدعاء الذي استجابه الله لنبيه وللمؤمنين حيث قالوا: ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾ [البقرة ٢٨٦].

ومن خلال النصوص السابقة، نعلم أنه لا يجوز للإنسان أن يتكلم في غيره - إن احتاج إلى ذلك شرعا - إلا :

١- بعلم. ٢- وعدل وإنصاف.

فمن تكلم في غيره بغير علم، فهو مخالف للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، مخالف لقوله تعالى: ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا** ﴾ [الإسراء ٣٦].

ومن تكلم في غيره بظلم وجور، فقد خالف قوله تعالى: ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ والكلام في الآخرين بدون علم، أو بظلم وهوى سبب لكثير من التفرق بالقلوب، وحدوث الشحناء والحسد والتباغض، بل سبب الفشل وذهاب وحدة الصف وقوته، والله المستعان.



أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق

تأليف د.أحمد محمد كنعان
عرض وتقديم
محمد السيد المليجي

من رزق نور البصيرة، ونعمة الاستنباط، يستطيع أن يُخرج من معطيات الطبيعة التي تمثلت في سنة الله في مخلوقاته، الكثير والكثير من سبل التقدم ووسائل الرفاهية التي تعود على الإنسان بالخير الوفير في وقته الذي يعيش فيه. هذا ما يريده الدكتور كنعان أن يجسده في بحثه القيم.

دور المنهج السماوي في بناء الحضارات

وفي وقفة سريعة وإطلالة عاجلة على أهم ما احتواه الباب الأول، بين لنا الكاتب أهم الأسباب التي حالت

دون تقدمنا ورقي مجتمعنا الإسلامي في العصر الذي نعيش فيه والتي كان من أهمها «الغفلة عن منهج الله».

فقد قدم لنا الباحث أهمية النظر في السنن التي تسير عليها المخلوقات، وفهم مرادها وتسخيرها الصحيح لكي نستخلص منها ما يعيننا على صنع حضارة إسلامية عزيقة.

فهؤلاء العرب الذين لم يكن لهم علم ولا معرفة بالسنن التي تتحكم في حياة الأفراد والمجتمعات، جاء الإسلام بقرآنه ودستوره الأزلي، فقدم لهم تلخيصاً وافياً دقيقا عن تلك السنن، حتى إذا فهموها وأخذوا بها في حياتهم، تغيرت نظرتهم للكون والحياة تغييراً جذرياً، ولم يلبثوا أن أصبحوا أمة واحدة يشد بعضها بعضاً.

كما اكتسبت الأمة الإسلامية إلى جانب ذلك قدرة بفضل الله باهرة على تسخير ما في أيديها لتنتفع به وتفيد به الآخرين، فحملت إليهم نور الهداية والرحمة حتى انتشرت راية التوحيد في أرجاء المعمورة، وقد تم هذا الفتح المبين في سنوات معدودات لا تعد شيئاً في عمر التاريخ...

وهذا النور الذي استمر شعاعه ألف سنة بكاملها، دعا الكاتب إلى هذا التساؤل المنطقي: ما الذي تغير حتى عاد المسلمون فانتكسوا ؟ وكيف حط التخلف رحاله في ديارهم بعد أن ظلت الحضارة الإسلامية أولى الحضارات تقدماً ورقياً على مدى ألف سنة ؟

يسوق لنا الباحث وجهة نظره، وجوابه عن هذا التساؤل في كلمتين خفيفتين هما «الغفلة عن منهج الله».

وأعرب الكاتب عن مراده في معنى الغفلة حيث قال: «وأهم ما تعنيه هذه الغفلة، تجاهل السنن الربانية التي تحكم حياة الأفراد والأمم، وفهم هذه السنن وتسخيرها على الوجه الصحيح، بالإضافة إلى ضعف اهتمامنا بمسألة السير في

الأرض، والبحث عن السنن التي يمكن أن تعيننا في تصريف شؤوننا المختلفة، وتذلل لنا الصعاب وتيسر لنا أمر عمارة الأرض، وفق المنهج الذي يأمرنا إسلامنا بإقامته في واقع الحياة، فالذي يطلب الأسباب لابد وأن يجد من يقوده إليها، وهنا تبدأ رحلته معها.

فعلى قدر تسخيرها تجاه الطريق الصحيح يكون هناك التقدم والرقي والإزدهار.

من ثمار النظر في السنن الكونية

يطل علينا الباب الثاني والذي ضمنه الباحث عدة ثمار هي نتيجة للنظر والتفكر في السنن الكونية.

وإن من أغلى هذه الثمار «الإيمان بالله تعالى» الذي يؤكد فهمنا واستجابتنا والإقرار بأن هذا الكون البديع في آياته، لابد له من مبدع أوجد هذه السنن وسيرها حسبما يريد الصالح العام للخلائق.

وبجانب هذه الثمرة اليانعة «ثمرة الإيمان» هناك ثمرات عديدة لها مساس مباشر وعميق بسلوكنا وحركتنا في الحياة، ومنها على سبيل المثال، الحرية: العلم، وهو المعرفة اليقينية بالسنن التي تحكم جزئية من جزئيات هذا الوجود.

مبدأ الاجتهاد في الشريعة الاسلامية

هذه نقطة أخرى من نقاط الباب الثاني تعرض لها المؤلف ليثبت للغافلين عن المنهج الإسلامي القديم، موافقته ومطالبته بالتفكر والاجتهاد القائم على مقدمات علمية صحيحة سابقة، بالإضافة إلى الإعراب عن أهمية وجود الاستنباط في المنهج الإسلامي بما يكفل لحياة الناس في كل وقت وحين حياة هادئة مطمئنة يعيشون فيها.

فقد قسم المؤلف الاجتهاد في

الشريعة الإسلامية على قسمين:

١- مسائل لا يجوز الاجتهاد فيها بل يجب الالتزام بالأحكام الشرعية التي وردت بخصوصها مثل الصلوات الخمس والزكاة والصوم وتحريم الجرائم كالقتل والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وما ورد فيها من عقوبات مقدرة مما هو معروف بالقرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة.

٢- مسائل يمكن الاجتهاد فيها إما لعدم ورود نص فيها، وإما لانه ورد نص ظني الدلالة، أو ظني الثبوت والدلالة معاً، فهنا المسائل يجوز الاجتهاد فيها للوصول إلى حكم شرعي أو لمعرفة السنة التي تحكمها، وبذلك يجدد الكاتب تأكيد الإسلام على أهمية الاجتهاد وثمرة ذلك على الفرد والمجتمع.

خلاصة النتائج التي توصل إليها الباحث

ومع مطلع الفصل الثالث الذي يبين لنا قرب انتهاء الرحلة، يقدم لنا الدكتور كنعان خلاصة النتائج التي توصل إليها وتعيننا في نفس الوقت على فهم طبيعة الأزمة التي تحل بنا وترشدنا أيضاً إلى الطريقة العلمية والميسرة لتجاوز العقبات. ومن بعض هذه النتائج:

١- أن لهذا الكون رباً، خلق كل ما في هذا الكون من خلائق وأخضعها جميعاً لسنن كونية تحكم كل صغيرة وكبيرة منها.

٢- تتصف هذه السنن التي فطر الله عليها أمور خلقه، بمجموعة من الصفات التي تعطيها صيغة القانون الرياضي الصارم، فهي من جهة ثابتة لا تتبدل ولا تتحول، ومن جهة ثانية مطردة، تتكرر على الوتيرة ذاتها كلما توافرت شروطها وانتفت الموانع التي تحول دون بلوغها.

٣- وسنة الله في الخلق تسري على كل شيء في هذا الوجود من غير تمييز سواء أكان هذا الشيء مادياً أم

معنوياً، ونحن البشر خاضعون كغيرنا من خلائق هذا الوجود لسنن الله، سواء شئنا أم أبينا، وهذه الحقيقة تحتم علينا مسايرة هذه السنن لكي نتمكن من تسخيرها فيما ينفعنا، وإلا فإن مخالفة السنن أو معاندتها لا تأتي بخير.

٤- يقتضي معرفة السنة التي يقوم عليها أي عمل قبل الشروع فيه، فإذا عرفنا سنته علينا أن نهيء الشروط اللازمة لهذه السنة.

٥- فإذا فشلنا في إنجاز العمل المطلوب فإن هذا الفشل يعني وقوع خلل ما في الخطة، ويمكن أن نحصر مواضع الخلل في ثلاثة مواضع رئيسية:

ا- عدم سلوك الطريق الصحيح نحو الهدف أو عدم إصابة السنة التي توافق العمل.

ب- وجود عوامل خارجية تحول دون تحقيق السنة وبلوغها.

ج- وجود عوامل داخلية تؤدي إلى الإخلال بشرط أو بأكثر من الشروط اللازمة السنة التي تتحكم بالعمل.

وبهذه النتائج يصبح الباحث مصيباً في محاولته في هذا المجال، وهي تعد علامة بارزة تفتح الأبواب والنوافذ بمزيد من الدراسات والبحوث في هذا الموقع الحيوي الهام والغائب بالنسبة لاستئناف المسلمين دورهم الحضاري، ومعالجة حالة الركود التي يعيشونها.

شذرات وقطوف

وفـــــاء

وإن حنيني إلى كل عهد تقدم لي ليُغِصني بالطعام ويشرقني بالماء، وقد استراح من لم تكن هذه صفته، وما مللت شيئاً قط بعد معرفتي به، وما رغبت الاستبدال إلى سبب من أسبابي قد كنت لا أقول الألاّف والإخوان ولكن في كل ما يستعمل من ملبوس ومركوب ومطعوم وغير ذلك.

ابن حزم

تعســـاء الغرب

«تثبت المعلومات التي تقع تحت ملاحظتنا بوضوح تام أن طريقتنا في الجري وراء السعادة لا تثمر حياة طيبة، فنحن مجتمع من الناس التعساء على نحو مزر، نعاني من الوحدة والقلق والاكتئاب والنزوع التدميري»

فروم : الإنسان بين الجوهر والمظهر

مغامرات الأجداد

«نسي المسلمون الأيام السالفة التي كان فيها العشرون مسلماً لا غير يأتون من برشلونة إلى مزاكية من سواحل فرنسا ويستولون على جبل هناك ويبنون به حصناً ويتزايد عددهم حتى يصيروا مئة رجل، فيؤسسون هناك إمارة تعصف ريحها بجنوبي فرنسا وشمالي إيطاليا، وتهادنها ملوك تلك النواحي، وتبق خمساً وتسعين سنة مستولية على هذه الديار إلى أن تتألب الأمم الإفرنجية عليها.»

شكيب أرسلان : لماذا تأخر المسلمون

شاتي آل المهلب

قال الأخنس الطائي يمدح آل المهلب:

نـزلـت عـلى آل المهـلـب شـاتـيـاً بعيداً عن الأوطان في الزمن المحل

فـما زال بي مـعـروفـهـم وافـتـقـادهم وبـرهم حـتـى حـسـبـتـهـم أهـلي

إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: أله حرفة؟ فإن قالوا: لا، سقط من عيني.

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

رسالة الجامعات (الرسمية) المتعارف عليها علمياً هي الوصول بالطلاب إلى مستوى قوي ومتين ورفيع من المعرفة النظرية والتطبيقية، وهذا ما عملت وتعمل له الجامعات في العالم قديماً وحديثاً. ولكننا نحن المسلمين - في مختلف أنحاء الدنيا - ينبغي أن تكون رسالة الجامعة عندنا تزويداً بالعلوم، وترشيداً بالأخلاق في وقت واحد.

(فالعلوم) في مفهوم الإسلام منذ جاءنا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية ليست مجرد نظريات وأفكار للتعليم أو الإلقاء أو التلقين والحفظ؛ وإنما العلم في الإسلام: معرفة وسلوك، قول وعمل، فكر وخلق.

أحمد محمد جمال

لمحات في طرق نقل التقنية والتخلف التقني في العالم الإسلامي

د. عبد الله بن صالح الضويان

أية تكنولوجيا نريد :

مسألتان متعلقتان بنقل التكنولوجيا من حضارة إلى أخرى وهما:

١- ما يتعلق بالقوانين العلمية والتكنولوجيا التطبيقية.

٢- ما يتعلق بالأهداف والمبادىء التي تجري تحت مظلتها وباتجاهها عمليات البحث العلمي والتكنولوجيا، وتشكل هذه الأهداف جزءاً لا يتجزء من موضوع العلم والتكنولوجيا. مما يجعل عملية النقل عملية خطيرة وحساسة تحتاج إلى تمحيص وتدقيق.

إن التقدم التكنولوجي المنشود ليس أحد المصنوعات الحديثة التي تشترى بالبترول. وإنما هو حركة أمة تفاعلت مع واقعها ورفضت التواكل والخنوع وتهيأت له أفكار نابعة من عقيدتها، اليوم ترى أحدث الآلات تباع في الأسواق الاستهلاكية ولا يزيد ذلك الدول الإسلامية (النامية) إلا فقراً وتخلفاً واستعماراً أشد وطأة. أمام هذا الوضع لا بد من الوعي بمشاكل الإنسان المسلم حتى يمكنه تقديم البدائل الإيجابية المنطلقة من عقيدته.

إن التكنولوجيا الغربية بشقيها

الشرقي والغربي ليس فيها حل لمشكلة الإنسان لأن الفكر الغربي (الماركسي والرأسمالي) يتعامل مع الإنسان على أنه عالم أعداد وأرقام، ولكن المسألة تختلف عندنا فعقيدتنا تنظر للإنسان على أنه خليفة في الأرض وأن كل ما في الكون مسخر له.

في الوقت الراهن غالباً ما يحسم الأمر بالنسبة للاستفادة من التكنولوجيا المعاصرة هو الاعتبارات السياسية لقادة الحكومات الإسلامية، مثلاً إجهاد بلادهم بعملية التسليح للحفاظ على الكراسي، أو الميل إلى مشاريع تعطيهم الاعتزاز والافتخار كمشاريع السدود والمطارات والمباني الضخمة التي يستهلك فيها رأس المال وتدار من قبل شركات غير مسلمة مثلاً.

أو إشغال الشعوب بتكنولوجيا تزيد من تخلف المسلمين فمثلاً لقد أصبح بإمكان الشباب المسلم مشاهدة مباراة كرة قدم تنقل إليه لحظياً من أوربا أو أمريكا بواسطة قمر صناعي مصنوع من ألفه إلى يائه في الغرب، بينما في نفس الوقت لا يستطيع أن يجري مكالمة هاتفية مع كثير من بقاع العالم الإسلامي ولكن يستطيع أي مواطن مسلم في تونس أن يتابع قنوات التلفزيون الفرنسي.

ومما ينبغي ذكره أن حيازة نوع من التكنولوجيا في مجتمعاتنا لا يعني بالضرورة التقدم بجميع جوانبه، ولتقريب هذا المفهوم، فإن المواطن العادي يفضل مثلاً ساعة ثمينة لأنها لا تخطىء إلا ثواني قليلة كل ألف ساعة في الوقت الذي لا يقاس الزمن الإجرائي أو زمن الإنجاز في بلداننا إلا بالأيام والأسابيع.

التكنولوجيا الملائمة :

إن ملائمة التكنولوجيا هي أهم المعايير في عملية النقل والمقصود ملاءمة التكنولوجيا لظروف الدول النامية وينبغي النظر إلى الأمة الإسلامية كوحدة واحدة (وإن كان هذا فيه شيء من المثالية) يغطي

بعضها جوانب النقص عند البعض الآخر، والملائمة تشمل ثلاثة معان.

أ- الملائمة الهندسية والفنية :

وهي الأساليب الفنية والميكانيكية المستخدمة في عمل لإتمامه بأعلى درجة ممكنة من الدقة وبأقل قدر ممكن من هدر الموارد وبسرعة جيدة، فمثلاً لا يعتبر المحراث الخشبي (الآن) تكنولوجياً ملائما لحراثة الأرض مع أن ملائمة الأسلوب لا تعين بالضرورة عدم قدرته على إتمام الأمر.

ب- الملائمة مع الظروف الجغرافية والبيئية :

من أهم أسباب نجاح الحضارة هو قدرتها على التكيف مع ظروف البيئة المحلية، فمثلاً كان إنسان الجزيرة العربية متكيفاً مع البيئة عند استخدام بيوت الطين المكيفة ذاتياً، في البيرو مثلاً أدى استخدام المبيدات الحشرية إلى ظهور حشرات ضخمة قضت على جزء هام من إنتاج القطن، وقس على ذلك مثلاً مشكلة السد العالي.

ج- الملائمة الاقتصادية :

كما أنه يتوجب على الدول المتقدمة (ذات رأس المال) أن تختار الأساليب التكنولوجية التي تتطلب رأس مال كبير من أجل مستوى معين من الإنتاج والخدمات، فإن نفس المنطق يدعو الدول النامية إلى استخدام تكنولوجيا كثيفة العمالة نظراً لفائض عنصر العمل في الكثير من الدول النامية (تذكر أن عدد المسلمين يبلغ المليار).

ولكن الدول النامية (وخاصة الإسلامية) تواجه وضعاً اقتصاديا صعباً يجعلها عاجزة عن الاستخدام الأمثل للأساليب التكنولوجية، لهذا يجب الأخذ بعين الاعتبار عدة أمور مثل مدى توفر النقد الأجنبي عند هذه الدولة (أو الدول)، مستوى التطور الاجتماعي والاقتصادي والتكنولوجي الذي بلغته الدولة التي

تحاول إيجاد التكنولوجيا الملائمة لظروفها.

إن التكنولوجيا الملائمة هي التي تعمل على إشراك أكبر قدر ممكن من الفنيين والمهندسين والأيدي العاملة المدربة وغيرهم من أهل الاختصاص في المشاريع بحيث تساهم في إبقاء هؤلاء في أوطانهم بدل أن ينضموا إلى العقول المهاجرة وحدوث ما يسمى بـ (النقل المعاكس للتكنولوجيا).

مظاهر التخلف التكنولوجي:

إن مظاهر التخلف التكنولوجي في مختلف البلدان الإسلامية متشابهة ويمكن إدراج سمات وخصائص هذه البلدان وواقعها تجاه العلم والتطوير التكنولوجي بما يلي:

١- تفشي الأمية إلى حد كبير بحيث أن كثيراً من الطاقات معطلة.

٢- عدم الربط المباشر بين السياسات التعليمية والتربوية بسياسات التنمية الشاملة في العالم الإسلامي ككل وعدم اعتبار أن الإنماء الكامل للفرد يحتل مركز الصدارة في عملية التغيير المنشودة.

٣- عدم وجود قاعدة صناعية وخاصة الصناعات الحديدية الثقيلة.

٤- عدم وجود مؤسسات وأجهزة معنية بالتخطيط مركزياً لعملية نقل التكنولوجيا وتوطينها.

٥- عدم وجود أجهزة علمية للبحث العلمي وإن وجدت فليس هناك اهتمام كبير بها (ماليا وبشريا) وربطها بالأجهزة الأخرى في العالم الإسلامي.

٦- عدم اشتراك العلميين والتقنيين وعلماء الاجتماع المسلمين اشتراكاً علمياً في إعداد الخطط.

٧- لا تتوفر إحصائيات ومسوحات دقيقة لكافة الطاقات الإسلامية البشرية في مختلف المجالات.

٨- لا توجد سياسة واضحة للاعلام العلمي والتكنولوجي والجماهيري.

٩- لا توجد علاقة بين المؤسسات

العلمية (معاهد، جامعات) وبين تحديد احتياجات التطور الصناعي والتقني.

١٠- لا يوجد برنامج واضح حول سبل تدفق المطبوعات العلمية والتقنية من مختلف أنحاء العالم.

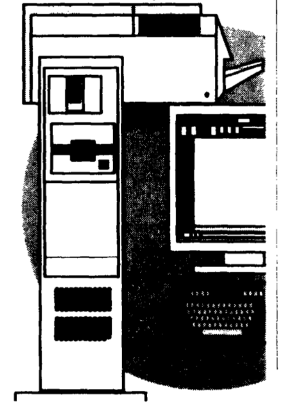
١١- الاتجاه لتعريب العلوم والتكنولوجيا غير جاد.

١٢- عدم الاهتمام بتشجيع عقد الدورات والندوات التنشيطية في مختلف مجالات العلم والتكنولوجيا.

١٣- عدم الجدية في الحد من عملية النقل المعاكس للتكنولوجيا المتمثلة بهجرة الكفاءات والعقول المسلمة خارج بلادهم.

إن المؤسسات والحكومات مسؤولة مسؤولية كبرى اتجاه هذا الوضع المتدنِّي، وهذا طبيعي طالما حركتها شهواتها ولم تحركها عقيدتها.

ومما ينبغي ملاحظته أنه مع تقدم الزمن فإن الدول الإسلامية تزداد تخلفاً تكنولوجياً على نقيض الدول المتقدمة، من ذلك ما تدل عليه إحصائية من كتاب ألفه مجموعة من الخبراء[1] أنه ارتفعت جملة صادرات الدول الصناعية إلى نحو خمس عشرة دولة إسلامية في الشرق الأوسط في مجال الآلات من خمسة ونصف بليون دولار عام ١٩٨٠ إلى حوالي ١٠٠ بليون دولار عام ١٩٨٢، ويوافق هذا الارتفاع زيادة بلغت ثمانية أضعاف بمقياس الدولارات، وارتفعت فيما بعد أهمية الصادرات الخدماتية وخاصة في المجالات التقنية والتسييرية وإدارة المشاريع.



١- لمزيد من التفصيل انظر مجلة الفيصل ١٠٣ محرم ١٤٠٦ هـ ص ٦٧.

السعي في حاجة المسلم

خوله درويش

الحياة قاسية، وأهوالها كثيرة ومصائبها جمة، والإسلام دين الحياة الاجتماعية السليمة، يريد من اتباعه أن يكونوا كالطود الشامخ بل كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

وفي ظل تلك الحياة يشعر المسلم بالطمأنينة والهناء، وترفرف عليه السعادة لشعوره بأنه لا يواجه الحياة بمفرده في خطوبها الجليلة، فإن إخوته المؤمنين يمسحون آلامه ويقيلون عثراته، يعينونه برأيهم وهم له ناصحون ويمدونه بمالهم وهم عليه مشفقون، ويسعون معه بجاههم وهم لخيره راغبون وفي كل ذلك يلتمسون الأجر والقرب منه تعالى.

روى الحاكم وقال صحيح الإسناد: «لأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته، وأشار بأصبعه أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين».

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: على كل مسلم صدقة. قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق. قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف» رواه البخاري ومسلم.

فالمسلم يساعد أخاه المسلم بقدر إمكانياته بيده، بماله، بجاهه ولا يضيق به مؤثراً السكينة وقد أخلد إلى الراحة..بينما نجد غيره من إخوته تؤرقهم الهموم، وتقض مضاجعهم المحن..وبإمكانه أن يمسحها بشيء من الإيثار ولو على حساب راحته. قد تحل بأحد المسلمين مشكلة فماذا يكون موقف الآخرين منها ؟

لن نتحدث عن ضعاف الإيمان وإنما نتحدث عن الصفوة التي نأمل منها الكثير.. وكثير من هؤلاء يواجهون المشكلة بهز الكتفين ولسان حال أحدهم يقول: مالي ولهذا الأمر. فأشغالي أجل منها. وفي أحسن حالاته يحوقل ويتأوه وكأنه يقول: ليس بالإمكان أحسن مما كان.

إن السلبية واللامبالاة لن تحل أمور المسلمين، وهذه التصرفات لا بد أن نؤاخذ عليها. فالنعمة التي خولها الله للعبد سيسأل عنها فيم وضعها؟ فكيف إذا سئل العبد يوم القيامة إن فلانا المسلم كان في ضائقة وكان بإمكانك مساعدته. وخذلانك له في هذه الحاجة قد ألجأه إلى الرشوة ليحصل على حقه. إنك لو سعيت له في جاهك الذي حباك الله إياه لقضيت مصلحته ويسرت أمره وحلت دون لجوئه إلى الرشوة.

وكم من شاب قد ينحرف عن دينه لقضاء مصالحه عن طريق غير المسلمين إذا ساعدوه في المال لإنهاء دراسته!

وكم من أسرة تضرع بالدعاء إلى من مدّ لها يد العون وقد يكون من أعداء الإسلام!.. وهذا ما يقوم به المنصِّرون في كثير من ديار المسلمين الفقيرة، وأندونيسيا خير شاهد على ذلك.

كم من أسرة ناشئة بنيت على غير مرضاة الله للتقصير في مساعدة الشباب على الإحصان الذي يدعو له الشرع! كل ذلك في غيبة الوعي الفعلي والتقدير لقيمة العون.

والله تعالى يقول: ﴿ **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها** ﴾ [النساء ٨٥]. فلا تظن أخي المسلم أن العبادة مقصورة على نوع من القربات يرسمها خيالك، إنها كل ما يحبه الله من قول أو عمل.

إن سيرك في حاجة أخيك المسلم إن أحسنت النية واحتسبت الأجر من الله قد تكون من أفضل العبادات.

يقول ابن القيم رحمه الله في معرض ذكره للآراء في أفضل

العبادات: «ومنهم من رأوا ان أنفع العبادات وأفضلها ما كان فيه نفع متعدٍ. فرأوه أفضل من ذي النفع القاصر. فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضل فتصدوا له وعملوا عليه واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» رواه أبو يعلى.

واحتجوا بأن عمل العابد قاصر على نفسه، وعمل النفاع متعد إلى الغير (أين أحدهما من الآخر؟).

قالوا: ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. واحتجوا أن صاحب العبادة إذا مات انقطع عمله وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي سعى إليه.

واحتجوا بأن الأنبياء إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم في مغاشهم ومعادهم، ولم يبعثوا بالخلوات والانقطاع عن الناس والرَّهب» ولعل في هذا القول ما يشفي ويكفي.

فإلى قضاء مصالح المسلمين ينبغي أن ينشط الدعاة المخلصون في كل مكان، ولا تشغلهم عنها كثرة التبعات. وما قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع المرأة التي كانت في حالة وضع، ومساعدة زوجها في طهي الطعام عنا ببعيدة.

إن الفطرة السوية لن تنسى اليد التي امتدت إليها ساعة المحنة.

أيها الأخ المسلم يا من تريد النجاح في الدارين: إن الأمر سهل ميسور، إذا عودت نفسك على قضاء مصالح إخوانك ذوي الحاجات، ولن تنفع الخطب والمواعظ إذا تقاعست عن أداء حق الأخوة والدين.

وأنت أيتها الأخت المؤمنة: تذكري كلما حببت إليك نفسك الراحة والسكون: أن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

الشـورى هل نلتزم بها ؟

محمد العبـدة

الحديث عن الشورى في الإسلام يكتسب أهمية بالغة وذلك لخطورة هذا الموضوع أولاً وللمعاناة التي عاناها ويعانيها المسلمون من اثر الاستبداد ثانياً، هذا الاستبداد الذي طال كل شيء: الفرد، والأسرة والتجمعات والدولة، وقد كتب الكثير حول الشورى، وسيكتب لأنها لم تترسخ بعد نظرياً فضلاً عن أن تترسخ عملياً، والمقصود هو التطبيق العملي.

إن إعادة الكتابة عنها هو من باب التأكيد والتذكير حتى تصبح قاعدة من قواعد الدعوة والعمل، ولا يقال هنا: ما الفائدة وصورتها التطبيقية لم تأت بعد، وحتى تأتي الحكومة التي تقبلها نكتب عنها. والحقيقة أننا لا نكتب عن الشورى للدولة فقط، بل للدعوة الإسلامية، فالشورى قاعدة مهمة وأصيلة من قواعد بناء الأمة سواء على مستوى مؤسسة أو دولة أو أي تجمع يريد الخير.

منذ بداية ما يسمى (عصر النهضة) أي من مائة عام تقريباً وأصحاب الغيرة على الأمة الإسلامية يدندنون حول هذا الموضوع، وسواء أصاب بعضهم أم أخطأ وسواء خلطوا معها مفهوم الحرية والديمقراطية الغربيين أم كانوا واضحين، المهم أن الموضوع كتب عنه لأنه من أساسيات النهضة ولم يترسخ بعد، لم يتحول القرار الفردي إلى قرار جماعي، لم تتحول المؤسسة التي تقوم على جهد جماعة وبدلاً من تطبيقه عملياً، راح بعض الكتاب يجادلون هل الشورى ملزمة أم معلمة ؟ مع أن أمر الشورى أكبر من هذا الجدل، فنحن لم نحقق الخطوة الأولى وهي الإصغاء إلى أهل الخبرة والعلم، لم نتعلم فن الاستشارة، قبل أن ننتقل إلى الشورى كممارسة لصنع القرار في شؤوننا العامة، إن التشاور بحد ذاته عمل مهم

وهو فن لم نتعود عليه، ولم نتقنه بعد، وقد أدبنا الله سبحانه وتعالى بهذا الأدب في لفتات من كتابه الكريم، ولكن يغفل عنها الغافلون.

«في قوله تعالى للملائكة: ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ ليعلم عباده أن أحدهم ولو عظم سلطانه وسما في العلم مكانه، لا يحول ذلك بينه وبين أن يعرض الأمر على من هو دونه، وقص القرآن علينا من أمر بلقيس أنها قالت للملأ من قومها بعد أن اتصلت بكتب سليمان عليه السلام ﴿**يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون**﴾ والقرآن لا يقص علينا القصص للتفكه بالوقائع التاريخية، ولكن ليتعلم الجاهلون»[1]

ويقول الإمام الطرطوشي منبهاً على أهمية الشورى:

«ولا يمنعنك عزمك على إنفاذ رأيك وظهور صدام لك عن الاستشارة ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام أمر بذبح ابنه عزمة لا مشورة فيها فيحمله حسن الأدب على الاستشارة فيه فقال: ﴿**يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى**﴾.

وعدم المشورة يعني الاستبداد «والعمل بالرأي الواحد مذموم ولو بلغ صاحبه ما بلغ من الكمالات والمعارف ولا يسوغ أبداً أن يسلم أمر الدولة لإنسان واحد بحيث تكون سعادتها وشقاؤها بيده ولو كان أكمل الناس وأرجحهم عقلاً، وأوسعهم علماً»[2].

وليس أشد إفساداً للفطرة من الذل الذي ينشئه الطغيان الطويل، والذي يحطم فضائل النفس البشرية، ويحلل مقوماتها، ويغرس فيها المعروف من طباع العبيد، استخذاء تحت سوط الجلاد وتمرداً حين يرفع عنها السوط، وتسيطر حين يتاح لها شيء من النعمة والقوة»[3].

١- محمد البشير النيفر : نبراس المرشدين في أمور الدنيا والدين ص ٢٣٥ طبعة الدار التونسية للنشر.

٢- د.فهمي جدعان / أسس التقدم عند مفكري الإسلام ص ١٣٣ والكلام لخير الدين التونسي في كتابه «أقوم المسالك».

٣- سيد قطب / في ظلال القرآن ٧٢/١

ومن التصوير الدقيق لأثر الاستبداد على النفوس وكيف ينزل بها إلى مستوى هابط ما ذكره الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد) يقول:

«وقد يبلغ من نتائج الاستبداد بالأمة أن يحول ميلها الطبيعي من طلب الترقي إلى طلب (التسفل) بحيث لو دفعت إلى الرفعة لأبتْ وتألمت كما يتألم الأجهر من النور، وإذا ألزمت بالحرية تشقى، وربما تفنى كالبهائم الأهلية إذا أطلق سراحها»[1].

فإذا كان الاستبداد يصل بالأمة إلى هذه الدرجة فإن ما قصه القرآن الكريم عن بني إسرائيل وفساد فطرتهم بسبب خضوعهم الطويل لفرعون مصر لهو أكبر شاهد على ذلك.

ولابد من الرجوع للقرآن الكريم لنرى ما قال المفسرون حول آية الشورى.

ما قيل في آية الشورى:

قال رشيد رضا في تفسير قوله تعالى **﴿وشاورهم في الأمر﴾** «وشاورهم في الأمر العام الذي هو سياسة الأمة في الحرب والسلم والخوف والأمن وغير ذلك من مصالحهم الدنيوية، أي دم على المشاورة وواظب عليها كما فعلت قبل الحرب (غزوة أحد) وإن أخطأوا الرأي فيها، فإن الخير كل الخير في تربيتهم على المشاورة دون العمل برأي الرئيس وإن كان صواباً لما في ذلك من النفع لهم في مستقبل حكومتهم إن أقاموا هذا الركن العظيم. فإن الجمهور أبعد عن الخطأ من الفرد في الأكثر، والخطر على الأمة في تفويض أمرها إلى الرجل الواحد أشد وأكبر»[2]

ويقول سيد قطب: **﴿وشاورهم في الأمر﴾** بهذا النص الجازم يقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم وهو نص قاطع لم يدع للأمة الإسلامية شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه.

١- أسس التقدم عند مفكري الإسلام ص ٢٩٧

٢- المنار ١٩٩/٤

لقد كان من حق القيادة النبوية أن تنبذ مبدأ الشورى كله بعد المعركة (معركة أحد) أمام ما أحدثته من انقسام في أوج الظروف ولكن الإسلام كان ينشىء أمة ويربيها ويعدها لقيادة البشرية وكان الله سبحانه وتعالى يعلم أن خير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة أن تربى بالشورى، وأن تدرب على حمل التبعة ولو كان وجود القيادة الرشيدة يمنع الشورى لكان وجود محمد صلى الله عليه وسلم ومعه الوحي كافياً لحرمان الجماعة المسلمة يومها من حق الشورى ولكنه لم يبلغ هذا الحق [1].

ويقول الطرطوشي: «إذا قيل: كيف يشاورهم وهو نبيهم وإمامهم وواجب عليهم مشاورته. قلنا هذا أدب أدب الله تعالى نبيه عليه السلام به؛ ومن أقبح ما يوصف به الرجال ملوكاً كانوا أو سوقه الاستبداد بالرأي وترك المشورة» [2].

قال الرازي في تفسيره: إنما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ليقتدى به غيره في المشاورة، ولأنه إذا شاورهم اجتهد كل واحد منهم في تحصيل أصلح الوجوه فيها، وتطابق الأرواح الطاهرة على الشيء الواحد مما يعين على حصوله، وهذا هو السر عند الاجتماع في الصلوات. وهو السر في أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة المنفرد» [3].

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره: « فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره، منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الرأي المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطىء في فعله» [4].

١- في ظلال القرآن ٥٢/١
٢- سراج الملوك ص ٩٤
٣- مفاتح الغيب ١٢٠/٣
٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤٤٥/١

وهلك لويس عوض

خالد بن صالح السيف

لم أشأ أن أكتب عنه، ولا أحسبني قادراً على إرغام قلمي على إعادة الكتابة عنه مرة ثانية، بيد أن هلاكه أولاً وما حظي به من أزلامه اضطراني إلى أن أكتب محتسباً، وخائفاً من التأثم، إذ أمنحه مساحة لا يستحقها البتة، ولست أدري أتخفى طوية مثل هذا ...ربما !!

إذن فالأمر واجب، وعندها أجد المسوّغ

طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفواً من الأقذاء والأكدار

ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار

مداخلات:

١- يهب المستريبون أنفسهم دلالات تمنحهم بعداً يأخذ بتلابيب السذج، ليمارسوا التصفيق والمكاء احتساباً وتزلفاً لمقام المريدين، هم أنفسهم جردوا سيوفهم المتثلمة ليعلموها في رقاب الحروف المستقيمة، تعبيراً صلفاً إزاء مواقف زان أربابها لباس التقوى ﴿ **ولباس التقوى ذلك خير** ﴾ [الأعراف ٦]

٢- أحسب أن أمتنا التهمها «تنين الحداثيين» فقُدَّ قميصها من دبر ورأت حسناً ما ليس بالحسن !! وبانت السوءة !! من لدن المستغربين سفاهة.

وفي هذا المعترك انخرمت قاعدة «الولاء والبراء» فاتسع خرق «العطب» فلم تعد رؤيتنا تحسن التفريق بين الهادي والهاذي !! بل انطفأت حدقة الرؤية.. فألفينا الشمس في رابعة النهار «قُرص خبز احترق» ورحنا نتعزّى «وقد كُلمنا»

يقول بشار عن نفسه:

عميت جنينا والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا

وغاص ضياء العين للقلب فاغتذى بقلب إذا ما ضيع الناس حصّلا[1]

معالم هويته :

ما كان «لويس عوض» نكرةً ولم يكن ايضاً مستغرقاً في علميته بيد أنهم أرادوا له أن يتجاوز صخراً.. وإن رغم أنف الخنساء رضي الله عنها فكان لهم ما أرادوه قسراً !! تحقيقاً لمآربهم وكان من حينها ومن قبل متجذر الانتماء لأصله وملته !! فلم لم يكن ذلك كذلك ؟!

لا ريب.. فقد كان !! وانتصب صنماً لحقب تولت..بزَّ هُبَلاً !!

في أتون المعارك :

وإفرازاً لعطائه المنتن وتجاوزاته المريبة «حيث النزعة الإقليمية..والعمالة التبشيرية.. وأبعاد النزعة الطائفية» كانت ثمة معارك في أواخر السبعينات ومن أشهر الكتّاب الذين ناوشوه في معارك ضارية على اختلاف مشاربهم وعدم رضانا عن بعضهم فكراً وعطاءً:

توفيق الحكيم.. أحمد بهاء الدين.. د.حسين فوزي... يوسف إدريس...وحيد رأفت ...د.محمد إسماعيل علي..وعبد العظيم رمضان..

بيد أن أفضلهم وأشدهم غيرة وصدقاً أستاذنا وشيخنا محمود شاكر في سفره العظيم الذي سلخ فيه لويس عوض وعرّاه قُبالة الملأ وقد وسمه بـ (أباطيل وأسمار) جزءان في مجلد واحد. يقول في رسالة الكتاب: «وهذه الفصول غرض واحد وإن تشعبت إليه الطرق. وهذا الغرض هو ما قلت للأخ

١- ديوان بشار بن برد.

الصديق الأستاذ محمد عودة: «هو الدفاع عن أمة برمتها هي أمتي العربية الإسلامية، وجعلت طريقي أن أهتك الأستار المسدلة التي عمل وراءها رجال فيما خلا من الزمان، ورجال آخرون قد ورثوهم في زماننا وهمهم جميعاً كان: أن يحققوا للثقافة الغربية الوثنية كلَّ الغلبة على عقولنا، وعلى مجتمعنا، وعلى حياتنا وعلى ثقافتنا، وبهذه الغلبة يتمُّ انهيار الكيان العظيم الذي بناه آباؤنا في قرون متطاولة وصححوا به فساد الحياة البشرية في نواحيها الإنسانية والأدبية والأخلاقية والعملية والعلمية والفكرية وردُّوها إلى طريق مستقيم علم ذلك من علمه وجهله من جهله»[1] أحسب أن شيخنا كفانا مؤنة الإسهاب في إبانة طوية لويس الفرعوني والذي راح أبناء أمتنا يأسفون لهلاكه ويبكون دماً.

الإسلام في عُرفه[2] :

محصلة رؤيته تجاه الإسلام أوجزها بالآتي :

١- لم يهزم الإسلام الصليبية إلا أنه دين علماني وأكثر علمانية مما كانت عليه مسيحية القرن السابع.

٢- ليس للإسلام نظام سياسي خاص به. كل ما يمكن قوله أن إسلام الأوائل «حين كان الإسلام شديد النقاء» كان نوعاً من الجمهورية الكالفانية !!

٣- كل الذين يحلمون بنظام حكم إسلامي يؤكدون على الأبعاد الروحية واللاهوتية والبلاغية للإسلام وهذا لا يمكن إلا أن يلغي كلَّ أمل قد يذهبون إليه في أن ينافس نظام الحكم الإسلامي النظم الغربية.

٤- الصحوة الإسلامية ليست إلا تراجعاً تاريخياً تعرقل الجهود الحقيقية لنهضة قومية .

١- أباطيل وأسمار - رسالة الكتاب ص ١٠

٢- نتاج لقاء أجرته معه مجلة صباح الخير عدد ١٦٣٠ .

هذا هو الإسلام كما يراه هذا الهالك ولا يخرجه عن هذه الأطر وأحسبه موقفا معروفاً عنه منذ ذي قبل بيد أن التباكي عليه اضطرني إلى نبشه مرة ثانية وحسبي أنه ضربٌ من الواجب إذا راحت الأقلام تنعاه وكأن الخطب جلل.

تعريته لنفسه :

يأبى أولئك الحانقون إلا أن يبينوا عن حقيقة أنفسهم بتلقائية المسوق بقدر الله تعالى، وتلك نعمة، فيدان من فيه، وليس ثمة تحامل من الأخيار كما يُزعم !!

في عام ١٩٨٥م قال عن نفسه «أنه وجيله من الكتاب قد أصبحوا من الأشباح وأنهم انتهوا بهزيمة يونيو..»[١] غير أن تباشير الصحوة الإسلامية أقضت فانعتق من «شبحيته» المشبوهة ليمارس تجاه هذا الطود الشامخ حرباً مُنيَ فيها وجيله من الأشباح بهزيمة نكراء أركستهم في شبحيتهم ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾. ورغم هذا العطاء الذي أدركت حقيقته يأسرك العجب ساعة أن تعي موقفه تجاه عطائه وقد رضي عنه كل الرضا فدونك موقفه حيث يقول: «أنا الآن على بعد خمسين عاماً من هذه الأحداث التي استرجعها في تأمل حزين وعلى الرغم من خمسين عاماً من العلقم جرعتها حتى الثمالة فلست نادماً على اختيارات حياتي مع أني اقتربت من القبر ولا أملك شيئاً من متاع الدنيا غير لقمتي وسترتي»

﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون** ﴾ [فاطر ٨]

١- نقلاً عن مرافىء الأستاذ حمد القاضي المجلة العربية عدد ١٢٨ رمضان ١٤٠٨ هـ

المسلمون في العالم

- النظام العالمي الجديد: الوجه الآخر للإستعمار
- الأزمة الحالية في يوغوسلافيا
- هل تضرب إسرائيل المفاعل النووي الباكستاني

النظام العالمي الجديد : الوجه الآخر للإستعمار

-١-

د.أحمد عجاج

تجتاح العالم فرحة غامرة، وتسوده حالة من الارتياح والاسترخاء عقب انتهاء حرب الخليج أو ما أصبح يعرف بحرب «تحرير الكويت»، فالمعتدي، وهو هنا طبعاً العراق، قد لقن درساً قاسياً ورد على أعقابه، والمنطقة بدأت تتنفس من جديد هواء الحرية الذي حرمت منه في الأشهر الأخيرة.

فالمستقبل يحمل كل بشائر الخير للمنطقة، وعلامات الرضى والتفاؤل بدأت تظهر ملامحها من خلال تصريحات المسؤولين الغربيين والمتجلية في إعادة ترتيب أوضاع العالم والمنطقة بشكل خاص.

فنادراً ما نجد صحيفة أو مسؤولاً عربياً إلا ويتحدث عن الترتيبات الجديدة التي من شأنها أن تنقل المنطقة بلمسة سحرية من حالة الفوضى وعدم الأمن إلى واحة الاستقرار والحرية.

وجوهر هذا التفاؤل يرجع أساساً إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش في خطابه الشهير أمام جلسة مشتركة لمجلسي الشيوخ والنواب في كانون الثاني حيث أعلن صراحة ودون مواربة رغبته في بناء نظام عالمي جديد للعالم، وهذا النظام سيتم بناؤه بإرادة الولايات المتحدة الأمريكية لأنها «هي الدولة الوحيدة بين دول العالم التي لديها المبدأ الأخلاقي والوسائل المتوفرة لتنفيذه».

إن ترديد معزوفة النظام الجديد لم

تعد محصورة في إطار التصريحات السياسية، بل تعدتها إلى الدوائر الثقافية والاجتماعية حتى اصبحت تردد على ألسنة العامة، دون ان يدرك بالفعل مكنونها ونتائجها. هذا الواقع بالذات يستدعي البحث لكشف جوهر هذا النظام العالمي الجديد والأسباب التي أدت إلى ظهوره ونتائجه المتوقعة على العالم ومنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص. ولتبيان ذلك فإنه ستتم دراسة هذا النظام من خلال شرح النظام الحالي والتغييرات التي طرأت عليه والتي أدت إلى ظهور النظام الجديد. وأخيراً النتائج المترتبة على هذا النظام.

١ - النظام الحالي أو ما يعرف بالنظام الثنائي :

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية شهد العالم مرحلتين من التغيير. تميزت المرحلة الأولى بانحسار نفوذ الامبراطوريتين العظميين بريطانيا وفرنسا بشكل ملحوظ وتدريجي إلى أن بلغت ذروتها عقب حرب السويس عام ١٩٥٦ والتي توجته بانسحابهما من منطقة الشرق الأوسط.

وبدأت المرحلة الثانية مع ظهور الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية دولتين عظيمتين في الساحة الدولية، وبظهورهما ابتدأ العالم يعيش مرحلة جديدة تختلف كلياً عن سابقتها. ولعل من أبرز صفات هذه المرحلة أو الفترة ظهور النظام القطبي الثنائي على مسرح السياسة الدولية.

وما يقصد بكلمة القطبي الثنائي هو سيطرة دولتين فقط على مقاليد القوة والزعامة في العالم دون مشاركة غيرهما. فالاتحاد السوفييتي الذي ظهر كقوة يحسب لها حسابها عقب الحرب العالمية الثانية اعتنق الفكر الماركسي كعقيدة يسير ضمن نمطها ونواميسها ويلتزم بموجبها بتقديم كل الدعم لحركات التحرر العالمية التي تناضل من اجل حريتها وسيطرة الطبقة العاملة على مقاليد السلطة. فما يميز السياسة السوفييتية هو الالتزام التام بدعم نظرية الصراع الطبقي الهادفة إلى تقليص نفوذ البورجوازية في العالم، والسيطرة على حركات التحرر والعالم.

في الجبهة المقابلة ظهرت الولايات المتحدة التي دخلت الساحة الدولية بعد فترة من الانعزال والانكماش كقوة عظمى استطاعت أن تحطم الآلة العسكرية الألمانية شر تحطيم.

فالولايات المتحدة الأمريكية اعتنقت النظام الرأسمالي القائم على الحرية والمبادرة الفردية في امتلاك وسائل الإنتاج والتوزيع. وهكذا فإن كلا النظامين مناقض للآخر بطبيعته ويسعى كلٌ منهما لإلحاق الهزيمة بالآخر. هذا الواقع دفع الرئيس الأمريكي ترومان إلى القول أن العالم منقسم إلى قسمين: أحدهما: «ديمقراطي مبني على حكم الأكثرية» والآخر «دكتاتوري مبني على حكم الأقلية التي تفرض نفسها على الأكثرية» لذلك فإن واجب الولايات المتحدة الأمريكية هو أن تقدم «الدعم للأحرار من الشعوب الذين يتحدون الخضوع للقلة الحاكمة التي تفرض نفسها عليهم عبر الدعم الخارجي». وهكذا يتضح أن الصراع بين هاتين الدولتين هو صراع عقائدي ومصلحي في آن معاً لأن انتصار أي منهم هو تهديد لأمن ومصالح الآخر. لذلك كان من الطبيعي جداً أن تعمد الولايات المتحدة الأمريكية إلى تقليص النفوذ السوفياتي في أية بقعة من بقاع العالم من أجل تدعيم موقفها، والسيطرة على مقاليد الزعامة التامة.

غير أنه رغم ضراوة هذا التنافس وشدته فإن هناك ضوابط ومعايير ونظماً تحكم نمط أو أطر سياسة كل منهما بالآخر. وجوهر هذه الضوابط والنظم يتمثل في اعتماد الدولتين العظميين نظرية الدمار المتبادل كمرتكز أساسي في سياستهما. ومفاد هذه النظرية أن نتيجة السلاح النووي المتكدس في ترسانتها - والذي هو من القوة والتدمير بمكان إذ يسمح بتدمير الكرة الأرضية خمس مرات إن هو استعمل - تحتم على الفريقين حسب هذه النظرية تجنب أية مواجهة عسكرية مباشرة، لأنها ستؤدي فعلاً إلى كارثة بشرية تنهي العالم. وبالفعل فإن الدولتين العظميين استطاعتا عبر عقود من الزمن أن يتجنبا المواجهة المباشرة عن طريق تذليل أية عقبات مهما عظمت أو تفاقمت، ولا تزال

أزمة الصواريخ الروسية في كوبا مثلاً حياً على ذلك، إذ انتهت بسحب الصواريخ الروسية مقابل سحب الصواريخ الأمريكية في جنوب تركيا، وتعهدت الولايات المتحدة الأمريكية بعدم التدخل بشؤون كوبا البلد الحليف للاتحاد السوفييتي. إلا أن هذه المواجهة لم تمنع كلا الدولتين من الاتفاق على مناطق نفوذ خاصة بينهما. فأوروبا الشرقية هي حكر خاص للاتحاد السوفياتي يفعل بها ما يشاء دون أي تدخل مباشر من الولايات المتحدة، وما اجتياح الاتحاد السوفياتي لتشيكوسلوفاكيا والمجر وغيرها إلا دليل ساطع على اعتراف الولايات المتحدة بسلطته المطلقة على البقعة، وكذلك الأمر بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية التي سيطرت على أمريكا اللاتينية دون أي تدخل مباشر من الاتحاد السوفييتي. إلا أن هذا الاعتراف لم يمنع الدولتين من التسابق والتزاحم على الزعامة في العالم الثالث وخصوصاً منطقة الشرق الأوسط ذات الأهمية الخاصة لكل من الدولتين. إلا أن هذا الصراع يبق مرتبطاً ارتباطاً جذرياً بنظرية الدمار المتبادل التي تمنع أي تطور في المجابهة من شأنه أن يقود إلى حرب مباشرة، وذلك من أجل الحفاظ على مصالحها المشتركة.

هذا النظام استطاع أن يؤمن نوعاً من التوازن في العلاقات الدولية تستطيع الدول الأخرى بموجبه أن تلعب دوراً عن طريق الالتفاف حول دولة دون الأخرى من أجل تأمين مصالحهم. وهذا الواقع استطاع أن يستمر فترة طويلة من الزمن منذ قمة مالطا عام ١٩٤٥ بين الدولتين العظميين إلى أن تسلم الرئيس السوفييتي غورباتشوف مقاليد السلطة والزعامة في الكرملين، حيث ادخل تغييرات جذرية على نظرية الدمار المتبادل، مما أدى إلى زوال النظام القطبي الثنائي.

٢- التغييرات الجديدة في النظام القطبي الثنائي

ما إن تسلم الرئيس السوفييتي غورباتشوف مقاليد السلطة حتى سارع إلى عملية إعادة النظر في السياسة

الخارجية للاتحاد السوفييتي، فالزعيم السوفياتي نتيجة لأوضاع محلية واقتصادية متردية وغياب تام للحرية الفردية بدأ مرحلة من التطوير البطيء في هيكلية السياسة الخارجية والداخلية لبلده، ذلك التحول بدأ بهدم السياسة القديمة، والمبنية على دعم حركات التحرر من اجل نصرة الصراع الطبقي والتصدي للإمبريالية، واستبدالها بنظرية الوفاق الدولي والتعاون الاقتصادي خصوصاً مع الولايات المتحدة الأمريكية وإيجابية هذه النظرية الجديدة تتلخص في تقليل الدعم المادي للحركات الثورية وإعادة استخدامه ضمن مشاريع اقتصادية داخل الاتحاد السوفييتي من أجل دفع عجلة التنمية التي يحتاجها بصورة ماسة. إضافة إلى ذلك فإن الاتحاد السوفيتي لم يعد يرى نفعاً في التسابق مع الولايات المتحدة الأمريكية، لأن من شأن هذا التسابق أن يلحق الضرر بالطرفين وأن يهدد أمن العالم في لحظة ما، لذلك رأى الاتحاد السوفيتي في الاعتماد على منظمة الأمم المتحدة مدخلاً إيجابياً ومهماً في تطوير العلاقات الدولية وتوظيفها في خدمة السلام العالمي، وهكذا فإن الاتحاد السوفييتي بسياسته الجديدة قد تخلى عن نظرية الدمار المتبادلة لمصلحة إحلال التعاون والتبادل الاقتصادي بين الدولتين العظميين كبديل واقعي ومنطقي. هذا التفكير قد لخصه المحلل للعلاقات الدولية «ولندر» في مقالة عن الاتحاد السوفياتي حيث قال: «الدول العظمى لا يمكن أن تحمي أمنها عن طريقة المواجهة، لأن أية محاولة إلحاق الضرر بأي منها سيدفع الآخر إلى الرد، وهكذا فإن الحرب تصبح حقيقة. لذلك فإن حالة التصعيد المستمرة والبحث المتبادل عن للحاق الهزيمة بالآخر سيؤديان إلى نقل الصراع من حرب غير مباشرة إلى حرب مباشرة بين طرفين لم يختاراها طائعين».

وهكذا فالاتحاد السوفياتي يكون قد تخلى عن سياسته القديمة تماماً، ولا عجب إذن أن نجد كاتباً في صحيفة «إزفستيا» السوفياتية مقرباً من الرئيس غورباتشوف يقول: «من الممكن جداً أن توجد حالة يضحي بها الاتحاد السوفييتي بمبدأ الصراع الطبقي من أجل مصلحة أعم وأشمل». وما يقصده

بتلك المصلحة هو زيادة التعاون الاقتصادي مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية من أجل الحصول على مساعدات اقتصادية لدعم الاقتصاد السوفياتي المنهار.

هذا التحول الهائل في سياسة الاتحاد السوفييتي لم يقابله أبداً حدوث أي تغيير في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية على الإطلاق، فالولايات المتحدة لم تتخل مطلقاً عن تفكيرها القديم الهادف إلى تقزيم النفوذ السوفييتي في العالم على الصعيدين الأيديولوجي والعسكري. فعلى الصعيد الأيديولوجي توجته أمريكا بانهيار النظرية الماركسية والتي اعترف بها قادة الاتحاد السوفييتي أنفسهم. أما على الصعيد العسكري فقد اغتنمت الولايات المتحدة الفرصة ووظفتها لتقوية نفوذها السياسي عبر السيطرة العسكرية، وتوظيف الطاقة العسكرية هو ناتج طبيعي للسياسة الأمريكية التي أصابتها أيضاً بوادر الضعف والانحسار.

فأمريكا بعد عقود من الزمن قضتها في التصدي للشيوعية أصبحت دولة منهكة اقتصادياً مما أجبرها على التراجع في ميادين المنافسة الاقتصادية التي هي عنصر هام من عناصر القيادة العالمية. فالولايات المتحدة التي تصاعد نجمها بعد الحرب العالمية الثانية تميزت بنمو اقتصادي سريع انعكس في زيادة فائض كبير في رأس المال استطاعت أن توظفه في أوربا عبر مشروع مارشال الذي بلغ حوالي ١٣-١٥ مليار وأن تمول به حلف شمال الأطلسي لمواجهت الاتحاد السوفييتي. إلا أن النجم الأمريكي لم يتسن له أن يستمر في التطور الاقتصادي السريع نتيجة ظهور قوى اقتصادية أخرى حدَّت من التقدم الاقتصادي الأمريكي. ففي الفترة الممتدة بين عامي ١٩٤٥-١٩٥٨ استطاعت اوربا الغربية واليابان أن تظهر بقوة على الساحة الاقتصادية، مما أثر بشكل بالغ على الناتج الإجمالي للاقتصاد الأمريكي من إجمالي الناتج العالمي حيث تدهور من نسبة ٢٧٪ عام ١٩٥٠ إلى ١٨٪ عام ١٩٨٤

فالتردي الاقتصادي أجبر الرئيس الأمريكي نيكسون في فترة السبعينات وبالتحديد عام ١٩٧١ وبقرار منفرد

ودون الرجوع إلى صندوق النقد الدولي إلى وقف قابلية تحويل الدولار إلى ذهب حسب اتفاق بريتون وودز لأن استمرار هذا التعهد سيؤدي في النهاية إلى فقدان الولايات المتحدة الأمريكية رصيدها من الذهب. وبانتهاء عصر «بريتون وودز» فقدت الولايات المتحدة الأمريكية سلطتها في مجال النقد الدولي إذ أن معظم التحويلات النقدية بدأت تتم خارج صندوق النقد الدولي الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية.

وهكذا انقلبت المعادلة فأصبحت الولايات المتحدة مع مرور الوقت دولة مدينة بدل أن تكون دائنة. فحسب الإحصاءات الرسمية والموثوقة فإن ديون الولايات المتحدة قفزت من ١١٢ مليار عام ١٩٨٥ إلى ٢٦٣,٦ مليار دولار عام ١٩٨٦ .

ومما زاد أزمة الولايات المتحدة الأمريكية سوءاً مبادرة الرئيس غورباتشوف القائمة على نزع فتيل التفجير مما أدى إلى تقليل الدور العسكري الأمريكي لدى الدول الغربية واليابان، إضافة إلى ذلك فإن عامل الانفراج الدولي أدى إلى تخفيض الاتفاق العسكري الأمريكي مما هدد قطاع الصناعة العسكري الذي يلعب دوراً هاماً في عجلة الاقتصاد. هذا العامل من الأهمية بمكان إذ أن تخفيض الإنفاق العسكري سيؤدي إلى خلق نسبة عالية من البطالة في قطاع الصناعة الحربية مما ينعكس سلباً على الوضع الاقتصادي والسياسي.

هذه المعطيات المتمثلة بتخلي الاتحاد السوفييتي عن سياسته القديمة والصعوبات الاقتصادية التي تمر بها الولايات المتحدة الأمريكية دفعت الأخيرة إلى التركيز على الدور العسكري من أجل تثبيت هيمنتها والتأكد من اندحار النظرية الماركسية من أجل تكريس دورها في صناعة نظام جديد تستطيع من خلاله أن تتخطى الصعوبات الاقتصادية، وتتابع دورها في العالم، وقد تسنى لها أن تحقق ذلك الحلم عبر ما يعرف بأزمة الخليج.

* يتبع *

الأزمة الحالية في يوغوسلافيا

مازن عبد الله

عام ١٩١٨ كان عام ظهور يوغوسلافيا إلى الوجود. لقد بدأت يوغوسلافيا حينذاك رحلتها السياسية باتباع نظام ملكي، وكانت مؤلفة من ثلاثة عناصر أساسية، هي العنصر الصربي، العنصر الكرواتي والعنصر السلوفيني. لقد بقيت يوغوسلافيا تحت النظام الملكي حتى نشوب الحرب العالمية الثانية حيث انهارت تلك المملكة «الصربو - كرواتية - سلوفينية».. ولكن إبان الحرب، جاء الجنرال جوزيف تيتو ليقود حركة التحرير الشعبية ويحرر البلاد من الاحتلال ويعيد بناءها حسب نظام فيدرالي. مختلف تماماً عن سابقه، تحت اسم اتحاد الجمهوريات اليوغوسلافية الاشتراكية.

إن النظام السياسي المتبع في يوغوسلافيا منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن. هو نظام فيدرالي يضم اتحاداً لست جمهوريات هي جمهورية صربيا، جمهورية كرواتيا، جمهورية سلوفينيا، جمهورية البوسنة والهرسك، جمهورية مكدونيا وجمهورية الجبل الأسود، بالاضافة إلى إقليمي كوسوفو وفويفودينا اللذين يتمتعان بحكم ذاتي واستقلال إداري..

لقد ذكرنا سابقاً بأن الزعيم اليوغوسلافي جوزيف تيتو استطاع أن ينهض بالبلاد إبان الحرب العالمية الثانية، ويجمع كل الجمهوريات اليوغوسلافية تحت صيغة اتحادية فيدرالية. فاجتمعت البلاد وتوحدت في ظل النظام الاشتراكي الجديد، ولكن التركيبة الاجتماعية للبلاد بقيت على حالها التي كانت عليها قبل الاتحاد ولم تتغير. وتلك التركيبة الهشة التي صمدت تحت الحكم الاشتراكي ٤٥ سنة، كانت نقطة الضعف الرئيسية التي رافقت البلاد طوال تلك الفترة، وكانت

الأرضية الأساسية لأي خطر ممكن أن يهدد الاتحاد اليوغوسلافي في أي وقت؛ فالجمهوريات اليوغوسلافية عبارة عن تجمعات لعدة قوميات وديانات مختلفة؛ فجمهوريتا الصرب والجبل الأسود معظم سكانها من الأرثوذكس، وجمهوريتا كرواتيا وسلوفينيا معظم سكانها من الكاثوليك، أما جمهورية البوسنة والهرسك فأغلبية السكان من المسلمين..

لقد انتهت الحرب الباردة بسقوط النظام الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. ومع سقوط النظام الشيوعي في عقر داره، بدأت الأنظمة الشيوعية تنهار في الخارج. الواحد تلو الآخر، وسقط النظام الشيوعي في يوغوسلافيا. وما إن سقط النظام الشيوعي حتى بدأت الأصابع الأمريكية بالتدخل مستغلة الحدث الذي لم تكن بعيدة عنه...فلقد ذكرت بعض المصادر أنه قبيل البدء بالانتخابات العامة والرئاسية والمحلية في الجمهوريات اليوغوسلافية مؤخراً، فوجئ الرأي العام بإصدار وزارة الخارجية الأمريكية وثيقة تضمنت اثنى عشر شرطاً على اليوغوسلافيين أن يلتزموا بها في انتخاباتهم حتى تكون النتائج مقبولة من قبل الولايات المتحدة، فتوافق فيما بعد على تقديم مساعدات اقتصادية. لقد استنكر اليوغوسلافيون واعترضوا على هذا التدخل السافر في شؤونهم الداخلية، ولكن ضعف حيلتهم جعلهم يرضخون في نهاية الأمر. وجرت الانتخابات تحت الرقابة الأمريكية المباشرة. فكانت النتيجة فوزاً كاسحا للأحزاب الليبيرالية، اليمينية المتطرفة، والقومية المتعصبة. فلقد أسفرت الانتخابات في كرواتيا وسلوفينيا عن تأييد كاسح من قبل المواطنين لإعلان الاستقلال والسيادة الكاملة. فأقامتا فعلاً جميع مؤسساتها الديمقراطية والتمثيلية، وأكملتا أيضاً الانتقال الاقتصادي من المركزية إلى السوق الحرة. ففي سلوفينيا، فاز تحالف أقصى اليمين المنضوية في إطار جبهة ديموس وسيطر على الأغلبية الساحقة في البرلمان وعلى رئاسة الدولة، ورئاسة الحكومة وأعضائها. وفي كرواتيا، فاز أيضاً تحالف أحزاب أقصى اليمين بزعامة الرئيس الحالي للجمهورية «فرانيو توجمان» الذي

يرأس أيضاً الحزب الليبرالي الكرواتي الحر. أما على صعيد صربيا (أكبر وأهم الجمهوريات)، فلقد فاز فيها الحزب الاشتراكي (الشيوعي سابقا) بالأغلبية المطلقة في البرلمان كما فاز زعيم الحزب، رئيس الدولة سابقاً «سلوبودان ميلوسيفيتش» في انتخابات رئاسة الجمهورية.

لقد أتت نتائج الانتخابات هذه لتشكل تصعيداً في المواجهة بين الجمهوريات اليوغوسلافية وخاصة بين صربيا وبين الجمهوريتين كرواتيا وسلوفينيا. فهاتان الجمهوريتان ذات الأغلبيت الكاثوليكية، تدعوان وتعملان على قيام جمهوريات مستقلة، ذات سيادة كاملة وفق الحدود التي رسمها تيتو في دستور ١٩٧٤، مع الاعتراف بحقوق الاقليات في كل جمهورية، وقيام دولة كونفدرالية يوغوسلافية تشبه الدولة الأوروبية الموحدة التي ستقوم عام ١٩٩٢ . أما جمهورية الصرب، ذات الأغلبية الأرثوذوكسية، فتعتبر المعقل الرئيسي للخط المتشدد في يوغوسلافيا الذي يعارض التوجه نحو تحويل الاتحاد بين الجمهوريات الست والإقليمين المتمتعين بالحكم الذاتي، إلى كونفدرالية من دول ذات سيادة، كما يعارض بشدة التحول من الخط الاشتراكي المتميز الذي عرفت به يوغوسلافيا. إلى الخط الرأسمالي، ويدعو إلى الإبقاء على النظام الفيدرالي وإعطاء صلاحيات أوسع لصربيا باعتبارها الكبرى، وإعادة توزيع الثروات والمصالح بما يتفق وتضحيات صربيا. وتحسين مستويات المعيشة في الجمهوريات الفقيرة. أما بالنسبة للجمهوريات الثلاث الباقية. فجمهورية الجبل الأسود تؤيد المشروع الصربي تأييداً تاماً، وتتحالف مكدونيا مرحليا مع صربيا ولكنها تدعو للحوار لإيجاد صيغة وسطى بين الفيدرالية والكونفيديرالية. أما جمهورية البوسنة والهرسك فتقف على الحياد بسبب موقعها الجغرافي الخطير بين صربيا والشمال وتكوين سكانها العرقي الفسيفسائي الذي يضم أقليات متقاربة العدد من جميع شعوب يوغوسلافيا. وتؤيد هذه الجمهورية مشروع أتباع القومية الإسلامية الذين يشكلون أكبر أقليات الجمهورية والذين يدعون للمحافظة على وحدة يوغوسلافيا وإقامة نظام أقرب إلى

الصيغة التي يطرحها رئيس الحكومة «ماركوفيتش» ولكنهم يركزون على استقلال البوسنة والهرسك في حال انهيار يوغوسلافيا، ويرفضون اقتسام الجمهورية بين دولة صربيا والدولة الشمالية. (تجدر الإشارة هنا بأن مشروع رئيس الوزراء آنتي ماركوفيتش، الذي يستند إلى حركة سياسية أنشأها مؤخراً وتضم المثقفين والعقلاء من كل الجمهوريات الداعين لنبذ التطرف القومي والتعصب العرقي والديني. يدعو لإلغاء الحدود نهائياً بين الجمهوريات وتطبيق نظام ديمقراطي على جميع المواطنين والمساواة واحترام حقوق الإنسان بصرف النظر عن العقيدة والقومية).

لقد دخلت يوغوسلافيا خلال الأسابيع القليلة الماضية في نفق مظلم، والحالة الأمنية والسياسية والاقتصادية في البلاد في تردٍ مستمر. فعلى الصعيد الاقتصادي يذكر أن يوغوسلافيا تعاني حالياً من معدل تضخم سنوي يبلغ نحو ١٢٠ في المئة. ويتدنى الإنتاج الصناعي فيما يهدد العمال بتنظيم إضرابات عامة. ويبلغ مجموع الديون الخارجية المترتبة على يوغوسلافيا ١٨ بليون دولار..

وعلى الصعيد السياسي، فالعلاقات بين الجمهوريات اليوغوسلافية تتدهور باستمرار والمؤسسات والقوانين الفيديرالية تنهار وتخترق على نحو يدفع البلاد إلى مزيد من انبعاث مشاعر التعصب القومي والتطرف المصحوب بالعنف..أما على الصعيد الأمني، فعقب النزاعات المستمرة بين كرواتيا وصربيا، أخذت الأمور تتفاقم حتى بدأت الصدامات التي كانت الأسوأ في مدينة باكاراتش في كرواتيا. فلقد اندلعت الاضطرابات عندما اقتحمت قوات الشرطة الخاصة الكرواتية باكاراتش في ٩١/٣/٢ إثر إعلان القوميين الصرب استقلال المدينة عن الحكم الكرواتي واستيلائهم على المركز الرئيسي للشرطة. وكانت الصدامات عنيفة، حدثت خلالها عمليات إطلاق نار متبادلة أسفرت عن عدة إصابات بين الطرفين مما اضطر الجيش إلى التدخل ونشر قواته ودباباته في الشوارع الرئيسية للمدينة، من دون أن تحصل أي مواجهة بينه وبين قوات الشرطة الخاصة الكرواتية

التي سحبت قسماً من قواتها من المدينة بعد أن خف التوتر فيها. ونذكر هنا أن المجلس الرئاسي اليوغوسلافي كان قد أصدر إنذاره إلى جمهوريتي كرواتيا وسلوفينيا في ٩١/١/٩ ممهلاً إياهما عشرة أيام لحل كل التنظيمات المسلحة فيهما، ومن ضمنها قوات الشرطة الخاصة، أو مواجهة تحرك من الجيش اليوغوسلافي لتنفيذ ذلك بالقوة. ولكن المهلة انتهت، فمددت فانتهت ولم يحصل شيء. لقد نزح نتيجة لتلك الصدامات أكثر من خمسة آلاف صربي معظمهم من النساء والأطفال، ولجأوا إلى صربيا وإقليم فويفودينا. ويخشى الصرب الآن الذين يشكلون أحد عشر في المئة من سكان كرواتيا البالغ عددهم ٤,٥ مليون نسمة، تكرار مجازر الحرب العالمية الثانية التي ارتكبها الكرواتيون بحقهم.

لقد دامت الاضطرابات في كرواتيا ثلاثة أيام، بدأت الحياة بعدها تعود ببطء إلى طبيعتها، ولكن بعد أربعة أيام فقط من انتهائها عادت الاضطرابات والصدامات لتنفجر من جديد، ولكن مع انتقال الكرة هذه المرة من الملعب الكرواتي إلى الملعب الصربي. في ٩١/٣/٩ انفجر الوضع الأمني في بلغراد، عاصمة صربيا، عندما وقعت اشتباكات عنيفة بين شرطة مكافحة الشغب وعشرات الألوف من المحتجين المناهضين للشيوعية، أسفرت عن مصرع شخصين على الأقل أحدهما من الشرطة وإصابة ما لا يقل عن ٧٥ بجروح. ولقد امتدت الاشتباكات إلى مناطق عدة في العاصمة، وأسفرت عن إحراق عدد كبير من السيارات وتحطيم نوافذ مئات المتاجر، وعلى أثر تلك الاشتباكات، تدخل الجيش اليوغوسلافي وأنزل دباباته إلى شوارع المدينة، معززة بعدة آلاف من أفراد شرطة مكافحة الشغب، واستطاع أن يسيطر على الوضع، وأعاد الهدوء إلى المدينة، ولكن لم تمض ٢٤ ساعة على تدخل الجيش وإعادة الأمور إلى طبيعتها، حتى جاء قرار من المجلس الرئاسي بسحب الجيش، وتم سحبه فعلاً من شوارع المدينة في وقت متقدم من ليلة الأحد ٩١/٣/١٠ وفي اليوم التالي لانسحاب الجيش تجددت الصدامات بين الشرطة والمتظاهرين المعادين للشيوعية مما أدى إلى المزيد

من الأضرار. ومع بزوغ فجر الثلاثاء ٩١/٣/١٢ انسحبت وحدات شرطة مكافحة الشغب وسمح للمتظاهرين بالتجمع في الساحة المركزية للمدينة التي تدفقت إليها عشرات الألوف من المتظاهرين الذين راحوا يهتفون ضد الحزب الاشتراكي الحاكم وضد الشيوعية.. لقد شكلت تلك التظاهرات الضخمة ضربة قوية للسلطة الصربية التي وجدت نفسها مضطرة إلى الرضوخ لبعض مطالب المعارضة والإفراج عن زعيمها الذي كانت قد اعتقلته منذ أيام..إن الوضع الأمني في جمهورية الصرب حالياً متوتر جداً، والأجواء المشحونة والاضطرابات ما زالت على حالها، ويبدو أن الكرة التي استطاعت القوى التحررية الديمقراطية أن تقذفها إلى الملعب الصربي، ما زالت هناك وستبقى، حيث إن اللعبة التي لعبتها تلك القوى كانت موفقة وناجحة وذلك طبعاً بفضل ضغوطات القوى الخارجية وخاصة الأمريكية. فالمراقب للتطورات الدولية، يرى جلياً بأن الأحداث والاضطرابات التي اندلعت في الفترة الأخيرة في يوغوسلافيا، لم تبدأ إلا بعد انتهاء أزمة الخليج التي كانت المطابخ الأمريكية مشغولة بها...

أخيراً، فإن الساحة الدولية الآن، ومع انتهاء حرب الخليج، تشهد تغييرات جذرية وخاصة على الصعيد السياسي حيث إن المعركة بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي اللذين ولدا في نفس المطبخ مع نهاية القرن التاسع عشر في أوروبا؛ انتهت لمصلحة النظام الرأسمالي. وعلى هذا الأساس فيبدو أن المعركة في يوغوسلافيا الآن، وكما حسمت في غيرها من دول أوربا الشرقية، سوف تحسم لمصلحة القوى الرأسمالية والتحررية... السؤال المتبقي الآن، هو عن كيفية حسم تلك المعركة، وإن كان الحل السلمي هو المرجح فهل بناء دولة كونفيدرالية جديدة سيكون البديل عن الفيدرالية القديمة ؟ وما هو مصير الجمهوريات الصغيرة والأقليات القومية وخاصة الإسلامية في هذه الحال ؟

هل تضرب إسرائيل المفاعل النووي الباكستاني ؟

عدنان محمد عبد الرزاق

نسأل الله تعالى ألا نكون عن عدونا غافلين ولا نكون كذلك من المهولين. فقد ذاق العرب سابقا وبال أمرهم إذ كانوا من الغافلين والمستهينين بقدرة عدوهم، وبعد ذلك انقلبوا مهولين خائفين من قوته وهذا ما أراده العدو لهم بل ما أرادوه لأنفسهم. والحقيقة أن إسرائيل تخطط وتعمل ليل نهار وتنفذ بالوقت المناسب، وما عملية ضرب المفاعل النووي العراقي وقصر المنظمة في تونس وإنقاذ الرهائن في عنتبي (أوغندا).

والذي لا بد من قوله أن الإستراتيجية الغربية (انكلترا سابقا وأمريكا لاحقاً) حين ساعدوا إسرائيل في البناء ساعدتها لتكون جزءاً منها فأي اعتداء على إسرائيل أو تهديد لن ترضى عنه دول الغرب والعكس كذلك، وهذا الربط يقودنا إلى السعي الجاد والمستمر الذي تسعاه أمريكا للضغط على باكستان من أجل إيقاف أو تأخير أو إفشال برنامجها النووي.. لماذا تلهث أمريكا وراء ذلك وهي الساكتة عن برامج الهند النووية وإسرائيل ؟ وهذا لا يخفى على أحد من أن الخوف أشد الخوف من أن يتمكن الباكستان من صنع تلك القنبلة والتي يمكن أن تهدد أمن إسرائيل بشكل أو بآخر.

والباكستان وإن كانت عن الإستراتيجية الغربية ليست بعيدة، إلا أنها عن استراتيجيتها وهواجسها الخاصة وتاريخها ومستقبلها في المنطقة يفرض عليها أن تكون قوة متوازنة مع أعدائها وفي مقدمتهم الهند.

هذا ما يفسر لنا أن من أهم أسباب دعم الباكستان للمجاهدين الأفغان لعل أفغانستان تصبح عمقا استراتيجيا لباكستان إزاء الهند وهذا ما لا ترضاه أمريكا وكان من نقاط الخلاف مع القادة الباكستانيين ابتداء من ضياء الحق حتى اليوم..

وأمريكا وإن كانت تدرك تماماً ظروف باكستان ولا تذهب مذهب إسرائيل من أن هذه القنبلة سوف تهدد أمن إسرائيل إلا أنها «أمريكا» تخشى أن يفلت الأمر من يدها وهذا ما نشهد بداياته الآن؛ فأمريكا التي كانت تحتضن الباكستان وتدعمه وتؤدبه عند الغرور فقد عجزت رغم كل ثقلها عن إنجاح بي نظير بوتو لتفوز كرئيسة للوزراء، والباكستانيون وإن كانوا من أقل الشعوب تأثراً بالأحداث التي تدور في العالم اليوم إلا أن رياح التغيير لامست وجوههم فأفرزت الانتخابات الأخيرة التي توقع لها الشعب أن تضع حلولاً لمشاكلهم المستعصية وثار غضب أمريكا وخشيت أن يتسلل للسلطة بعض الإسلاميين وحذرت إن لم توقف الباكستان برنامجها النووي فسوف تقطع عنها المساعدات ولكن كما ذكرنا سابقاً هذا موضوع غير قابل للنقاش وفعلا قطعت أمريكا مساعداتها العسكرية والغذائية وبدأت في باكستان مرحلة ضائقة اقتصادية خانقة حبست الحكومة في اعتباراتها الأولى وهو بداية الأزمات التي تخطط لها أمريكا وحلفاؤها ومع تشابك الخيوط في الخليج وما حوله

ومع فشل محاولات الضغط الأمريكية على باكستان يصبح الخيار العسكري والذي كانت تطالب به إسرائيل قائما وهو ضرب المفاعل النووي الباكستاني والذي قد خطط له سابقاً بمعاونة فنية من الهند والتي كانت تدعو إسرائيل له وهذا الأمر لن يفاجئ باكستان إذ أنها هددت إسرائيل سابقاً من أنها سترد رداً مؤلماً ولكن المضحك المبكي أن تُهدد باكستان (١٢٠ مليون نسمة) وعلى بعد آلاف الأميال من إسرائيل وتخشاها وتحتج كما تحتج على الحكم الشيوعي في أفغانستان حين تسقط على أراضيها صواريخ سكود ويقتل عشرات الأبرياء إلى متى ذلك أما آن الأوان لكي نُهدِّد ولا نُهَدَّدْ ونُخيف ولا نخاف والرسول صلى الله عليه وسلم يقول نصرت بالرعب مسيرة شهر فهلا نتبع خطاه وننصر وليس أمام الباكستانيين إذا أرادوا العزة في الدنيا والآخرة غير تقنين شرع الله فالدنيا الآن تجاهر بكفرها فعلينا أن نجاهر بتطبيق شرع ربنا القائل ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾.

ملاعبة الأطفال والرأفة بهم

خولة درويش

هؤلاء الأطفال ذوو النفوس الصافية. أحوج الناس إلى الرحمة بهم، والعطف عليهم، فهم يحسون بحسن المعاملة حسب مداركهم، ويهتمون بمن يوادهم منذ نعومة أظفارهم.

فاللعب حق من حقوق الصغار، وهو رمز لحيويتهم ونشاطهم، ويرى (فروبل) أن الطفل الذي يلعب بنشاط، ولا ينفك يلعب حتى يصيبه الإجهاد فيكف، هذا الطفل سيكون في مستقبل حياته شخصاً ذا إرادة وعزيمة يكافح ويستميت في النضال لخيره وخير غيره[1].

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يداعب الأطفال، ويرأف بهم ويحسن ملاعبتهم ومن ذلك مواقفه مع أحفاده ومع أبناء الصحابة رضوان الله عليهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر رسول الله إليه ثم قال: من لا يرحم لا يرحم»[2].

١- تربية الطفل قبل المدرسة ص ٢٥٩ سعد مرسي كجك/ كوثر كوجك.
٢- متفق على صحته / شرح السنة ١٣/ ص ٣٤ .

فالأطفال هم الأطفال، اللهو وحب اللعب من طبيعتهم، والإسلام يعطي الطفولة حقها ويراعي الفطرة الإنسانية فلا يكبتها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب بالبنات (أي اللعب) فقال: ماهذا يا عائشة ؟ قلت: خيل سليمان ولها أجنحة فضحك».

كان هذا والسيدة عائشة جارية صغيرة السن، يراعي رسول الله سنها ودواخلها الفطرية، فلا ينهرها كما يفعل بعض الجفاة، ولذا هي بقلبها الكبير النابض بحب الخير، تصبح من أمهات المؤمنين اللواتي يتسع عقلهن لمختلف فنون العلم والتي قد يعجز عن مثلها الرجال. فما كان لهو الطفولة سببا يباعد بينها وبين النبوغ.

وقد جاء في الإصابة أنه صلى الله عليه وسلم كان يداعب الحسن والحسين رضي الله عنهما ويمشي على يديه وركبتيه وهما يتعلقان به من الجانبين فيمشي بهما ويقول: «نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما». وهكذا فمن أهم واجبات المربي ولا سيما الأم أن تلعب مع أطفالها بمرح وحبور بعيداً عن الأنفة والكبر، يقول معاوية رضي الله تعالى عنه: «من كان له صبي فليتصابَ له».

ولا يفوتنا أن الغرض من اللعب ليس التسلية فقط ولا تمضية الوقت وبعثرته وإنما نهدف إضافة إلى الترويح والتسلية أهدافاً نبيلة مفيدة تجعل اللعب في خدمة المثل، توجهها الأم الحكيمة الوجهة التي تريدها وترضي ربها.

ففي اللعب التمثيلي يتعلم الأطفال الآداب الإسلامية التي تحرص على تمثلها والعمل بها فيتعلم الأطفال آداب الحديث والزيارة والاستئذان والطعام والشراب، وفي تمثيل الطبيب تشيع البهجة بين الأم وأطفالها، ويتعلم الطفل

مساعدة المحتاج، وكذا تمثيل رجل المرور حيث يتعلم آداب السير.

هذا وليست العبرة في كثرة الألعاب، أو غلاء ثمنها.. إن ميزاناً يعمل للطفل من أغطية العلب الفارغة ويبيع فيه في دكانه له أثر كبير في تنمية خياله وتوجيهه إلى أدب التعامل بما يتناسب مع طفولته.

ومن روائع ملاعبة الرسول صلى الله عليه وسلم للأطفال، أنه مر بعبد الله بن جعفر وهو يبيع مع الصبيان (أي يلعب لعبة البيع) فقال: «اللهم بارك له في بيعه».

ومع إتاحة الفرصة للأطفال في اللعب، لا يصح أن نمكنهم من الألعاب المحرمة حتى لا يعتادوها: «مر ابن سيرين على غلمان يوم العيد بالمربد وهم يتقامرون بالجوز فقال: ياغلمان لا تقامروا فإن القمار من الميسر».

وفي اللعب الجماعي وانتظار الدور يتعلم الأطفال الصبر واحترام رغبات الغير، والبعد عن العزلة والحرية المنضبطة، والابتعاد عن الخطر، وتعلم وسائل الأمن والسلامة والبعد عن الأنانية.

كما يزداد محصول الطفل اللغوي ونموه العقلي إذ يتفتح ذهنه في كل لحظة على جديد، ويتعلم الطاعة وفن القيادة، ونصرة المظلوم.

توجيهات أثناء اللعب:

يحسن بالمربي أن يعامل الأطفال خلال ألعابهم حسب القوى التالية:

١- عدم التدخل في شأن الطفل أثناء انصرافه إلى اللعب إلا إذا استلزم نظام طعامه أو نومه ذلك، أو إذا تعرض الطفل للخطر. على أن نكون مستعدين لتشجيعه وتقدير أعماله وتقديم العون له إذا طلبه إلينا فقط:

٢- أن نتقبل الفكرة أو الخطة التي يرسمها الصغار للعبهم، ولا نفرضها عليهم، من أجل استفادتهم وللوقوف على أسلوبهم في التفكير وهكذا نستطيع أن نوجه نشاطهم في لباقة تبعد بهم عن الفوضى والعبث.

٣- مشاركة الطفل بين حين وآخر في لعبه تعليماً له وتفريحاً.

٤- لا يعطى الأطفال لعباً كثيرة دفعة واحدة حتى لا يزهدوا فيها جميعاً أو يعبثوا بها.

٥- الموازنة بين اللعب الجماعي والفردي لإبعاد الطفل عن الانطواء، وتعليمه أسلوب التعامل مع الغير واحتمال الأذى والتعرف على وجهة النظر المخالفة.

٦- اللعبة الجيدة هي التي يستطيع الطفل أن يستخدمها بأوجه مختلفة وتندمج مع تصوراته الخيالية. أما اللعب الميكانيكية فهي قليلة الأهمية في مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة لأنها تثير الخوف في نفس الرضيع ولا تترك له شيئاً حتى يعمله بنفسه.

وليست العبرة في غلاء اللعبة وارتفاع ثمنها فقد يعزف الطفل عنها ليلعب بكرتونة فارغة أو نحوها، وقد تتصرف الأم بالألعاب القديمة فتجعل فيها حركة وحيوية تثير فرح الطفل وتسعده أكثر بكثير من الألعاب ذات الثمن المرتفع.

وهكذا بالإمكان أن يعيش الأطفال في أجواء مريحة منشطة ومفيدة دون تكاليف تذكر.

٧- مراعاة الأمن في اللعب وعدم إرهاق حسه بكثرة التعب فيه، وكذا عدم اللعب في الليالي عند العشاء فعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كفوا صبيانكم عند العشاء فإن للجن انتشاراً أو خطفة»[١].

١- رواه البخاري في الأدب المفرد.

أم سليم بنت ملحان

مؤمنة الشلبي

أنصارية خزرجية من بني النَّجار، تسمى الرميصاء، وهي غصن نضر من شجرة طيبة المنبت؛ فأخوها حرام بن ملحان أحد القراء السبعين الذين غدر بهم المشركون في بئر معونة فقال قولته المؤمنة: فزت ورب الكعبة.

وأختها أم حرام شهيدة البحر، وابنها أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما هي فقد بشرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة حين قال: دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ قالوا: هذه الرميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك.

وقد كانت الرميصاء رضي الله عنها تمتاز برزانة وذكاء نادرين، وخلق كريم. ومن أجل هذه الصفات العظيمة سارع أبو طلحة رجل الغنى والسؤدد إلى خطبتها بعد وفاة زوجها مالك بن النضر «والد أنس» وعرض عليها من المهر ما لا تحلم به بنات جنسها، إلا أن المفاجأة أذهلته بعد أن رفضته رضي الله عنها بعزة المؤمنة وكبريائها وهي تقول له: واللّه ما مثلك يا أبا طلحة يرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك، إلا

أن تسلم فذاك مهري ولا أسألك غيره، وكان لأم سليم ما أرادت وهدى الله على يديها أبا طلحة وكان صداقها الإسلام رضي الله عنها.

الموقف:

إن القلم ليحار عند اختيار موقف متميز لأم سليم رضي الله عنها، فحياتها كلها مواقف متميزة تستحق أن تكون نموذجاً طيباً لكل امرأة مسلمة. وبعد تردد وقع الاختيار على الموقف التالي:

تذكر كتب السيرة أن ابناً لأم سليم واسمه أبو عمير مرض. وشغل الأبوين به فكان أبوه أبو طلحة إذا عاد من السوق سأل عن صحته ولا يطمئن حتى يراه.

وخرج أبو طلحة مرة إلى المسجد فمات الصبي، فهيأت أم سليم أمره وقالت: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، وجاء أبو طلحة فتطيبت له وتزينت وتصنعت وجاءت بعشاء، فقال: ما فعل الصبي؟ فقالت له: هو اسكن ما يكون. فتعشى وأصاب منها ما يصيب الرجل من أهله، فلما كان آخر الليل قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم فهل لهم أن يمنعوها عنهم؟ فقال: لا قالت: فما تقول إذا شق عليهم أن تطلب هذه العارية بعد أن انتفعوا منها؟ قال: ما أنصفوا، قالت: فإن ابنك كان عارية من الله، فقبضه إليه فاحتسب ابنك. فقال أبو طلحة: تركتني حتى إذا تلطخت أخبرتني بابني! فمازالت تذكره حتى استرجع وحمد الله. ولما غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بارك اللّٰه لكما في ليلتكما».

تحليل الموقف :

تأملي معي يا أختاه هذه الأم التي

ليست كسائر الأمهات، كيف ترى صغيرها وفلذة كبدها وهو يذبل كالزهرة، ويرتعش ارتعاشته الأخيرة كالعصفور الصغير بين يديها، وهي تنظر إلى وجهه النضير كيف غدا وقد فارقته الحياة وتتفجر في قلبها ينابيع الأسى وتنهمر دموع الشفقة والعطف والرحمة من عينها. ولكنها رضي الله عنها لم تفعل إلا ما يرضي ربها متجهة إليه بالاسترجاع والاستغفار والذكر تبغي في ظلالها الراحة والصبر والسلوان. ولم تفعل كما تفعل كل امرأة ثكلى من أمهات الجاهلية الحديثة من النياحة والعويل ولطم الخدود وشق الجيوب.

ولم تسارع كما تفعل نساء اليوم باستدعاء من يأتي بزوجها من عمله ليشاركها مصيبتها فتضيف إليه همّاً جديداً إلى جانب ما يكابده ويعانيه من هموم، ويرتفع صوتها بالندب والعويل كما هي عادة الجاهليتين القديمة والحديثة ليسمعها القريب والبعيد فيأتي لمشاركتها ندبها وعويلها.

أجل..لم تفعل رضي الله عنها شيئاً يغضب الله عز وجل، وإنما قامت بما تمليه عليها عقيدتها الراسخة تجاه هذا الحدث الجلل، فقامت إلى صغيرها الغالي فغسلته ثم كفنته وسجته وغطته بعد أن شمته وطبعت على وجنتيه قبلة أم ثكلى أودعتها كل ما تملك من حزن وألم ودموع، ثم التفتت إلى أهل البيت قائلة: «لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه».

فمن أي طراز هذه المرأة والأم العظيمة ؟ وهل تملك الدنيا بأسرها أمّاً مثلها !! ومن ثم تأملي يا أختاه موقف الزوجة الصابرة وهي تنتظر زوجها بعد أن جففت دموعها وابتلعت أساها خلف ابتسامة مشرقة تصنعتها لتستقبل زوجها كعادتها وتدخل السرور إلى نفسه المليئة بالهموم من خارج البيت، وعندما

يسألها عن حال ابنه تقول بذكاء وفطنة: هو أسكن ما يكون. ويظن الزوج أن ابنه قد عوفي ففرح لذلك.. وما إن كان آخر الليل حتى أخبرته بأمر ابنه دون أن تفجعه أو تفقده ثواب الصابرين وأجرهم.

فبالله عليك يا أختاه من أي طراز هذه المرأة الصالحة التي تحرص على ألا يراها زوجها إلا بأحسن وأجمل صورة حتى في أحلك الظروف وأشدها، بينما نرى نساءنا وقد أهملن أنفسهن فتستقبل الواحدة منهن زوجها ورائحة المطبخ تفوح منها، وتظل مرتدية ملابس المطبخ متجاهلة الآداب الزوجية وما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة، فإذا كان هذا حالهن في سائر الأيام فكيف بهن وقد وقعت المصائب واشتدت.

ومن أي طراز هذه الزوجة الصالحة التي تحرص على أن لا تؤذي زوجها بهموم قد تفقده قوة الإيمان وصلابته وأجر الصابر وثوابه.

فيا فتاة الإسلام هل لك أن تعتبري فتتعظي من مواقف أم سليم رضي الله عنها فتضعينها نصب عينيك وتكوني نموذجا للفتاة المسلمة التي لا تتباهى بغلاء مهرٍ وإنما كل همها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

وهل لك أن تكوني يا أختاه نموذجاً للأم حين تفقد ولدها... فالصبر والتجلد عند الصدمة الأولى.

وهل لك أن تكوني نموذجاً للزوجة الصالحة الوفية الودود التي تسر زوجها إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها، وتهيء له أسباب الراحة ليستطيع أن يقوم بواجب نشر الدعوة إلى الله تعالى.

بريد القراء

الأخ **مهدي بن نزال المهدي** أرسل إلينا كلمة يشكو فيها حال أمته ويقول:

الناظر البصير ..والمدقق الجليل في أحوال الأمة الإسلامية - اليوم - وما هي عليه من فتور وضعف.. وعدم إدراك وفهم..ليجد لذلك أسباباً وأسباباً.. أهمها وقائدها الجهل بواقعها.

ولعل ما حصل في هذا الزمان من فتنة عظيمة وتصرف بعض أفراد الأمة تجاهها والقول فيها ما ليس بصحيح لعل ذلك يوحي بأن الأمة وما قيل فيها من جهل وضعف كان هو الصحيح. ولذلك لابد لخير أفراد الأمة ..الداعية والعالم.. أن يبثا للأمة ما جهلته وما حصل فيها من خطأ وذلك بالبحث في قاموس معرفتها وتفسير كل حدث يقع في ساحة الأمة.

الأخ **عبد الرحمن عبد الله سيف** - أبها

أرسل لنا هذه الكلمة : ماذا يراد منك يا فتاة الإسلام .

إن حقداً عظيماً ويداً ماكرة تتداعى عليك لتخرجك من عفافك تخرجك من دينك.

مؤامرة دنيئة تدبر لك يا فتاة الإسلام لتمسخك وتعبث بك، إن هناك من ينادي بل ويسعى ويجتهد من أجل هدم صرح الإسلام وذلك من خلال هدم الفضيلة في قلوب بناتنا وذلك بأساليب مختلفة. هم يريدون مسخ الفطرة وإفساد الأخلاق لتخرجي سافرة أمام ناظريهم وذلك من أجل التشكيك في إيمانك وزلزلة عفتك وشرفك، إنه حقد دفين يريد تحطيم المجتمع الإسلامي ويجعلك يافتاة الإسلام تجرين وراء سراب السعادة الخادعة.

والمرأة الحسناء تبكي حسنها ... إن ضاع منها عزها وإباءها

فامضي على درب الرشاد فإنه ... زاد وللنفس السقيم شفاءها

هموم مدعـــو

أبو خولة

نازعه في مراحل المراهقة نداء الفطرة ونداءات الهوى والصحبة، واستمر النزاع فترة طويلة من الزمن، وكان بعقليته تلك يتصور أن جميع من في عمره سائرون خلف الهوى والشهوة.

وفي يوم من الأيام وقفت عيناه على شباب يلتزم بدينه، ويناجي ربه، ويتألم لواقع أمته، جلس معهم وكأنه في حلم وخيال، أيكونون بهذه الصورة وهم في ذروة سن الصبا! أيكونون بهذه الصورة وهم أمام سيول من الملاهي والمغريات! سبحانك يا رب!

وما أن عاش معهم فترة من الزمن حتى تحول قلبه الميت القاسي إلى قلب حي راسخ، وتحول تفكيره في نفسه إلى تفكيره في أمته. وبدأ يفهم الحياة لأنه يعيش لله ولأمته ولا يعيش لنفسه.

وتيقظ الفتى بعد غفوة وبدأ يعمل ويدعو الناس وهو يؤمل بالفأل القريب، ويستبشر بالحلم الكبير، واستمر الفتى على ذلك وهو يترقب الفأل والأمل كيف لا والشباب المتدين أصبح ينتشر ويسود.

وفجأة.. اصطدم حلم صاحبنا بما لم يكن بحسبانه، وتحول فأله السار إلى خيبة وانحسار، عندما أدرك ان الطريق طويل وطويل، لا يريد أن يعيش حياة اليأس في أمته، ولا يريد أن يخادع نفسه بما حققته من عز وتمكين، وقام يجاهد نفسه ويرغمها على العمل.

الداعية الصدوق وترك الشائعات

أبو موسى المكي

إن الأنظار إلى الداعية أسرع. والآذان إليه أسمع، والخطأ منه أوقع، والنقد عليه أشد وأوجع ودعوته يجب أن تكون بحاله قبل مقاله. لذلك فتخلقه بالخلق الكريم أوجب وألزم قياماً بحق ما جعل الله على كاهله من الأعباء الجسام، وحماية للدعوة وأهلها من ألسنة المغرضين وأقلام الخصوم الشانئين وأوهام الغفل المتعجلين.

فنحن بحاجة إلى دعاة يتجملون بالخلق الكريم. حتى إذا أبصر الناس منهم هذا هتفوا: هذه أخلاق الأنبياء.

فنحن نحتاج إلى نمط من الدعاة آثروا الصدق في أقوالهم وأفعالهم حتى أصبح الصدق سجية تجري في عروقهم وتطل من طلعات وجوههم. إن صدقنا في حمل دعوتنا هو الذي يجعل الناس يتقبلون ديننا. يقول عبد الرحمن بن مهدي: «لا يكون الرجل إماماً يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع» فليس ما سمعه الفرد المسلم كله حقاً، بل لا بد من أن يتخلله بعض من الروايات الواهية. فإذا ما حدث بكل ما سمع أصبح ولا بد كاذباً، فعلى الداعية أن يجنب نفسه مواطن الشبه بترك بعض ما سمعه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» ومن ترك ما يريب ترك نشر الشائعات وترك كل خبر ان لم يثبت مأخوذ من وكالة (يقولون) فكم وكم من شائعة قُصِدَ أن يكون مروجوها الشباب الموسوم بالصلاح، حتى إذا بان زيفها قالوا: (هؤلاء مروجوها هؤلاء يريدون إثارة البلبلة)، فعلى الداعية ترك ذلك وعدم نشر ما سمع إلا بتيقن وجزم. والداعية لا بد أن يكون صادق الكلمة واضح المعنى متجنباً للغموض والتلبيس.

رسالة إلى أهل الحسبة

عبد الرحمن إبراهيم العتل

إلى أولئك الرجال الذين باعوا أنفسهم لله، وسهروا لننام، وتعبوا لنستريح، وأوذوا لنسعد، أوجه هذه الرسالة:

يا باذلين نفوسهم كي نسعدَا ... طوبى لكم ملء القلوب ترددا

نامت جوارحنا وأنتم في الدجى ... عينٌ أبت أن تستريح وترقدا

جاهدتم الأشرار كلَّ دقيقةٍ ... ودحرتم الشيطان كي لا يفسدا

في كل حيٍّ غيرةٌ يقظانةٌ ... نزعت فتيل الشر واقتطعت يدا

يا أيها الماضون في ركب الهدى ... يا أيها الساعون في طلب الردى

يا أنفساً حازت من الرتب العلى ... طبعت على حب المكارم والندى

تقضي النهار مع العلوم تعلماً ... والليل تُحيي جانبيه تهجُّدا

فطرت على التوحيد جلَّت فطرةٌ ... نادى بها الرسل الكرام على المدى

للَّهِ درّ فعالكم يا إخوتي ... جُعِلت على الميزان لم تذهبْ سدى

من حسنات هذه الكارثة

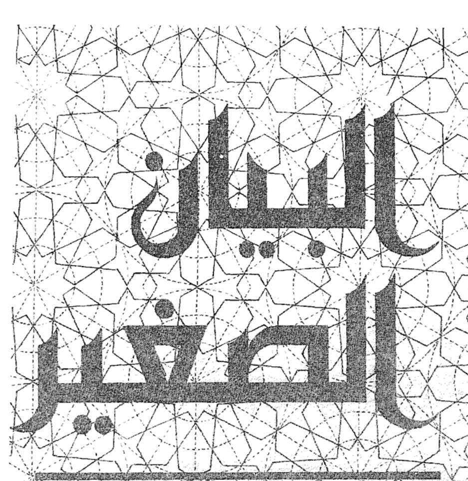
عبد القادر حامد

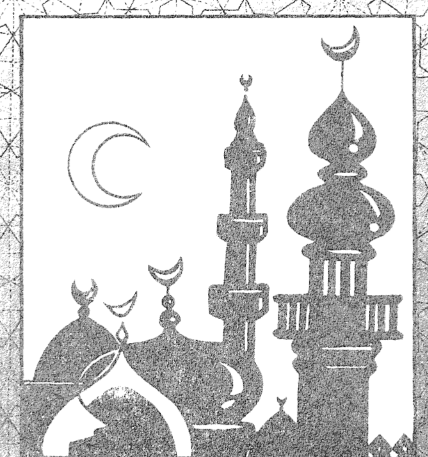
من حسنات هذه الحرب - إن كان لها حسنات - أنه أصبح بالإمكان للكاتب أن يكتب منتقداً نظام الحكم في العراق بعد أن أصبح ظاهر الضعف تعصف به العواصف. بعد أن كان من الصعب توجيه كلمة لوم له في العلن، لا خوفاً منه في كثير من الأحيان، بل خوفاً من الروح «التضامنية» التي كانت تربط الأنظمة العربية، وحرجاً من كسر خواطرها. أما الآن فأمام الكتبة فرصة ذهبية ليبدئوا ويعيدوا في إظهار مخازي هذا النظام، ويجمعوا الصحيح إلى الباطل من الاتهامات.

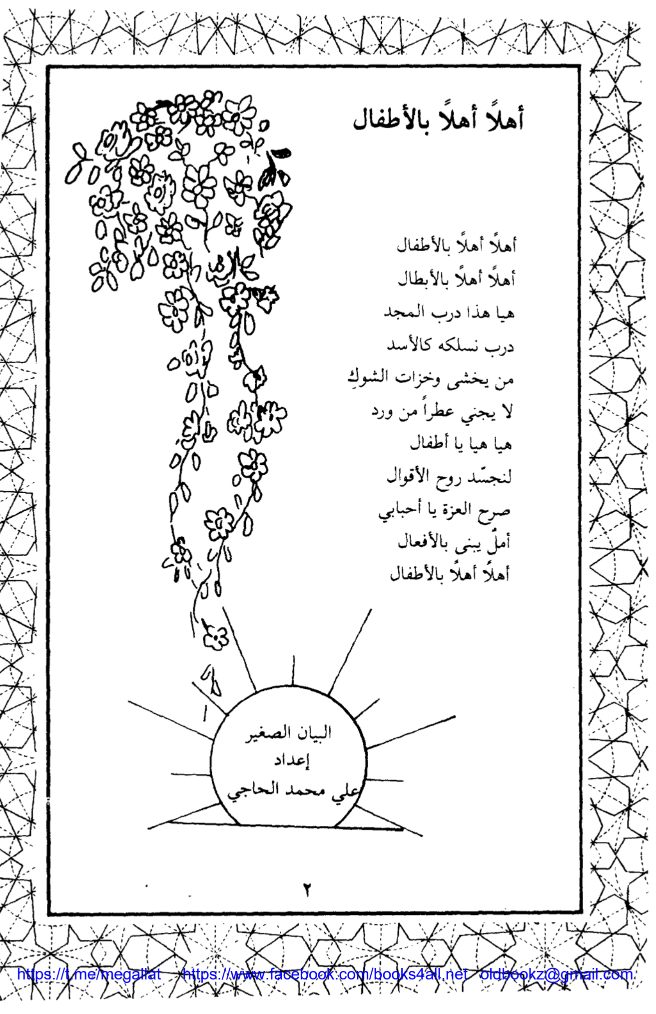
وقد يبدو مثل هذا العمل دلالة على الجبن وقلة الفروسية حيث إن «ضرب الميت نذالة». ولا فائدة من الإنذار بعد وقوع الكارثة ! لكن الروح «التضامنية» التي كانت سائدة تعطي هذا الفعل دلالة أخرى قد يكون فيها بعض الفائدة. فكثير ممن يكتب عن الأنظمة بعد سقوطها لا يقصدها هي بعينها فيما يكتب، وإنما يقصد مثيلاتها من الحالات الراهنة، على مبدأ: «إياك أعني، واسمعي يا جارة»!

إن مأساة الحرية في عالمنا المنكوب تجعل الإنسان يرضى بالقليل، وما أجدر الحرية التي نفتقدها بقول جميل في بثينة:

وإني لأرضى من بثينة بالذي لو ابصره الواشي لَقرَّت بلابله
بلا، وبأن: لا أستطيع، وبالمنى وبالأمل المرجوّ قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول، تلتقي أواخره - لا نلتقي - وأوائله







أهلاً أهلاً بالأطفال

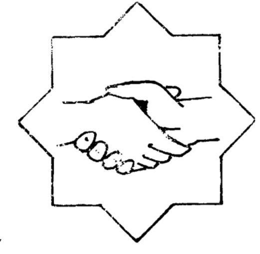
أهلاً أهلاً بالأطفال
أهلاً أهلاً بالأبطال
هيا هذا درب المجد
درب نسلكه كالأسد
من يخشى وخزات الشوكِ
لا يجني عطراً من ورد
هيا هيا يا أطفال
لنجسّد روح الأقوال
صرح العزة يا أحبابي
أملٌ يبنى بالأفعال
أهلاً أهلاً بالأطفال

البيان الصغير
إعداد
علي محمد الحاجي

أحبابك في الله لهم فوائد

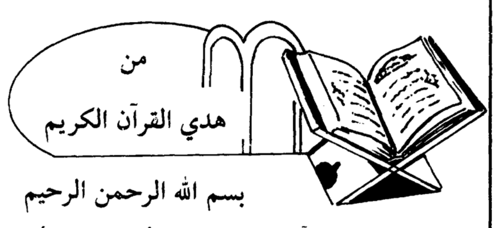
إذا نسيت ذكّروك
وإذا ذكرت أعانوك
وإذا قلت سمعوك
وإذا احتجت ساعدوك
وإذا مرضت عادوك
وإذا مت شيعوك
وإذا استنصحتهم نصحوك
وإذا غبت عنهم اشتاقوا لك

حمود إبراهيم السليم



كلمة أسرة البيان

أحبابنا قراء البيان الصغير. أهلاً بكم مع إطلالة كل عدد. ونحب أن نلفت نظركم إلى أننا معنيون تماماً بمشاركتكم ورسائلكم واقتراحاتكم ، وإن الغد المشرق لا يبنى بيد واحدة، فلا بد من مشاركة السواعد الفتية، الطاهرة المتوضئة حتى نعيد للفكر الإسلامي ضياءه وللمسلمين عزنهم ومجدهم. فلتكن البيان الصغير منكم وإليكم، وأهلاً ومرحباً بكم.



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾.

أبو بيان: ألم تملَّ من اللعب بالكرة يا بيان؟

بيان: أحب أن أروّح عن نفسي وأقوي عضلاتي.

ـ هذا جيد يا بيان، لكن إياك أن تكثر من ذلك. فإن اللعب واللهو، من أسباب الغفلة والإعراض عن الله، وليكن اهتمامك بالعلم والفكر أكثر.

ـ نعم يا أبتي هذا صحيح. ولقد ذكرتني بالحوار العلمي الذي دار بيننا. فإلى أين وصلنا يا ترى؟

ـ وصلنا إلى النتيجة التي تقول: «إنَّ الطريق إلى الله هي آثاره التي تدل عليه، وإنَّ العقل والفكر والعلم هي الوسائل التي تدلنا على هذا الطريق»

ـ نعم . . . نعم. وإنَّ آثار الله عز وجل تتمثل في وجود هذا الكون الرائع الجميل.

وسأعرض لكم جانباً من الدراسة العلمية، التي قمنا بها مع الأستاذ سعيد.

ـ أسمعنا يا بيان.

ـ إنَّ أول ظاهرة تدل على الله سبحانه وتعالى هي وجود هذا الكون.

وقد استعرضنا آراء العلماء في هذا الموضوع، وهم متفقون على أن هذا الكون موجود. وبالتالي فلا بد من السؤال: كيف وُجدَ هذا الكون، وكيف نشأ؟

والإجابة على هذا السؤال تحتمل عدة احتمالات:

١ـ أن يكون هذا الكون غير موجود وأن كل ما تراه، وهماً وخيالاً لا حقيقة له، أي أنه لا أنت موجود، ولا أنا موجود، ولا الأشجار موجودة، ولا لعبتي الجميلة التي اشتريتها لي موجودة. وهذا كلام فارغ لا يحتاج إلى مناقشة.

٢ـ أن يكون هذا الكون نشأ لوحده من دون أن يوجده واجد.

وهذا كذلك كلام غير صحيح فإننا لم نرَ عصفوراً جميلاً صار لوحده، أو كرسياً وُجِدَ بدون نجار أوجده، وقد روى لنا الأستاذ سعيد قصة طريفة حدثت مع الإمام أبي حنيفة رحمه الله. سأرويها لكم.

ـ على شرط أن لا تكون طويلة.

ـ لن تكون طويلة بإذن الله.

جاء عدد من الكفار ليجادلوا الإمام أبا حنيفة في وجود الله عزّ وجل. ولما حان موعد اللقاء تأخر أبو حنيفة عن الموعد. فظنَّ الحاضرون أنَّ أبا حنيفة هرب من المناظرة. لكنَّ أبا حنيفة حضر بعد فترة فبادره الحاضرون بالسؤال:

ـ لماذا تأخرت يا إمام؟

فقال أبو حنيفة: كنت في الطرف الآخر من نهر دجلة وانتظرت طويلاً عسى أن تأتي سفينة تنقلني إلى الطرف المقابل ولكن دون جدوى.

فسأله أحدهم: ولكنَّ كيف جئت إلى هنا؟

فقال أبو حنيفة: رأيت مجموعة من الأخشاب تقترب مني ثم اصطفت بجانب بعضها وكونت مركباً جميلاً. فصعدت إليه وعبرت النهر إلى الطرف الآخر وجئت إليكم.

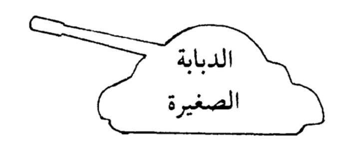
فضحك الحاضرون: وقالوا: إنَّ إمامكم مجنون. أيعقل أن تكوّن الأخشاب لوحدها مركباً من دون نجار؟ هذا مستحيل!!

فتبسم أبو حنيفة وقال لهم: إذا كان المركب الصغير لا بد له من نجار يصنعه. وتقولون أنَّه من المستحيل أن يصير لوحده. فكيف تصدق عقولكم أنَّ هذا الكون الكبير الجميل الرائع صار لوحده من دون صانع وخالق؟

فاحمرَّ وجه الكافرين خجلاً من ضعف حجتهم وانصرفوا خائبين.

بقي لدنيا الاحتمال الثالث: وهو أن يكون لهذا الكون خالق: وهذا هو الرأي الصواب الذي يصل إليه عقل الإنسان عندما يفكر بشكل صحيح في ظواهر هذا الكون. وإذا سمح لي أبي فإن صديقي ينتظرني. وسنكمل حديثنا في المرة القادمة إن شاء الله.





كان مروان من تلاميذ المسجد، يداوم على صلاة الجماعة ويحضر دروس العلم، يتعلم فيها العقيدة الصحيحة، والمنهج السليم في التفكير، ويزداد إدراكه يوماً بعد يوم بخطر الاستعمار الفرنسي الجاثم على صدر بلادنا، حتى كاد يخنقها؟.

وفي يوم من الأيام جلس مروان، وعدد من زملائه في المسجد. يتدارسون أمر الثوار المسلمين، وما هي الوسائل الممكنة لمساعدتهم.

وطرحت عدة آراء لكنّها لم تنل الموافقة.

فقال مروان: أيها الأخوة الأحبة، إنَّ الثوار المسلمين يحتاجون إلى كمية من الذخائر والأسلحة، فعلينا أن نركز اهتمامنا في هذا الأمر.

استحسن الجميع فكرة الآخ مروان. لكنَّهم تساءلوا أيضاً وكيف يمكننا أن نساعدهم.

قال مروان: لقد رتبت خطة لمهاجمة المعسكر الفرنسي وأخذ الأسلحة والذخائر منه.

دهش الشبان لهذا الطرح العنيف، وسألوه بصوت واحد. وكيف يكون ذلك؟

قال مروان: هل توافقون على الهجوم؟

قالوا: اشرح لنا الخطة أولاً.

قال مروان: لا هذه خطة عسكرية، ولا يمكن شرحها إلا لمن يوافق على الاشتراك في الهجوم.

وبعد مداولات ومشاورات، وافق جميع الشبان على الهجوم. وكان عددهم حوالي خمسة عشر شاباً صغيراً. وقد اتفقوا على تعيين مروان قائداً للهجوم باعتباره صاحب الخطة.

وكان مروان قد أعدّ حوالي عشرين سلحفاة، وحوالي مائة شمعة، ليتم تثبيتها على ظهور السلاحف، ثم إشعال هذه الشموع، وترك السلاحف تتجه إلى المعسكر أثناء الهجوم.

أعطى مروان الأمر لمجموعة الناقلات بالتهيؤ، وأعطاهم كلمة السر، ثم رتب المكان المناسب لمجموعة الحماية، ثم عيَّن مجموعتي الهجوم، ونقطتي الاقتحام. وكل ذلك بالتشاور والحوار مع الأخوة.

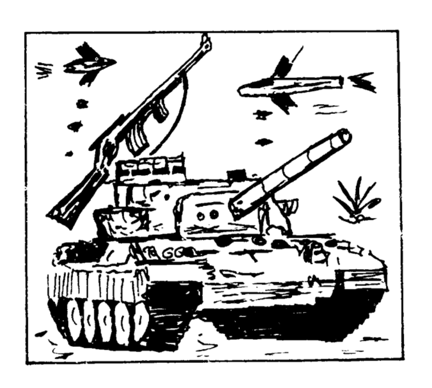
وفي الوقت المناسب تسلل أحد الشبان. وبحركة خفيفة وقوية انقض على الحارس كأنَّه الصقر الجارح. ووضع يده على فمه، ثم كممه وأخذ سلاحه بالتعاون مع أخ آخر، ومع صوت الله أكبر، الله أكبر أطلقت الدبابات الصغيرة واقتحم المهاجمون سور المعسكر ليفاجئوا الجنود بنيران المسدسات وبعض البنادق، مما أربك الجنود وأفزعهم.

لكن منظر الدبابات الصغيرة المتقدمة نحوهم أطارت عقولهم، ففروا

خارج المعسكر مذعورين خائفين متعجبين من هذه الدبابات الصغيرة العجيبة.

وفي اللحظة المناسبة وصلت سيارات النقل، حيث ملئت بالأسلحة والذخائر، ثم لاذ الجميع بالفرار دون أن يمس أحد بأذى، أو أن يتركوا أيّ أثر.

وتم إيصال الأسلحة والذخائر إلى المجاهدين في الجبال الذين طاروا من الفرح بالأسلحة، وامتلأت صدورهم إعجاباً بالأبطال الشجعان الميامين.





كان بضعة أطفالٍ يلعبون في شارع من شوارع المدينة المنورة. ولمح أحدهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قادماً، فنبّه رفاقه قائلاً:

اسكتوا يا أولاد، فأمير المؤمنين قادم.

وسكت الأولاد، وهربوا، خوفاً من أمير المؤمنين، وبقي صبيٌ ينظر نحو أمير المؤمنين.

وعندما اقترب عمر منه قال له:

- لماذا هرب أصحابك وبقيت أنت؟

أجاب الصبيّ في شجاعة:

- لأنني لم أذنب حتى أخافك وأهرب.

وأعجب أمير المؤمنين بهذا الصبي الشجاع، وقال له:

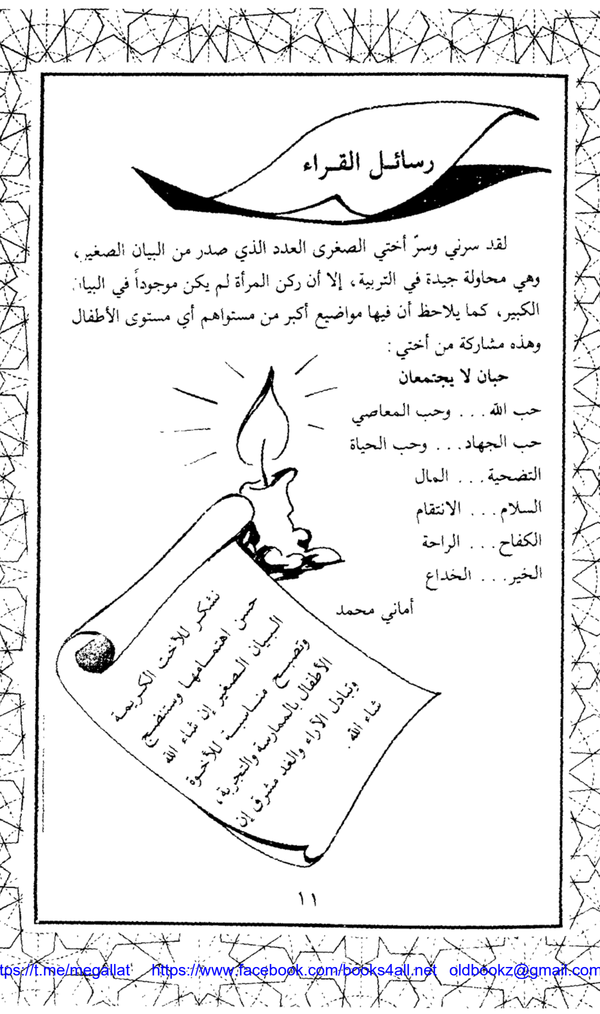
- يا بني إنك ولد صغير لم تذنب، فادعُ لي.

فرفع الصبي يديه إلى السماء وقال:

- اللهم اغفر لأمير المؤمنين.



«عبد الله الطنطاوي»



رسائل القـراء

لقد سرني وسرّ أختي الصغرى العدد الذي صدر من البيان الصغير، وهي محاولة جيدة في التربية، إلا أن ركن المرأة لم يكن موجوداً في البيان الكبير، كما يلاحظ أن فيها مواضيع أكبر من مستواهم أي مستوى الأطفال وهذه مشاركة من أختي:

حبان لا يجتمعان

حب الله . . . وحب المعاصي

حب الجهاد . . . وحب الحياة

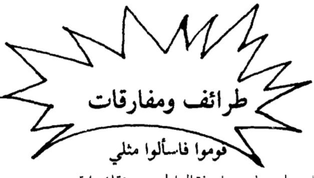
التضحية . . . المال

السلام . . . الانتقام

الكفاح . . . الراحة

الخير . . . الخداع

أماني محمد



قوموا فاسألوا مثلي

وقف سائل على باب دار فقالوا له: يرزقك الله

قال: كسرة خبز. قالوا: ما نقدر عليها.

قال: قليل من فول أو قمح. قالوا: لا نقدر عليه.

قال: قطعة دهن أو زيت أو لبن. قالوا: لا نقدر عليه.

قال: شربة ماء. قالوا: ليس عندنا ماء.

قال السائل: فلماذا تجلسون هنا؟

قوموا فاسألوا مثلي، فأنتم أحق بالسؤال مني.

أماني محمد

من يقنع الدجاج

كان أحد المجانين إذا رأى دجاجة أو ديكاً أصابه الذعر لأنه كان يتصور أنه أصبح حبة قمح، ويمكن للدجاج أن يأكله، توجه المجنون إلى الطبيب النفسي يشكو إليه حاله، فكتب له علاجاً.. وبعد فترة من العلاج.. عاد المجنون للطبيب:

الطبيب: هل اقتنعت أنك لست حبة قمح.

المريض: نعم لقد اقتنعت بذلك ولكن هناك أمر يشغلني.

الطبيب: وما هو؟ المريض: من يقنع الدجاج؟!!

محمد بدري



أنا الأولى

رباب فتاة ذكية نشيطة، واثقة من نفسها كل الثقة، فهي تفوق أقرانها وزميلاتها في كل شيء، في اللعب والجري، والإجابة الذكية المباشرة، والمعلومات الكثيرة، التي تعلمتها في البيت، حتى أنها استطاعت أن تتعلم القراءة والكتابة قبل أن تدخل المدرسة، فأصابها بعض الغرور والإعجاب بالنفس، ولم تدرك أن العلم نعمة وفضل من الله، يزداد بالقراءة المستمرة، وكتابة الواجبات، والانتباه في الدروس على المعلمة، وطاعة الله والوالدين.

أعجبت المعلمات والطالبات برباب أيما إعجاب، لكنهم سرعان ما اكتشفوا أنها معجبة بنفسها كثيراً، فلا تستمع إلى المعلمة، بل ربما تترك غرفة الصف وتخرج إلى الساحة لتعلب.

وعندما تسألها الناظرة: لماذا خرجت من الصف يا رباب؟ تقول رباب: خرجت لألعب. هذا الدرس أعرفه. وأنا تعلمت كل شيء.

فتقول الناظرة: ولكن يا رباب!؛ إذا لم تتابعي الدروس، فسوف تسبقك حنان وسمية. فترد رباب وباستعلاء: لا.. لا. أنا لا أحد يسبقني.. أنا أذكى طالبة.

واتصلت إدارة المدرسة بالأهل وتعاونوا على حل المشكلة.

لكن دون فائدة. ولم تسمع رباب نصائح أبويها ومعلمتها، وبدأ مستواها يقل عن مستوى حنان، شيئاً فشيئاً.

وقد لاحظت هي ذلك، لكن الغرور ملأ قلبها، فاستمرت في زهوها وترفعها، ولم تلتفت إلى دروسها وواجباتها.

واستمرت الحال هكذا إلى يوم الامتحان.

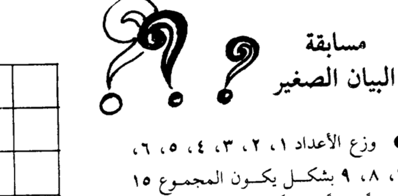
فبينما كانت هي تلعب بالحاسوب (الكومبيوتر)، كانت حنان وسمية تقرآن وتحفظان.

وخرجت النتائج، وفازت حنان بالمركز الأول، وسمية بالمركز الثاني، وتأخرت هي إلى المركز الثالث.

انهارت رباب من هول المفاجأة، وبدأت تبكي وتصرخ: لا.. هذا غير صحيح أنا الأولى... أنا الأولى.

أخذتها أمها وضمتها إلى صدرها، وحاولت أن تنسيها الحدث الأليم، فبدأت تتكلم معها عن الرحلة التي ستقوم بها الأسرة غداً: عن البحر وجماله، والزوارق والأمواج، وعن الحدائق والزهور والأراجيح، وأخذتها إلى البيت برفق وحنان، ورباب منكسرة صامتة لا تتكلم. وفعلاً ذهبت الأسرة في رحلتها الجميلة، فلعبت رباب مع أخواتها وجمعت باقات الزهور، وشقائق النعمان. فخفت وطأة الصدمة على رباب وارتاحت.

وبعد العودة إلى البيت، جلست رباب في حضن أمها، تقبل وجنتيها في حب واطمئنان وراحة، تتكلم بصوت هادىء خفيف: أنا آسفة. أنا آسفة يا أمي... أنا أعلم تماماً أن حنان كانت مجتهدة أكثر مني، وأنا لا أستحق أن أكون الأولى، لكنني أعاهدك يا أماه أن أبدأ من جديد، وأن أطيعك وأن أسمع نصائحك ونصائح المعلمة.



مسابقة البيان الصغير

● وزع الأعداد ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ بشكل يكون المجموع ١٥ عمودياً وأفقياً وقطرياً.

● وزع رجل ١٧ جملاً على أولاده

فأعطى الأول $\frac{١}{٢}$ نصف الجمال، وأعطى الثاني $\frac{١}{٣}$ ثلث الجمال، وأعطى الثالث $\frac{١}{٩}$ تسع الجمال. فهل تستطيع إجراء هذه القسمة شريطة أن يحصل كل فرد على عدد صحيح من الجمال ولا يباع أي من الجمال؟

● من القائل؟

١ـ ولست أبالي حين أُقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

٢ـ نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله.

٣ـ الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله. ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

● من هو؟

١ـ الشهيد الطائر ٢ـ أول سفير في الإسلام.

٣ـ قال عنه الإمام الشافعي (... أفقه من مالك ولكن أصحابه لم يقوموا به).

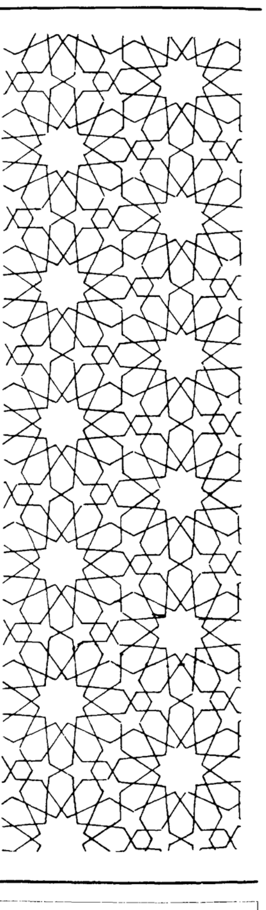
● رتب الأحداث التاريخية الآتية تبعاً لحدوثها:

إسلام خالد بن الوليد ـ غزوة بدر ـ حادثة الإسراء والمعراج ـ فتح مكة ـ إسلام عمر بن الخطاب ـ استشهاد سيدنا الحمزة ـ غزوة الأحزاب.



هيـا إلـى الـقـرآن يا فتيـة الإيـمـانِ
وأخـلصـوا الـولاء للواحـد الـديـانِ
تبـرءوا تبـرءوا من ملةِ الـشـيـطانِ
من كل فكـر وافـدٍ ومـذهـب علمـانـي
من كل فردٍ مجـرمٍ يحـكـم بالـطيـغـانِ
وكـل حزب كافـرٍ يهـزأ بالـقـرآنِ
هيـا إلـى الـقـرآنِ يا فتـيـة الإيـمـانِ





البيان

العدد التاسع والثلاثون
ذو القعدة ١٤١١ هـ
٥ / ١٩٩١ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن
المنتدى الإسلامي
لنــدن

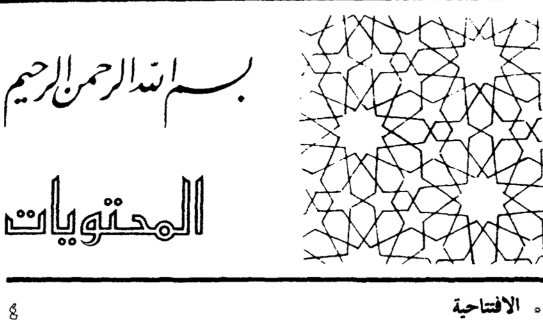
رئيــس التحــرير
محمد العبــدة

العنـــوان

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 736 4255


بسم الله الرحمن الرحيم
المحتويات

الغمرات..ثم ينجلين

هل طول الغمة يُطمع في انقضائها؟، وهل كثرة المصائب وتكالب الأعداء واشتداد الأزمة يوحي بانفراجها؟ جاء في السيرة النبوية أنه عندما تكالب الأحزاب على المسلمين ونقضت يهود قريظة العهد وتألبت مع من تألب. واشتد الأمر على المسلمين وزلزلوا زلزالاً شديداً قال صلى الله عليه وسلم: «أبشروا يا معشر المسلمين» [زاد المعاد ٣/ ٢٧٢].

لقد طال ليل الغمة على المسلمين، ومفاجآت المنطقة العربية لا تنتهي فبعد أزمة الخليج وخروج الأمة مثخنة بالجراح، جاءت مشكلة الأكراد لتضيف مأساة أخرى كمأساة فلسطين. ويغرق العرب بوعود أمريكا لحل مشكلة فلسطين بعد الحرب ثم يبدأ التنصل والمراوغة. وكانت الشعوب تأمل من الحكومات أن تستفيد من أحداث الخليج ومن التغيرات العالمية وتخفف من قيودها على الناس ولكن ما من مجيب ويبقى السؤال الملح بعد حالة الذهول وعدم التوازن، ما المخرج؟

هل فكرنا كيف قوي هذا الغرب، حتى وصل إلى ما وصل إليه الآن، لقد بدأ التفكير بالتغيير عند الأوروبيين عندما اصطدموا بالحضارة الإسلامية بعد الحروب الصليبية فهل بهذه الصدمات المتوالية تجعلنا نفكر بعمق كيف يبدأ التغيير ؟ لابد أن نرجع قليلاً إلى الوراء لنرى المحاولات والتجارب التي جرت على جسد أمتنا المنهكة من تحديث محمد علي باشا ورفاعة الطهطاوي إلى الدول القطرية التي كرست التبعية للغرب والشرق، إلى العسكرتاريا التي حطمت شخصية الفرد المسلم، بل شخصية الإنسان كإنسان إلى التيارات العصرانية والعلمانية التي لا تزال تنفخ في قربة مقطوعة، مما يؤدي دائماً إلى تعطيل الدورة التاريخية للاجتماع الإسلامي.

في مثل هذه الأجواء القاتمة لابد من عمل قوي يعيد للمسلم الثقة، لابد من مراجعة النفس ونقد الذات والاعتراف بالخطأ، لابد من اجتماع الدعاة والعلماء الصادقين، وترك الإحن والحزبية التي أفسدت علينا ديننا ودنيانا، لقد عاش المسلمون حالة تفاؤل لما يجري في أطراف العالم الإسلامي وقالوا: لعل الفرج يأتي من هناك، ولكن داء التفرق والمواقف غير المنضبطة أضعفت هذه الآمال، فهل يتوحد المسلمون لنرى يوماً من أيام الله.

وأما هذا الغرب وعلى رأسه أمريكا، فإن مطالعة سنن التاريخ تعلمنا أن الدول عندما تصاب بداء الغطرسة فإن ذلك بداية أفولها، وإصابة أمريكا بهذا الداء عبر عنه عضو مجلس الشيوخ الأمريكي (ألبرت بيفردج) عندما قال: «إن الأمريكيين جنس فاتح ولابد أن نطيع دماءنا، ونحتل أسواقاً جديدة وأرضاً جديدة إذا لزم الأمر،

ولابد أن تختنق الحضارات الوضيعة، والأجناس المتعفنة أمام الحضارات السامية للإنسان الأقوى والأعظم نبلاً»[1] كما عبر عنه الرئيس روزفلت في عام ١٩٤٣ إثر اجتماعه برئيس الوزراء البريطاني تشرشل في الدار البيضاء، قال: « إن الحلفاء سوف يقاتلون حتى يستسلم أعداؤهم دون أي شروط » يعلق الكاتب (ولبرايت) على هذه العبارة: «إنها طفرت من أعماق روح التعصب، ومبدأ الاستسلام غير المشروط مبدأ غير حكيم..»[2]

وهذا لا يعني أن الغرب سينهار بسرعة، ولكنها دعوة إلى معرفته ومعرفة الأسباب العميقة لضعفنا، ودعوة إلى التفاؤل وتغيير أساليب تفكيرنا.



١- د.أحمد صدقي الدجاني / التغلب على غواية غطرسة القوة، مقال بمجلة الهلال عدد أبريل ١٩٩١

٢- المصدر السابق.

الاعتدال في الحب والبغض

ستر الجعيد

الاعتدال والتوسط سمة من سمات هذا الدين، يدخل في كثير من الأشياء، بل يمكن القول أنه قاعدة مطردة.

والمتأمل في أحوال كثير من الأمم والأفراد، يجدهم بين غالٍ ومسرف، ومتهاون ومضيع، وبين معتدل ومتوسط سالك لطريق الأمة الوسط قال تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾**.

والتوسط الذي يجري في حياة الأمة كما هو في تفكيرها وفقهها، ومعالجتها لكثير من قضاياها يجعلها إذا التزمت به تحصل على فضائل جمة وخصال حميدة تجني عليها من المفاسد وعدم الاعتدال بقدر ما تفرط في التوسط والاعتدال، والأمثلة على ذلك كثيرة في حياة الأفراد والأمم بل وحتى الدعوات، ومناحي التوجيه، والتعليم، والتربية، ولكن لو نظرنا في الحب والبغض لوجدنا ذلك واضحاً، فالناس بين مشتط في البغض لأمور لا تستحق ذلك البغض أو على الأقل لا تستحق تلك الدرجة من البغض، وآخر متساهل فلا يبغض على أشياء تستحق البغض بل أحياناً البغض فيها واجب مفروض، وقد تجد من يضع الحب مكان البغض المطلوب.

فتجد من هو مقيم بحب بلغ فيه درجته القصوى، وإعجاب يسيطر على مشاعره وتصرفاته في الوقت الذي تجد أن حباً أقل من ذلك يكفي في هذا الموطن مما يجعل الأثر يظهر في معالجة كثير من القضايا.

ومع أن التوسط والاعتدال قاعدة مطرودة يفهم من فروع كثيرة لكن رسولنا

صلى الله عليه وسلم نص عليه ونبه على أثر تركه في هذه المسألة بالذات لأنها ذات أثرٍ بالغ وينشأ عن الإخلال بها مفاسد كثيرة، كما ينشأ عن التمسك بها مصالح جمةً. فقال محذراً وموجهاً: «أحبِبْ حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»[1]

«ومعنى هوناً ما: أي حباً مقتصداً لا إفراط فيه وإضافة ما إليه تفيد التقليل، يعني لا سرف في الحب والبغض فعسى أن يصير الحبيب بغيضاً والبغيض حبيباً فلا تكون قد أسرفت في الحب فتندم ولا في البغض فتستحي»

فما أعظم الإسلام، وما أعظم توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم، فهلا من فقه صحيح وتحرٍ واضح لهذه المسألة ومعرفة لحدود الحب والبغض حتى تصلح أحوال الأفراد والأمم والجماعات والدعوات، وتدرأ كذلك مفاسد كبيرة تنشأ من غياب هذا الفقه الصحيح في الواقع، وبالإضافة إلى ما سبق فإن هذا الحديث ينبه على بعض جوانب من قضايا علم النفس التي ذكرها رسولنا صلى الله عليه وسلم ضمن توجيهاته وأقواله، فهل من دراسة جادة لها وتوضيح لمقاصدها، وبناءً لهذا العلم على أسس صحيحة بدلاً من تجارب فرويد ومن لهث وراءه بنظريات جوفاء خطؤها أكثر من صوابها، فهي لا تعدو أن تكون تفكيرا من كافر - في جوانب لا يصلح فيها التفكير وإنما جاء بيانها ممن خلق الإنسان - أو تجربة على حيوان أو على بيئة لا تتفق مع أحوال المسلمين في كثير من القضايا، وبالتالي جاءت ثمارها غير متفقة بل ونكدة في غالبها.

أرجو الله أن يوفق المختصون للاهتمام بذلك ولا يأخذهم التعصب لتخصصهم، وليعيدوا النظر في كثير من أمور التربية وعلم النفس فهي بحاجة إلى إعادة النظر وإرجاع إلى أصول صحيحة وأسس قويمة.

١- صحيح (أخرجه الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة وغيره) صحيح الجامع ١/٩٧ رقم ١٧٨

دفـــاع الـــبوطي
عن دعاة وحدة الوجود

عبد القادر حامد

سننقل للقارئ حاشية طويلة من حواشي البوطي، لما تمثله من تلخيص جيد لمنهجه العلمي، وما تشتمل عليه من مميزاته التي أشرنا إليها في ثنايا ما كتبناه سابقاً، وهذه الحاشية دفاع منه عن ابن عربي، وهجوم (سماه هو دفاعاً) على ابن تيمية وعلى من يقلده وينهج نهجه، وسنرد على بعض ما جاء في هذه الحاشية، ولن نلزم القارئ بشيء، ولن نلح عليه بتصديق ما نقول، وإلا فهو غير «محرر قلبه من شوائب العصبيات والأهواء» !

إن صاحب المنهج الحق لا يستجدي موافقة الآخرين وتصديقهم له؛ فإن فعلوا فهم على الحق، وقلوبهم متحررة من شوائب الأهواء والعصبيات، وإن لم يفعلوا كانوا عكس ذلك. إنه يبين منهجه، ويقول كلمته، ويفصل بحججه ما وسعه التفصيل، ويثق بعقول قرائه دون وصاية أو إغراء أو تحذير.

يقول البوطي في صدد دفاعه عن القائلين بوحدة الوجود وتشنيعه على من ينتقدهم:

«...وخلاصة المشكلة أنه (أي ابن تيمية) ومن يقلده في نهجه يظلّون يأخذون ابن عربي وأمثاله بلازم أقوالهم، دون أن يحملوا أنفسهم على التأكد من أنهم يعتقدون فعلاً ذلك اللازم الذي تصوروه.

أما أن يكون في كتب ابن عربي كلام يخالف العقيدة الصحيحة ويستوجب الكفر، فهذا ما لا ريبة ولا نقاش فيه. وأمّا أن يدلّ ذلك دلالة قاطعة على أن ابن عربي كافر، وأنه ينطلق في فهم (شهود الذات الإلهية) من أصل كفري هو نظرية الفيض، فهذا ما لا يملك ابن تيمية ولا غيره أي دليل قاطع عليه. فإن كتب ابن عربي تفيض بالبيانات المفصلة المكررة التي تناقض هذا الأصل الكفري. هذا بالإضافة إلى أنه قد بات معلوماً ومؤكداً أن طائفة معلومة من الزنادقة الباطنية دسّوا ما شاؤوا أن يدسّوا في كتبه. ذكر ذلك المقري في (نفح الطيب)، وأكده ابن عماد في (شذرات الذهب)، وأكده في قصة طويلة الإمام الشعراني في (اليواقيت والجواهر)، وذكره الحاجي خليفة في (كشف الظنون)، ولا نشك في أن ابن تيمية ينبغي أن يكون في مقدمة من يعلم ذلك.

ولست في هذا منطلقاً من عصبية لابن عربي أو غيره. بل إن الميزان الوحيد عندي في ذلك هو القاعدة الشرعية التي يجب اتباعها عند الإقدام على تكفير أناس أو تضليلهم، وهي قاعدة معروفة لأهل العلم جميعاً وفي مقدمتهم ابن تيمية رحمه الله.

ولقد حكّمت هذه القاعدة في حق ابن تيمية، قبل تحكيمها في حق ابن عربي، فلقد نقلت فقرات من كلامه الذي يتضمن إقرار الفلاسفة في اعتقادهم بالقدم النوعي للمادة، وبوجود قوة طبيعية مودعة في الأشياء بها تحقق فاعلياتها وتأثيراتها، بل يتضمن الدفاع عنهم، في ذلك ودعوى أنه الحق الذي لا محيص عنه. وقد ثبت للعلماء جميعاً أن الفلاسفة اليونانيين وقعوا في الكفر لثلاثة أسباب، في مقدمتها، قولهم بالقدم النوعي للعالم. ولا يرتاب مسلم أن الكفر بدعوى قدم العالم، أو بدعوى وجود قوة مودعة في

الأشياء بها يتم التأثير، ليس أقل خطورة وجلاء من الكفر الذي تتضمنه عبارات واردة في كلام ابن عربي.

ولكنا مع ذلك لم نجنح، لهذا السبب، الى تكفير ابن تيمية ولا الى تضليله، بل انطلقنا الى النظر في ذلك من تحكيم القواعد الشرعية ذاتها، فلقد لاحظنا الأمر ذاته الذي لاحظناه في كتب الشيخ ابن عربي رحمه الله. إذ رأينا لابن تيمية كلاماً آخر في أكثر من موضع يناقض كلامه الباطل الذي أيّد فيه الفلاسفة في ضلالهم الذي كان سبباً من أسباب كفرهم، بحيث لو أردنا أن نردّ على ابن تيمية هذا الباطل الذي تورط فيه، لما وجدنا كلاماً نرد به عليه، خيراً من كلام ابن تيمية ذاته الذي كرره في عدة مناسبات أخرى.

فاقتضانا ذلك أن نعَرِّفَهُ بالحق الذي تكرر في كتبه وكلامه، لا أن ننعته بمقتضى الكلمات الباطلة التي دار بها قلمه أو تحرك بها مرة لسانه. ومهما كان السبيل الى حسن الظن بأهل القبلة ميسراً، فهو الواجب الذي لا محيد عنه، وما أيسر أن تزاح العبارات المشكلة عن السبيل الى ذلك بأنواع من التأويل والاحتمال. وإذا كان لابد من تأويل العبارات الباطلة لتتحول الى حق فنحافظ بذلك على حسن ظننا بصاحبها، أو من تأويل كلامه الحق ليتحول الى باطل، فنجعله معتمدنا في إساءة الظن به، فإن مما لا يرتاب فيه المسلمون قط أن الواجب هو تأويل الباطل بما يتفق مع الحق الذي عرف الرجل به لا العكس. لأن حسن الظن هو الأمثل بحال الرجل الصادق في إسلامه، وهو الذي يقضي به قول الله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنّ بعض الظن إثم**﴾ [الحجرات ١٢].

وإذا أبى ابن تيمية رحمه الله إلا أن يحملنا على تكفير ابن عربي استدلالاً بالكفريات الموجودة في كلامه، والإعراض عن الصفحات الطوال التي

تناقضها وتردّ عليها في مختلف كتبه وأقواله، فإنها لدعوة منه بلا ريب إلى أن نكفره هو الآخر استدلالاً بالضلالات الفلسفية التي انزلق فيها، وأن نعرض عن كلامه الآخر الذي يناقضها ويبرئه من مغبتها. ولكني أشهد أن دين الله عز وجل يأبى أن ندعو بهذه الدعوة، كما أنه يحذر من الانصياع لها.

ولعل كل متدبر للحق، محررٍ قلبه من شوائب العصبيات والأهواء، لا يعجز عن تصديق ما أقول، وعن اليقين بأنه المتفق مع كتاب الله، والمنسجم مع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم». [كتابه ص ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦]

القول ولازم القول:

يبدأ البوطي موهماً باستخدام بعض عبارات العلماء، فيشير إلى القول ولازم القول، ولكن لا يوضح لقرائه - وهم بحاجة إلى ذلك - القول ولازم القول؟ حتى نعلم: أصحيح أن ابن تيمية - ودعك ممن يقلده في نهجه - يأخذ ابن عربي وأمثاله بلازم أقوالهم، دون أن يحمل نفسه على التأكد من أنهم يعتقدون فعلاً ذلك اللازم؟

معنى هذا أنه ليس في كتب ابن عربي ما يدل دلالة واضحة على هذا الذي أُخذ عليه، وإنما هي تخرصات تخرصها ابن تيمية عليه، لكن هذا الزعم ينقضه البوطي نفسه في عبارته التالية مباشرة:

«أما أن يكون في كتب ابن عربي كلام كثير يخالف العقيدة الصحيحة ويستوجب الكفر، فهذا ما لا ريبة ولا نقاش فيه».

هذا طرف المعادلة الأول! وطرفها الثاني هو: «وأما أن يدل ذلك دلالة قاطعة على أن ابن عربي كافر وأنه ينطلق في فهم (شهود الذات الإلهية) من أصل كفري هو نظرية الفيض، فهذا ما لا يملك ابن تيمية ولا غيره أي

دليل قاطع عليه». ما دليل البوطي على فقدان ابن تيمية وغيره الدليل عليه ؟! دليله ما يلي: «فإن كتب ابن عربي تفيض بالبيانات المفصلة! المكررة! (كما نقول نحن اليوم: الإحصائيات المفصلة!) التي تناقض هذا الأصل الكفري».

ودليل آخر:

«وهذا بالإضافة إلى انه قد بات معلوماً ومؤكداً (لا نقاش في هذا المعلوم والمؤكد الذي كأنه معلوم من الدين بالضرورة عند الشيخ !) أن طائفة معلومة (!) من الزنادقة الباطنية دسوا ما شاؤوا أن يدسوا في كتبه (ما أسهل الدس في كتب المشبوهين!). من ذكر ذلك؟ ذكره صاحب (نفح الطيب)! وأكده صاحب شذرات الذهب! وأكده في قصة طويلة! الإمام الشعراني. (لماذا الشعراني إمام، والمقَّري وابن عماد ليسا إمامين ؟!) وأين أكده الإمام الشعراني ؟ في (اليواقيت والجواهر)، وذكره الحاجي[1] خليفة في (كشف الظنون)، بل وقاصمة الظهر أن ابن تيمية في مقدمة من يعلم أن تزويراً ودساً حصل في كتب ابن عربي. (وهذا لا يشك فيه البوطي!) لكن ما الذي يمنع ابن تيمية من الاعتراف بهذا الذي لا يشك فيه البوطي ؟! ليس غير حبه للتجني على غيره، وكتمان الحق المعلوم، والتشبث بالتخرصات التي لا دليل عليها؛ أو شيئاً في معنى هذا !

ذكر الشيخ البوطي أسماء كل من صاحب «نفح الطيب» وصاحب «شذرات الذهب» وصاحب « اليواقيت والجواهر» وصاحب «كشف الظنون» فيمن أكد الدس في كتب ابن عربي، ووجدنا - لدى رجوعنا إلى ترجمة ابن

١- لا ندري لماذا أضاف (ال) التعريف لهذا الشخص؟ لعله ليزيده تعريفاً وإلا فهو مشهور بدون (ال)، أو لعل ال هربت من ابن العماد إلى حاجي خليفة.

عربي في نفح الطيب، الذي يعتبره الشيخ البوطي مصدراً يرجع إليه في هذا المجال - مايلي:

«ومما نسبه إليه - رحمه الله تعالى - غير واحد قوله:

قلبي قطبي وقالبي أجفاني سري خَضِري وعينه عرفاني

روحي هارون وكليمي موسى نفسي فرعون والهوى هاماني

وذكر بعض الثقات أن هذين البيتين يكتبان لمن به القولنج في كفه ويلحسها فإنه يبرأ بإذن الله تعالى قال: قال وهو من المجربات! وقد تأول بعض العلماء قول الشيخ رحمه الله تعالى بإيمان فرعون النفس، بدليل ما سبق، وحكى في ذلك حكاية عن بعض الأولياء ممن كان ينتصر للشيخ رحمه الله تعالى».

[نفح الطيب ٢/٣٧٢-٣٧٣]

وقد عثرنا في نفح الطيب على غير هذه الطرفة مما لا نستطيع أن ننقله هنا لما فيه من نبو عن كل ذوق، فليُرْجَع إليه في الجزء ٢/٣٨٣ من نفح الطيب، وتبين لنا مما ينقله هذه المؤلف أنه لا يصح أن يعتمد قوله في هذه المسألة لأنه ناقل عن الشعراني فلا يصح أن يقال: ذكر ذلك المقري وذكره في قصة طويلة الإمام الشعراني، فما عند المقري حول ابن عربي مصدره الشعراني وغيره من المخرفين.

أما الشعراني فشهادته في ابن عربي لا تقبل لأن ما يقال في منهج ابن عربي يقال في منهجه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو متأخر عن ابن عربي، فبين وفاتيهما حوالي ٣٣٥ سنة فهل نتعلق بالشعراني ونذر مؤرخاً ثقة كالذهبي مثلاً ؟!

يقول الذهبي في ابن عربي:

« ومن أردأ تواليفه كتاب «الفصوص» فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر - نسأل الله العفو والنجاة، فواغوثاه بالله! وقد عظمه جماعة وتكلفوا لما صدر عنه ببعيد الاحتمالات، وقد حكى العلامة ابن دقيق العيد شيخنا أنه سمع الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول عن ابن عربي: شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العالم، لا يحرم فرجاً.

قلت: (أي الذهبي): إن كان محي الدين رجع عن مقالاته تلك قبل الموت فقد فاز، وما ذلك على الله بعزيز».

ونحن هنا لا نحقق بل نشير فقط إلى أولية من أوليات البحث العلمي وهي: إذا أردنا اعتبار آراء في شخصية ما فأول ما يجب أن ننظر فيه مدى قرب هذه الآراء من حيث الزمن من الشخصية المتناوَلة، ثم مدى وثاقتها وذلك بمعرفة درجة أصحابها وقيمة آرائهم في ميزان العلم، فلا نقبل مثلاً بتزكية صاحب بدعة لرأس في بدعته، كما يرفض رأي المتحامل فيمن عرف بالتحامل عليه، فلا بد من النظر في الجذور، وفي أقوال أهل العدالة والضبط ممن لا تعنيهم الأسماء أياً كانت، بل يعنيهم الحق ويدورون معه حيث دار.

وقد كان على الشيخ البوطي - حفظه الله - قبل أن يشير إلى صاحب نفح الطيب وصاحب شذرات الذهب وصاحب اليواقيت والجواهر، وصاحب كشف الظنون أن يذكر لنا رأي ابن عبد السلام، وابن دقيق العيد، والذهبي، وابن حجر، ولا عليه بعدها أن لا يتعرض لابن تيمية من قريب ولا من بعيد، لماذا لم يفعل ذلك؟ هل يتمذهب هؤلاء النفر الكرام بالسلفية التي اعتبرها بدعة طارئة تمزق وحدة المسلمين؛ وتقف حجر عثرة أمام المد الإسلامي؟!

ثم إنه يفهم من هذه الحاشية أنه يعتقد أن ابن تيمية يكفر ابن عربي، اعتماداً منه على رأيه في هجوم ابن تيمية على تكفير العلماء لأدنى شبهة، وقد بينا خطأ هذا الرأي في المقالة السابقة وأن ابن تيمية من أكثر الناس احتياطاً ودقة في هذا المجال، ولعل الذي يدفع البوطي إلى هذا الاعتقاد عدم تفريقه بين قول: هذا القول لفلان كفر أو فيه كفر، والقول بأن فلاناً كافر

إن القول الذي هو في نفسه كفر؛ أو المؤدي إلى الكفر ينبغي أن يبين غاية التبيين، ويحذر منه أشد التحذير - وهذا ما يفعله ابن تيمية عادة في نكيره على هذه الأقوال ومناصريها، وذلك أنه يرنو من خلال كل كتاباته وآثاره - إلى قضية جوهرية هي الجانب العملي من الفكر الإسلامي، والبعد عن الترف الفكري، والخوض فيما لا فائدة منه، والدفاع عن عقائد الإسلام وأحكامه ضد المؤثرات الدخيلة الضارة، ووضع المسلمين على الجادة الصحيحة التي يفهمون فيها دورهم، ويدركون ما اختصوا به من دون الأمم. وعلى هذا ينبغي أن يفهم إنكاره التالي على القائلين بوحدة الوجود. وعلى من يلتمس الأعذار لهم:

«وأما من قال: لكلامهم تأويل يوافق الشريعة فإنه من رؤوسهم وأئمتهم، فإنه إن كان ذكياً فإنه يُعَرَّف كذب نفسه فيما قاله، وإن كان معتقداً لهذا باطناً وظاهراً فهو أكفر من اليهود والنصارى.

فمن لم يُكَفِّر هؤلاء وجعلْ لكلامهم تأويلاً كان عن تكفير النصارى بالتثليث والاتحاد أبعد». [مجموع الفتاوى ٢/١٣٣]

أما عن ابن عربي بالذات فيقول: «مقالة ابن عربي في فصوص الحكم: وهي مع كونها كفراً فهو أقربهم إلى الإسلام؛ لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيراً ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره، بل هو كثير الاضطراب

فيه، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل أخرى والله أعلم بما مات عليه». [مجموع الفتاوى ٢/١٤٢]

فانظر كيف يفرق بين المقالة وبين صاحبها، وكيف ينصفه فينسب إليه كثرة الجيد في كلامه، وبأنه لا يثبت على الاتحاد مثل غيره من القائلين بوحدة الوجود، وكيف أنه لا يغمطه حقه ولا يهضمه مميزاته التي امتاز بها كسعة الخيال، وكيف يجوز أنه قد يكون تاب من أقواله المنكرة تلك.

أوهام على قواعد وهمية:

إن الشيخ فيما يكتب لا يرمي إلى دفاع عن هذا العالم أو ذاك، وليس هو بصدد الإحسان إلى الغزالي أو ابن حزم أو ابن عربي؛ إنما يرمي إلى هدف محدود جداً يعرفه كل من تصفح كتابه هذا، وهو الهجوم على قوم خطّؤوه وعقبوا على قول أو أقوال له، وقد اشتهروا بأشياء، فهو يظن أنه إذا تتبع هذه الأشياء وحاول أن يهوّن من شأنها سيصيب ضالته، وهي إخماد صوت هؤلاء وتشويه صورتهم، فتراه يعنّي نفسه هذا العناء، ويخوض مخاضات تكشف دعاواه، وهو لا يحاول أن ينجو من واحدة إلا ويرمي نفسه في أخرى هدانا الله وإياه.

لو كان يرمي إلى تجلية شبهات، والرد على أخطاء، والدفاع الصحيح عمن يدعي الغيرة عليهم والغضب لهم لكان هناك طريق آخر لذلك يتمثل في تحديد القضية المختلف عليها، وإزالة الإبهام عنها عن طريق نقل آراء كل من الفريقين فيها، ومناقشة كلام كل منهما «**حسب منهج المعرفة وقواعد تفسير النصوص**» التي دندن بها كثيراً في كتابه، واكن شيئاً من ذلك لم يحصل.

والعجيب منه أنه يوهمك أنه ينطلق في أحكامه هذه من قواعد؛ حيث لا قواعد! ويضع نفسه في مكان القاضي الذي يمسك بالميزان الذي يزن به ابن تيمية مرة؛ وابن عربي مرة، اسمعه يقول:

«ولقد حكمت هذه القاعدة في حق ابن تيمية، قبل تحكيمها في حق ابن عربي» ما هذه القاعدة الشرعية؟ وهل مر لها ذكر ؟! وبناء على هذه القاعدة الوهمية يرى أن ابن تيمية يقر الفلاسفة في اعتقادهم بالقدم النوعي للمادة (وقد تبين لنا مبلغ هذه الدعوى من الصحة في المقال السابق) ثم يؤكد بصلافة أن ما توصل إليه؛ مما يحلو له أن يلصقه بابن تيمية ليس أقل خطورة وجلاءً من الكفر الذي تتضمنه عبارات واردة في كلام ابن عربي ! لماذا هذا التعسف كله ؟ هل يريد أن يأخذ ابن تيمية رهينة؛ فيهدده بالكفر والتضليل إن لم يقلع أتباعه عن القول بابن عربي ما يقولون ؟! هذا ما تدل عليه حاشيته.

لكنه يحاول أن يظهر للقارئ شيئاً من الفروسية والعفو عند المقدرة، وإن شئت فشيئاً من الورع عن التقحم بالقول بلا علم، وذلك حين ينكص عن التكفير والتضليل تبعاً للقاعدة أو القواعد الشرعية الموهومة التي حكمها فتراه يقول: «ولكنا مع ذلك لم نجنح، لهذا السبب (لا ندري أي سبب؟!) إلى تكفير ابن تيمية ولا إلى تضليله، بل انطلقنا إلى النظر في ذلك من تحكيم القواعد الشرعية ذاتها ! (ليلاحظ القارئ أنها كانت قاعدة، ثم فرخت فأصبحت قواعد! وليحل بنفسه هذه الأحجية، بل هذه المعجزة، ولا يستغرب كيف تصبح القاعدة قواعد؛ فلعل هذا التكاثر حدث بانشطار الخلايا ! ولا ينسى المعجزة الكبرى، وهي أن القاعدة الشرعية الأولى لا وجود لها؛ ومع ذلك فقد ولدت قواعد ! من قال إن أدب اللامعقول لم

يترك في الفكر الإسلامي الحديث بصمات ؟!)

تسوية :

إن البوطي يحس بالمشكلة التي تحيط بالمقلدين الذين ربطوا أنفسهم بالأشخاص، فأصبحوا أسرى لكل ما يصدر عن هؤلاء الأشخاص، فبينما يحاول جاهداً أن يضع بين يديك منهجاً يعصمك من الخطأ، ويعترف انطلاقاً - من منهجه هو - أن في كتب ابن عربي كلاماً كثيراً يخالف العقيدة الصحيحة ويستوجب الكفر؛ (وهذه عبارته) تراه يلتف على هذا الاعتراف بطريقة بهلوانية لتفريغه من مدلوله ومحتواه، وذلك:

١- بالإشارة إلى ما يناقضه من (البيانات المفصلة المكررة) الموجودة في كتب ابن عربي[1].

٢- وبترداد خرافة الدس في كتب ابن عربي.

٣- وبأن ابن عربي ليس بدعاً في أن يوجد في آثاره كفر وإيمان؛ فابن تيمية مثله عنده هذا وهذا !

ولا شك أن هذه النقطة الثالثة اكتشاف جديد فتح الله به على الشيخ البوطي، وهو يحس بهذا الفتح، فتراه يبدئ فيه ويعيد، وكأنه يتصور أن هذا الفتح هو الذي سيلجم الخصوم، ويلقمهم حجراً لن يستطيعوا بعده كلاماً ولن يحيروا جواباً! وهو في غمرة نشوته بهذا الفتح الذي ادُّخر له إلى هذا العصر يسترسل في جلاء هذه النقطة حتى لا يبقى على عينها قشة! فيأتي ببدائع أخرى ما نظن أنه سُبق إليها، فقضايا الكفر والإيمان داخلة في مبدأ

١- ياليت الشيخ ذكر لنا بياناً واحداً على سبيل المثال فقط، ليكون قد قدم خدمة جُلّى لمن لا يقرؤون لابن عربي !

حسن الظن، والعقائد والعبارات الدالة عليها خاضعة - في رأيه - لأنواع من التأويل والاحتمال، «**وإن كان لا بد من تأويل العبارات الباطلة لتتحول إلى حق فنحافظ بذلك على حسن ظننا بصاحبها. أو من تأويل كلامه الحق ليتحول إلى باطل فنجعله معتمدنا في إساءة الظن به، فإن مما لا يرتاب فيه المسلمون قط** (لاحظ هذا الجزم) **أن الواجب هو تأويل الباطل بما يتفق مع الحق الذي عرف الرجل به لا العكس**».

إن هذا العبث الذي يلبسه البوطي ثوب الجدية يلتقي مع العبث الذي الذي يهذي به اللادينيون الذين يهيمنون على أجهزة التوجيه والثقافة في ردهم على دعاة الإسلام، مع فرق واحد وهو أن البوطي يجعل من هذا الكلام قاعدة يريد تطبيقها على ابن عربي وأمثاله، وهم يطبقونها على أنفسهم، ويطاردون بها من يقف في وجه ميوعتهم وزندقتهم، حيث إن كثيراً منهم يحمل أسماء إسلامية، وقد يقوم ببعض الشعائر الإسلامية، في الوقت الذي يلاحق فيه كل قضية إسلامية عملية وحيوية، فإذا ما قال لهم أحداً لا؛ جابهوه بهذا الكلام الذي يختلط فيه الحق بالباطل، ويستشهد فيه بالحق على الباطل، والذي ينبع خطره من التوائه وغموضه واستشهاده بمسلمات إسلامية من أجل التحلل من الإسلام. وهؤلاء العلمانيون اللادينيون لا يخفون إعجابهم بمثل ابن عربي الذي يهتف بمبدئهم ودينهم:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعىً لغزلانٍ وديرٌ لرهبانِ

وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ ... وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قرآنِ

أدينُ بدينِ الحبِّ أنَّى توجهتْ ... ركائِبُهُ، فالحبُّ ديني وإيماني[1]

إن هذه السنة التي يستنها البوطي؛ وهي وجوب تأويل الباطل ليتفق مع

١- ترجمان الأشواق لابن عربي ص ١٩

الحق؛ فيها من الجرأة بقدر ما فيها من الجهل، فضلاً عن أنها مستحيلة عند التطبيق، حتى من قبل الدعاة إليها. فسلوك البوطي مع خصومه مخالفة عملية لهذه السنة التي يرفع لواءها، فهل هو يحمل باطل خصومه على ما يعرفون به من حق حين يطلق لسانه فيهم وينعتهم بما ينعتهم به؟! وهبه اطلع على ما نكتبه حول كتابه الذي ما أحببنا – والله – أن يكون قد كتبه، لما فيه من الإساءة إليه وإلى لقبه العلمي، وودنا لو تصدق فيه أسطورة أن هذه الترهات قد دُسَّت عليه، كما يصدِّق هو هذه الأسطورة في كتب ابن عربي، ..نقول: هبه اطلع على هذه المقالات في نقد ما كتب؛ فكيف سيستقبلها ؟

هل سينشرح لها صدره ويحسن الظن بكاتبها ؟! إن ما عرف به مخالف لهذه السنة التي يبشر بها.

إن هذه الدعوة هدم لمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. بل إماتة للفكر الصحيح البعيد عن الزغل في دنيا المسلمين، وإشاعة لمبدأ: «أغمض عينيك واتبعني»، وترك الحبل على الغارب لكل من يقول قولاً دون الالتزام بمبدأ خير القرون. فمهما قرأ المسلم أو سمع عن شخص قال كذا وكذا – مما فيه نظر – فليس له أن يستجلي حقيقة هذا القول بل عليه أن يذهب ويفتش ملف هذا الشخص: هل فيه شيء من الخير، فإن وجد خيراً فليسكت، حملاً لما سمع من الباطل على ما وجد من خير و (ظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر). وإلا فهو سيء الظن بالناس، متعرض لما لا يعنيه، وهكذا لن يبق هناك من يشار إلى أنه أخطأ في مسألة، أو ترتب على رأي غير سديد له مشكلة، أو سرت آثار بدعته في الأمة حتى اتسع الخرق على الراقع، وأصبح اقتلاع هذه البدعة متعسراً أو متعذراً، وهكذا سيجلس أمثال: الجعد بن

درهم، والحلاج، وابن عربي، وابن الراوندي، والنصير الطوسي، مع مثل: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وابن المبارك، والليث بن سعد..إخواناً على سرر متقابلين ! حيث إنه من «المعلوم والمؤكد» أن كل من قيل فيه أو أنكر عليه شيء في التاريخ الإسلامي لا يخلو من جانب من جوانب الخير، حتى اللصوص وقطاع الطرق والظلمة والطغاة في كل عصر لا يخلون من ذلك، بل إن البدعة لا يصعب تمييزها ويقع الناس فيها إلا لخفائها عليهم من جراء اختلاطها بجانب من جوانب الخير، فهل نترك القول في ذلك حتى لا نرمى بإساءة الظن، وهل ترك هو النكير على ما سماه (بدعة السلفية) حتى يكون لدعوته وثاقة ؟ ليتذكر القارئ ركن: «التخبط والتناقض» من أركان منهج البوطي.

ألا يعلم الشيخ أن علماً قائماً بنفسه، خاصاً بالمسلمين، ومفخرة من مفاخرهم قد قام على ما يخالف دعوته هذه، وهو علم الجرح والتعديل؟ وهل على ما استشهد عليه يُستَشهَدُ بالآية الكريمة: ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم** ﴾ ؟!

ابن تيمية تحت طائلة التهديد:

ثم يختم حاشيته بتهديد ابن تيمية بأن يضعه تحت طائلة التكفير، أو بكف الإشارة إلى كفريات ابن عربي، لأنه إن لم يفعل ويرتدع عن التعرض لابن عربي؛ يكون قد جنى على نفسه بنفسه (والبوطي لا ذنب له في ذلك) ودعا الناس (بلا ريب) أن يكفروه بسبب ما عنده من ضلالات فلسفية ! لكن يا لهول هذه الخاتمة ويا لسوء عاقبة من يأخذ بها ! إنه الورع يأخذ بحجزة الشيخ البوطي أن يقتحم هذه المخاضة ! وهو الورع نفسه يفتقده ابن تيمية فيأبى إلا أن يحملنا على تكفير ابن عربي. هذا وجه من وجوه فهم عبارة

الشيخ !

ولكن مهلاً، هناك وجه آخر، كيف يتورع البوطي ويتحرج من شيء لا يد له فيه ولم يفعله هو، بل هو «دعوة بلا ريب من ابن تيمية» إلى تكفير ابن تيمية ؟! أرأيت ؟! ابن تيمية يدعو الناس إلى تكفيره ويلح عليهم أن يدعوا إلى تكفيره ولكن الشيخ البوطي يشهد: «أن دين الله عز وجل يأبى أن ندعو بهذه الدعوة. كما أنه يحذر من الانصياع لها».

فالورع إذن ليس من أجل سواد عيني ابن تيمية خوفاً من أن يظلم أو يُفترَى عليه، بل تورعاً عن استجابة دعوته الملحة للناس أن يكفروه ! فأي جريمة وأي ذنب يماثل ذلك ؟! وكيف يقدم مثل البوطي على ذلك ؟ ههنا الورع يتدخل، فيحل المشكلة !

هـــذا كـــلام له خَـــبِـــيءٌ معـنـاه ليـسـت لـنـا عـقـول !

وبقي غموض يسير يحتاج إلى تجلية وهو مرجع الضمير في الفعل «نكفره» من قوله: «فإنها لدعوة منه بلا ريب إلى أن نكفره» فقد رجعته حينما شرحت كلامه إلى الناس (ومنهم البوطي)، وقد يكون مرجعه الشيخ البوطي نفسه فقط ! كما يقال: نحن الملك، أو نحن رئيس الجمهورية نرسم بما يلي، وأي المعنيين اختار القارئ فهو مصيب، ويصعب على الناقد الحكم: أي المعنيين أبلغ !

عود على بدء :

ولكن عجباً ! يبدو الشيخ البوطي وكأنه يكتب رسالة تهديدية إلى ابن تيمية، وبينهما قرون طويلة ! ألا يعلم الشيخ ـ أطال الله عمره ـ أن ابن تيمية الآن في مقام الذي لا يستطيع أن يقبل أو يرفض فيوجه إليه هذا

الإنذار النهائي ؟!

إنه الأدب يا صاحبي.

ومن صَحِبَ الليالي عَلَّمَتْهُ خداعَ الإلفِ والقيلَ المُحالا
وغيَّرت الخطوبَ عليه حتى تريهِ الذرَّ يحملنَ الجبالا

خاتمة التعليق على الحاشية:

أنت - أيها القارئ الكريم، أمام البوطي - أحد رجلين:

١) إذا لم تعجز عن تصديق ما يقول؛ وساعدتك قواك العقلية والنفسية على الإيمان بأن قوله هو المتفق مع كتاب الله، والمنسجم مع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت متدبر للحق، محرر قلبك من شوائب العصبيات والأهواء.

٢) وإذا - لا سمح الله - عجزت عن ذلك لسبب من الأسباب - والأسباب كثيرة! - فأنت على الضد من ذلك، يقول: «ولعل كل متدبر للحق، محرر قلبه من شوائب العصبيات والأهواء، لا يعجز عن تصديق ما أقول، وعن اليقين بأنه المتفق مع كتاب الله، والمنسجم مع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم».

إنها دعوة تهديدية للموافقة، فمن يحب أن يكون معرضاً عن الحق، مملوءاً قلبه بشوائب العصبيات والأهواء ؟! لا خيار لقارئ الشيخ البوطي، وكأن هذا الأسلوب التسلطي متأثر بالمناخ الذي يخيم على بلادنا العربية وشعوبنا الإسلامية، والاستفتاءات التي تطالعنا كل بضع سنين، والتي لا خيار لك فيها إلا أن تقول: نعم، وإلا فأنت عميل، أو خائن، أو طابور

خامس، أو غير ذلك مما في معاجم تجار الشعارات من الأوصاف المقززة، وعندها فالويل والثبور لك !

وقد تكرر منه أمثال هذه العبارات التي تدل بمنطوقها ومفهومها على أن طرق المعرفة كلها ينبغي أن تُسَدّ، إلا ما يوصل إليه، مع أنه ينعى على هذا الأسلوب التسلطي الذي يمنيك وينعم عليك بكريم الأوصاف تحريضاً على موافقته على استنتاجاته، فإن لم تفعل وكان عندك تحفظ ما؛ سلّط عليك عكس تلك الأوصاف صراحة أو بمفهوم المخالفة.

في العدد القادم
الحلقة الأخيرة



الحلقة المفقودة

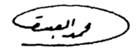
قال صاحبي: عجيب أمر هذه الشعوب، كيف تسكت على الظلم، وترضى بالهوان بل بالفقر والجوع، وكيف تسير مع أجهزة الإعلام أنّى سارت !

قلت له: مع أنه هناك فرق بين بعض الشعوب إلا أن كلامك في الجملة صحيح، ولكنك يا أخي تذكر الشعوب ومن يظلمها أو يسيرها بأجهزة إعلامه المرئية والمسموعة وتنسى حلقة بين هذين الطرفين وهي إن كانت موجودة فوجودها ضعيف غير مؤثر، وهي التي كان باستطاعتها أن تكون لها الكلمة المسموعة. نسيت يا أخي العلماء، هؤلاء هم زعماء الأمة، وورثة النبوة، وهم الموجهون لها، وهم الذين يحولون بين الشعب وبين سقوطه فريسة الاستبداد، وهم الذين تتطلع إليهم الأمة في الملمات والشدائد وحين تطل الفتن برأسها وحين تختلط الأمور، وأعني بذلك العلماء المستقلين الذين يجمعون بين العلم والدين ويتكلمون كلمة الحق دون خوف أو وجل من قطع راتب أو تنحية عن منصب، هؤلاء قلة نادرة الآن، بل في بعض البلدان لا تجد لهم أثراً.

ومن هذه القلة النادرة أناس عندهم حظ وافر من العلم والتقوى، ولكنهم غمطوا أنفسهم فابتعدوا عن مجالات التصدي لزعامة الناس وكأنهم ظنوا أن هذا من طلب الشهرة، ولهؤلاء نقول:

إن علاقة العلماء بجماهير الأمة ستجعل لهم وزناً ويحسب لرأيهم حساب، «فهم على الحقيقة أصحاب الأمر استحقاقاً، وذوو النجدة مأمورون بارتسام مراسمهم واقتصاص أوامرهم والانكفاف عن مزاجرهم»[(١)].

لقد بذلت الحركات الإسلامية جهوداً في محاولة استئناف حياة إسلامية ولكنها لم تملأ هذا الفراغ بإبراز عدد من العلماء الربانيين الذين يفزع الناس إليهم ويسمعون منهم ويتبعونهم، وهؤلاء هم الذين يبعدون الشعب عن اتباع كل ناعق، هؤلاء العلماء إذا لم يكونوا موجودين في قطر من الأقطار فيجب علينا إيجادهم ونعد لهذا باختيار الطلبة الأذكياء ودفعهم إلى تعلم العلم الشرعي والتبحر فيه ومعرفة الواقع ليصبحوا محط أنظار الشعب يسألهم عما يفيده في دينه ودنياه، وعما ينجيه من النار ويدخله الجنة.





١- الغياثي لأبي المعالي الجويني ص ٩٥

دعاء الاستخارة

معن عبد القادر

الدعاء عند الاستخارة صلة بين العبد وربه في كل أمر يقدم عليه، يستعينه ويستهديه ويسترشده، وفيه آداب إسلامية جمة وفوائد نفيسة، وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يعلمه أصحابه.

فعن جابر رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن يقول: (إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل:

« اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللَّهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - وتسمه باسمه - خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي (ويسره لي، ثم بارك لي فيه)*. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به »(١)

* زيادة من رواية في كتاب التوحيد.

١- رواه البخاري في كتاب الدعوات ١٨٣/١١ باب الدعاء عند الإستخارة.

فوائد الحديث :

أولا: آداب الدعاء

في هذا الحديث جملة من آداب الدعاء أولها:

أن يقدم السائل بين يدي دعائه ثناءً على الله عز وجل بما هو أهله والله سبحانه يحب المدح والثناء من عباده وهذا أدب لا يكاد يخلو منه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائه ومنها أن يقدم بين يدي حاجته عملاً صالحاً كما أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الداعي أن يركع ركعتين قبل دعائه، وهناك أمثلة أخرى مشابهة كصلاة التوبة وصلاة الحاجة.

« قال ابن أبي حمزة: الحكمة في تقديم الصلاة على الدعاء أن المراد بالاستخارة حصول الجمع بين خيري الدنيا والآخرة، فيحتاج إلى قرع باب الملك ولا شيء لذلك أنجع ولا أنجح من الصلاة لما فيها من تعظيم الله والثناء عليه، والافتقار إليه مآلاً وحالاً. وقال النووي في (من غير الفريضة) «لو دعا بدعاء الاستخارة عقب راتبة صلاة الظهر مثلاً أو غيرها من النوافل الراتبة والمطلقة، سواء اقتصر على ركعتين أو أكثر أجزأ » قال ابن حجر معقباً «إن نوى تلك الصلاة بعينها وصلاة الاستخارة معاً أجزأ بخلاف ما إذا لم ينو.. ويبعد الإجزاء عمن عرض له الطلب بعد فراغ الصلاة لأن ظاهر الخبر أن تقع الصلاة والدعاء بعد وجود إرادة الأمر ».

ومن آداب الدعاء بين يدي الله أن يظهر العبد فقره وعجزه وانكساره وذله وحاجته إلى ربه كما في الحديث «فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم».

ومنها رد الحول والقوة إلى الله، وفي الحديث تطبيق فعلي لمعنى «لا حول ولا قوة إلا بالله» التي كثيراً ما يرددها المسلمون وقل ما يفهمون معناها، فانظر كيف يتبرأ العبد من الحول ويرده كله إلى الله حين يسأله أن يقدر له الأمر إن كان خيراً، ثم يبارك له فيه، وإن كان شراً يصرف الأمر عنه ويصرفه عن الأمر ثم يقدر له بدل خير ويرضيه به فالحول كله لله.

ومن أعظم الآداب سؤال الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى بما يتناسب مع الحاجة، وهذا أحفظ لحرمة أسماء الله وصفاته وأقوى في تدبر معانيها فإن القائل «يا جبار يا منتقم اغفر لي» أنّى له أن يفقه معنى المغفرة والجبروت، وهو أيضا أدعى للإجابة وفيه تربية للنفوس على التجاوب مع مقتضيات الأسماء والصفات.

فتأمل ما أشد مناسبة صفات العلم والقدرة والفضل لطلب الخير في أمر ما، فإن السائل حين يطلب أن يُكتب له الأمر إن كان خيراً وأن يُصرف عنه إن كان شراً وأن يُقدر له الخير حيث كان فمثل هذا لا يتحقق إلا إذا كان المسؤول عليماً بما هو خير للسائل وما هو شر له، وقديراً حتى يقدِّره ويجعل للعبد قدرة عليه ثم كريماً متفضلاً حتى يعطيه.

ومن طريف ما يروى في هذه المناسبة أن رجلاً من الأعراب كان يستمع إلى الأصمعي يتلو ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله** غفور رحيم ﴾ فقال كلام من هذا، قال الأصمعي كلام الله، قال لا والله ما هذا كلام الله، فأعادها الأصمعي وقرأ ﴿**والله عزيز حكيم**﴾ فقال نعم عز فحكم فقطع ولو غفر ورحم لما قطع.

وانظر - يا أخي - كيف يعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نبدأ بسؤال الخير في الدين، فإنه لا خير أعظم من سلامة الدين ولا مصيبة أطم من المصيبة فيه. فالواجب على العبد أن يعتني بدينه اعتناءه بسائر أموره، بل أشد.

ثانيا: الاعتناء بالاستخارة:

كما في الحديث «يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن» قال ابن حجر «قيل وجه التشبيه عموم الحاجة في الأمور كلها إلى الاستخارة، كعموم الحاجة إلى القراءة في الصلاة» وقال ابن أبي جمرة: «التشبيه في تحفظ حروفه وترتيب كلماته، ومنع الزيادة والنقص منه والدرس له والمحافظة عليه، ويحتمل أن يكون من جهة الاهتمام به، والتحقيق لبركته والاحترام له.. قال الطيبي: فيه إشارة إلى الاعتناء التام البالغ بهذا الدعاء وهذه الصلاة لجعلها تِلْوَيْن للفريضة والقرآن». فلا تفرط - أخي في الله - فيما أرشدك رسولك لأن تحرص عليه مثل

هذا الحرص.

ثالثا: في أي شيء يستخير:

جاء في الحديث «في الأمور كلها» قال ابن أبي جمرة: «هو عام أريد به الخصوص فإن الواجب والمستحب لا يستخار في فعلهما والحرام والمكروه لا يستخار في تركهما» ذلك أن الله قد خار لنا في ذلك حين شرع لنا أمر ديننا **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾**. فإذا أقدم المسلم على أمر سأل عن حكم الإسلام فيه، فإن كان للإسلام حكم فيه بفعل أو ترك فقد قضي الأمر وما على المسلم إلا أن يمتثل، ويشمل ذلك الأمور المستحبة، فلا يستخير لقيام الليل ولا لصيام الاثنين والخميس، إذ في ذلك خير حتماً، فتبقى الاستخارة في كل الأمور المباحة التي لا يقطع بكونها خيراً أو شراً إلا عالم الغيب. وكم من الأمثلة على أمور ظن الإنسان فيها خيره فإذا فيها ضرره والعكس، والله يقول: **﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾** فلا ينبغي للمسلم أن يزهد في الاستخارة في أي أمر «ويتناول العموم العظيم من الأمور والحقير، فرب حقير يترتب عليه الأمر العظيم » وتكون الاستخارة أيضاً (في المستحب إذا تعارض منه أمران أيها يبدأ به ويقتصر عليه).

ولا يقدم الكثير على الاستخارة إلا في حال التردد، أما حين يظهر له الخير في أمر فإنه يغفل عن الاستخارة ويمضي في أمره معتمداً على علمه متكلاً على حوله وقوته، معرضا عن هدي نبيه صلى الله عليه وسلم.

رابعا: وماذا بعد الاستخارة ؟

فإذا استخار المسلم ربه فإنه يمضي عازماً على أي أمر يراه، متوكلا على الله في تحقيقه جازماً أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وليس شرطا أن يأتيه بعد استخارته إلهام أو رؤيا صالحة أو أمر لا يعتاده وإن كان شيء من ذلك قد يقدره الله.

ولما ظن بعض الناس ذلك. ولم يجدوه بعد الاستخارة، ذهبوا إلى تكرار الاستخارة مرة بعد أخرى وإن كان تكرار الاستخارة في المسألة الواحدة قد أفتى بعض العلماء بجوازه من الناحية الفقهية، ولكن تكرارها بدافع التجربة والمحاولة ليس جيداً، بل قد يوقع الإنسان في اليأس والقنوط وسوء الظن بالله. ولذلك فإن بعض من أفتى بجواز التكرار قيده بقيد من لم تطمئن نفسه لصلاته الأولى.

فالاستخارة – في جوهرها – تربية إيمانية قلبية يقدم الإنسان على أمره بعدها واثقا بأن ما يمضي فيه هو الخير، لأنه قد استخار ربه وهو يحسن ظنه بربه أنه قد خار له، وحينئذ حتى لو واجه عقبات وصعوبات ومشاكل فيما أقدم عليه فإنه لا يسيء الظن بربه لأنه أولا لا يدري ما كان سيجده لو قدر له الأمر الآخر، وثانياً فالمؤمن لا يقيس الخير بالماديات وإنما بما يكون في عمله من بركة في الدنيا وأجر في الآخرة. فلعل المصائب هي الخير له إذ فيها تكفير للذنوب ورفع للدرجات حين الصبر عليها.

وحين يصل المؤمن إلى هذا الفقه لمعنى الاستخارة وما يترتب عليها، فحدث كما شئت عن مدى ارتياحه واطمئنانه وصبره على جميع أموره إذ يؤمن – وقد سبق أن استخار ربه بصدق – أن ما هو فيه هو خيرة ربه له، وذلك يورث من الاطمئنان والرضا بما يكون فوق ما يورثه شعوره أنها مجرد قدر الله له، فلا يندم ولا يتحسر ولا يقول لو...لو.

وينعكس أثر هذا على شخصيته، فيظهر دائما واثقا عازما لا مترددا قلقا.

هذه بعض الآداب والتوجيهات في هذا الحديث العظيم الذي هجره كثير من الناس وأعرض عنه زهداً فيه وغفلة عن لجوئهم إلى ربهم. اللهم توكلنا عليك وفوضنا أمورنا إليك، إلهنا دبر لنا فإننا لا نحسن التدبير وخذ بأيدينا إلى كل خير.

الاسود وسعد بن معاذ وسُرّ الرسول صلى الله عليه وسلم من كلامهم وقال لهم: «سيروا وأبشروا»[1].

٢- غزوة أحد

استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أيخرج إلى قريش أم يمكث في المدينة ويقاتلهم في الطرقات، وكان رأيه ألا يخرجوا من المدينة، ولكن كثيراً من الصحابة وخاصة الشباب منهم ألحوا عليه في الخروج، فعزم على الخروج والتقوا عند سفح أحد[2] وبعد هذه الغزوة نزلت آية **﴿وشاورهم في الأمر﴾** تأكيداً لمبدأ الشورى.

٣- غزوة الخندق

لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيرة الأحزاب إليه وتألبهم على المسلمين، استشار الصحابة، فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق[3] وعندما بلغ الضيق بالمسلمين ما بلغ أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم التخفيف عنهم، فعرض على رؤساء غطفان - وهم من الأحزاب - أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة على أن ينصرفوا ويتركوا القتال، واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقالا: يا رسول الله إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة، وإن كان شيئاً تصنعه لنا فلا حاجة لنا به، والله لا نعطيهم إلا السيف، فصوّب رأيهما[4].

غزوة بني المصطلق:

في هذه الغزوة وقع حديث الإفك الذي تولى كبره زعيم المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول، وأبطأ الوحي في براءة عائشة رضي الله عنها، فشاور الرسول

١- - مرويات غزوة بدر لأحمد محمد باوزير /١٤٤

٢- انظر زاد المعاد ١٩٢/٣

٣- المصدر السابق ٢٧١/٣

٤- المصدر السابق ٢٧٣/٣

صلى الله عليه وسلم علياً بن أبي طالب وأسامة بن زيد، فيما رمى أهل الإفك عائشة، فأما أسامة فأشار بالذي يعلم من براءة أهله، وأما علي فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، واسأل الجارية تصدقك[١].

صلح الحديبية :

عندما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشاً جمعت له الجموع وأنهم سيصدونه عن البيت وقد جاء معتمراً قال: أشيروا عليّ أيها الناس، أترون أن أميل إلى عيال وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا ضرب أحد فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه، قال: فامضوا على اسم الله[٢].

وعندما تم الصلح على أن يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هذه السنة، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة بالنحر والحلق والتحلل من العمرة، فلم يقبل أحد ما أمر به فدخل على أم سلمة وكلمها في ذلك. فأشارت عليه أن يخرج ولا يكلم أحداً، ويحلق ويذبح. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً[٣].

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المسدد بالوحي المبلغ عن الله شرائعه ودينه، وهو من هو في كمال صفاته البشرية، ومع ذلك يكثر من المشاورة في الأمور العامة - فيما لا وحي فيه - وفي الأمور الخاصة. فالعجب ممن يجعل الشورى من المندوبات إن شاء أقامها الحاكم وإن شاء تركها، وهذا في الاستشارة فقط، فكيف يتكلم عن الإلزام بها، وكيف يستقيم حال أمة تحب الاستبداد ! !

تطبيقات الشورى في عهد الراشدين :

لم ينص الرسول صلى الله عليه وسلم على من يخلفه في حكم المسلمين وإن

١- ابراهيم بن ابراهيم قريبي / مرويات غزوة بني المصطلق / ٢٣٤-٢٦١

٢- د.حافظ حكمي / مرويات غزوة الحديبية /١٦٥

٣- المصدر السابق / ٢٢٦

كانت هناك إشارات واضحة على أن أبا بكر رضي الله عنه هو المؤهل لذلك، وبعد المداولات التي وقعت في سقيفة بني ساعدة تم اختيار أبي بكر، ثم بويع البيعة العامة في اليوم التالي فاختيار أبي بكر كان عن مشورة من الصحابة وهم أهل الحل والعقد في عالم الدولة الإسلامية.

وأراد عمر رضي الله عنه أن يرسخ مبدأ الشورى ويقطع ألسنة الذين يظنون أن بيعة أبي بكر كانت برجل أو رجلين ويمكن أن يفعلوا مثل هذا في الحديث الطويل في البخاري من رواية ابن عباس أن عمر قال: «..ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول: والله لو قد مات عمر بايعت فلاناً، فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن وقى الله شرها، وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، فمن بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا..»(١)

ويقصد الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه أن بيعة أبي بكر لم يحضر لها ويمهد لها، وأنها تمت في ظروف صعبة كان لا بد أن يختار الخليفة حتى لا يقع الشقاق خاصة وأن الأنصار اجتمعوا ليبايعوا خليفة منهم، فتمت مبايعة أبي بكر رضي الله عنه ووقى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم شر الخلاف، ولكن أبا بكر بويع بيعة عامة في اليوم التالي.



١- وقوله (تغرة) أن يقتلا: أي من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه وعرضهما للقتل وذلك لمخالفة جماعة المسلمين وجمهورهم وانفرادهما واستعجالها بالأمر دون مشورة عامة المسلمين.

النظر في مآلات الأفعال

د. حسن حسن إبراهيم

اعتبار المآل أصل من أصول الفقه جارٍ على مقاصد الشريعة، ولا شك أنه لا بد لنا من معرفة هذا الأصل لنعرف متى نقدم؟ ومتى نحجم؟..متى نصرّح؟ ومتى نلمّح؟ متى نواجه؟ ومتى نكون من وراء الستار؟..وحتى لا نكون عبئاً على الحركة الإسلامية، أو ثغرة تؤتى الحركة من قبلها !

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم».[١]

يعلمنا ابن تيمية مراعاة مآلاتِ الأفعال فإن كانت تؤدي إلى مطلوب فهي مطلوبة وإن كانت لا تؤدي إلا إلى شر فهي منهي عنها. ويعلمنا أيضاً أن الغاية من إنكار المنكر هي حدوث المعروف فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه فإنه لا يسوغ إنكاره.

ويقرر الإمام الشاطبي نفس الأصل فيقول: «النظر في مآلات الأفعال معتبر

١- أعلام الموقعين ابن القيم ج٣ ص٥

• فقد يكون العمل في الأصل ممنوعاً لكن يترك النهي عنه لما في ذلك من المصلحة.

مقصود شرعاً كانت الأفعال موافقة أو مخالفة.. وهو مجال للمجتهد صعب المورد إلا أنه صعب المذاق، محمود الغب (العاقبة)، جار على مقاصد الشريعة»[1]

ويقول في موضع آخر بعد أن يقرر أنه ليس كل حق ينشر، وبعد أن يحكي كراهية الإمام مالك للكلام فيما ليس تحته عمل يقول: «فتنبه لهذا المعنى وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة فإن صحت في ميزانها فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية»[2]

والأعمال بالنسبة لمآلها أربعة أقسام:

١- ما يكون أداؤه إلى الفساد قطعياً: كمن حفر بئراً في طريق المسلمين بحيث يقع فيه المارة.

فهذا ممنوع بإجماع الفقهاء.

٢- مايكون أداؤه إلى المفسدة نادراً: كزراعة العنب مع أنه قد يُتخذ خمراً فهذا حلال لا شك فيه.

٣- ما يكون أداؤه إلى المفسدة من باب غلبة الظن كبيع السلاح وقت الفتن وبيع العنب للخمار وهذا ممنوع أيضاً.

١- الموافقات الشاطبي ج٤ ص ١٩٤

٢- الموافقات الشاطبي ج٤ ص ١٩١

٤- ما يكون أداؤه إلى المفسدة دون غلبة الظن كالبيوع التي تُتَخذ ذريعة للربا وهذا موضع خلاف.[١]

وينبني على هذا الأصل القواعد الآتية:[٢]

١) قاعدة سد الذرائع: وحقيقتها تذرع بفعل جائز إلى عمل غير جائز فالأصل على المشروعية لكن مآله غير مشروع ومن الأمثلة على ذلك:

* قوله تعالى: ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم**﴾. فالآية تمنع من الجائز لئلا يكون سبباً في فعل لا يجوز[٣].

* أمر الشارع بالاجتماع على إمام واحد حتى في صلاة الخوف مع كون صلاة الخوف بإمامين أقرب إلى حصول الأمن وذلك سداً لذريعة الاختلاف والتنازع وهذا من أعظم مقاصد الشرع وقد سد الذريعة إلى ما يناقضه بكل طريق حتى في تسوية الصف في الصلاة[٣].

* نهي المؤمنين في مكة عن الانتصار باليد لأن مصلحة حفظ نفوسهم ودينهم راجحة على مصلحة الانتصار والمقابلة[٣].

* جاء في الحديث عن علي «حدثوا الناس بما يفهمون أتريدون أن يُكذب الله ورسوله»[٤]

قاعدة الحيل: وحقيقتها تقديم عمل ظاهر الجواز لإبطال حكم شرعي وتحويله

١- أصول الفقه لأبي زهرة ص ٢٨٩ باختصار
٢- الموافقات الشاطبي ج٤ ص ١٩٨ بتصرف
٣- أعلام الموقعين ابن القيم ج٣ ص ١٣٧ وما بعدها
٤- الموافقات الشاطبي ج٣ ص ١٨٩

في الظاهر إلى حكم آخر كالواهب ماله عند رأس الحول فراراً من الزكاة فإبطاله نظر في المآل.

قاعدة الاستحسان: وحدها الأخذ بمصلحة جزئية في مقابلة قياس كلي وحقيقتها منع القياس الذي يؤدي إلى قبيح أو بمعنى آخر ترك العسر لليسر، وهذا نظر في المآل.

إقامة المصالح الشرعية وإن عُرض في طريقها بعض المناكر: كطلب العلم وإن كان في طريقه مناكر تُسمع وتُرى وكشهود الجنائز وإقامة وظائف شرعية إذا لم يقدر على إقامتها إلا بمشاهدة ما لا يرتضى، فلا يخرج هذا العارض تلك الأمور عن اصولها لأنها أصول الدين وقواعد المصالح وهو المقصود من مقاصد الشريعة فجيب فهمها حق الفهم فإنها مثار اختلاف وتنازع وما ينقل عن السلف الصالح مما يخالف ذلك قضايا أعيان لا حجة في مجردها حتى يعقل معناها فتصير إلى موافقة ما تقرر إن شاء الله، والحاصل أنه مبني على اعتبار مآلات الأعمال. فاعتبارها لازم في كل حكم على الاطلاق.

أخيراً: من يتأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار يرى أنها من إضاعة هذا الأصل ويرى مدى الحاجة إلى تلك القواعد الشرعية لتخليص الفكر والواقع الإسلامي من النزعة الشكلية التي أعجزته عن مواجهة الواقع مواجهة فعالة.

لمحات في طرق نقل التقنية
والتخلف التقني في العالم الإسلامي

د.عبد الله بن صالح الضويان

إن التجارة بالتكنولوجيا أسهل بكثير من مهمة امتصاصها من قبل الدولة المستوردة لها. وأنه مع حلول السبعينات اتضح أن سياسة نقل التقنية إلى الدول النامية لم تنجح فقد تضخمت ديون هذه الدول وبدأت مشكلاتها الاجتماعية تتفاقم وآلت مشروعاتها إلى الهبوط.

ماذا نعني بنقل التكنولوجيا :

يمكن فهم نقل التكنولوجيا على مستويين[1]:

١- المستوى المحلي: ونقل التكنولوجيا على هذا المستوى يعرف بأنه تحويل خلاصات البحوث العلمية التي تقوم بها الجامعات والمعاهد إلى منتجات وخدمات ويطلق على هذا النوع من النقل (النقل الرأسي) للتكنولوجيا.

٢-المستوى الدولي: ونقل التكنولوجيا من دولة متقدمة قادرة على تحقيق (النقل الرأسي) فيها إلى دولة أقل تقدماً لم تستطع بعد إنجاز (النقل الرأسي) للتكنولوجيا فيها. ومثل هذا النقل من الدولة المتقدمة إلى الدولة الأقل تقدماً يأخذ في أبسط أشكاله نقل طرق وأساليب التكنولوجيا دون إجراء أية تعديلات لتكييف هذه الطرق والأساليب مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية السائدة في الدول

١- العرب أمام تحديات التكنولوجيا د.أكرم.

النامية. ومثل هذا النقل يطلق عليه عادة (النقل الأفقي) للتكنولوجيا. وبقدر ما يتم تعديل أو تكييف النقل الأفقي مع الظروف المحلية بقدر ما يكتسب درجة أعلى من نمط (النقل الرأسي) وبالتالي درجة أعلى من النجاح في التوطّن.

ولقد وجد (مانسفيلد وآخرون) في بحث لهما أخيراً أن عمر التكنولوجيا المنقولة (من أمريكا إلى دولة متقدمة أخرى مثل بريطانيا) هو ست سنوات (وهي المدة بين إنتاج سلعة وخدمة معينة بالولايات المتحدة ونقلها إلى الدولة المتقدمة المستوردة للتكنولوجيا)، ويصل هذا العمر إلى ١٣ عاماً حينما لا يكون النقل عن طريق شركات أمريكية ولكن بطرق أخرى. أما في حالة الدول النامية فيتطلب ذلك فترة تتراوح بين عقدين أو ثلاثة عقود من الزمن[١]. فمثلاً يرى الدكتور عزّى[٢] أنه من أجل صناعة متكاملة في النقل البحري في بلد مثل السعودية فنحتاج إلى ٢٠ سنة نكون بعدها قادرين على امتلاك جزء من التكنولوجيا بجهد ذاتي وقادرين على الانتقال الرأسي.

أنواع التكنولوجيا :

يمكن التفريق بين ثلاثة أنواع من التكنولوجيا[٣] وهي:

١- تكنولوجيا مادية(Hardware) متمثلة بالأجهزة والأدوات والمواد.

٢- المعلومات (Information) متمثلة بالمعرفة المسجلة أو المسموعة والتصاميم والمواصفات والاجراءات والأساليب الخاصة بتطوير التكنولوجيا واستعمالها وتشغيلها وادارتها وتمويلها والتدريب عليها.

٣- الخبرة الفنية (know-how) متمثلة بالاستخدام السليم للمعلومات وبالاتصالات الشخصية اللازمة لتشخيص المشكلات وتقديم الحلول لها.

١- مجلة المنهل، صفر- محرم ١٤٠٣هـ ص ٤٧

٢- العالم إلى أين د.ب عزّى ١٩٨٣م

٣- المجلة العربية للإدارة - المجلد ١١ العدد ٤ ص ٢٣ ١٩٨٧م.

قنوات وطرق نقل التكنولوجيا:

هناك عدة طرق وقنوات توصل التكنولوجيا إلى الدول النامية بعضها يلعب دوراً أساسياً في النقل والبعض الآخر يحظى بدور ثانوي (فأساليب النقل تعتمد على التقنية المراد نقلها).

ومن أهم القنوات ما يلي:

١- الاستيراد :

فمن الممكن الحصول على أجهزة وآلات ومصانع جاهزة إذا توفر رأس المال ومعدات تتجسد فيها إلى حد بعيد التكنولوجيا التي انتجت بها. ومن محاسن هذه الطريقة أن المستورد عادة ما يكون حر التصرف فيما يشتري إلى حد ما. عندها تستطيع الدول النامية الكشف عن التكنولوجيا بطرق شتى، منها فك الآلات والأجهزة إلى أجزائها ودراسة تركيبها وإعادة بنائها كما فعلت اليابان بنجاح من قبل. وفي حين أن درجة من هذا التقليد حاصلة في بعض دول جنوب شرق آسيا (تايوان، هونج كونج، كوريا الجنوبية) فإن الكثير من الدول النامية لا يملك حتى هذه القدرة على تفكيك وإعادة تركيب مثل هذه السلع كما أن تجربة اليابان لم تكن تقليداً أعمى بل جاءت جزءاً من مشروع حضاري متكامل لنهضة اليابان.

٢- الاستثمارات الأجنبية المباشرة في الدول النامية:

تتخذ الدول المتقدمة هذا الأسلوب في كثير من المشروعات التي تتم في البلدان النامية، لكن لا بد من ممارسة دور كبير من الحيطة من جانب الطرفين، المصدر والمستهلك، لجعل هذه الوسيلة مجدية بما يعود بالفائدة على الطرفين. وعندما تقوم الشركة (من الدول المتقدمة) باستثماراتها المباشرة في الدول النامية دون مشاركة من أي طرف محلي، فإنها تجلب معها (عدتها) الكاملة لإقامة مشاريعها بما في ذلك الحزمة التكنولوجية (Technological package) التي تحتاج إليها وتشمل دراسة الجدوى الفنية والاقتصادية للمشروع

والقيام بالأعمال الهندسية والتصاميم وإحضار الخبراء والفنيين والإداريين والمعدات والآلات والإشراف على إنجاز المشروع وعلى مباشرته في الإنتاج والتسويق. وسلكت بعض الدول النفطية طريق الدخول في المشاركة مع الشركات التي تقوم بالمشاريع، ويمكن أن يكون الطرف المحلي هو حكومة الدولة النامية نفسها أو إحدى مؤسساتها، أو أحد أصحاب رؤوس الأموال. وأصبحت الدولة النفطية تلح على امتلاك أكثر من ٥٠٪ من أسهم المشروع المشترك أملاً في الحصول على أكبر قدر من التأثير في سياسة الشركة مقابل تقديم الخدمات الأساسية (الغاز - الكهرباء - الهاتف) ويأخذ الطرف الأجنبي على عاتقه المسائل المرتبطة بإقامة المشروع وتشغيله وصيانته وإدارته وتسويق منتجاته[1].

٣- الشركات المتعددة الجنسيات:

إن معظم الاستثمارات في الدول النامية يتم عن طريق الشركات المتعددة الجنسيات (Multinational Corporation) وهي من أهم قنوات نقل التكنولوجيا إلى البلدان النامية، لكنها تعتبر أكبر محتكر للتكنولوجيا على المستوى الدولي من خلال مختلف القنوات المتاحة لها (مثل الاستيراد، الاستثمارات والخدمات الاستشارية، العلاقات التجارية) والتي سنأتي عليها. إن تاريخ هذه الشركات قديم فمثلاً عرفت الشركة البريطانية للهند الشرقية عام ١٦٠٠م، وكان سوق هذه الشركات بلدانها الأصلية أولاً ثم اتخذت طابع العالمية ليبرز هذا الاسم (متعدد الجنسيات) للاستثمار خارج موطنها. في عام ١٩٣٧م مثلاً كانت ١٨٧ شركة أمريكية قد نجحت في إقامة ٧١٥ فرعاً صناعياً خارج أمريكا، ٣٣٠ في أوروبا، ١٦٩ في كندا، ١١٤ في أمريكا اللاتينية والباقي

١- العرب أمام تحديات التكنولوجيا د.أكرم ص ٨٢

موزع على دول العالم. وأصبحت أرباح تلك الشركات في الفترة الأخيرة خيالية فمثلاً بلغت مبيعات شركة - اكسون الأمريكية للنفط - أكثر من ١٠٣ مليار دولار في عام ١٩٨٠م وربح قدره ٦,٥ مليار دولار. وبلغت مبيعات ٣٥ شركة أمريكية في عام ١٩٨٠م حوالي ٧٣٢,٦ مليار دولار وربح صافي قدره ٤٠ مليار دولار[١].

إن احتكار هذه الشركات للتكنولوجيا أدى إلى قلق الدول النامية كما أسلفنا حيث أن هدف هذه الشركات الربح فقط. إن إنتاج هذه الشركات يزيد بمعدل ضعف معدل نمو الاقتصاد الداخلي لكل من روسيا وأمريكا ومن المتوقع أن يكون لنحو ٤٠٠ إلى ٥٠٠ شركة من هذه الشركات (جنرال موتورز، شل، آي بي أم IBM، فيليبس..الخ) قبل نهاية القرن الحالي ملكية مالا يقل عن ثلثي مجموع الأصول الثابتة في العالم بأسره وأن تقوم بانتاج أكثر من نصف الإنتاج العالمي.

إن تعريف هذه الشركات مختلف فيه فمن قائل بأنها تلك التي ينتمي فيها مالكو الشركة الأم إلى جنسيات مختلفة، وآخرون يرون أن الجنسيات تعني أعضاء مجلس الإدارة للشركة الأم ومديري الشركة الأساسيين. وبالإجمال هي شركة كبيرة الحجم يصل نشاطها وفروعها الانتاجية إلى عدة دول. ومن الملاحظ بروز شركات أصحابها من مواطني الدول النامية وهذه أنواع منها من استفاد مؤسسوها من طفرة مالية في ذلك البلد وجمعوا ثروات شخصية بشتى الطرق وهذه فقط تملك رأس مال كبير. ومنها تلك الشركات الحكومية مثل ما فعلت شركت النفط الوطنية الكويتية بشرائها شركة «**سنتافي**» العالمية مع أن الإدارة من مواطني الدولة الأم للشركة. ومنها من يكون أصحابها مواطنين من الدول النامية استفادوا من مزايا وطنية في بعض القطاعات مثل شركة البناء الكورية.[٢]

١- العرب أمام تحديات التكنولوجيا د. أكرم ص ١٠٠

٢- نفس المرجع.

إن من عيوب وأضرار نقل التكنولوجيا عن طريق هذه القناة أنها تعمق علاقة التبعية والضمنية في العالم بعيداً عن تحقيق تكامل دولي حيث تعيد جزءاً كبيراً من أرباحها إلى الدولة الأم (عادة دولة متقدمة). كما أنها تصدر تكنولوجيا مكلفة رأس المال غير مراعية لظروف البلد التي يعاني أهلها من البطالة حيث أن أهداف هذه الشركات الربح السريع والضخم.

كما أن من عيوبها أنها تطوع الأذواق والمعطيات المحلية للدولة النامية بدلاً من أن تتكيف معها وذلك بالحملات والاعلانات الضخمة الأمر الذي يخلق ميلاً هائلاً عند هذه الشعوب للاستهلاك بينما قدرتها الانتاجية متواضعة. كما أنها تساهم في هجرة العقول بإغرائهم بالمال ونمط الحياة الراقي في بلد الشركة الأم ولا تنسَ كذلك أثر هذه الشركات على البلد النامي من حيث إغراقه في ديون وخفض عملته المحلية فمثلاً سحبت هذه الشركات عام ١٩٧٤م أكثر من ١٦ مليار دولار من الأرباح من الدول النامية في حين أنها لم تستقدم من الخارج أكثر من ٧ مليار دولار. وتسيطر هذه الشركات على ٨٠٪ من عمليات النقل في العالم حالياً.

٤- قد يأخذ نقل التكنولوجيا شكل الدخول في عقود ورخص وبراءات اختراع وعلامات تجارية بين شركة محلية في دولة نامية وبين شركة (في الغالب) متعددة الجنسيات (غير قادرة أو راغبة بالقيام باستثمارات مباشرة في دولة نامية ما لأسباب معينة). هنا تسمح الثانية للأولى باستغلال الرخص أو البراءة أو العلامة التجارية حسب شروط وقيود يتفق عليها مسبقاً (مثلاً: حرمان الشركة المحلية من التصدير والاكتفاء بالسوق المحلية، أو منعها من الجمع بين علامات تجارية لشركات منافسة...الخ).

إن العلامات التجارية وبراءات الاختراع تمثل معاً حقوق ملكية صناعية غير ملموسة وكلاهما يمنحان الشركة التي تملكها درجة من الاحتكار.

الشيخ أحمد محمد شاكر

حكمت الحريري

هو الأستاذ العلامة المحدث أبو الأشبال الشيخ أحمد بن محمد شاكر بن أحمد ابن عبد القادر. ولد رحمه الله بعد فجر يوم الجمعة في التاسع والعشرين من شهر جمادى الأخرة سنة ١٣٠٩ هـ الموافق ١٨٩٢م بمنزل والده بالقاهرة، ثم ارتحل مع والده إلى السودان حيث كان قد عُيِّنَ قاضياً فيها.

درس الشيخ أحمد شاكر في السودان بكلية «غوردن» ثم بعد رجوعه إلى مصر درس بالاسكندرية، ثم التحق بالأزهر الذي صار والده وكيلاً لمشيخته سنة ١٣٢٨ هـ.

وانتقال الشيخ إلى الأزهر كان بداية عهد جديد من حياته، فقد استطاع أن يتصل بكثير من العلماء وطلبة العلم الموجودين في القاهرة. ثم بدأ ينتقل في مكتبات القاهرة ويستفيد من العلماء ويكثر من المطالعة وقد حاز على الشهادة العالمية من الأزهر سنة ١٩١٧م وعمل في التدريس لمدة أربعة أشهر فقط، ثم عمل في سلك القضاء حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٥١م.

ولم ينقطع خلال فترة اشتغاله بالقضاء عن المطالعة والتصنيف، بل إنه أثرى المكتبة الإسلامية بأبحاثه القيمة وتحقيقه لأمهات الكتب المفيدة.

وكانت وفاته في السادس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٨م.

أشهر شيوخه:

تربى الشيخ أحمد شاكر في بيئة علمية، فوالده كان وكيلاً للأزهر، وجده لأمه العالم الجليل هارون عبد الرزاق؛ بالإضافة إلى وجود الأزهر الذي كان يستقطب كبار العلماء من شتى بلدان العالم الإسلامي مما أتاح للشيخ فرصة أن ينهل من معين العلم والعلماء.

ومن أشهر العلماء الذين استفاد منهم:

١- والده العلامة محمد شاكر، وكان أعظم الناس أثراً في حياته.

٢- الشيخ عبد السلام الفقي، وقد تعلم منه كتب الأدب واللغة والشعر.

٣- الشيخ محمود أبو دقيقة، وتعلم منه الفقه وأصوله بالإضافة إلى أنه تعلم منه الفروسية، والرماية، والسباحة.

٤- علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي.

٥- علامة المغرب ومحدثها الشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي، وقد أجازه برواية صحيح البخاري وبقية الكتب الستة.

٦- الشيخ طاهر الجزائري من كبار علماء الشام.

٧- العلامة محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، وغيرهم من جهابذة العلم.

جهوده في خدمة السنة:

أهم المصنفات التي حققها وعلق عليها:

١- تحقيق كتاب الرسالة للإمام الشافعي تحقيقاً علمياً نافعاً ينم عن غزارة علمه وسعة اطلاعه، وهو أول كتاب عرف به الشيخ أحمد.

٢- تحقيق (الجامع) للترمذي عن عدة نسخ، وصل فيه إلى نهاية الجزء الثالث.

٣- تحقيق وشرح مسند الإمام احمد بن حنبل، وقد شرع بخدمة هذا الكتاب من ١٩١١م حتى بدأ بطباعته سنة ١٩٤٦م، فهرس أحاديثه حسب الموضوعات، وخرجها وشرح مفرداته وعلق عليه تعليقات هامة ومفيدة، ولكنه لم ينته من تخريج كامل أحاديث المسند بل وصل إلى ثلث الكتاب تقريباً، وعدد الأحاديث التي حققها [٨٠٩٩] وقدم للكتاب بنقل كتابين جعلهما كالمقدمة بالنسبة للمسند هما: «خصائص المسند» للحافظ أبي موسى المديني «والمصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد» لابن الجزري.

٤- تحقيق مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري، ومعه معالم السنن للخطابي، وتهذيب ابن قيّم الجوزية، بالاشتراك مع الشيخ محمد حامد الفقي، وطبع الكتاب في ثمانية مجلدات.

٥- تحقيق صحيح ابن حبان: حقق الجزء الأول منه فقط.

٦- شرح ألفية السيوطي في علم الحديث، وطبع الكتاب في مجلدين.

٧- الباعث الحثيث شرح «اختصار علوم الحديث» للحافظ ابن كثير.

٨- تحقيق كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم.

٩- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير اختصره وحذف منه الأسانيد، والروايات الإسرائيلية والأحاديث الضعيفة، وتفاصيل المسائل الكلامية، وهو أفضل المختصرات التي طبعت لتفسير ابن كثير.

١٠- تخريج أحاديث من تفسير الطبري: شارك أخاه محمود شاكر في تخريج أحاديث بعض الأجزاء من هذا التفسير وعلق على بعض الأحاديث إلى الجزء الثالث عشر.

١١- تحقيق كتاب «لباب الآداب» للأمير أسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ.

١٢- تحقيق كتاب شرح العقيدة الطحاوية. هذا بالإضافة إلى كتب أخرى قيمة

في الأدب واللغة، وبحوث مفيدة في الفقه والقضايا الاجتماعية والسياسية كتبها في مجلة «الهدي النبوي» حينما كان رئيس تحرير لها، وقد جمعت بعض هذه المقالات ونشرت في كتاب بعنوان «كلمة الحق».

جهوده في المجال السياسي والاجتماعي:

عاش الشيخ أحمد شاكر في فترة امتازت بكثرة الأحداث وتواليها، والدول الإسلامية تئن تحت نير الاستعمار الإنكليزي والفرنسي، وخور المسلمين وعجز معظم العلماء عن القيام بواجبهم، بل كانوا يشعرون بالانهزامية والصغار أمام هجمات الصليبيين وتلامذتهم من المستشرقين الفكرية وطعنهم في هذا الدين، والتركيز على مصر المركز العلمي للعالم الإسلامي، واليهود يخططون لاحتلال فلسطين، وأحكام الشريعة الإسلامية أقصيت عن حياة الناس، بفعل الفساد والتخطيط الصليبي الماكر ضد هذه الأمة، حتى صار التدين والتمسك بدين الإسلام، وصمة عار وتخلفاً ورجعية.

وأمام هذه الموجات المتلاطمة والعواصف الجارفة التي تهب بالفساد وقمع الصالحين من العباد، ونصبوا لذلك رايات في كل هضبة وواد.

فلا يقوى على الصمود والمواجهة إلا العظماء من الرجال، وما دام أنه كما يقال: لكل زمان دولة ورجال، فقد هيأ الله سبحانه وتعالى الشيخ ليذود عن حياض هذه الأمة ويدافع عن شرفها وعزتها التي لا تكون أبداً إلا بتمسكها بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فانبرى الشيخ للتصدي لكل الأفكار الهدامة متمسكاً بكتاب الله ملتزما بعقيدة السلف، يقارع الأعداء وتلامذة الغرب من المستشرقين دون أن تلين له قناة أو تخور له عزيمة، مع قلة من أمثاله من الرجال.

وصار يدبج بيراعه مقالات نفيسة وتعليقات مفيدة على بعض ما حققه من الكتب، ومن ذلك تعليقاته على تفسير ابن جرير الطبري، وعمدة التفسير مفصلاً القول عن آيات الحاكمية وتكفير من لا يحكم بشريعة الله، وتعليقاته لا تزال

مصدراً هاماً لمن جاء بعده من العلماء المجاهدين الذين فتح الله بصيرتهم ولا أريد للقارئ لمقالتي هذه أن يعيش في جو التصور النظري، بل أنصح والدين النصيحة بالاطلاع على كتاب «كلمة الحق» فليس من سمع كمن رأى وعندها يتعرف القارئ على مدى مقدرة الشيخ على البيان وفصاحته، ودفاعه عن هذا الدين الحنيف، وتصديه للمبتدعين، والخرافيين وللمستشرقين وغيرهم.

وأريد أن أخص بالذكر من بين المقالات الهامة للشيخ ثلاثة مقالات هي: «أيتها الأمم المستعبدة»، «بيان إلى الأمة المصرية خاصة وإلى الأمم العربية والإسلامية عامة»، والثالثة «تحية المؤتمر العربي في قضية فلسطين».

ستلاحظ من خلالها مواقفه الحازمة وبغضه لأعداء الله، وتحريض الأمة على جهاد المستعمر الذي نهب خيرات البلاد ونشر في الأمة الفساد.

منهجه في تصحيح الأسانيد:

غلب على الشيخ في مجال البحث العلمي الاهتمام بتخريج الأحاديث ودراسة أسانيدها خاصة في تخريجه لأحاديث المسند.

وعند تتبع الأسانيد التي حكم عليها بالصحة، يلاحظ أن أهم القواعد التي يسير عليها في تصحيح إسناد حديث ما هي كالآتي:

١- إذا ذكر البخاري الراوي في «تاريخه الكبير» وسكت عنه، ولم يذكره في الضعفاء فإن الشيخ يعتبر سكوته توثيقاً للراوي.

٢- إذا ذكر ابن أبي حاتم الراوي في «الجرح والتعديل» وسكت عنه أيضاً، فإن الشيخ يعتبر سكوته عن الراوي توثيقا له.

٣- كان يعتمد على توثيق ابن حبان فالرواة الذين ذكرهم ابن حبان في كتاب «الثقات» ثقات عند الشيخ أحمد شاكر.

٤- توثيقه لـ (عبد الله بن لهيعة) بإطلاق.

٥- توثيقه للمجهول من التابعين قياساً لحالهم على حال الصحابة.

ومما أخذ على الشيخ أمور:

الأولى: معظم الكتب الهامة التي قام بتحقيقها أو شرحها لم يكد يتممها وكأنه كان يشتغل بأكثر من كتاب في وقت واحد، فالترمذي والمسند وصحيح ابن حبان وتفسير ابن كثير وتفسير الطبري، وغيرها، لم تكتمل، ولو أكملها لكانت الفائدة أوسع وأكثر، فلا تكاد تجد من يسد هذا الفراغ الذي تركه الشيخ، فمنهجه وأسلوبه يختلف عمن جاء من بعده.

الثانية: في نقد منهجه في تصحيح الأسانيد بناء على أهم القواعد المذكورة آنفاً. فالبخاري في «التاريخ الكبير» وكذا ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» لا يعتبر سكوتهما عن الراوي تعديلاً له، فقد يذكر البخاري في كتابه راوياً ضعيفاً ويسكت عنه، وقد يسكت عن بعض الرواة المجهولين، ويسكت أحياناً عن بعض الرواة الذين لم يعرفهم ولم يفرق بين أسمائهم. وأما ابن أبي حاتم فقد يسكت عن الرواة الذين لم يتمكن من معرفة أحوالهم فقد قال في مقدمة كتاب الجرح والتعديل:

«على أنا قد ذكرنا أسامي كثيرة مهملة من الجرح والتعديل، كتبناها ليشتمل الكتاب على كل من روي عنه العلم رجاء وجود الجرح والتعديل فيهم فنحن ملحقوها بهم من بعد إن شاء الله تعالى».

أما اعتماده على توثيق ابن حبان، فابن حبان كان متساهلاً في التوثيق فما كل من ذكرهم في «كتاب الثقات» بثقات.

وقد تكلم عن تساهل ابن حبان في التوثيق العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني في كتاب «التنكيل» وكذا الشيخ ناصر الألباني في مواضع من السلسلة الضعيفة. فكان مما قاله الألباني: «إن ابن حبان متساهل في التوثيق، فإنه كثيراً ما يوثق

المجهولين حتى الذين يصرح هو بنفسه أنه لا يدري من هو ولا من أبوه».

وتساهله نابع من اصطلاحه في تعريف العدل، فالعدل عنده من لم يعرف منه الجرح إذ الجرح ضد التعديل، فمن لم يعلم بجرح فهو عدل إذا لم يبين ضده إذ لم يكلف الناس معرفة ما غاب عنهم[1].

وأما توثيقه لعبد الله بن لهيعة باطلاق فهو موضع انتقاد أيضاً.

إذ أن عبد الله بن لهيعة ضعفه أكثر العلماء الذين يعتد بقولهم كابن معين، والنسائي وابن المديني، والجوزجاني، وابن حبان، والذهبي، وابن خزيمة، لأنه اختلط في آخر عمره بعد احتراق كتبه وأما من روى عنه قبل الاختلاط فروايته صحيحة، والذين رووا عنه قبل أن يختلط وقبل احتراق كتبه هم العبادلة. «عبد الله ابن المبارك، وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن المقرئ» وفي غير رواية هؤلاء عنه فهو ضعيف.

وأما توثيقه للمجهولين من التابعين فليس بصحيح، وإنما فعل ذلك قياساً لحال هؤلاء على حال الصحابة، والفرق واضح، فالصحابة مشهود بعدالتهم وثقتهم وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وليس حال التابعين كذلك، قال الحافظ ابن حجر: «ثم إن من بعد الصحابة تلقوا ذلك منهم وبذلوا أنفسهم في حفظه وتبليغه، وكذلك من بعدهم إلا أنه دخل فيمن بعد الصحابة في كل عصر قوم ممن ليست لهم أهلية ذلك وتبليغه، فأخطأوا فيما تحملوا ونقلوا، ومنهم من تعمد ذلك فدخلت الآفة فيه من هذا الوجه، فأقام الله طائفة كثيرة من هذه الأمة للذب عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فتكلموا في الرواة على قصد النصيحة»[2].

لكن الشيخ أحمد شاكر إذا مر بتابعي وكان مجهولاً، فكثيراً ما يكرر العبارة الآتية: «وهو تابعي، فأمره على الستر والعدل حتى يتبين فيه جرح».

١- مقدمة كتاب الثقات.

٢- لسان الميزان: ٣/١ .

دمعة حزن في مقلة عروس

عبد الرحمن صالح العشماوي

تروح بنا مصائبنا وتغدو فما يُرعى لنا في الناس عَهْدُ

ونحبو في طريق العلم حَبْواً وعَالَمُنا على قدميه يعدو

ويخطب «باقلٌ» في كل نادٍ فيا «سحبانُ» قولُك لا يُعَدُّ

ويحرق ثوبه عمرو بن هندٍ ولو علمتْ لما احتضنته هندُ

ولو أبصرت يا كعب «سعاداً» لما ناديتها وكفتك «دَعْدُ»

ويا «حسّانُ» بعدك ألف صوتٍ من الشعراء، بالنعرات تشدو

كأنّا قد نسينا ألف عامٍ ونصفَ الألف، وانتفضتْ «مَعَدُّ»

وهبّتْ ريح «ذبيان» و «عبسٍ» فثار لها غطارفةٌ وأُسْدُ

كأنَّ عقولنا مما اعتراها مساحاتٌ من الصحراء جُرْدُ

تقول الحربُ: ها أنذا بسيفي أمدُّ يدي فقوموا واستعدّوا

وبعض رجال قومي في يديهم حبالٌ لا تُلَفُّ ولا تُشَدُّ

وأنذرت الخطوبُ، فليت شعري ... متى يلوي ذراع الغيِّ رُشْدُ

غضبتُ لأمتي ممن يغنّي ... لها وفؤاده دَنَسٌ وحِقْدُ

يبادلها حديث الحبِّ جهراً ... وفي أعماقه خصمٌ ألدُّ

سلوني عن دكاترةٍ كبارٍ ... لهم في فكرنا أَخْذٌ وردُّ

تُعيرهمُ الصَّحافةُ مقلتيها ... فهم في عُرفها الركنُ الأَشدُّ

لهم عَبْرَ الإذاعةِ ألفُ صوتٍ ... وفي التِّلفاز أذرعةٌ تُمَدُّ

دكاترةٌ لهم فكرٌ غريبٌ ... وأحلامٌ عراضٌ لا تُحدُّ

على وطنيَّةِ التفكير قاموا ... وتحت غطائها قبضوا ومدُّوا

وباسم ثقافة العصر استباحوا ... حمى الفكر الأصيل وعنه نَدُّوا

أقول لهم: ثقافتكم هباءٌ ... وليس لغيمكم برقٌ ورَعْدُ

أقول لهم: كتابُ اللهِ فيكم ... إلى يَنبوعه الصَّافي المَرَدُّ

تعبتم في ملاحقة الدّعاوى ... وجرحُ فؤادِ أمتكم يجِدُّ

لنا وطنيَّةٌ ليست نَشازاً ... فما تجفو الكتابَ ولا تَندُّ

لنا البيت الحرام، لنا حراءٌ ... نعم، ولنا تهامتُنا ونجدُ

لنا أرض الجزيرة قام فيها ... من الإسلام دون البَغي سدُّ

لنا الأقصى، لنا شام ومصرٌ ... لنا يَمَنٌ وبغدادٌ وسِنْدُ

لـنـا في المغـرب الـعـربي أهـلٌ وأحـبـابٌ، وفي كـابـولَ جُـنْـدُ

لـنـا الإسـلام يجـمـع شمـل قـومـي وإنْ ورمـتْ أنـوف مـن اسـتـبـدُّوا

ولا وطـنـيـة لـدعـاة فـكـرٍ دخـيـلٍ،مـن سـوانـا يُـسْـتَـمَـدُّ

إذا صـارتْ روابـطُـنـا تُـرابـاً عـلـيه حـبـال أمـتـنـا تُـشَـدُّ

فلا تعجبْ إذا اضطربتْ خطانا وسـاومـنـا عـلى الأمجـادِ وَغْـدُ

ولا تـعـجـبْ إذا صـارت رُؤانـا تَـغـيـم، وقـصـر فـرحـتـنـا يُـهـدُّ

ألا يـا سـائـلي عـما أعـاني مـعـانـاتي لهـا في الـقـلـب حَـشْـدُ

تـعـالَ لـكـي تـرى غـاراتِ قـومـي عـلى قـومـي وتـبـصـرَ مـا أعـدُّوا

ولا تـسـألْ، فـلـيس لـنـا جـوابٌ ولـيس لأمـتـي في الأمـر قَـصْـدُ

مـضـى زمـن عـلـيها وهـي تحـبـو ولم يُـقـدحْ لهـا في المجـد زَنْـدُ

عـروس لا تُـزَفُّ إلى عـريـسٍ ولـيس لجـيـدهـا الـقـمـريِّ عِـقْـدُ

ولا مُـنـحـتْ أسـاورَ مـن نـضـارٍ ولم يُـغْـرسْ لهـا في الـدرب وَرْدُ

عـروسٌ جُـلِّـلـتْ بـثـيـاب حـزنٍ وطـاف بـهـا عـلى الـشّـاريـن عَـبْـدُ

مـراكـبُـهـا تُـسـيَّـر في بحـارٍ ولا هـدفٌ عـلى الـشـطـآن يـبـدو

نـقـول لأجـلـهـا حـقـاً، ولـكـن يـواجـهُـنـا مـن الأحـبـاب صَـدُّ

نُـقَـابَـلُ بـالـتـجـاهـل والـتـغـاضـي ويـنـسـى الـقـوم أنَّ الأمـرَ جِـدُّ

إذا لم يحـكـم الإسـلامُ قـومـي فـمـهْـدُك أيُّـهـا المولـودُ لَحْـدُ

الشعور الديني عند المراهق

عثمان جمعة ضميرية

إن مرحلة المراهقة من أخطر المراحل التي تواجه كل من يقوم بالتربية، وذلك لأنها مرحلة انتقال جسمي وعقلي وانفعالي واجتماعي، بين مرحلتين متميزتين هما: مرحلة الطفولة الوادعة، الساذجة الهادئة، ومرحلة الشباب التي تُسلِم المراهق إلى الرشد والنضوج والتكامل والرجولة الكاملة. وهي مرحلة طبيعية في النمو، يمر بها المراهق كما يمر بغيرها من مراحل العمر المختلفة، لا يتعرض لأزمة من أزمات النمو، مادام هذا النمو يجري في مجراه الطبيعي، فهي ليست - بحد ذاتها - أزمة، وإنما هي مرحلة انتقال وتغيير كلي شامل، وإن حصلت الأزمة فإنها إنما تنشأ بسبب عوامل مؤثرة غيرها، أو بسبب معالجة مشكلات المراهق.

والمراهقة هي: الفترة من بلوغ الحلم إلى سن الرشد[1] والمراهق هو الغلام الذي قارب الحلم.

ولن نعنى في هذا المقال بدراسة التغيرات النفسية والعقلية والجسمية التي تطرأ على المراهق، وإنما نُلْمِعْ إلى الشعور الديني عند المراهق وتطوره لبيان اتجاهات المراهقين الدينية والأخلاقية.

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان على فطرة التوحيد والإيمان، وقد أخذ العهد على بني آدم مذ كانوا ذرية في ظهور آبائهم وأشهدهم على أنفسهم: ﴿ألست

١- المعجم الوسيط: ١/٣٧٨

بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا﴾ [الأعراف ١٧٢]

وفي الحديث القدسي «..إني خلقت عبادي حنفاء كلَّهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم».

فالإنسان مؤمن بفطرته، يتجه إلى الله عز وجل وحده بالعبادة والخضوع، ولكن هذه الفطرة قد يغشاها ما يغشاها، أو قد تنحرف وتمرض، بتأثير بعض العوامل كالوالدين أو البيئة الكافر أهلها، ففي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يُهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تُحسُّون فيها من جدعاء؟» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: واقرؤوا إن شئتم **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾**.

وإذا كان الطفل منذ نعومة أظفاره يدرك عدداً من المعاني الدينية بتأثير هذه الفطرة التي أودعه الله إياها، فإن هذا الإدراك هو شعور غير محدد، فهو يبدي عدداً من الانفعالات ويطرح جملة من الأسئلة عن الله خالق الكون، خالق الشمس والقمر..منزل المطر من السماء، عن الرعد والبرق، وعن الجنة والنار..فإن المعاني الدينية تتضح أكثر عند المراهق، بسبب نضجه العقلي الذي وصل إليه، فلا تكاد مرحلة المراهقة تبلغ أوجها - حوالي السادسة عشرة تقريباً - حتى تكون مستويات المراهق الإدراكية قد تفتحت وتسامت، وذكاؤه قد بلغ أوجه، كما تتحدد في هذه المرحلة اهتمامات المراهق، ويتحرر من الشطحات والخيال ويميل إلى القراءة والاطلاع، ويصبح قادراً على التجريد وإدراك المعنويات، وتجاربه في البيت والمدرسة والمجتمع قد تنوعت.

كل تلك العوامل العقلية والاجتماعية، إضافة إلى النضج الجنسي، تتضافر في إيجاد وعي ديني عند المراهق، يختلف عن الاهتمام الديني عند الأطفال. فعندئذ

يبدأ بتكوين فكرة عن الحياة والمصير والغاية، ويفكر في الخالق سبحانه وفي صفاته، وهذا يكوِّن لديه يقظة دينية تثير نشاطاً عملياً، كالعبادة التي تترجم عن إيمانه، وكالجهاد في سبيل الله، وتحمل المطالب والمسؤوليات تجاه دينه، والاستهانة بالعقبات التي تقف أمامه.

والمراهق - كغيره - يجد في الدين أملاً مشرقاً بعد يأس مظلم، ويجد فيه أمناً من خوف. وفكراً يسدّ فراغه النفسي وقلقه الانفعالي. وهذا كله يدفع بالمراهق إلى المبالغة في العبادة والتعمق فيها أحياناً.

وهذا الوعي الديني عند المراهق، يجب توجيهه وجهة سليمة صحيحة، تتفق ومقدرته العقلية وتكوينه النفسي والانفعالي، ليكون فهمه للدين - منذ البداية - فهماً صحيحاً، بعيداً عن الأوهام والخرافات والتعصب. فلا يجوز أن يفهم بعض آيات الكتاب الكريم على نحوٍ غير صحيح استناداً إلى أنه لا يستطيع الآن أن يدرك معانيها الحقيقية كما ندركها نحن مثلاً، أو بحجة استغلال عاطفته الدينية خوفاً من موجات الشك والإلحاد، أو انتصاراً للدين على العلم - كما يفعله بعضهم - أو بأي حجة أخرى.

فإن تلقين المعاني والأفكار الدينية للمراهق بشكل منحرف أو خرافي يؤدي إلى ناحية سلبية. فينكر الدين إلحاداً وازدراءً، أو ينكر العلم جهلاً وتعصباً !

ومن هنا، كان من الواجب توجيه المراهق توجيهاً سليماً واضحاً، ووجب الابتعاد عن السطحية والضحالة في تقديم الأفكار الدينية له وتعليمه إياها؛ إذ يجب في هذه المرحلة أن نوسِّع ثقافته - وهو في دراسته في هذه المرحلة في مستوى الدراسة المتوسطة والثانوية - من الناحية الدينية حتى ننهض بمستواه الروحي. ونرى أثر هذه الثقافة في أخلاقه وسلوكه.

كما يجب على كل من يُعنى بتربية المراهق أن يفتح له قلبه بفتح باب المناقشة الهادئة الواعية الدقيقة. وأن يعوِّده على ذلك، وأن لا يضيق أو يتبرم بمناقشته وأسئلته، لأنه يميل في هذه المرحلة إلى مناقشة كل فكرة تُعرض عليه فهو لم يعد طفلاً يأخذ كل شيء بالتسليم المطلق، وإن كان هذا لا ينفي أن نزرع في نفسه أيضاً التسليم المطلق لله تعالى والانقياد لأوامره وأحكامه، وأنه سبحانه وتعالى إنما شرع شرعته لمصلحة لنا، قد يدركها العقل، وقد يعجز عن دركها ومعرفتها أحياناً ولكنه - بكل تأكيد - ما من حكم شرعي إلا وهو ينطوي على مصلحة للبشر. وهذا ما أشار إليه وفصَّله الإمام المحقق الشاطبي في كتابه العظيم «الموافقات» والعز بن عبد السلام في «قواعد الأحكام».

وهذا هو الطريق السوي السليم - فيما أحسب - في توجيه المراهق دينياً، بحيث نبعث في نفسه السكينة والاطمئنان، والثقة بالنفس، مع القناعة العقلية والوجدانية، والمباعدة بينه وبين الغرور، وبهذا نحفظه من رياح الإلحاد والاستهتار والانحلال.

وفي دراسة إحصائية لخبرات المراهقين، أجراها الدكتور عبد المنعم المليجي في مصر. اقترح تصنيفاً للمراهقين حسب الاتجاه الديني الذي يغلب عليهم، إلى فئات أربع:

١- فئة يلتزمون قواعد الدين حرفياً دون مناقشة، وهذه فئة المؤمنين إيماناً تقليدياً - حسب تعبيره - .

٢- فئة تأخذ الدين بجدية أكثر، فتندفع إلى تبرير الدين والتحمس له. وهذه فئة المتحمسين للدين.

٣- فئة تأخذ الدين جدياً، لكن تميل إلى اتجاه نقدي أكثر وهي فئة

المتشككين.

٤- فئة تنكر الدين إنكاراً صريحاً.

وفيما يلي جدول يلخص توزيع الاتجاهات الدينية، مستخلصاً من أجوبة المراهقين على الاستفتاء الذي صممه الدكتور المليجي وأجراه في مصر، ونظرة سريعة إلى هذا الجدول تبين لنا تناقص عدد الأفراد كلما بعدت فئاتهم عن الاتجاه التقليدي في التدين - كما أسماه - ويتبين من النسب المئوية وجود ارتباط موجب بين اتجاه البنين واتجاه البنات الدينية:

الاتجاهات الدينية *	بنين		بنات	
	عدد	النسبة المئوية	عدد	النسبة المئوية
إيمان تقليدي	٥٠	٥٠ ٪	٤٢	٦١,٥ ٪
حماس	٢٥	٢٥ ٪	١٨	٢٥,٨ ٪
شك	٢٤	٢٤ ٪	٩	١٢.٨ ٪
إلحاد	١	١ ٪	—	—
المجموع	١٠٠	١٠٠	٧٠	١٠٠

ويتبين من الجدول أن المراهقات أقلُّ من البنين نزوعاً إلى التحرر من الدين وأكثر منهم سلبية، ولا نجد بين البنات إلحاداً قط، في حين نجد نسبة ضئيلة لدى البنين، كما نجد أن نسبة الإيمان التقليدي بين البنات تفوقها لدى البنين بمقدار ١٠,٥٪ (المليجي ص٢١٤).

* (البيان) : هذه الإحصائية متفقة مع العينة التي أجري عليها البحث، والأمر يختلف من مجتمع لآخر، فلا نستطيع التعميم بنتائج هذه العينة بإعطاء حكم عام على حال المراهقين عموماً.

وحبذا لو أجريت استفتاءات أخرى في بعض البلدان الإسلامية، لمعرفة مدى الرصيد الإيماني لشبابنا المراهقين الذين تحاصرهم كثير من التغيرات، وتغزوهم وسائل الإعلام التي يزيد الهدم فيها ويفوق البناء، وبذلك نرصد اهتمامات شبابنا وتوجهاتهم، ويمكن معالجة ما قد يقع من انحراف، وتصويب ما يمكن تصويبه من أخطاء.

وكذلك يقف المراهق - والمراهقة أيضاً - موقفاً إيجابياً من الأخلاق، بعكس ما كان عليه عندما كان طفلاً، فهو لا يتقبل أي موقف أخلاقي دون مناقشة أو تقليب النظر.

إن المراهقَ والمراهقة يناقشان في صراحة - أحياناً - كل ما يصدر عن الوالدين من أعمال ويحاولان أن يُصدرا أحكاماً على هذه الأعمال، فكل منهما يقبل عندئذ ما يروقه وما يتمشى مع منطقه، ويرفض ما يتعارض مع مُثُلِه العليا، ويجادل والديه في هذا كله.

وهناك ظاهرة أخرى في سلوك المراهق الخُلقي؛ إذ باستطاعته الآن التفكير في صيغ عامة، وأن يكوِّن لنفسه «مُثُلاً عليا» هي تجمع لخبراته السابقة في الطفولة.

ومن الأمثلة القريبة على هذه المثل العليا والأخلاق السامية عند المراهق: أولئك الفتيان الذين ينشطون دائماً في جمع التبرعات للمنكوبين أو المشرّدين، دون أن ينتظروا من وراء ذلك كسباً مادياً أو نفعاً دنيوياً عاجلاً.

مثال آخر يدل على شهامة المراهقين ومثاليتهم العالية: أولئك الطلاب الذين اشتركوا في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م أو في معركة القنال بمصر بعد إلغاء المعاهدة المصرية الانكليزية عام ١٩٢٦م، وكان الكثير من هؤلاء في سن المراهقة، ذهبوا وضحّوا بأنفسهم في سبيل مبدأ جليل دون رهبة أو وجل، يدفعهم إلى

ذلك إيمان بالله قويٌّ، وأخلاق عالية سامية.

وإذا ارتقينا في تاريخنا الإسلامي إلى عهد الصحابة رضوان الله عليهم وجدنا أمثلة كثيرة تعزُّ على الحصر، تؤكد ذلك، فأولئك الشباب من الشهداء في عهد النبوة، وأولئك الذين جاهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم مثال رائع لذلك، وكان فيهم من لا يتجاوز الخامسة عشرة من العمر، ومنهم من ردّه الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يجِزه في الاشتراك في الجهاد، لصغر سنِّه !

وحسبنا هنا أن نشير إلى مَثَلٍ واحد رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الرحمن بن عوف وهو يحكي قصة معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء - غلامين من الأنصار، حديثة أسنانهما - في سؤالهما عن عدو الله أبي جهل، إذ كل واحد منهما قد عاهد الله «لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا».

إنها مثل رائع للبطولة الشامخة والإيمان القوي.

وبعد؛ فقد يجد المراهق أن مثاليته هذه بعيدة عن الواقع وصعبة التنفيذ. عندما تتسع الدائرة التي يتعامل معها، وقد يساوره شيء من الشك في قيمة تلك المُثُل العليا، أو قد يعتبرها رياءً، لا معنى لها، فينتهي إلى الانطواء على النفس واحتقار الذات، أو الاندفاع في غمار الحياة لتحقيق رغباته وإشباع دوافعه الفطرية، دون احترام للمبادىء الأخلاقية، ما لم يكن هناك وازع من الدين والتربية القويمة التي تربط هذه القيم الأخلاقية بعقيدة المراهق وإيمانه بالله تعالى، ووجوب الالتزام بشرعه، وبضبط النفس بين دوافعه وضوابطه، وطموحاته وواقعه، وهي مسؤولية عظمى تقع على عاتق كل من جعله الله تعالى داعياً لأولئك الأفراد، تحتاج إلى عون من الله تعالى، وإلى كثير من الجهد والصبر والمصابرة: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾**.

المسلمون في العالم

- النظام العالمي الجديد الوجه الآخر للاستعمار
- سقوط خوست هل سيدفع للحل العسكري أم الحل السياسي ؟
- انتخابات بنغلاديش وسقوط اللوبي الهندي
- الصومال بعد رحيل سياد بري

النظام العالمي الجديد : الوجه الآخر للاستعمار
(٢)

د.أحمد عجاج

أزمة الخليج وظهور النظام القطبي الواحد:

إن اجتياح الجيش العراقي لدولة الكويت قد سرَّع عملية التحول الدولية، حيث سارعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى استغلالها خير استغلال. فإزاء رفض العراق لكل النداءات بالانسحاب عمدت أمريكا إلى تدعيم وجودها في المنطقة تحت شعار أمن دول الخليج وتثبيت منطق الشرعية الدولية. فالولايات المتحدة الأمريكية نتيجة لضعف الاتحاد السوفياتي سارعت إلى استغلال منظمة الأمم المتحدة لتثبيت دورها الجديد في المنطقة.

وفعلاً سارع الاتحاد السوفياتي عبر وزير خارجيته إلى إدانة العراق الحليف الدائم، إلى أن وصل أخيراً إلى حد التهديد بالتدخل عسكريا إذا لم يسارع العراق إلى الإفراج فوراً عن المدنيين السوفيات المحتجزين في بغداد. فالاتحاد السوفياتي لأول مرة يطبق عملياً نظريته الحديثة حيث أكد شيفردنادزه أن دعم العراق من شأنه أن يضر بالانفتاح الدولي، ويجلب عبئاً مادياً على الاقتصاد السوفياتي، ناهيك عن الأضرار المادية التي يمكن

أن تنتج عن هذه السياسة.

وبهذا يتضح أن الاتحاد السوفياتي لم يعد قادراً على تبوء منصب الدولة الكبرى ومناوأة الولايات المتحدة الأمريكية. فهذا الضعف قد بدا واضحاً جداً خلال الأيام القليلة التي سبقت الهجوم البري الذي شنته الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها على العراق. فالاتحاد السوفياتي مدفوعاً برغبته في الحد من الخسائر السياسية لسياسته الخارجية سارع إلى إعلان خطة سلام بموجبها يلتزم العراق بالانسحاب من الكويت على أن يتولى الإشراف على الانسحاب دول محايدة. إلا أن هذه الخطة قد رفضها الرئيس الأمريكي مباشرة ولم يرضه أيضاً الاقتراح الثاني الذي قدمه غورباتشوف لحل الأزمة سلمياً. فالولايات المتحدة الأمريكية رأت في الاقتراحين تقليصاً لدورها في المنطقة وفي العالم. هذا الدور الذي توج عملياً بالانهزام الروسي من أوروبا الشرقية والشرق الأوسط.

فالاتحاد السوفياتي خسر سوريا التي تربطه بها علاقات دفاعية واستراتيجية وذلك بانضمامها إلى حلف الولايات المتحدة الأمريكية، والآن يشرف بنفسه على تدمير العراق الدولة الحليفة في المنطقة. وهكذا فإن الاتحاد السوفياتي لم يعد له موطىء قدم في المنطقة بل أقصى طموحاته تجلت في تصريحات المسؤولين السوفيات الذين حرصوا على القول عقب تحرير الكويت بأن سياستهم كانت حكيمة وصائبة مع التركيز على ضرورة عقد مؤتمر سلام دولي يشارك فيه الاتحاد السوفياتي لحل مشاكل المنطقة والصراع العربي–الاسرائيلي.

وبانتهاء حرب الخليج وما رافقها من تطورات يتضح جلياً بأن النظام القطبي الثنائي قد اختفى من خارطة السياسة الدولية، واستبدل بنظام قطبي واحد تسيطر فيه الولايات المتحدة الأمريكية على مجريات السياسة والاقتصاد في المنطقة. فالولايات المتحدة الأمريكية أصبحت أخيراً القوة الوحيدة

القادرة على التهديد والضرب ووضع المقاييس التي تراها مناسبة لأوضاع المنطقة والعالم.

انعكاسات ونتائج النظام القطبي الواحد:

إن انعدام التوازن في النظام الدولي الراهن سيؤثر حقاً تأثيراً بالغاً على العالم ومنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص، فالولايات المتحدة الأمريكية أصبحت الطرف الأوحد، وبإمكانها أن تحقق ما عجزت عن تحقيقه خلال عقود من الزمن تميزت بصراع دائم مع الاتحاد السوفياتي للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط بالذات.

فالاتحاد السوفياتي أصبح ملتزما بحتمية التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية كنتيجة منطقية وليس بوسعه بعد الآن الابتعاد عن اشعاعات الولايات المتحدة بعد أن خسر أوراقه في المنطقة الواحدة تلو الأخرى. فأوروبا الشرقية تسعى جاهدة لتستظل بالمظلة الأمريكية وقس على ذلك جميع دول الشرق الأوسط بدءاً بمصر وانتهاءً بسوريا بعد أن دمر العراق الذي يعيش الآن حروباً داخلية من الممكن أن تؤثر على مجرياتها ونتائجها الولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا فإن الاتحاد السوفياتي قد تحول إلى دولة محدودة الأهمية، إذ أنه الآن ينتظر بلهفة المساعدات الاقتصادية الأمريكية من أجل إنعاش اقتصاده ولم شتات شعوبه التي من الممكن سريعاً أن تكسر جليد الخوف لتنطلق نحو الحرية والاستقلال مهددة بذلك كيان الاتحاد السوفياتي كدولة كبرى مترامية الأطراف، ومؤشرات تلك النهاية بدأت تظهر ملامحها والتي بدأت تتبلور عبر تصريحات المسؤولين الأمريكيين والتي تدعو الاتحاد السوفياتي إلى منح جمهوريات البلطيق حقها في الانفصال والاستقلال.

إن من نتائج هذا الاختلال هو التأثير الأمريكي المباشر على دول الشرق الأوسط وبالذات دول الخليج

بالإضافة إلى أوروبا واليابان. فوجود القوات الأمريكية في المنطقة مصحوباً بسيطرتهم على مفاتيح السياسة الدولية النابعة من اختفاء الاتحاد السوفياتي كقوة مواجهة .يجعلهم يتربعون براحة تامة على أغنى بقعة اقتصادية على وجه الأرض. تلك الحقيقة تعطي الولايات المتحدة دوراً لم تكن لتحلم به أبداً فهي الآن تتحكم في مصادر الطاقة والتي بمقدورها أن تضخ الحياة في الجسد الاقتصادي الأمريكي الهالك. فأهمية الطاقة في السياسة الأمريكية تحتل مرتبة أولى، ولا عجب أن يقول الرئيس الأمريكي بوش عشية تتويجه لصحيفة نيويورك تايمز الأمريكية بالحرف الواحد «أنا أصوغها بهذه الطريقة لقد حظي الأمريكيون برئيس قدم من مؤسسات النفط والغاز وهو يعرف ذلك تماماً بل يعرفه جيداً»[1]. وفعلاً سارع الرئيس الأمريكي إلى حشد أكبر جيش عرفه التاريخ من أجل منع سيطرة العراق على منطقة النفط التي يعرف الرئيس الأمريكي أهميتها جيداً.

فمسؤول الطاقة الأمريكي السابق كتب في مجلة الشؤون الخارجية «foreign affairs» ما يلي: «بضربة واحدة أخذ الرئيس العراقي دولة الكويت وبهذا فقد قلب قواعد النفط الدولية» وتابع قوله ليستخلص «أن أزمة الخليج أعادت إلى الصدارة الحاجة إلى إعادة التفكير في أفضل الوسائل من أجل إعادة تنظيم الشؤون النفطية». بالإضافة إلى هذا العامل فقد استطاعت الولايات المتحدة أن تمهد لشركاتها التجارية المناخ المناسب لتأخذ حصة الأسد من العقود التجارية الموقعة مع بلدان المنطقة بعد أن دمرتها الآلة الحربية الأمريكية تحت شعار تحرير الكويت. ولم يقتصر الأمر على العقود التجارية بل تعداها إلى العقود العسكرية والتي قدرت حسب آخر الإحصاءات بمبلغ ٣٠ بليون دولار أمريكي.

1- The independent (British Newspaper) 3 February 1991

إن من شأن هذه العقود أن تبعد شبح البطالة عن المصانع العسكرية لمدة طويلة وتدفع عجلة الاقتصاد الأمريكي المتردي.

ومن النتائج الأخرى الناتجة عن التغيير في النظام الدولي أن النفوذ الأمريكي امتد ليشمل أوربا واليابان اللتين عجزتا عن أن تلعبا دور الشريك في مسرح السياسة الدولية. فأمريكا تدرك خطورة اليابان وألمانيا الاقتصادية خصوصاً بعد توحيد الأخيرة لذلك عمدت إلى تهديدهما عبر السيطرة على مصادر الطاقة التي هي عصب الحياة لكل من البلدين، فالولايات المتحدة الأمريكية أصبح بمقدورها أن تفرض عليهما من الآن ثمن أتعابها في المنطقة وليس بمقدورهما أن يرفضا. فالمتتبع للأخبار يدرك حجم المبالغ التي دفعتها كل من ألمانيا واليابان للولايات المتحدة الأمريكية في حملتها العسكرية لتحرير الكويت. والصورة واضحة ليس فيها لبس ولا غموض فوزير الدفاع الأمريكي أعلن أمام لجان مجلس الشيوخ الأمريكي «إننا نتوقع أن نقتسم المسؤوليات الدولية بصورة أكثر إنصافاً مع حلفائنا وشركائنا الذين يزدادون قوة وهو ما يتفق مع زعامتنا» وأضاف قائلاً: «إن عملية عاصفة الصحراء تعد نموذجاً طيباً للتعامل مع الأزمات التي قد تنشب مستقبلاً».

تلك المعطيات المتمثلة في انحسار الدور السوفياتي وضعف الموقف الأوروبي والياباني وخضوعها للسياسة الأمريكية، من شأنها أن تجعل الدور الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط دوراً فريداً من نوعه. فالولايات المتحدة الأمريكية إضافة إلى سيطرتها الاقتصادية والعسكرية على المنطقة تستطيع أن ترسم سياسة المنطقة وتحديد سبل حل الصراع العربي- الإسرائيلي بشكل لا يتفق مع المصالح العربية والإسلامية. فرغم كل التفاؤل الذي أبدته الأوساط الأمريكية ببزوغ عصر جديد في العلاقات الدولية يتمثل في إحلال العدل والحرية والسلام لكل شعوب المنطقة؛

لا يوجد مؤشر إيجابي يؤكد صدق هذه الادعاءات. فإسرائيل التي تحدت ما يسمى بالشرعية الدولية وضربت بعرض الحائط كل قرارات الأمم المتحدة وانتهكت حقوق الإنسان في كل من فلسطين ولبنان لا تزال تتلق المساعدات والدعم المالي من حامية هذه الشرعية. فالشعب الفلسطيني ليس له أولوية في حساب الإدارة الأمريكية على الإطلاق. في تصريح لأحد المسؤولين الأمريكيين السابقين أفاد أن المؤتمر الدولي لحل القضية الفلسطينية لا يمكن أن يتم انعقاده إلا في حال تحقق شرطين أو حالتين تتلخصان في زوال عقدة الخوف عند الإسرائيليين، وتقليص الآمال العربية الكبرى. فإذا صح هذا التنبؤ فإن هذا يعني أن إسرائيل لكي تكون آمنة وتزول عنها عقدة الخوف يجب أن تحتل أراضي غيرها، وعلى هؤلاء أن يعلقوا آمالاً كبرى على استرجاعها.

والحقيقة أن هذا ليس جديداً على منطقة الشرق الأوسط فإسرائيل تحتل المرتبة الكبرى في السياسة الأمريكية، بل هي المفتاح الرئيسي إلى المنطقة والسيف المسلط على شعوبها، وليس بوسع الإدارة الأمريكية أن تكسر أو ترمي جانباً هذا المفتاح. إن أقصى ما تبغيه الإدارة الأمريكية بعد أن سيطرت على المنطقة هو تأمين اعتراف عربي وإسلامي بدولة إسرائيل وزرع فرضية جديدة في عقول الأجيال العربية والمسلمة مفادها أن إسرائيل دولة وجدت لتبقى. وهذه الحقيقة ليست أبداً مجرد تخمين بل هي بديهية ثابتة في سلم أولويات الإدارة الأمريكية بعد أن تخلصت من الاتحاد السوفياتي وأخضعت أوروبا واليابان، وسيطرت عسكرياً على المنطقة. فالنظام العالمي الجديد الذي ينادي به رئيس الولايات المتحدة الأمريكية هو نظام صنعته أمريكا، وأرسته كما تشاء، وأجبرت الشعوب على قبوله لأنه يخدم مصالحها، وهي تمضي قدماً في تطبيقه باسم العدالة بلا خجل أو حياء.

سقوط خوست
هل سيدفع للحل العسكري
أم الحل السياسي ؟

أحمد موفق زيدان

بعد الجمود العسكري الطويل الذي أصاب الجهاد الأفغاني تمكن المجاهدون الأفغان مؤخراً من تحرير حامية خوست العسكرية الهامة والواقعة على بعد ٧٠ كلم عن الحدود الباكستانية وجاء هذا التحرير بعد اتفاق من كافة مجموعات المجاهدين في المنطقة تحت قيادة الشيخ جلال الدين حقاني والتابع للشيخ يونس خالص، وكوّنت فصائل المجاهدين في المدينة مجلس شورى من ٢١ عضوا واتفقوا على شن عمليات عسكرية منسقة وموحدة على المدينة.

أهمية خوست العسكرية: وفقا لما قاله الشيخ جقاني لـ (**البيان**) من مقر إقامته في خوست فإن سقوط خوست كان ضربة معنوية للنظام في كابل، إضافة إلى أنها قطعت طرق الإمداد عن منطقة باكتيا التي تنتمي خوست لها من الحدود الباكستانية فقد كانت القبائل الشيعية الباكستانية في منطقة (خرم) و(وزيراستان) الباكستانية تقوم بدعم وتزويد وتموين المحاصرين في خوست، ويضيف الشيخ حقاني فيقول: (لقد قبضنا على ٤٠٠ عنصر شيعي في داخل مدينة خوست وهم باكستانيون ويقاتلون إلى جانب الحكومة العميلة). وبخصوص ما حدث في مديرية (جاجي ميدان) يقول الشيخ حقاني: (لقد استسلمت المدينة للمجاهدين أما المتشددون

والمتطرفون من الشيوعيين الأفغان فقد استسلموا لقبائل الشيعة الباكستانية).

وكان شيعة باكستان قد لعبوا دوراً مهماً لصالح (نجيب الله) في هذا الجهاد خاصة القبائل الشيعية المحاذية للحدود الأفغانية، وقد تكشف أثناء معارك خوست مؤامرة شيعية باكستانية لاغتيال الزعيم (حقاني) لكن الأمر انكشف قبل حدوثه.

ويأتي هذا التقارب الشيعي مع (نجيب الله) بعد التغير الصريح والواضح للقيادة الإيرانية حيال دعم ومساندة نجيب ضد المجاهدين، حيث تم استقباله في مشهد، وتقديم الدعم الاغاثي والمادي لنظام نجيب، وكان آخر ذلك ما قاله السفير الإيراني في إسلام اباد (جاويد منصوري) بأن التدخل الخارجي سيعقد المشكلة الأفغانية مثيرا بذلك للاتهامات التي وجهها نظام كابل ضد باكستان في تدخلها بمعارك خوست الأخيرة، وقد أرسل نجيب رسائل إلى الرئيس الإيراني للتدخل لدى باكستان في تورطها المزعوم بشأن خوست.

أما حكمتيار فقد قال لـ (البيان) (إن انتصار خوست قد أفشل الدعايات الشيعية ضد المجاهدين بأنهم عاجزون عن النصر)، وقد أصيب النظام بإحباط وفقد توازنه بعد السقوط خاصة وأن نجيب خطب قبل الفتح وقال: (إذا استطاع حكمتيار من تحرير خوست فأنا مستعد للتخلي عن كابل).

اهتزاز اسطورة ميليشيا جلم جمع:

أفرزت معارك خوست أمراً كان في غاية الأهمية لدى المجاهدين من رفع معنوياتهم عندما استسلم حوالي ٧٠٠ عنصر ميليشيا يتبعون للجنرال (عبد الرشيد دوسة) ويلقب لدى الأفغان بـ (جلم جمع) أي الذي يجمع السجاد ويسرقه من أي مكان حتى ولو من المساجد. وقد نسجت حول هذه الميليشيا الأساطير، حتى أن نجيب يعتبرها فوق الجيش والاستخبارات ورواتبهم عالية جداً، وتقول الأنباء بأن عددهم في خوست كان أكثر من

٣٠٠ عنصر ولم يعلم أين هربوا، وتنتمي هذه الميلشيات للعرق الفارسي والطاجيكي وترسل إلى مناطق البشتون لقتال غير أهل عرقهم حتى لا يكون في قلبهم رحمة أو رأفة وزيادة في الصراع والخلاف العرقي الطاجكي والبشتوني وهي نفس خطة فرنسا عندما كانت تأخذ المغاربة وغيرهم للقتال إلى جانبها في بلاد الشام، وبهذا يتعمق الخلاف بين الشعوب ويقول المجاهدون الذين شاركوا في الهجوم على خوست بأن الميليشيات لعبت دوراً محورياً في تأخير النصر عن المجاهدين حيث استماتت في الدفاع عن المدينة، والعجيب أن عناصر هذه الميليشيات تتراوح أعمارهم بين ١٥- ٣٠ سنة فقط وكثير منهم صغار في السن تركوا دراستهم للقتال والدمار.

غنائم المجاهدين: غنم المجاهدون غنائم ضخمة جداً في هذه المعارك خاصة وأن الحامية استسلمت بعد حصار وقتال طويلين فقد غنموا طائرتي هيليكوبتر سليمتين وطائرتين مقاتلتين وحوالي عشرين دبابة و١٥٠ عربة عسكرية و٦٠٠٠ قطعة كلاشنكوف و٦٠٠ مدفع مضاد للطيران و ٢٠٠ جهاز لاسلكي وكثيراً من المواد الغذائية ومعدات السيارات.

أما الطائرات فقد أحصيت بنفسي دمار ٢٤ طائرة عسكرية نقل في مطار خوست القديم وعدداً من الدبابات والشاحنات والعربات العسكرية.

الخطة القادمة: تتباين وجهات نظر المجاهدين حيال المعركة القادمة فقد طالب المهندس حكمتيار بالتركيز على كابل وعدم تشتيت الجهود ويتردد بأنه طلب من أتباعه في لوجر القريبة من كابل أن يستعدوا لهجوم شامل وحاسم على المدينة، وعين حكمتيار جيشاً منظماً في لوجر باسم (لايشكا ايثار) أي (جند الإيثار) ويتدربون على مستوى جيد، ويقوم حكمتيار بنفسه بتدريبهم معنوياً عبر إلقاء المحاضرات والدروس عليهم ويبلغ تعدادهم ٦٠٠٠ جندي، وتردد بعد تحرير خوست من حصول انقلاب عسكري في العاصمة بقيادة الجنرال (محمد نبي

عظيمي) مع ٤٠ ضابطا آخرين ولكن تمكن النظام من القبض عليهم، أما القائد جلال الدين حقاني فيركز على تحرير (كاردين) عاصمة (باكتيا) حتى يصبح ظهر المجاهدين محمياً عند التوجه نحو كابل ولكن يقول الشيخ حقاني بأنه لابد من التشاور وتبادل وجهات النظر.

الشيخ يونس خالص الذي قضى أيامه الأخيرة في (جلال أباد) يقول المقربون منه بأنه يعد لهجوم على المدينة حيث يتمتع بقوة في جلال أباد.

وعلى الجانب الآخر يعتبر البعض أن انتصار خوست سيكون دافعاً للحل السياسي، فلدى سؤال الشيخ حقاني هل سيكون انتصار خوست دافعاً للحل السياسي أم العسكري أجاب: (كليهما)، أما الشيخ حكمتيار فلم يجب على السؤال بصراحة.

(بير جيلاني) من المؤيدين لظاهر شاه طالب بالحل السياسي بعد انتصار خوست.

ويرى البعض أن الأوراق الأفغانية قد اختلطت خاصة بعد اختلاف برز مؤخراً بين القادة السياسيين السبعة والقادة الميدانيين الذين شكلوا مجلساً باسم (مجلس شورى القادة الميدانيين) ويضم أغلب القيادات الميدانية في داخل أفغانستان ويعدون لإدخال العلماء ورؤساء القبائل في هذا المجلس الذي يتوقع أن يكون بديلا عن القيادة السباعية أو قيادة موازية له، ويتولى هذه الفكرة حسب قول حكمتيار الولايات المتحدة الأمريكية وذلك لتقسيم أفغانستان، وبهذا تستطيع اللعب بأوراق متعددة، ويبدو أن باكستان قد رضخت للفكرة أخيراً، أما في السابق فلم تكن تتحمس لها، خاصة أثناء حكم الجنرال ضياء الحق، وتولي أخطر عبد الرحمن الملف الأفغاني، ورئاسة الاستخبارات العسكرية الباكستانية المعنية بأفغانستان.

انتخابات بنغلاديش وسقوط اللوبي الهندي

بانعقاد الانتخابات العامة في بنغلاديش أخيراً تكون الدولة الوليدة التي انفصلت عن باكستان عام ١٩٧١ بتواطؤ دولي هندي أمريكي سوفياتي، قد دخلت مرحلة جديدة من حياتها السياسية، حيث قضت الفترة الفائتة تحت حكم الأحذية العسكرية حيث تعاقب عليها ثلاثة جنرالات أولهم (مجيب الرحمن) العميل الهندي الذي تآمر مع الهند ضد باكستان وتربع على حكم بنغلاديش حتى عام ١٩٧٥ عندما قام بعض ضباط جيشه باغتياله، والثاني الجنرال (ضياء الرحمن) الذي تم تصفيته على يد أحد المقربين له الجنرال (محمد إرشاد) رئيس هيئة أركان الجيش سابقاً وقد اختاره وفضّله على عدة جنرالات ليكون رئيسا لهيئة الأركان ولكن انقلب عليه عام ١٩٨١، وأواخر العام الماضي قامت مظاهرات شعبية تولاها طلبة الجامعات والمدارس وغذتها المعارضة الحزبية بقيادة (خالدة ضياء) أرملة الجنرال (ضياء الرحمن) وزعيمة الحزب القومي البنغلاديشي، والجماعة الإسلامية، و(حسينة واجد) ابنة الجنرال (مجيب الرحمن) وزعيمة حزب الرابطة القومية اليساري التوجه.

ولن ندخل في هذا المقام بمسألة الحكم الشرعي في تولية المرأة فذلك أمر واضح لا تعقيب عليه إذ أنه في الإسلام لا تتولى المرأة منصب رئاسة الدولة، ولكن الملفت للنظر في منطقة جنوب وشرق آسيا أن كثيراً من الرؤساء نساء ولعل في هذا مادة للباحثين الاجتماعيين والتاريخيين وعلم السلالات عن أسباب ذلك ففي بنغلاديش امرأتان تتزعمان المعارضة، ووصلت إحداهن الآن إلى السلطة، وفي باكستان تمكنت بي نظير بوتو من الوصول للسلطة، وفي الهند وصلت (أنديرا غاندي) وكذلك في (سري لانكا) سابقاً، وأيضا في الفلبين.

سقوط اللوبي الهندي:

إن أكثر ما يميز هذه الانتخابات هو سقوط اللوبي الهندي والتي تتزعمه (حسينة واجد) ابنة الشخص السالف الذكر الذي تولى كبر انفصال بنغلاديش عن باكستان بتواطئ هندي كما ذكرنا آنفاً، وقد أسفرت الانتخابات التي عقدت في ١٩٩١/٢/٢٨ عن نجاح (خالدة ضياء) والتي يدعمها المسلمون لأنها أقرب للباكستان وعقيدة البلاد من (حسينة واجد) الموالية للهند وحصلت خالدة على ١٤٠ مقعد من أصل ٣٠٠ مقعد، بينما حصل حزب (حسينة) على ٨٣ مقعد، وفاز حزب الرئيس المخلوع (إرشاد) بـ ٣٥ مقعد في الوقت الذي حصلت الجماعة الإسلامية على ١٨ مقعد وحصل المستقلون على ٤ مقاعد وتكون (خالدة) بذلك قد حصلت على ٤٢٪ من نسبة أصوات المنتخبين وهي قريبة من الأغلبية المطلقة بينما لم تحصل (حسينة) إلا على نسبة ٢٨٪ وقد دعمتها الأقلية الهندية الموجودة في بنغلاديش وتشير التقارير بأن المخابرات الهندية قد ألقت بثقلها إلى جانب (حسينة) ضد منافستها (خالدة) المحسوبة على عدوة الهند التقليدية باكستان وهذا سيعزز من وضع باكستان في المنطقة حيث تملك حليفاً مسانداً لها في بنغلاديش ومعادياً للتوجه الهندي المنافس لباكستان، وسيكون الأمر مقلقاً للهند عندما تقدم (خالدة) على الاشتراك في حكومة مع (الجماعة الإسلامية) وهو الخيار الوحيد أمامها حتى تتمكن من إنشاء حكومة حسب عدد المقاعد الواجب توفرها لذلك.

ولم يجد اللوبي الهندي بزعامة (حسينة) ذريعة لفشلهم سوى اتهام (خالدة) بتزوير الانتخابات تماماً كما فعلت بي نظير بوتو وفشلت في انتخابات اكتوبر الماضي فاتهمت التحالف الجمهوري الإسلامي بالتزوير، ويذكر هناك بأن حوالي (٦٠) مراقباً دولياً أشرفوا على سير انتخابات بنغلاديش وأكدوا على نزاهة وعدم تزوير الانتخابات.

ويبقى أن نقول بأن الأيام القادمة صعبة جداً لهذا البلد الإسلامي المتضور جوعاً فملفات عديدة تنتظر أي حكومة قادمة بدءاً من الاقتصاد المتدهور، والجهل والأمية وانتهاءً بالأمراض والوضع الصحي المتدهور والفياضانات الموسمية التي لا تبخل الهند في ان تكون مسببتها من خلال التحكم بالسدود المقامة على الأنهار التي تعبر بنغلاديش من الهند.

القضية الكردية..هل انتهت

من المؤكد أن قراء **البيان** يذكرون ما نشر في العدد (٣٥) تحت عنوان (القوى العظمى تعد لحرب شرق أوسطية) وقد ذكر الكاتب في هذا المقال الاهتمام البريطاني بمشكلة الأكراد في شمالي العراق ودورهم في إساءة العلاقات بين تركيا والعراق، وتأتي الأحداث الأخيرة لمشكلة الأكراد لتؤكد هذا الكلام، وأن هناك اهتماماً خاصاً من بريطانيا وفرنسا لهذه المشكلة، وعندما قدم رئيس وزراء بريطانيا مشروعه (الجيب الأمني) للدول الأوربية وافقت عليه، ثم قدم إلى مجلس الأمن وكان تجاوب الولايات المتحدة معه بارداً وكذلك روسيا لأسباب خاصة بها، ثم وافقت أمريكا مجاملة لتحقيق الانسجام مع حلفائها، هذا الاهتمام من بريطانيا وفرنسا ليس لعاطفة إنسانية ولكن لتبق المنطقة أشلاء ممزقة يمسك الغرب بخيوطها، وإذا كان الغرب يتباكى الآن على مشكلة هو أحد أسبابها فإننا من جانبنا مع الشعب الكردي المسلم، وقد ساءنا جداً ما وقع له من تشريد وقتل ومجاعة، وإننا ضد الظلم من أي مصدر كان، وفي محن كهذه يجب أن نرتفع فوق العواطف ونبين مكمن الداء والمشكلة ليست مع الشعب الكردي المسلم ولكن مع زعمائه، مع البرزاني والطالباني، ولابد من الرجوع قليلاً إلى الوراء لنرى ما هي الصلة بين هؤلاء وبين مخططات بريطانيا وفرنسا، وربما ونحن نكتب هذا المقال، يكون هؤلاء الزعماء قد اتفقوا مع نظام العراق على حل المشكلة بنظرهم، ولكن من وجهة نظرنا لا تحل المشكلة إلا بالرجوع إلى تاريخها وليس هناك حل في النهاية سوى الرجوع إلى هويتنا وجذورنا إلى الإسلام.

بعد الحرب العالمية الأولى كانت خطة الغرب المنتصر تمزيق النسيج الاجتماعي والسياسي للدولة العثمانية ،ففي مؤتمر الصلح الذي عقد في سان

ريمو عام ١٩١٩م أدرجت مذكرتان وخريطتان كمسودة مشروع لإقامة كيان سياسي خاص للأكراد[١] ولكن تركيا أفشلت هذه المعاهدة، وجاءت معاهدة (سيفر) عام ١٩٢٣م خالية من الإشارة إلى دولة كردية، وبعد المقايضة بين فرنسا وبريطانيا حول مدينة الموصل أصبحت أوراق القضية الكردية بيد بريطانيا، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تقدم الاكراد بمطلبهم إلى هيئة الامم المتحدة ولكن لم تجد أذناً صاغية، فاهتبل الاتحاد السوفييتي الفرصة وعزز وضعه بين صفوف الأكراد وذلك لانحياز تركيا وإيران نحو أمريكا، وهكذا رعى الاتحاد السوفييتي عام ١٩٤٦ مؤتمر (باكو) عاصمة أذربيجان، وأسست جمهورية مهاباد التي لم تعش طويلاً، وتركها مصطفى البرزاني ليؤسس الحزب الديمقراطي الكردستاني[٢] وفي عهد عبد الكريم قاسم انتقل البرزاني إلى العراق، وحاول مع الحكومات المتعاقبة الحصول على مطالبه في الاستقلال الذاتي، وفي هذه الفترة تلق الدعم من الغرب ومن إسرائيل، وفي السبعينات حصل الاكراد على شكل قانوني معين ومشاركة فعالة في حكم العراق، ولكن يبدو أنها لم تنفذ عملياً وهي التي تجري المفاوضات حولها هذه الأيام.

إن وسائل تدخل بريطانيا باسم (الجيب الآمن) وغيره من المشاريع يعيد بنا الذاكرة إلى أساليبها عندما دخلت مصر، فقد «صاحب عملية الغزو سيل من التصريحات الرسمية البريطانية من يولية إلى اكتوبر عام ١٨٨٢ أن ليس لبريطانيا مطامع في مصر وأنها لا تنوي فتحها، وأن هدفها الوحيد من إنزال جنودها هو إعادة الأمن فيها والمحافظة على النظام، ولمدى سنين طويلة استمرت هذه النغمة..»[٣]

بعد هذا الاستعراض السريع نعود إلى الأحداث الأخيرة لنرى أن زعماء الأكراد (البرزاني - الطالباني) تحركوا نتيجة لوعود من الغرب، وقام الغرب بدعمهم في البداية ثم تخلى عنهم، لأن أمريكا والدول المحيطة لا تريد دولة كردية، وانساق هؤلاء الزعماء وراء الأحلام والأماني وتعاونوا مع الشيطان

١- مجلة الشراع ١٩٩١/٤/١٥م

٢- المصدر السابق

٣- طارق البشري / دراسات في الديمقراطية المصرية / ٢٠

في سبيل مآربهم، وهنا سنلاحظ أنه لا فرق بين البرزاني وغيره.

نشرت مجلة الأسبوع العربي بتاريخ ١٩٩١/٤/١م الخبر التالي «البرزاني - إسرائيل، عادت حليمة إلى عادتها القديمة: صحيفة (الفيغارو) عدد ٢٦ آذار مارس نشرت تقريراً من مراسلها في القدس في صدر صفحتها الخاصة جاء فيه أن مسعود البرزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني قام بزيارة سرية إلى تل أبيب من أسبوعين طالباً دعماً تسليحياً من الدولة اليهودية وكانت صحيفة معاريف الإسرائيلية المقربة من الحكومة أول من أشار إلى زيارة البرزاني»

وتتابع مجلة الأسبوع العربي فتقول:

عادت حليمة إلى عادتها القديمة، والعادة القديمة أن اتفاق ١٩٧٥ بين العراق وإيران أنهى دعم تل أبيب و (C.I.A) وإيران لمجموعات (البشمركة) البرزانيين، وقبل ذلك كان مدربون إسرائيليون يلقنون هؤلاء البشمركة فنون القتال الحديث عامي ١٩٦٥ - ١٩٦٧ وفي هذه الفترة كان مصطفى البرزاني يتردد إلى إسرائيل».

كيف تتبع الشعوب المسلمة أمثال هؤلاء الزعماء الذين يقودونهم دائماً إلى الخراب، ولماذا تسلم هذه الشعوب قيادها إلى زعماء لا يؤمنون بالإسلام منهجاً وسلوكاً، إن الحل ليس مع البرزاني والطالباني، الحل في الرجوع إلى الإسلام، وهذا يستوي فيه العرب والاكراد وغيرهم من الأعراق المسلمة، ومشكلة العرب السنة هي مشكلة الأكراد والسنة فالجميع تحت حكم الطغيان والاستبداد وعدم تحكيم الشريعة الإسلامية، والقومية العربية لا يرد عليها بالقومية الكردية وإنما يرد بالدعوة إلى تطبيق الإسلام.

وقد يعتب علينا إخواننا الأكراد أن نتكلم في مشكلتهم وهم في محنة، ونعود لنؤكد أن مشكلتنا واحدة وهي مشكلة الشعوب العربية الأخرى، والذي يعصمنا من هذه المزالق هو التعلق بالثوابت التي يدعونا إليها الإسلام ومنها وحدة المسلمين وعدم تفرقهم على أساس عرقي أو لغوي.

إننا نتمنى أن توجه قوة الأكراد لمصلحة الإسلام وليس لمصلحة البرزاني وأمثاله.

الصومال بعد رحيل سياد بري

محمد عبده آدم

لقد استبشر الصوماليون والعالم معهم بسقوط الطاغية «سياد بري» والذي حكم بالنار والحديد طيلة عقدين من الزمن والذي أخر الصومال إلى الوراء أكثر من عشرين قرناً، وهذا التأخير والتخلف ليس خاصاً في مجال معين دون مجال آخر، بل عم جميع مجالات الحياة الاقتصادية والإجتماعية والصحية وغيرها من المجالات، حيث أنه لم يخلف للصومال شيئا من مقومات الأمة، فهو لم يترك جيشاً نظامياً يحمي البلاد من الأخطار الخارجية ولا بوليساً يقوم بمهمة حفاظ الأمن الداخلي ولا ترك أي مرفق آخر من مرافق الحياة الضرورية..

وبالتالي يمكن القول أن الصومال أصبح أمة بلا كيان مهددة بالانقراض والزوال واختفاء دورها الإسلامي في المنطقة حيث تخلو الساحة للدول الأخرى ذات الطابع المسيحي والتي تقف اليوم متفرجة وشامتة بما يجري في الصومال وذلك لأن الصومال يعتبر المنافس الوحيد للدول المسيحية المجاورة في المنطقة ثقافة وعقيدة فالصومال دولة

إسلامية عربية.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ماذا بعد سقوط سياد برّي ؟

لقد كان هناك عدة جبهات تحارب ضد سياد بري وكل واحدة منها تهدف إلى إسقاطه وتخليص البلاد منه، وكان الشرط الأساسي المشترك لهذه الجبهات لوقف إطلاق النار والحروب الأهلية الدائرة في البلاد، وكان شرطهم الوحيد ذهاب سياد برّي أو إسقاطه حيث أن وجوده في رأس السلطة يعتبر عقبة كؤوداً أمام أي تصالح وطني أو قومي.

ولكن لماذا لم تتوقف النار والحروب الأهلية وأن الأمن والأمان لم يرجعا بعد، وأن اجتماع المعارضة الصومالية في مؤتمر وطني لم يحدث بعد، بل وصل الامر أن حصل الاشتباك وتبادل النيران بين فصيلتين من أكبر فصائل المعارضة.

والمعروف أن المعارضة الصومالية كانت تنادي وتجاهر علنا بأنها سوف تجتمع وتعقد مؤتمراً وطنياً مشتركاً فور سقوط سياد بري لتشكيل حكومة مشتركة ولكن لم يحدث شئ من هذا القبيل بعد رحيل سياد بري حيث تبرأت كل جبهة من الأخرى، وزعمت كل منها أنها هي المسؤولة عن الأقاليم التي تسيطر عليها مما يؤدي إلى قيام دويلات في الأقاليم المختلفة من البلاد على أساس قبلي..ولكن ما السر في عدم اتفاق الجبهات وعدم تطبيق البيانات التي كانوا يصدرونها معاً ؟؟

المعروف أن معظم هذه الجبهات بدأت معارضتها مع سياد بري بعد الثمانينات وأنها تشترك في النقاط التالية:

أولاً: أنها جميعاً حركات عرقية قبلية حيث أن كل جبهة تنتمي إلى عشيرة معينة من عشائر الصومال، والمعروف أن القبلية في الصومال واقع سلبي وأنها الداء العضال الذي

ابتلي به الصوماليون الذي يفرق ويشتت بعد أن اشتركت جميع عوامل الاتحاد الأخرى من عقيدة إسلامية ولغة وأرض ومصالح مشتركة أخرى..ومن ناحية أخرى فليس هناك حد تنتهي إليه القبلية حتى تصل إلى أبناء الأب الواحد المختلفين في الأم لتفرقهم..وهكذا يتضح لنا أن القبلية لا يمكن أن تكون كياناً سياسياً أو قومياً بل إذا كان للقبيلة المركز الأول فلن تقوم للصومال قائمة وستستمر - لا سمح الله - هذه الحروب الأهلية القائمة حالياً في حال رفع لواء القبلية المنتنة..

ثانيا: أنها جميعا حركات علمانية لا ترى للدين دورا أساسياً وريادياً والمجتمع الصومالي المسلم لا يرضى منهجاً غير منهج الإسلام، فالمعروف أن رجال حركات المعارضة هم رجال سياد بري الذين كانوا يرددون بالأمس اسم سياد بري ويشيدون بذكره وهم بطبيعة الحال ساهموا بشكل أو بآخر في تخريب البلاد مع سياد بري فهم وزراء سياد بري وضباطه بالأمس، فارتداؤهم ثوباً نظيفاً أبيض خالياً من السقطات والعثرات شيء لا يصدقه ولا يقبله الشعب الصومالي المسلم، والمعروف أنَّ أي جبهة أو حركة علمانية ترفع شعار الإسلام في بداية طريقها وقبل وصول هدفها، ولكن عندما تصل هدفها وأغراضها الدنيوية تتنكر لذلك، وتجعل محاربة الإسلام الإسلام هدفها، وهذا فعلاً ما هو حادث في الصومال فمن المعروف أن كل حركة كانت تستعطف الشعب بأنها سوف تطبق الشريعة الإسلامية عندما تستولي على السلطة من سياد بري، ولكن هاهم بعد سياد بري ولما يصلوا إلى هدفهم كاملاً بعد؛ وقد اختفت كلمة تطبيق الشريعة الإسلامية، بل قد صرح بعضهم بإبعاد الدين عن الحياة، حيث قال إسماعيل محمود هره رئيس اللجنة السياسية للحركة الوطنية الصومالية في مقابلة أجرتها معه جريدة الشرق

الاوسط بعددها رقم ٤٤٥٦ الصادر صباح السبت ١٩٩١/٢/٩م قال: «إننا لا نرغب في أن نسيء الدين بإدخاله إلى سوق السياسة كما يفعل غيرنا..»، ومدلول هذه الكلمة معروف لدى الجميع وهو فصل الدين عن الدولة، وإبعاده عن واقع الحياة وهو كذلك تبنى مبدأ العلمانيين الموروث من الكنيسة «ما لقيصر لقيصر وما لله لله» فعليك أن تتدبر قوله تعالى **﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾** وقوله تعالى **﴿قل إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾** فالإسلام منهج للحياة كلها بما فيها السياسة.

وقال في معرض تبريره أن توجههم إسلامي قال: «إن دستورنا ينص على أن الإسلام هو دين الدولة» ولكن ألا يعلم «هره» أن أول فقرة في دستور سياد بري كان هذا البند الذي ينص على أن الإسلام هو دين الدولة وهو كذلك كلمة تستفتح للتبرك في جميع دساتير الدول العلمانية المتمسلمة ولكن لا يعدو أن يكون حبراً على ورق حيث أن الواقع يثبت خلافه.

ثالثاً: إنَّ معظم هذه الحركات نشأت وترعرعت تحت رحمة إثيوبيا وحضانتها العدو اللدود التاريخي للأمة الصومالية والإسلامية والتي لها مطامعها التوسعية في الأراضي الصومالية الإسلامية، والصراع بين المسيحية والإسلام قديم في القرن الإفريقي قدم الإسلام في تلك الديار.

لذا فإيواء إثيوبيا لحركات المعارضة وتسليحها ضد الحكومة الصومالية أو حتى التسليح فيما بينهم يستهدف أولا وقبل كل شيء إضعاف مركز الصومال وإحداث الفوضى والبلبلة في داخله حتى لا تقوم للصومال قائمة بعد هذا الانهيار، ثم يستهدف هذا الإيواء لحركات المعارضة تسليم السلطة في الصومال إلى رجال موالين وعملاء في نفس الوقتَ لإثيوبيا كي لا

تطالب الصومال مرة أخرى بالأراضي الصومالية التي تحتلها إثيوبيا (أوغادين) والتي تعتبر مصدر التوتر بين الدولتين، وتحقيق هذا الهدف سرعان ما ظهر في تصريحات رجال المعارضة حيث يرددون في هذه الأيام بأنَّ العهد الجديد سوف يتسم بقيام علاقات ودية وسياسية خارجية منسقة مع إثيوبيا.

ومما يوضح هذا ماقاله اسماعيل هره رئيس اللجنة السياسية في الحركة الوطنية الصومالية في المقابلة التي أجرتها معه جريدة الشرق الأوسط في عددها الذي ذكرناه آنفاً، قال: «نحن لا نحب تسمية أوغادين بل نفضل بدلاً عنها اسم الأراضي الإثيوبية التي يسكنها الصوماليون، وأوغادين اسم إحدى قبائل تلك المنطقة وسياد بري هو الذي اخترع هذا الإسم».

أظن أنَّ هذا الكلام لا يستحق الاهتمام أو التعقيب عليه إذ لا يعدو أن يكون مجرد ادعاء وإنكار الحقائق الواضحة كوضوح الشمس وتجنٍ على التاريخ وعلى القضايا الإسلامية، وحتى يكون القارئ على علم من أمر تلك المنطقة نعطي نبذة قصيرة عن تاريخها في السطور التالية.

تعتبر قضية أوغادين في القرن الإفريقي بمثابة قضية فلسطين في الشرق الأوسط وأوجه التشابه بينهما متعددة ولكن اهمها أنّ كل منهما اقتطاع أرض عربية إسلامية لمصلحة دولة مسيحية أو يهودية، وتعاون إثيوبيا مع إسرائيل والصهيونية العالمية شيء ضارب في الجذور، وخير دليل على هذا ما نشهده في هذه الأيام من العلاقات الثنائية الطيبة بينهما، وليس تهجير يهود الفلاشا إلى أرض فلسطين وإرسال الخبراء العسكريين إلى إثيوبيا إلا جزءاً من تآمر القوتين على الإسلام والمسلمين في كل مكان.

وقد كان مع بداية مأساة هذه

المنطقة عندما قسم الاستعمار الغربي الصومال الكبير إلى خمسة أجزاء وكان من نصيب الحبشة «إقليم أوجادين» وقد ضمت هذا الإقليم انجلترا إلى إثيوبيا عام ١٩٤٨م، وبعد استقلال بعض الاجزاء الصومالية وتكوينها دولة مستقلة ظلت هذه المنطقة والمناطق الأخرى المحتلة موضع اهتمام الحكومة الجديدة حيث لا يمكن أن تحظى أي حكومة بتأييد الشعب ما لم تهتم وتطالب بالأجزاء المحتلة من الأراضي، وفعلا لم يقصر الصومال بمطالبة الاراضي المحتلة ولم يتنازل عن شبر، وكان الصومال البلد الوحيد الذي رفض مبدأ القبول بالحدود الموروثة عن الاستعمار في المؤتمر التأسيسي لمنظمة الوحدة الإفريقية الذي عقد في العاصمة الإثيوبية عام ١٩٦٣م وكانت الحروب تقوم من وقت لآخر لتحرير المنطقة من الاحتلال، وكان من أشهر هذه الحروب حرب ١٩٧٧م المشهورة بحرب أوغادين والتي ألحقت بجميع الأطراف المشتركة خسائر مادية وبشرية هائلة. وتعتبر هذه المنطقة مقر الحركات التحريرية الصومالية وكان من أشهر هؤلاء المجاهدين الإمام أحمد جوري، الذي ولد في مقاطعة هرر عام ٩٠٨ هـ والذي حارب ضد الأحباش النصارى في القرون الوسطى حتى كاد يستولي عليها وقد قال عنه المؤرخ الفرنسي «رينه باسه» (إن اشهر دور من ادوار التاريخ الأثيوبي التي بقيت أخبارها محفوظة لدى الغربيين هو «أحمد جوري الصومالي» الذي كاد يسحق النصرانية الحبشية ويعيدها كبلاد النوبة إلى الإسلام) ومن هؤلاء المجاهدين الذين انجبتهم تلك المنطقة المجاهد الكبير «السيد محمد عبد الله حسن» والذي حارب ضد الكفار المستعمرين أكثر من عقدين من الزمن وألحق بهم خسائر وهزائم عديدة، وهكذا يتضح لنا أنَّ هذه المنطقة جزء لا يتجزأ من تاريخ الصومال وكيانها ولا يمكن إنكاره

أو منحه لمكافأة عدو الإسلام والصومال مقابل إيوائها لبعض حركات المعارضة لأغراض معروفة لدى الجميع.

ولا عجب أن تكون هذه القضية قضية أساسية وبديهية لرجل الشارع الصومالي، ولكن العجب العجاب أن تكون هذه القضية غامضة لدى رجل يدعي أنه سياسي ومناضل وطني ومسؤول من مسؤولي الحركات المعارضة.

إنّه حقاً موقف مخز ووصمة عار في جبين الحركة الوطنية الصومالية ما لم تتبرأ من هذا التجني على التاريخ وعلى الأمة الصومالية. أمّا تسمية المنطقة باسم «أوغادين» فصحيح أنه اسم لإحدى قبائل تلك المنطقة ولكن يعتبر اسم الشهوة التي اشتهرت في أوساط الباحثين والسياسيين في العالم، وهذا ليس شيئاً ذا أهمية فالمعروف أن الاسماء والأعلام لا تعلل وأنّه لا مشاحة في الاصطلاحات، وإنما المهم هو جوهر القضية الذي هو احتلال الأراضي الإسلامية الصومالية من قبل نصارى الحبشة التي أنكرتها أنت يا سعادة (هره) واعتبرتها أرضاً إثيوبية.

أمّا قولك: إن سياد بري هو الذي اخترع هذه التسمية فهو أيضاً مغالطة أخرى لحقائق معاصرة، فالمعروف أن سياد بري أسمى هذه المنطقة باسم الصومال الغربي بدلاً من أوغادين، وهذا معروف لدى الجميع، حتى أنّ الجبهة التي أسسها سميت «بجبهة تحرير الصومال الغربي».

وهكذا يتضح أن القاسم المشترك بين حركات المعارضة الصومالية المسلحة أنها حركات قبلية وعلمانية وموالية لإثيوبيا، وعليه فإنها بصورتها الحالية غير مؤهلة للتحول إلى حزب سياسي بل هي نوع من التكريس للتقسيم القبلي الذي يهدد البلاد بالحروب الأهلية التي تلتهم الأخضر واليابس، وبالتالي فإنها لا تستطيع أن تنقذ الصومال مما هو عليه من الويلات والتفكك ولا تقدر أن تقود

السفينة إلى شاطئ الأمان.

ولكن ما المخرج والمنقذ مما تعاني منه الصومال من المآزق و الويلات ؟

أعتقد أن إجابة هذا السؤال لا تحتاج منّا إلى تفكير أو البحث عنه، حيث إنَّ الحل الوحيد الذي يستطيع أن يحل المشاكل المستعصية في الصومال هو الإسلام، الإسلام الذي ظلمناه واعتقدنا أنه كلمة تقال في اللسان فقط فقط، والمعروف أنّ الشعب الصومالي شعب مسلم بنسبة ١٠٠٪ وأنه تأكد تماماً فشل جميع المذاهب والمناهج غير الإسلامية، فقد بدأ الشعب الصومالي المسلم بالنظام الرأسمالي وانتهى إلى النظام الاشتراكي وقد وصل إلى ما وصل من التدهور والانحلال حتى الانقراض أو الذوبان تماماً، وأعتقد أن تجربة ثلاثين عاماً وزيادة تؤكد لنا فشل تلك المذاهب والمناهج المنحرفة، ولم يبق للصوماليين إلّا أن يأخذوا مأخذ الجد «المنهج الإسلامي» وأن يطبقوه في شؤون حياتهم جميعاً لإنقاذ مما هم فيه ليسعدوا في الدنيا والآخرة وليسوا مخيرين في هذا الاختيار فالله عز وجل يقول: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة منَ الخاسرين﴾**.

وأوجه النداء الأخير إلى الشعب الصومالي المسلم أن يتحد ويتعاون لحل مشاكله، وأن ينسى مخلفات العصر الجاهلي، وأن يستعيد التآخي والتآلف الذي كان رائداً قبل أن يفرقهم الطاغية الراحل الذي مارس ضدهم سياسة «فرق تسد»، وعلى الشعب الصومالي أن ينضم تحت لواء الحركة الإسلامية المباركة في الصومال والتي تعتبر نظيفة من الأمراض والعيوب الموجودة لدى الحركات الأخرى التي ذكرنا، كما أنهم يعتبرون أول من عارض الرئيس المخلوع حيث أنهم وقفوا ضده في أيام شوكته وقوته وقدم كثير منهم روحه لصالح الإسلام والمسلمين في الصومال.

اليهود من الداخل

جعفر أحمد الفوال

الناظر إلى ما يجري حوله في العالم من وقائع سياسية وعسكرية وتخريبية وقتل واختطاف يلحظ وجود علاقة بين ما يحدث ومواقف اليهود تجاه غيرهم على ضوء المخطط العالمي السياسي والعقائدي المرسوم أصلاً وأساساً في المصادر الثلاثة:

١- التوراة ٢- التلمود ٣- بروتوكولات حكماء صهيون.

فهي أسلوب العمل السياسي في تحويل جملة من المعتقدات اليهودية إلى خطة عمل يجابهون بها العالم.

١- اليهودية أمام المرآة:

«الجهل بالحق» من الأسباب الغالبة على أكثر النفوس المعاندة له..فإن انضاف إلى ذلك السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له كان المانع من القبول أقوى. فإن انضاف إلى ذلك إلفه ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوي المانع..فإن انضاف إلى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النَّصارى بالشام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ازداد المانع من قبول الحق قوة.

ومن أعظم الأسباب «الحسد» فإنه داء كامن في النفس ويرى الحاسد المحسود قد

فُضِّل عليه وأوتي ما لم يؤت نظيره فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه وهل منع إبليس من السجود لآدم إلّا الحسد ؟

وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى عليه السلام وقد علموا علماً لا شك فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالبينات والهدى فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان، وأطبقوا عليه وهم أمة فيهم الأحبار والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والأمراء.

ثم إنهم حسدوا النبي صلى الله عليه وسلم حسداً شديداً فحسدوه مرتين: مرة لأن الله اختاره وأنزل عليه الكتاب وهم لم يكونوا يشكون في صحته، وحسدوه لما لقيه من نجاح سريع شامل في محيط المدينة.

وقد جاء المسيح بحكم التوراة، ولم يأت بشريعة يخالفهم ولم يقاتلهم، وإنما أتى بتحليل بعض ما حُرِّم عليهم تخفيفاً ورحمة وإحساناً وجاء مكملاً لشريعة التوراة، ومع هذا اختارت طائفة منهم الكفر على الإيمان.

فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع مبكتاً لهم بقبائحهم ومنادياً على فضائحهم ومخرجاً لهم من ديارهم وقد قاتلوه وحاربوه وهو في ذلك كله ينصر عليهم ويظفر بهم ويعلو هو وأصحابه، وهم معه دائماً في سفال، فكيف لا يملك الحسد والبغي قلوبهم.

٢- اليهود...ووحدة الصف:

توقع اليهود أن يعتبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - خارج نظام دعوته وأن يقصر الدعوة على الأميين فقط من العرب فلما أن وجدوه يدعوهم - أول ما يدعوهم - إلى كتاب الله بحكم أنهم أعرف به من المشركين وأجدر بالاستجابة له من المشركين، أخذتهم العزة بالإثم، وعدّوا توجيه الدعوة إليهم إهانة واستطالة.. هذا بجانب حسدهم فكان موقفهم من الإسلام موقف العداء والهجوم منذ الأيام الأولى، فزاد شعورهم بالخطر من عزلهم عن المجتمع المدني

الذي كانوا يزاولون فيه القيادة العقلية والتجارة الرابحة والربا المضاعف ! أو يستجيبوا للدعوة الجديدة، ويذوبوا في المجتمع الإسلامي، وهما أمران في تقديرهم أحلاهما مر.

ذلك فيما كان هنالك ظرف موات لليهود فيما بين الأوس والخزرج من فرقة وخصام وهي البيئة التي يجد اليهود فيها دائماً لهم فيها عمل..فلما أن جاء الإسلام سلبهم هذه المزايا جميعاً فلقد جاء بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه، فأزال الفرقة التي كانوا ينفذون من خلالها للدس والكيد وجر المغانم، ووحد الصف الإسلامي الذي ضم الأوس والخزرج، وقد أصبحوا منذ اليوم يعرفون بالأنصار والمهاجرين، وألّف منهم جميعاً ذلك المجتمع المسلم المتضامن المتراحم الذي لم تعهد له البشرية من قبل ولا من بعد نظيراً على الإطلاق.

٣- وهكذا يعملون:

كانت الماسونية في العالم الإسلامي هي الإطار الواسع الذي تحركت فيه اليهودية التلمودية فأفرزت الصهيونية وقد أدخلها اليهود في الدولة العثمانية ونشروها في كل أجزاء البلاد العربية وخاصة الشام ومصر، وأعلن قادتها إسلامهم تقية، ومن خلال مراكزهم التي أقاموها في الدولة العثمانية استطاعوا السيطرة على حركة الاتحاد والترقي (تركيا الفتاة) وأفسحوا لها في محافلهم التي كانت بعيدة عن رقابة الدولة، حتى أنهم جعلوا دعوتهم القومية موجهة ضد الإسلام والوحدة الإسلامية ودولة الخلافة، فكانوا هم أعوان الصهيونية في هدم الدولة العثمانية وتمزيق الرابطة بين العرب والترك وإيقاد نار الخصومة بينهما حتى خططوا لاتجاههم والذي تم على مراحل على الوجه الآتي:

أولاً: السيطرة على الحكومة وإسقاط السلطان عبد الحميد الذي رفض قبول اليهود في فلسطين ولم يزحزحه الوعد أو الوعيد عن خطته وإقامة الحكومة الاتحادية التي أفسحت لليهود الدخول إلى فلسطين والإقامة فيها وشراء الأراضي.

ثانياً: إيقاع الصراع والخصومة بين عنصري الدولة العثمانية تمهيداً لتدميرها وإدخالها في الحرب العالمية دون حاجتها إلى ذلك حتى يمكن تمزيقها والاتفاق مع العرب لموالاة البريطانيين في سبيل إقامة دولة لهم ثم الوقيعة بين العرب والترك.

ثالثاً: إثارة روح العرق والعنصر في الأتراك تحت اسم الطورانية ومحاولتهم تتريك العرب وتغيير لغتهم وثقافتهم بما يدفع العرب إلى الدعوة القومية العربية، واحتواء الدعوتين بمفاهيم غربية.

رابعاً: خداع العرب بعد وعدهم بالدولة وتمزيقهم إلى احتلالين فرنسي لسوريا وبريطاني للعراق، ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وإعلان وعد بلفور لليهود بإقامة الوطن القومي.

وهكذا تحققت للماسونية الخطة التي استطاعت بها إقامة الصهيونية على أرض فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل على مرحلتين:

الأولى: بعد الحرب العالمية الأولى بإدخال أعداد ضخمة من المهاجرين وإقامة الكيان الصهيوني لها.

الثانية: بعد الحرب العالمية الثانية وذلك بإعلان دولة إسرائيل وإجلاء العرب الفلسطينيين عنها..ثم توالت الخطوات حتى استطاعت إسرائيل أن تسيطر على القدس عام ١٩٦٧ وهكذا.. يعملون.

٤- كيف السبيل :

إن الضراعة الصادقة إلى الله سبحانه وتعالى: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ تستلزم المنافسة العامة بين عباد الله فيما يصلح دنياهم وأخراهم، يتنافسون في نيل الدرجات العلى في الحياتين، يتنافسون أولاً بتلاوة القرآن حق تلاوته بحفظ ألفاظه وتدبر معانيه، ويتنافسون في فهمه من جميع النواحي، ثم يتنافسون في الانطباع به والتأثر حتى يتشرب في قلوبهم ويتغلغل في شرايينهم، ويتنافسون في الاقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يتنافسون بحمل الرسالة بالدعوة والتبليغ،

وتوزيع هداية الله وتصدير أنواره في مشارق الأرض ومغاربها وتعميم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، وكل ما يقتضيه موجب التواصي بالحق والتواصي بالصبر، فيسود السؤدد الصحيح والقوة التي لا تغلب، التي تجمع الأهل وتشد بعضهم إلى بعض في هدف رباني سماوي، تتجلى فيه عبودية الله بمعانيها ومبانيها فتنق النفوس من الشح والهوى ويمنع عنهم عناصر الفرقة ويقيهم من أسباب الفساد ويلهب حماسهم للقيام بواجب الله سبحانه وتعالى.

ثم بصدق نياتهم مع الله، وإخلاصها لله، وطهارة جوارحهم وصلاح أعمالهم، يستمطرون رحمة الله بمدد السماء وحصانته التي لا يغلبها غالب أبداً.

وهذه الحقيقة لا يفهمها إلا حملة تلك الرسالة الذين تمتلىء قلوبهم بتعظيم الله بدلاً من تعظيم المادة؛ صدق معنى الحديث المروي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها ستكون فتنة قلت: ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿**إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به**﴾ من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»[(١)].

وعليه نقول: لن يكون للإسلام وجود إلا بهذه العزمة...عزمة العبودية لله ومرضاته المحققة للوحدة والأمن الصحيح والعيشة الراضية في الدارين التي لا تحصل إلا عن طريق الوحيين، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي تخرج العصبة المسلمة المؤمنة العابدة لربها التي تجدد مجد أمتها وتعيد تاريخها وما ذلك على الله بعزيز.

١- حديث ضعيف جداً كما بينه الشيخ الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ص ٧١ وكذلك في سلسلة الأحاديث الضعيفة، حديث: ١٧٧٦

منتدى القراء

لقد اطلعت على ما نشرته مجلة البيان العدد «٣٣» ص ١٤ موضوع: (أحاديث الفتن والفقه المطلوب) وطلب الكاتب البحث في أحاديث الفتن واستشارة همم القادرين من أهل العلم للكتابة عنها ؟ وأقول إن الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ذكر في شريط بعنوان «الضوابط الشرعية للفتن» عدة ضوابط منها:

١- الحلم والأناة والرفق.
٢- العدل والإنصاف وعدم الظلم واتباع الهوى في الحكم.
٣- تصور المسألة تصوراً كاملاً صحيحاً وفهمها والحكم عليها وفق الكتاب والسنة.
٤- الحرص على الجماعة والائتلاف والوحدة بين المسلمين.
٥- معرفة الراية التي يقف المسلم تحتها.
٦- ليس كل ما يعلم يقال. «حدثوا الناس بما يعرفون....»
٧- أن الله أمر بموالاة المؤمنين.
٨- معرفة الفرق بين التولي والموالاة والاستعانة بالكفار.

وطلب الدكتور أن يستفيد المسلمون والجماعات الإسلامية والدول الملتزمة بالإسلام من أحاديث الفتن للتخطيط للمستقبل وأقول: لقد ذكر الشيخ صالح الضابط الأخير عند وقوع الفتن وهو أى أحاديث الفتن لا تطبق على الواقع أثناء الفتنة بل بعد وقوعها وقال ما نصُّه: إن أحاديث الفتن لا تطبقها أخي المسلم على الواقع أبداً فإنه يحلو للناس عند ظهور الفتن أن يراجعوا أحاديث النبي صلى

الله عليه وسلم في الفتن ويكثر في مجالسهم قال النبي صلى الله عليه وسلم كذا هذا وقتها ؟ والسلف علمونا أن أحاديث الفتن لا تطبق على الفتن في وقتها وإنما يظهر صدق النبي صلى الله عليه وسلم بما أخبره من حدوث الفتن بعد حدوثها وانقضائها فمثلاً بعضهم فسر قول النبي صلى الله عليه وسلم أن الفتنة تكون من تحت رجل من أهل بيتي بأنه فلان بن فلان ؟ أو قول النبي صلى الله عليه وسلم حتى يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع بأن المقصود به فلان بن فلان أو قول النبي صلى الله عليه وسلم ستصالحون الروم صلحاً آمناً وما يحصل بعد ذلك فإنه في هذا الوقت؛ وهذا التطبيق لأحاديث الفتن على الواقع وبثٍّ ذلك في المسلمين ليس من منهج أهل السنة والجماعة وإنما أهل السنة والجماعة يذكرون الفتن وأحاديثها محذرين منها مباعدين للمسلمين عن غشيانها أو القرب منها لئلا يحصل بالمسلمين فتنة ولأجل أن يعتقدوا صحة ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

ولقد قابلت الشيخ وسألته عن مراجع هذه النقطة وأدلتها فذكر منها الفتاوى لابن تيمية عند حديثه عن الخوارج.

أما الأدلة فهو ما حصل لعلي رضي الله عنه أنه ما طبق معاملة الخوارج إلا حين ظهرت العلامة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم وهي ذو الثدية، وكذلك قتل عمّار من قبل الفئة الباغية.

وكذلك ذكر أن تطبيق أحاديث الفتن قبل وقوعها منهج غير سديد لذلك أحببت التنبيه وأطلب أن يقوم أحد العلماء المتخصصين في العقيدة ومنهج أهل السنة بدراسة هذا الموضوع دراسة قوية وتبيين أقوال العلماء فيها.

عبد الله بن ابراهيم الرميح

ثغرات خفية

أخي الداعية المربي إننا بحاجة ماسة إلى من يخرج بجهوده جيل فريد من نوعه ليسير على درب الهدى وينفع أجيالاً أُخر.

لكن ما هي الثغرات التي تقف أمام الجيل الجديد لكي ينحرف عن درب الهدى..وما هي أخطاء جهود الداعية المربي في ذلك ؟!

إن من الأخطاء:

١) عدم إدراك أفكار وشعور الأجيال المستقبلية:

من المعلوم أن الأفكار والمعتقدات تقع في عقل الإنسان ويصعب على المرء معرفة ما يكنُّه رفيقه في قلبه من آلام وأحلام.. وكل إنسان له أفكار مستقبلية..وكذلك الجيل الجديد.

وما إن يعرف الجيل الطريق السوي ومعه أفكاره ومعتقداته المستقبلية التي يبني عليها حياته إلا ويأتي دور الداعية المربي لتوجيهه وارشاده..وهنا يقع الخطأ في التوجيه!

من تلقين العلم والعمل زمراً زمراً من غير دراسة لأفكاره المستقبلية.. فما إن يرى الجيل هذا النوع من المعاملة وعدم موافقتها لما يدور في خلده إلا وتكثر مجاملته لمعلمه وعدم إهتمامه بهذا الطريق السوي ظناً منه أنه ممل..ويتدرج هذا الشعور إلى التفكر في السقوط ثم السقوط بعد ذلك.

٢) الإحاطة بمجتمع الجيل:

«الناس أجناس» والمجتمع فيه السيء والمحسن.. والجيل يندرج تحت غطاء المسيء أو المحسن في مجتمعهم..وبعد تمسك الجيل بدرب الهدى يأتي خطأ الداعية المربي حينما يفرض عليهم أعمالاً وأفكاراً هي في نظر المربي سهلة معتادة في مجتمعه ولكنها في نظر الطرف الآخر عكس ذلك كله في مجتمعه..وتأتي المجاملة لتحل هذا لموقف الحرج..ولكنها لا تجدي وبالتالي لابد لذلك الفرد السير خلف مجتمعه إن كان ضعيفاً أو الوقوف محتاراً..ويأتي حصاد السقوط بعد هذا.

٣) بين الأمر والإجابة:

إذا عرف الإنسان طريق الخير وطريق الشر عرف على إثر ذلك الأعمال الموافقة لها والمنافية لها..وللمربي الحق في أمر الجيل بأمر متوجب شرعاً على انفراد بعد ما يبينه له في سابق زمان..وأما أمور الخير عامة فينبغي للداعية المربي عدم إلزامه بها ولكن له أن يعرضها في قالب جميل من الحكمة وأن يجعل من نفسه صورة معكوسة لأمور الخير عامة.

إن الإلزام بشكل عام بحكمة ورزانة لأمر مستحب ومستحسن ولكن إذا طغى هذا الجانب على الجيل وأصبح يشغل حيزاً كبيراً من شعوره فإنه ما إن يحاول ترك طريق الهدى مع معرفته له..لا سيما إذا كان الجيل في أول طريقه للخير فإنك ترى التقهقر والرجوع ينتابه.

مهدي بن نزال المهدي

الأخ **عبد الله بن علي الطعيمي** - عنيزة -

أرسل كلمة قصيرة ينعى على المستغربين تعلقهم بالغرب وتركهم لدينهم القويم كما ذكرنا هذه الأيام بقصيدة الشاعر محمود غنيم والتي يقول فيها :

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلدٍ ... تجده كالطير مقصوصاً جناحاه

البيان : نشكر الأخ عبد الله على تألمه لحال المسلمين ولكننا نريد العمل بعد التألم.

الأخ **خالد سليمان الجبرين** أرسل لنا قصة بعنوان : السيرة الذاتية لشاب قروي.

البيان : نشجع الأخ خالد على الاستمرار في الكتابة فهو يملك موهبة أدبية ولكن القصة بشكلها الحالي لا تصلح للنشر.

الأخ **أحمد محمد البليهي** أرسل يقترح:

١- تجنب منهج النقد المباشر للأشخاص.

٢- إجراء مقابلات مع محللين سياسيين والتعليق عليها:

البيـان: نشكر الأخ أحمد على اهتمامه بالمجلة، والارتقاء بها، وأما ملاحظته الأولى فسيرد عليها لاحقاً عند الرد على كل من أبدى ملاحظات حول الموضوع نفسه.

الأخ **عبد الرحمن العبتي** - مكة - أرسل يقترح :

١- ترجمة موجزة عمن يكتب عنه وينتقد.

٢- الكتابة عن المستشرقين وترجمة ما ينشرون عن الإسلام.

البيـان: نشكر الأخ عبد الرحمن على حرصه وملاحظاته ونرجو أن نوفق للأخذ بها.

الأخ **يوسف بن محمد يوسف** - الخبر -

أرسل لنا مقالا صغيراً عن أزمة الكويت ركز فيها على أهمية الابتعاد عن الذنوب والمعاصي، وأهمية التمسك بالإسلام فهماً وتطبيقاً حتى نتجنب مثل هذه الفتن.

تعصب الغرب

كانت غرناطة آخر المعاقل التي سقطت في الأندلس، وقبل رحيل آخر ملوكها عقد معاهدة مع ملك إسبانيا على أن يترك للمسلمين حريتهم في دينهم ولغتهم، ولكن الإسبان نكثوا عهودهم ومارسوا سياسة البطش لتحويل المسلمين إلى النصرانية. يقول العالم محمد بن عبد الرفيع الذي حضر هذه المأساة وأنجاه الله منها:

«أطلعني الله على دين الإسلام بواسطة والدي رحمة الله عليه وأنا ابن ستة أعوام وأقل، مع أني كنت إذ ذاك أروح إلى مكتب النصارى لأقرأ دينهم ثم أرجع إلى بيتي فيعلمني والدي دين الإسلام، فكنت أتعلم فيهما معاً، وسني حين حملت إلى مكتبهم أربعة أعوام. فأخذ والدي لوحاً من عود الجوز كأني أنظر الآن إليه مملَّساً من غير طَفَل ولا غيره، فكتب لي فيه حروف الهجاء في كرّتين. فلما فرغ من الكرة الأولى أوصاني أن أكتم ذلك حتى عن والدتي وعمي وأخي وجميع قرابتنا، وأمرني أن لا أخبر أحداً من الخلق ثم شدد عليَّ الوصية، وصار يرسل والدتي إليَّ فتسألني ما الذي يعلمك والدك فأقول لها: لا شيء. فتقول أخبرني بذلك ولا تخف لأني عندي الخبر بما يعلمك: فأقول لها: أبداً ما هو يعلمني شيئاً. وكذلك كان يفعل عمي وأنا أنكر أشد الإنكار. ثم أروح إلى مكتب النصارى، وآتي الدار فيعلمني والدي إلى أن مضت مدة فأرسل إليَّ من إخوانه في الله الأصدقاء فلم أقر لأحد قط بشيء، مع أنه رحمه الله تعالى قد ألقى نفسه للهلاك لإمكان أن أخبر بذلك عنه فيحرق لا محالة. لكن أيدنا الله سبحانه وتعالى بتأييده وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته بين أظهر أعداء الدين».

قلت (شكيب أرسلان) فهمنا من هنا أن هؤلاء الجماعة كانوا أُجبروا على

النصرانية طراً، وإنما كانوا باقين في الغالب على الإسلام سراً، وكانوا مضطرين أن يرسلوا أطفالهم حتى من سن أربع سنوات إلى مكاتب النصارى، ولم يكن يباح لهم أن يعلموا أولادهم شيئاً عن الإسلام، ومن كان يقدم على ذلك وكانت الحكومة تعلم به كان يحرق بالنار. وبرغم هذا كله كان بعضهم حريصاً على تعليم أولاده عقيدته الإسلامية ولغته العربية فكان يعلمهم ذلك مع أشد الاحتياط والامتحان خشية أن السلطة تأخذ سر الأمر من الأولاد فتحرق أولئك الوالدين بالنار كما هو قرار ديوان التفتيش الكاثوليكي.

ويتابع ابن عبد الرفيع:

« وقد كان والدي رحمه الله تعالى يعلمني حينئذ ما كنت أقوله عند رؤيتي للأصنام وذلك أنه قال لي: إذا أتيت إلى كنائسهم ورأيت الأصنام فاقرأ في نفسك سراً قوله تعالى: **﴿يا أيها الناس ضُرِب مثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾** و **﴿ قل يا ايها الكافرون﴾** إلى آخرها وغير ذلك من الآيات الكريمة وقوله تعالى **﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾**.

فلما تحقق والدي رحمه الله تعالى أني أكتم أمور دين الإسلام عن الأقارب فضلاً عن الأجانب أمرني أن أتكلم بإفشائه والدتي وعمي وبعض أصحابه الأصدقاء فقط. وكانوا يأتون إلى بيتنا فيتحدثون في أمر الدين وأنا أسمع، فلما رأى حزمي مع صغر سني فرح غاية الفرح وعرفني بأصدقائه وأحبائه وإخوانه في دين الإسلام فاجتمعت بهم واحداً واحداً».

عن: حاضر العالم الإسلامي

تعليق: شكيب أرسلان

مسابقـــة
البحوث السنوية

تشجيعاً منها للبحث العلمي والدراسات الجادة يسر مجلة البيان أن تعلن لقرائها الكرام عن مسابقتها السنوية والتي تخصصها هذا العام لموضوع حيوي وهام هو (أزمة الخليج)، وتهيب البيان بقرائها الكرام من الأساتذة والباحثين المشاركة في هذه المسابقة مساهمة منهم في ظهور دراسات جادة وهادفة حيال هذا الموضوع لأخذ الدروس من الأحداث.

محاور البحث

١- دور النفط في أزمة الخليج

٢- مواقف الإسلاميين من أزمة الخليج (دراسة نقدية إصلاحية)

٣- أثر الوفاق الدولي على أزمة الخليج.

٤- أثر أزمة الخليج على الصراع العربي الإسرائيلي.

٥- رؤية مستقبلية لمنطقة الشرق الأوسط بعد أزمة الخليج.

٦- الجانب الديني وأثره في ازمة الخليج.

شروط المسابقة

١- يكتب عن محور واحد من المحاور المذكورة.

٢- يحق للباحث أن يتقدم بأكثر من بحث على أن يتناول في كل مرة محور مختلف.

٣- ألا يكون البحث قد سبق نشره.

٤- يجب أن يكون البحث مطبوعاً في حدود ٣٠ - ٥٠ صفحة.

٥- لا بد من حد مقبول من الالتزام بالنواحي الأسلوبية.

٦- الاعتناء بالمنهج العلمي والتوثيق.

٧- للمجلة حق نشر البحوث الفائزة بالطريقة التي تراها.

٨- ترسل البحوث على عنوان المجلة.

٩- يستحسن إرفاق صورة من السيرة العلمية للباحث.

١٠- آخر موعد للتسليم هو نهاية أيلول / سبتمبر ١٩٩١م

جوائز المسابقة

١- الجائزة الأولى وقدرها ٥٠٠ جنيه استرليني.

٢- الجائزة الثانية وقدرها ٣٥٠ جنيه استرليني.

٣- الجائزة الثالثة وقدرها ٢٠٠ جنيه استرليني.

ونسأل الله عز وجل أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

فئران..للتجارب

حسن القارئ

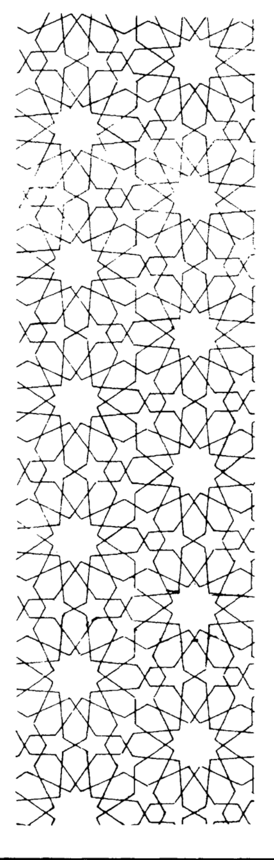
لي صديق..يدرس سلوك الحيوان..

يقول..إننا أحياناً نحقن الفأر بمادة تستفزه..ثم ندرس إمكانية أن يكون الفأر صالحاً للتجربة بمعنى أن نتعرف عليه وعلى إمكاناته.

ذهب بي التفكير مذاهبه..وتساءلت هل من الممكن أن يصبح الإنسان فأراً..للتجربة..بل يصبح مجتمع بأسره فئران تجارب ؟! تذكرت حادثة..وأنا أسرح في مذاهب التفكير..حدثت في بريطانيا..وأصبح لها ضجيج عجيب..وذلك أن رجلاً تافهاً لم يكن معروفاً أخرج كتاباً يشتم فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ويتكلم في القرآن..فأصبح اسم هذا الكاتب على كل لسان..خرجت مظاهرات لم تشهدها مدن بريطانيا من قبل..وكانت مظاهرات احتجاج من المسلمين في بريطانيا، ثم تتابعت الأيام وإذا بوسائل الإعلام تكشف أمراًعجيباً..وخصوصاً في ظل أحداث أزمة الخليج..لقد استفادوا من ذلك الكتاب..وذلك المؤلف..كما يستفيد الباحث..يحقن الفأر..لكي يتعرف عليه..لقد حقنوا المسلمين بكتاب رشدي فثارت ثائرة المسلمين وتحركوا ونظموا..وكان الباحث آنذاك يراقب السلوك يحدد الإمكانيات والبواعث وحجم الخطر ومواطن الضعف والقوة.

قسماً أيها القارئ؛ إنني لا أضخم الأمر إنهم يراقبون..ويدرسون..ويخططون. ونحن لا نراقب..ولا ندرس..ولا نخطط..بل جل أمرنا أن ننفعل..أن نصيح هنا وهناك..نستنكر..ونشجب وتتحرك المسيرات..ثم ماذا بعد ذلك، ليس هناك هدف..لأنه لم تكن هناك مقدمات..دراسة..وتخطيط..فسرعان ما يخبو اللهب..وينطفئ..وتعود المياه إلى مجاريها.





العدد الأربعون
ذو الحجة ١٤١١ هـ
٦ / ١٩٩١ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لنــدن

رئيــس التحــرير

محمد العبــدة

العنـــوان

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 736 4255

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

...ولا هم يذَّكَّرون

في مساء يوم الجمعة ١٤ أيار (مايو) من عام ١٩٤٨ وقف الصهيوني بن غورين ليقرأ بيان الاستقلال وقيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين، وكانت البداية مؤتمراً عقد في مدينة (بازل) في سويسرا الذي كتب عنه هرتزل في مذكراته «لو أردت أن أختصر مؤتمر بازل في كلمة واحدة – وهذا ما لن أفعله – لقلت: في بازل أسست الدولة الصهيونية، ولو أعلنت اليوم ذلك لقابلني العالم بالسخرية والتهكم ولكن بعد خمس سنوات على وجه الاحتمال وبعد خمسين سنة على وجه التأكيد سيرى هذه الدولة جميع الناس»

وما بين هذا التخطيط وقيام الدولة كانت هناك مؤامرات وأساليب ماكرة ومساعدات قوية من الغرب، قابلها من العرب والمسلمين حركات جهادية عفوية قليلة العدد والعدة، أو لجوء إلى منطق الضعفاء، الشكوى والشجب وتصديق ما يقوله الغرب ويكثر فيه من الوعود وإرسال اللجان للتحقيق وطرح المشاريع التي لا يقصد منها إلا التسويف والخداع حتى يتمكن العدو ويقوى مع الأيام. والعجيب أن الغرب وإسرائيل استمرا على هذه السياسة، والعرب أيضاً استمروا على سياستهم، فقد قاتل العرب مع الانكليز ضد الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى طمعاً في أن تتكرم عليهم بريطانيا بدولة عربية، ولكن بريطانيا كانت في واد آخر، كانت تخطط مع فرنسا لابتلاع البلاد العربية، وفي هذه الفترة أعطت اليهود هدية ثمينة وهي (وعد بلفور) لمساعدتهم على إنشاء وطن قومي، وفي عام ١٩٢١ زار وزير مستعمراتهم

(تشرشل) مصر فقدم له عرب فلسطين شكوى عن اليهود وتصرفاتهم !! واستمرت هذه السياسة الى الآن. وفي عام ١٩٤٦ جاءت لجنة لتقصي الحقائق في فلسطين، وأوصت ببقاء الانتداب البريطاني، وفي عام ١٩٤٧ جاءت لجنة من الأمم المتحدة واقترحت تقسيم فلسطين الى دولة عربية وأخرى يهودية واعتبار القدس وبيت لحم منطقة دولية، واستمرت اللجان والمشاريع المطروحة من التقسيم الى مشروع (روجرز) الى (شولتز) و(بيكر).

وفي عام ١٩٣٧ عندما أنشب عبد القادر الحسيني القتال مع اليهود، أرادت بريطانيا الالتفاف حول هذه الحركة فاقترح أحد ساستهم (مكمايكل): «أن يدخل المسرح حكام البلاد العربية المجاورة الأكثر ميلاً للتعاون، كما اقترح إجراء مفاوضات مع رؤساء بلديات العرب».

وما يجري الآن وفي السبعينات هو عين ما جرى سابقاً، العرب يفرحون في كل مرة انتظاراً للوعود، وسياسة إسرائيل والغرب من ورائها لم تتغير ففي عام ١٩٧٨ قال موشي دايان وزير خارجية إسرائيل لأمريكا: «كي لا تكون القدس عاصمتنا لا يكتفي بقرار مجلس الأمن بل عليهم كتابة التوراة من جديد، وتغيير أحداث آلاف السنين»[١]

واليوم يقول (شامير) الكلام نفسه، وسياسة أمريكا تقوم على ثوابت لم تتغير وهي: رفض إقامة دولة فلسطينية، رفض أي تغيير في الضفة الغربية لا ينسجم مع سياسة إسرائيل، رفض أي وفد فلسطيني مستقل لمباحثات السلام التي يعدون بها.

لقد قدمت أمريكا أثناء حرب الخليج الوعود ذاتها لحل ما يسمى بـ (الصراع العربي-الإسرائيلي) وبدأت زيارات (بيكر) للمنطقة، وبدأت الآمال

١- مذكرات دايان: أيبق السيف يحكم ؟ /١٣١

تتبخر يوماً بعد يوم، وحتى لو كانوا صادقين فإن هذه الجولات والمباحثات ستستمر سنين فكيف ونحن نعلم أنهم غير صادقين، وفي مقابلة تلفزيونية مع (وليم كولبي) رئيس المخابرات الأمريكية السابق قال بمناسبة زيارة بيكر الثالثة: «إن ما ندعوه بمبادرات السلام لا يستهدف حل النزاع العربي الإسرائيلي فهذا نزاع لا يمكن حله الآن، وإنما الهدف الاستمرار في عملية السلام..»[1]

وما زيارة وزير خارجية الاتحاد السوفياتي للمنطقة إلا تأكيداً لتضامنها مع أمريكا، فقد صرح هذا الوزير في الأردن أن سياسة الاستيطان اليهودية تنسف جهود السلام، ولكنه عندما زار إسرائيل لم يتفوه بكلمة حول هذا الموضوع.

وموقفه هذا يذكرنا بتنسيق روسيا مع أمريكا عشية حرب حزيران ١٩٦٧ عندما أبلغت روسيا بواسطة سفيرها في القاهرة، أبلغت مصر بألا تكون البادئة في الحرب مع إسرائيل، وياها من نصيحة ثمينة.

فإذا كان الموقف الأمريكي لم يتغير، و(شامير) يعمل بالفكر التوراتي ولا يريد أن يقدم في آخر حياته تنازلات - بزعمه - للعرب، فلماذا هذا الركض وراء (السلام) ؟

الحقيقة أن هؤلاء اللاهثين وراء الصلح هم فاشلون في الحرب وفاشلون في السلم، وبما أن أمرهم ليس بأيديهم فلم يبق أمامهم سوى هذه المسرحية السخيفة.

١- جريدة القدس العربي ١٩٩١/٥/١٨

بعضَ عنائك يا شيخ

عبد القادر حامد

لِمَ هذه الحملة المرهقة، والمعاناة الناصبة التي يتكلفها الشيخ البوطي؟ لم هذا الحشد المنظم لهذه الأفكار المضطربة حول تيار لازال يشق طريقه بتصميم وعزيمة جادة في ثنايا الحياة الإسلامية، وهذا التصميم وهذه العزيمة تناسب الصعوبات المبثوثة في طريقه، وعلى الرغم من هذه الصعوبات فإن المؤمنين بهذا التيار يعتقدون أن أمره جد، لأنه دين، وأنهم بهذا الاعتبار ليسوا ثلة قليلة منعزلة، ولا جماعة مشاغبة همها التفريق - كما يحاول الشيخ البوطي أن يصورها - بل جموع جرارة متعطشة الى عودة الإسلام ليظلل حياة الناس من جديد.

إن المسلمين في كل البقاع ملوا من اللافتات التي ترفع باسم الإسلام هنا وهناك، وضاقت صدورهم بالإسلام «الرسمي» الذي قيد بالقيود والسلاسل والأغلال، الذي يقدم إليهم على أنه هو الإسلام الذي أنقذ به الله البشر، وصموا آذانهم عما يلقى عليهم من فتاوى هذا الإسلام «الحكومي» وفروا إلى تاريخهم وسير رجالهم لعلهم يجدون فيها شيئاً من السلوان عن هذا الظلام المخيم، فهل وجدوا السلوى ؟

نعم وجدوا..فإن قراءة فكر ابن تيمية تكشف عن رجل كانت حياته وأفكاره تمثيلاً لقضايا المسلمين المصيرية، وشرحاً عملياً ونظرياً لقوة ونصوع الإسلام؛ وللعقبات والصعوبات التي تعترض سبيله لينتشر ويسود. بل وجدوا فيه أكثر من ذلك؛ وجدوا فيه رجلاً عاش عصره وتفاعل مع مشاكله

تفاعل المعتز بدينه، الواثق به على رغم كل المصاعب، وتصدى لجبهات كثيرة، فما طأطأ لها رأساً، ولا لانت له قناة. هذه الجبهات التي قد يبدو التصدي لها لبعض الناس - ومنهم علماء - أمراً لا طائل تحته، ولا ثمرة منه غير التعب الذي يجني على صاحبه ويسيء إليه. ولكن تصدي ابن تيمية لها بهذه الروح من أبرز بواعث الحياة في حقل الدعوة الإسلامية فيما بعد عصره إلى اليوم. وذلك لأن مقصود هذه الجبهات في حربها للإسلام واحد وهو تغييبه عن مسرح الحياة، أو تحييده وتجميده على الأقل. بل إن ذلك هو أوضح دليل على وحدة المنهج الفكري والتطبيق عند ابن تيمية، فالسلبيات التي تعترض سبيل الإسلام يجب أن تبين أصولاً وفروعاً. وأعداء الإسلام التاريخيون ينبغي أن يُرْشَد المسلمون إلى أساليبهم ومواصفاتهم، دون مواربة ولا مداهنة. والبدع التي طرأت على مسيرة المسلمين لابد من كشف جذورها، ومصادر حياتها، وأخطارها، دون غمغمة ولا مجاملة.

صورة التيار السلفي عند البوطي:

يرى البوطي أتباع هذا التيار أنهم مجموعة تحاول اختلاق مذهب جديد والانغلاق عليه. وأنهم جماعة تريد تفريق كلمة المسلمين، بل وتصد عن الإسلام، وأن كلمة «السلف» تضم الصالح والطالح، ولم تعرف هذه الكلمة، ولم يستخدمها المسلمون للدلالة على جماعة لها مواصفات معينة. «كيف ولو أنهم عبروا عن كينونتهم الجماعية ووحدتهم المذهبية بهذا الشعار إذن لدخل معهم في تلك الكينونة الجامعة سائر تلك الفرق الجانحة عن الحق الشاردة عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إذ إنهم جميعاً (أي الفرق الجانحة عن الحق) مصبوغون بصبغة هذا الشعار سواء انتموا أم لم ينتموا إليه (هكذا بالإكراه!)، بل إنهم السلف أنفسهم لا المذهب الذي

ينتمي إليهم (ياناس!) فهم بكل فئاتهم وأشتاتهم أصل هذا المذهب وجذوره، دون أي تفريق بين مهتدٍ وزائغ وبين صالح وطالح»[1]

ويرى أن ظهور شعار «السلفية» كان في مصر إبان الاحتلال البريطاني لها، وأيام ظهور حركة الإصلاح الديني التي قادها وحمل لواءها كل من جمال الدين الإفغاني ومحمد عبده، ثم استحلى أتباع (المذهب الوهابي) هذا الشعار لما بين أتباعه وبين حركة الأفغاني ومحمد عبده من قاسم مشترك ! وهو لا ينسى أن يعرض بدعوة محمد بن عبد الوهاب مدعياً «بأن ينبوع مذهبه - بكل ما يتضمنه من مزايا وخصائص - يقف عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب» وهي عبارة ملتوية لو طولب البوطي بشرحها لدار وناور. ولكان له موقف منها حسب هوى من يكلمه فيها.

ويرى أن ضيق وتبرم أتباع ابن عبد الوهاب بكلمة (الوهابية) جعلهم يستبدلون كلمة (السلفية) بها، ليوحوا إلى الناس بأن أفكار هذا المذهب لا تقف عند محمد بن عبد الوهاب بل ترق إلى السلف، وأنهم في تبيينهم لهذا المذهب، أمناء على عقيدة السلف وأفكارهم، ومنهجهم في فهم الإسلام وتطبيقه.[2] [٢٣٦ من كتابه]

ويضع تعريفا طريفاً للسلفي فيقول:

١- خاتمة هذه العبارة تذكر بعبارة شمشون الجبار: «عليَّ وعلى أعدائي ياربِّ !».

٢-كلام خطير يبين دخيلة البوطي على حقيقتها وموقفه ممن لا يرون رأيه المريض في دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب حيث يريد أن يقطع - بتفسيره المدخول - صلة هذه الدعوة بجذور العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومع أن كلامه هذا ظاهر التهافت، وهو يحس بذلك، لذلك فقد قال في الكلمة التي وشح بها ظهر غلاف كتابه: «إنما أخرجت هذا الكتاب لناشئة الأمة»، ولكن من أين له أن يغطي الشمسَ غربالهُ ؟!

«والسلفي اليوم كل من تمسك بقائمة من الآراء الاجتهادية المعينة (!) ودافع عنها، وسفه الخارجين عليها ونسبهم إلى الابتداع، سواء منها ما يتعلق بالأمور الاعتقادية، أو الأحكام الفقهية والسلوكية»[1] [ص ٢٣٧].

ويقول أيضاً في كلام كأنما يصف نفسه: «فكل من حصر الحق في الرأي الذي انتهى إليه، وعد صاحب الرأي الثاني مبتدعاً أو زائغاً، على الرغم مما أوضحناه من أن كلا الرأيين نابتان في حقل المنهج المتفق عليه، فهو المبتدع حقاً[2]، وهو المفرق لجماعة المسلمين والمتسبب لإثارة البغضاء فيما بينهم دون أي موجب أو عذر، وهو المتنكب عن إجماع المسلمين..»[ص ٢٣٨].

ويرى أن (السلفية) مذهب جديد مخترع في الدين، وهو مجموعة آراء اجتهادية في الأفكار الاعتقادية والأحكام السلوكية، انتقيت من مجموع آراء اجتهادية كثيرة مختلفة قال بها كثير من علماء السلف وخيرة أهل السنة والجماعة، لكن على غير أساس علمي، بل «اعتماداً على ما اقتضته أمزجتهم وميولاتهم الخاصة بهم»[3]، بل ويختم هذه التخرصات بالإعلان أن هذه البدعة لا سابقة لها في أي عهد من عهود السلف أو الخلف، و«من أشنع مظاهر البدع الدخيلة على الدين» بل ويقسم بحياته أنه لا يعرف للبدعة معنى غير ابتداع لفظة السلفية فيرفع عقيرته قائلاً: «ولعمري، لئن لم يكن هذا كله ابتداعاً في الدين، فما هو المعنى المتبقي للبدعة إذن، وفي أي مثال أو مظهر يبرز ويتجسد ؟!» [كتابه ص ٢٤٢]

١- ألا ينطبق هذا التعريف عليه ؟!

٢- مر قبل كلامه هذا أنه يعتبر السلفيين مبتدعين بلا ريب، وأن الابتداع ثابت في اتخاذ كلمة (السلفية) هذه، وعلى الرغم من قذفه وشتائمه المتكررة فإنه لم يستطيع أن يثبت بكلمة موثقة أن السلفيين الذين يشهر بهم بأوصافه هذه يقولون بهذه الآراء واللوازم التي يتخايل بها.

٣- «سبحانك هذا بهتان عظيم».

وقد سقنا هذه العبارات والفقرات ليتضح لنا تصور الشيخ لهذه الكلمة التي أطارت النوم من جفونه وكلفته هذا العناء، ولا نريد مناقشة ما جاء به من تعريفات وتأكيدات حتى لا يطول الكلام، ولكن نكتفي بطرح النقاط التالية:

لا شك أن الشيخ على علم بالعبارة المأثورة عند أمثاله ممن يَدْرسون ويدرِّسون العقيدة على طريقة المتكلمين وهي: (مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أحكم)[١]، ألا تعني هذه العبارة أن هناك شيئاً اسمه مذهب السلف، وشيئاً اسمه مذهب الخلف؟

هل الشيخ متأكد أن الناس قبل هذا العصر لم يستخدموا كلمة السلف ليدلوا على تيار معين في المسلمين؟ وليضرب صفحاً عن آثار ابن تيمية وابن القيم وأتباع هذه المدرسة؛ ألا يجد في كتب الحديث والتراجم شيئاً يدل على ذلك؟

أما نحن فنجد ذلك واضحاً كل الوضوح، وأن التيار المتمسك بالكتاب والسنة وفهمهما كما فهمها الصحابة والتابعون وتابعوهم (وهم خير القرون) تيار واضح القسمات في كتب العلم.

قال الخطابي: «هذا الحديث وما أشبهه من الأحاديث في الصفات كان مذهب السلف فيها: الإيمان بها وإجراءها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها.»[٢]

١- نحن نستشهد بهذه العبارة على سبيل الإلزام، لا اقتناعاً بفحواها؛ بل نرى أن مذهب السلف أسلم وأحكم.

٢- جلاء العينين ص ٤٠٤

وجاء في الأعلام للزركلي، ٦/٨ : «نبا بن محمد بن محفوظ القرشي، المعروف بابن الحوراني، الشيخ أبو البيان، شيخ الطائفة البيانية، من المتصوفة بدمشق، قال ابن قاضي شهبة: كان عالماً عاملاً، إماماً في اللغة، شافعي المذهب، سلفي العقيدة، له تآليف ومجاميع وشعر كثير».

ويقول الدكتور وهبة الزحيلي عن الشيخ جمال الدين القاسمي: «كان سلفي العقيدة، لا يقول بالتقليد»[1] فهل الشيخ الزحيلي مبتدع في استخدامه هذا المصطلح؟ وإذا كان كذلك فما هو المقابل لهذه الكلمة في وصف عقيدة الشيخ جمال الدين القاسمي ياترى ؟!

وقد غفل البوطي أو تغافل - في حمى حملته على خصومه - أن «السلفية» مصطلح يختلف معناه الاصطلاحي بين قوم وقوم، فأعداء الإسلام عرباً وعجماً، على اختلاف مشاربهم وتعدد نظرياتهم؛ يطلقونه على كل من يتمسك بدينه ولا يتنازل عن عقيدته، ولا يتخلى عن الأصول التي لا يجوز التخلي عنها بحجة أنها قديمة، فالشيخ البوطي عند هؤلاء سلفي لأنه يعتقد أن في الإسلام واتباع منهجه نجاة البشرية وهدايتها، ولا يفرقون بين مسلم ومسلم سواء في جزيرة العرب أو بلاد الشام أو شمال إفريقيا أو شبه القارة الهندية أو في أوروبا وأمريكا..إذا كان هؤلاء المسلمون يعتزون بدينهم ويرونه منهجاً كاملاً شاملاً يحكم الحياة ويصلح دنيا البشر وآخرتهم.

والبوطي والمتصوفة وكثير من المشايخ المتأثرين بالمدارس ذات المناهج التي كانت سائدة في عهد المماليك ثم عهد الدولة العثمانية يحصرون هذا المصطلح بأتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن تأثر بها، وبأفكار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

١- بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٣٣٥/٢

أما «السلفيون» أنفسهم الذين كرّس البوطي جهاده ضدهم فلا يرون أنهم يخترعون ويبتدعون مذهباً جديداً وإنما يقولون: إن هناك تياراً لا زال موجوداً منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا هذا، يعتمد جعل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة المنهج الذي يجمع المسلمين كافة، وهذا المنهج كان واضحاً كل الوضوح في عصر الصحابة والتابعين، وهو المنهج الذي سار عليه أكابر علماء الأمة فيما بعد ذلك، وقد عكر على هذا المنهج مؤثرات غريبة عنه تسللت بأسباب وأساليب شتى، وما زال الأمر كذلك، حتى ظهور مدرسة ابن تيمية وتلاميذه التي أحدثت هزة عنيفة في ذلك الوقت، وعلى الرغم من وقوف الحكومات وعلماء السلطة في وجه هذه المدرسة وعملهم المستميت في كبت صوتها، إلا إن القوة التي تميز بها هذا الصوت لم تتلاشَ ولم تندثر، بل بقي الصدى يتردد هنا وهناك، ولا نرى حاجة في تفصيل أسباب ذلك وآثاره هنا، بل نقول: إننا نرى الجهود التي تصدت لمنهج ابن تيمية في السابق هي هي الجهود التي تحتشد لاجتثاث هذا المنهج من حياة المسلمين، ولكن هل يمكن ذلك؟ هذا سؤال متروك لأصحاب هذه الحملة ليجيبوا عليه بالقول الصريح، أو بالفعل المقنع.

وأتباع هذا المنهج لا يدعون العصمة، كما أنه إذا بدا في سلوك بعضهم ما يغضب غيرهم؛ فماذا في ذلك؟ إن من طبيعة النفس البشرية أن يضيق صدرها بما يخالف ما هي عليه، والإنسان عدو ما يجهل، وكذلك فإن الخطأ والظلم من هؤلاء ممكن ومتصوَّر ؟ أليسوا بشراً ؟ وقد قال الله عز وجل: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الإنسان، إنه كان ظلوما جهولاً﴾** [الأحزاب ٧٢].

وإنه «ما من طائفة إلا وفي بعضهم من يقول أقوالاً ظاهرها الفساد. وهي

التي يحفظها من ينفر منهم، ويشنع بها عليهم، وإن كان أكثرهم ينكرها ويدفعها».[1] وهذا ما فعله الشيخ البوطي عندما استضافته «رابطة العالم الإسلامي» عام ١٤٠٦هـ فتشاكى هو وكثير من ضيوف الرابطة الذين جاؤوا من أوروبا وأمريكا وآسيا وإفريقيا، تشاكوا بمرارة وأسى مشكلة وحيدة هي الخلافات والخصومات الطاحنة(!) التي تثيرها بينهم جماعة السلفية[2] ! هذا ولعله من رحمة الله بالمسلمين، ومن فضله وستره على السلفيين؛ أننا منذ ذلك التاريخ المشار إليه – وهو تاريخ حضور الشيخ البوطي لذلك الموسم الثقافي الذي دعت إليه «رابطة العالم الإسلامي» – لم نسمع بعدها عن شيء مما أشار إليه الشيخ والشاكون إليه، فها نحن منذ عام ١٤٠٥هـ وإلى الآن – قرب نهاية عام ١٤١١هـ – نعيش في بلد أوربي فيه عدد لا بأس به من المسلمين من مختلف الأصقاع والمشارب، لم نسمع عن شيء من هذه «الخلافات والخصومات الطاحنة» التي يتقلب البوطي منها على مثل جمر الغضا..! وهل على أحد لوم إذا ما ذكرته هذه العبارة «الطاحنة» بأبيات زهير التي يصف فيها الحرب من معلقته:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمُ ... وما هو عنها بالحديث المُرَجَّم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ... وتَضْرَ إذا ضرَّيتموها فتَضْرَمَ

فَتَعْرُكُكُم عَرْكَ الرحى بثِفالها ... وتَلْقَحْ كِشافاً ثم تُنْتَجْ فتُتْئِمِ

وقبل أن نضع القلم نحب أن نتوجه بكلمتين إلى شيخنا البوطي.

الكلمة الأولى:

في الناس من يقرأ لابن تيمية ولغيره، وفيهم من له عقل يستطيع أن يميز

١- مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٢/١٧

٢- ليلاحظ القارئ الكريم أن هذا التشاكي لم يكن جماعياً بل كل واحد من الضيوف كان يشكو للشيخ البوطي على انفراد من هذه المحنة

بين السقيم والسمين، وبين النافع والضار، وهذه كتب العلم لم تزل مبذولة تشهد على كاتبيها، وقد أصبحت منتشرة أكثر والوصول إليها أسهل بحمد الله؛ فمن يا ترى من العلماء يرشح لنا الشيخ البوطي حتى نتخذ منه نافذة نطل بها على تراثنا الإسلامي العظيم نقلاً وعقلاً، وفهماً واستنباطاً، ومن كتب في مناحٍ المسلمُ أحوج ما يكون إليها في هذا العصر الهائج المائج؟

سيقول الشيخ: وهل تدعون أن أحداً من العلماء أحاط بكل ما يحتاجه المسلمون. وأجاب عن كل تساؤل يعرض لهم؟ إذا كنتم تدعون ذلك فقد أبعدتم النجعة، وبالغتم مبالغة مذمومة، وبلغتم بابن تيمية أو غيره ممن تتعصبون له درجة لا تطاق ولا تقرون عليها ! إن هذا العلم قدر مشترك لكل علماء المسلمين، وكل منهم ساهم في هذا البناء المتماسك.

فنقول: نعم، لا ندعي لأحد الإحاطة، ولا نغمط أحداً حقه ولا نبخسه ما وهبه الله، يأبى علينا الإنصاف ذلك، ولكننا - مع اعترافنا لكل ذي حق بحقه - ننظر إلى ما هو موجود، وإلى نفعه للمسلمين من الجانب العملي، وإلى مردوده على ما نتطلع إليه من الانتقال بحالهم من التراجع والضعف؛ إلى النظر إلى المستقبل بثقة وثبات، وإلى تحويل إمكاناتهم من قوة كامنة إلى قوة دافعة، أي كتب تقترحها علينا نطل من خلالها على الإسلام الصافي بقوة حججه وسمو أخلاقه، ووضوح أفكاره، وحرارة الإيمان وفاعلية العقيدة فيه:

ألفتوحات المكية أم اقتضاء الصراط المستقيم ؟!

فصوص الحكم أم منهاج السنة النبوية ؟!

اليواقيت والجواهر أم الصارم المسلول ؟!

إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء! أم السياسة

الشرعية ؟!

الكبريت الأحمر وشرح وصية المتبولي أم درء تعارض العقل والنقل[1] ؟

الكلمة الثانية:

هناك مجال ما أجداه على الدعوة الإسلامية لو اقتحمه الشيخ البوطي، فبدلاً من اقتصاره على الحديث ناقداً ومشنعاً على إخوانه أتباع الكتاب والسنة، وشنه هذه الحملات المتكررة عليهم في داخل بلده وخارجه؛ حبذا لو خرج من هذه الدائرة المغلقة والتفت إلى تربية الدعاة والاهتمام بنشر العلم الشرعي الذي استؤصلت معالمه بشكل مقصود وأساليب ملتوية مفضوحة، إلا بقايا من الجهود الفردية التي لا تفي بالحاجة. ولا تقوى على التحديات المحيطة، وإن في إمكانات الشيخ البوطي - «التي لا نحب أن نرتاب فيها» - البركة، فهو في حال - من البحبوحة الكلامية، وحرية التحرك - يغبطه عليها الكثير، وله قدم صدق عند أصحاب الحل والعقد. فلم لا يستثمر هذه الفرصة بما يعود على الإسلام والمسلمين بالخير. وينشِّط «الصحوة الإسلامية» التي نوه بها بقوله مرةً: « إن معين الصحوة الإسلامية من الشام. وهي من الشام تنتشر، وسرها في الشام، وقد كان ذلك فيما مضى، واليوم، وسيبقى بعد اليوم».[2] بشره الله بالخير، ولو أزال الشيخ الغموض الكامن في عبارة «وسرها في الشام» لأجاد وأفاد. ووفى بالمراد، ولشكر له المنتظرون سماع هذه التطمينات شكراً لامزيد عليه. وكذلك قوله الآتي في كلمته تلك فيه غموض يحتاج إلى تفصيل وشرح، ولا يقدر على

١- الفتوحات المكية، وفصوص الحكم. كتابان لابن عربي.

واليواقيت والجواهر، وإرشاد المغفلين. والكبريت الأحمر. ووصية المتبولي. كتب للشعراني الصوفي.

وهي كتب مشهورها كمجهولها في الضرر أو قلة النفع عند العقلاء.

٢ صحيفة تشرين ١٨/٤/١٩٩٠

ذلك سواه - حفظه الله - فهلا فعل ؟! يقول:

«إن المكائد تضاعفت ليس من أفراد فقط أو جماعات؛ بل من حكومات تعادي الإسلام... وإذا كانت الشام منبع أعداء الإسلام فلتنهض الشام نهضتها، ولينهض الشعب متعاوناً مع رئيسه».[1] كيف يكون معين الصحوة في الشام؛ ومنبع أعداء الإسلام من الشام؟! ومن الأفراد، ومن الجماعات، ومن الحكومات التي تعادي الإسلام؟ ولم لا تضع دليلاً يستخدمه أهل الشام لاكتشاف هؤلاء الأفراد، والجماعات، والحكومات؟! كل ذلك يحتاج إلى تجلية وبيان من أجل النشء الذي وقفت جهودك لتوعيته، لتستبين سبيل المجرمين. فضع إصبعك على الجروح الناغرة يا شيخ، ولا تخف، وخذِّل عن المسلمين، ولا يكن همك كهمِّ المتنبي فقط؛ ضيعة أو ولاية[2]، فما أنت فيه خير من الضيعة أو الولاية، وكن على ذكر من كلمة إبراهيم بن أدهم أو غيره: «لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف». واعتبر بأصحاب الضيعات حواليك = ضباع تتهارش على الجيف في العاجلة، وتذهب - مخلفة روائح الجيف ورائها - إلى الآجلة.



---

١ - صحيفة تشرين ١٨/٤/١٩٩٠

٢ - إشارة إلى قوله في مدح كافور الإخشيدي:

إذا لم تُنِطْ بي ضيعة أو ولاية ... فجودك يكسوني وشغلك يسلُبُ

من أدب الأخوة

عبد الرحمن العقل

للأخوة أدب جمّ وخلق رفيع ارتقاه سعيد بن العاص، فقال: «إني لأكره أن يمر الذباب بجليسي مخافة أن يؤذيه».[1]

وللأخوة آداب تمنح الأخوة رونقاً وبهاءً وجمالاً..

فمن هذه الآداب:

١- الابتعاد عن الإطراء وترك المدح:

حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الإطراء والمدح، صيانة للأفراد من الغرور والإعجاب بالنفس. وصيانة للعلاقات الأخوية، وحفاظاً على المجتمع الإسلامي، عن أبي موسى قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدح فقال: «أهلكتم - أو قطعتم - ظهر الرجل».[2]

بل إن من لوازم الأخوة ترك الثناء والمدح. قال عبد الرحمن بن مهدي «إذا تأكد الإخاء سقط الثناء»[3]. وقال الحجبي لرجل: «حبي لك يمنع من الثناء عليك»[4]

٢- الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية

فاختلافك مع أخيك في الرأي لا يؤثر على مودته في قلبك، ولك في الإمام أحمد قدوة، يقول الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - عن الإمام اسحاق بن

١- العقد الفريد ٤٢٩/٢

٢- فتح الباري/٦٠٦٠

٣،٤- آداب العشرة ص ٥٢

٤٢٨

راهويه:

«لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق بن راهويه، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً»[1]

«إنه التمازج الروحي والأخوة الحقة بين المؤمنين التي يلتمس فيها المؤمن الحقيقة عند أخيه وإن كان له مخالفاً»[2]

٣- فن الاستماع

تظهر لأخيك تلذذك بحديثه، ولا تصرف بصرك عنه، ولا تقاطعه في حديثه، حتى ولو كنت تعلمه. يقول الإمام سفيان الثوري - رحمه الله تعالى - : «إن الرجل ليحدثني بالحديث قد سمعته قبل أن تلده أمه، فيحملني حسن الأدب أن أسمعه».[3]

٤- لا انتقام ولا تشفٍ

موقف رائع بين القاضي سعيد بن سليمان المساحق المالكي والقاضي ابن عمران الطلحي..يصوره ابن الماجشون بقوله: «شهد سعيد بن سليمان عند ابن عمران الطلحي وهو قاض، فرد شهادته، فلما ولي سعيد شهد عنده ابن عمران فنظر سعيد في شهادته ففكر قليلاً ثم قال لكاتبه: أَجِزْ شهادته يا ابن دينار، فإن المؤمن لا يشفي غيظه»[4]

٥- ترك التكلف

« حتى لا يشعر الأخ أنه غريب عن أخيه، ولا يلجئه إلى الاعتذار دائماً، بسبب هفوة صغيرة، وكلمة عابرة، ويحاسبه على النقير والقطمير، وليتذكر قول

١- تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤١٤/٢

٢- نفائس الحلة في التآخي والخلة ص ٧٣

٣- تاريخ دمشق ٤٠٩/١

٤- ترتيب المدارك ٢٩٥/١

الشاعر:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث، أي الرجال المهذب؟[1]

وكان جعفر بن محمد الصادق يقول: «أثقل إخواني علي: من يتكلف لي وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي»[2]

٦- الهدية

الهدية..سهم صائب يقع في القلوب مباشرة.

كم منقبض أثرت فيه الهدية، وكم من تائه قربته الهدية، وكم من حاقد ألفته الهدية، لها تأثير عجيب وعجيب. وكما قيل: الهدية هي السحر الظاهر.

• تأثير الهدية

«قال سفيان: لما قعد أبو حنيفة، قال للناس مُساور الوراق:

كنا من الدين قبل اليوم في سعة حتى بلينا بأصحاب المقاييس
قوم إذا اجتمعوا صاحوا كأنهم ثعالب ضبحت بين النواويس

قال فبلغ ذلك أبا حنيفة، فبعث إليه بمال، فقال مساور - حين قبض المال --:

إذا ما الناس يوما قايسونا بآبدة من الفتيا طريفة
أتيناهم بمقياس صحيح مصيب من طراز أبي حنيفة
إذا سمع الفقيه بها وعاها وأثبتها بحبر في صحيفة[3]

وللهدية أثر واضح في تصفية القلوب من الأدغال والأحقاد، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «تهادوا تحابوا تذهب الشحناء»[4]

١- مجلة البيان العدد ٢٣ ص ٤٦
٢- إحياء علوم الدين ٢/١٨٨
٣- روضة العقلاء ص ٢٤٣
٤- مالك في الموطأ ص ١٦٤٢

٧- الدعاء بظهر الغيب

لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا له بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل»[١]

* أبا حمدون لِمَ لَمْ تسرج مصابيحك الليلة

عن عبد الله بن الخطيب: أن الطيب بن اسماعيل أبا حمدون وهو أحد القراء المشهورين كانت له صحيفة فيها مكتوب ثلاثمائة من أصدقائه، وكان يدعو لهم كل ليلة فتركهم فنام، فقيل له في نومه: يا أبا حمدون لِمَ لَمْ تسرج مصابيحك الليلة، قال: فقعد فأسرج، وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحد حتى فرغ»[٢]

وقال أحد الصالحين: «أين مثل الأخ الصالح؟ إن أهل الرجل إذا مات يقسمون ميراثه ويتمتعون بما خلف، والأخ الصالح ينفرد بالحزن، مهتماً بما قدم أخوه عليه، وما صار إليه يدعو له في ظلمة الليل، ويستغفر له وهو تحت أطباق الثرى»[٣]

٨- لا تزيد الصلة ولا تنقص بالانقطاع

والأخوة الصادقة ثابتة لا تتغير مع مضي الوقت فلا تزيد بالبر والصلة ولا تضعف أو تتلاشى بالانقطاع والجفاء.

يقول يحيى بن معاذ الرازي: «حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء»[٤]. وعدم رؤية الإخوان لبعضهم، وانقطاعهم عن بعض لا يسوغ الهجر ولا اختلاف القلوب. عن اسحاق قال: «كان بين عبد الرحمن بن مهدي ويحيى

١- أخرجه مسلم (شرح مسلم ٥٠/١٧). أحمد ١٩٥/٥. ابن ماجه (٢٨٩٥).
٢- تاريخ بغداد ٣٦١/٩
٣- منهاج المسلم ص ١١٢
٤- طبقات الشافعية ٥١/٦

ابن سعيد القطان مودة وإخاء فكانت تمر السنة عليهما لا يلتقيان فقيل لأحدهما في ذلك فقال: إذا تقاربت القلوب لم يضر تباعد الأجسام»[1]

وكذلك ما روي أن يونس بن عبيد «أصيب بمصيبة فقيل له: ابن عوف لم يأتك؟ فقال: إنا إذا وثقنا بمودة أخينا لم يضرَّه أن لا يأتينا»[2]

*** مودة مدخولة**

فكل أخوة تزداد بالالتقاء وكثرة المجالسة فهي تحتاج إلى إعادة نظر، يقول الحسن بن صالح: «كل مودة لا تزداد إلا بالالتقاء مدخولة»[3]

٩- لا ترفع أخاك فوق منزلته

ومن أدب الأخوة أن تضع أخاك في مكانه المناسب، حتى تصفو الأخوة وتدوم، قال الشافعي - رحمه الله تعالى - «ما رفعت أحداً فوق منزلته إلا وضع مني بقدر ما رفعت منه»[4]

*** ابن حزم يحذرك**

يقول ابن حزم - رحمه الله تعالى - «أبلغ في ذمك من مدحك بما ليس فيك، لأنه نبه على نقصك، وأبلغ في مدحك من ذمك بما ليس فيك، لأنه نبه على فضلك، ولقد انتصر لك من نفسه بذلك، وباستهدافه إلى الإنكار واللائمة»[5]

١٠- بين الانقباض والانبساط

فكن مع الناس بين المنقبض والمنبسط، فلا تخض مع الخائضين ولا تنعزل مع

١- الآداب الشرعية ٥٦٥/٣
٢- روضة العقلاء ص ٨٩
٣- روضة العقلاء ص ١١٦
٤- حلية الأولياء ١٤٦/٩
٥- الأخلاق والسير ص ٣٨

المنعزلين كما قال الشافعي: «الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبه لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط»[1] وكذلك الأخ مع إخوانه لا ينبسط معهم انبساطاً يذهب فيه الاحترام ويقل فيه الأدب، ولا ينقبض عنهم انقباضاً يشعرون معه بالجفوة ويحسون بحاجز يمنعهم من الاقتراب منه وتحقيق معاني الأخوة معه فهو بين بين..

١١- الصبر واحتمال الأذى

إن خلق الضجر، وعدم الصبر والتحمل بين الإخوان هو طريق للتفرق والاختلاف، وطريق لزوال الإخاء والود..ولهذا كان احتمال الأذى من أدب الأخوة.

* بضاعة الصديقين وشعار الصالحين

«وأما احتمال الأذى فهو الصبر ولكنه أشق، وهو بضاعة الصديقين وشعار الصالحين وحقيقة أن يؤذى المسلم في ذات الله سبحانه وتعالى فيضبر ويتحمل. فلا يرد السيئة بغير الحسنة ولا ينتقم لذاته، ولا يتأثر لشخصيته ما دام ذلك في سبيل الله، ومؤدياً إلى مرضات الله، ولم يبتل في طريقه إلى الوصول إلى الله..»[2]

١٢- مراعاة النفسيات

النفس البشرية كالبحر تارة يكون هادئاً راكدا، وتارة يكون هائجاً متلاطما فوجب مراعاة هذه النفس ومعرفة تقلباتها وتحولاتها..والنفوس تختلف باختلاف أصحابها فما يصلح لهذه لا يصلح للأخرى، ولله در شبيب بن شيبة حينما قال: «لا تجالس أحداً بغير طريقه، فإنك إذا أردت لقاء الجاهل بالعلم، واللاهي بالفقه، والغبي بالبيان آذيت جليسك».[3]

١- حلية الأولياء ١٢٢/٩

٢- منهاج المسلم /١٣٩

٣- آداب العشرة /٤٧

١٣- لا تكن جافاً

فلا تكن جافاً في تعاملك الأخوي ولا بليداً لا يتحرك لك وجدان، فإذا ما أخطأ عليك أخوك، وجاء يستسمحك فلا تشمخ بأنفك لكي لا ينطبق عليك وصف الإمام الشافعي..يقول الربيع سمعت الشافعي يقول: «من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضي ولم يرض فهو حمار»[(١)]

١٤- لا تكن ثقيلاً

وهذا أدب ظريف يضفي على الأخوة طابعاً جميلاً..

وحقيقته: خفة في النفس ولباقة في التعامل ومراعاة لظروف الإخوان ومشاعرهم، فلا يكون ثقيلاً في زياراته وفي أفعاله وكلماته.

• المؤمن قد يكون ثقيلاً

الثقل صفة لا علاقة لها بالإيمان وعدمه. «سئل جعفر بن محمد عن المؤمن هل يكون بغيضاً ؟ قال لا يكون بغيضاً، ولكن يكون ثقيلاً»[(٢)]

• الثقلاء عند العلماء

«قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿**فإذا طعمتم فانتشروا**﴾ [الأحزاب ٥٣] قال: «نزلت في الثقلاء»[(٣)]. وكان حماد بن سلمة إذا رأى من يستثقله، قال: ﴿**ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون**﴾[(٤)] [الدخان ١٢]

وقال ثقيل لمريض ما تشتهي؟ قال: أشتهي ألا أراك». وإن كنت تصرّ على مخالفة هذا الأدب..فاصبر على مخاطبة الشاعر:

١- حلية الأولياء ٩/١٤٣

٢- بهجة المجالس ٢/٧٣٣

٣- بهجة المجالس ٢/٧٣٤

٤- المصدر السابق

أنـــت يـــا هـــذا ثـــقيلٌ وثـــــــــــــــــــــقيل

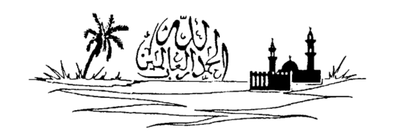
أنـــت في الـــنـظـــرة إنـــســـان وفي الميـــــــــــــــــــدان فيل[1]

١٥- عدم مواجهة الأخ بالعتاب

وقد عقد الإمام البخاري في صحيحه باباً بعنوان: من لم يواجه الناس بالعتاب. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: صنع الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخصّ فيه فتنزّه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشئ أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[2]

ورسولنا صلى الله عليه وسلم هو ألطف الناس وأحسنهم خلقاً. لم يفضحهم على رؤوس الخلائق. بل عاتبهم وأنّبهم من غير جرح لمشاعرهم وأحاسيسهم.

ولا يفهم من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ترك العتاب بل يفهم عدم المواجهة، يقول ابن حجر - رحمه الله - : «أما المعاتبة فقد حصلت منه بلا ريب، وإنما لم يميز الذي صدر منه ستراً عليه فحصل منه الرفق من هذه الحيثية لا بترك العتاب أصلاً».[3]



١- بهجة المجالس ٧٣٤/٢

٢- فتح الباري ١٧٢/١٠ حديث(٦١٠١).

٣- فتح الباري ٥١٣/١٠

حسدا من عند أنفسهم

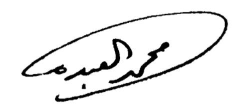
من الشبه التي يرددها أعداء الإسلام كثيراً، بل قد تنقدح في نفس المسلم أحياناً، هي شبهة التفرق وشدة الخصام والجدال، يقولون: إذا كان الإسلام هو الحق الذي لا ريب فيه فلماذا هذا التشتت وهذه الكثرة من الفرق، والمسلم الضعيف يقول: لماذا لا نجتمع ولو على أي شكل من الأشكال وندع هذا الخصام والأخذ والرد ونستريح من هذه المشاكل.

وللرد على هذه الشبه نقول: لابد أن يعلم المسلم أن الشيء الثمين والتحفة النادرة تغري بالحسد والعداوة فكيف إذا كان هذا الشيء سلعة معنوية وليست مادية؟ والإسلام في غاية الحسن والكمال، فعندئذ تنبعث النفوس التي ملئت بالحقد على الإيقاع به من الداخل والتلبيس على المسلمين ومحاولة التحريف والتبديل حتى لا يبقى جوهر الإسلام صافياً.

لقد شَرِقَ اليهود والنصارى والفرس بحمل العرب لهذا الدين ونشره في الآفاق. وهيمنته على سائر الملل والنحل، وهو من الوضوح والقوة

الداخلية فيه أن نوره يبهر الأبصار، عندئذ كثرت سهامهم إليه وكثرت المؤامرات التي تريد اقتلاعه، وجاس عبد الله ابن سبأ وأتباعه خلال الديار، وانتشرت الباطنية تتستر بالإسلام، وتأثر بهم أصحاب الأهواء أو ضعاف العقول فكثرت الفرق، وإذا كان الإسلام قد أزاح عروشاً سياسية فإنه أزاح أيضاً رئاسات دينية من الكهنة والأحبار، خدعوا الشعوب وأكلوا أموال الناس بالباطل، وهؤلاء حقدهم أشد، وعداوتهم أقوى، كل هؤلاء قاموا بإثارة الشبهات فتلقفها ضعاف الإيمان فكثر الخلط، وأما المسلمون الضعاف الذين لا يدفعون الشبهات بالإيمان القوي والثقة بهذا الدين أو النظر إلى مواقع القدر الشرعي والكوني؛ هؤلاء الذين يتمنون في داخل أنفسهم أن لو يجتمع المسلمون تحت اسم (الإسلام)، ولو كان أحدهم يحمل من البدع الكبيرة والصغيرة ما يصل إلى درجة الكفر، هؤلاء نقول لهم كما قال أحد العلماء:

«إن الحق لا ينقلب باطلاً لاختلاف الناس فيه، ولا الباطل يصير حقاً لاتفاق الناس عليه، وسلامة الإنسان عن الخطأ ليس بمطموع فيه، ولكن الطمع في أن يكثر صوابه».



أوقفوا هذا العبث !

محمد عبد الله آل شاكر

إن تراث كل أمة من الأمم هو ما يتناقله الخلف عن السلف، من علوم ومعارف متنوعة، في الدين والفكر والأخلاق، وفي سائر جوانب الحياة العلمية.

وكل أمة من الأمم التي تعنى بحضارتها؛ تعتز بتراثها. وتقف حياله وقفة إكبار وإجلال؛ فهو يربط حاضرها بماضيها بسلسلة من النسب العريق. ولذلك يحتل مكانته التي تليق به، وتسمو مكانة هذا التراث وتعظُم أكثر عندما يتصل بعقيدة الأمة وفكرها الديني، ويقوم على الوحي الإلهي مصدراً وغاية. وعندئذ يكون من حق هذا التراث على أبناء الأمة الغيورين، أن يحافظوا عليه، فيصدُّوا عنه غارات المغيرين، وينفُوا عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين؛ وأن يأخذوا على أيدي العابثين الذين يعملون فيه معاول الهدم والتخريب، شعروا وقصدوا ذلك أو لم يشعروا أولم يقصدوا.

وقد كان ذلك؛ فهيأ الله تعالى لتراث أمتنا حرّاساً أمناء، اعتنوا به عناية فائقة، وقاموا بجهود كبيرة مشكورة، يدفعهم إلى ذلك: إيمان بقدسية هذا التراث، وغيرة على منهج الأسلاف.

ومع النهضة المعاصرة والصحوة الإسلامية التي تفتحت عليها أعين

الجيل، اشتدت العناية بالتراث، والذي يتابع حركة النشر وما تدفعه المطابع، يجد كماً كبيراً أو سيلاً من المطبوعات، يدفع إلى إبداء بعض الملاحظات التي لا يخطئها النظر. أحببت أن أعرضها على قرّاء «**البيان**» لعلّهم يرون فيها رأياً، أو يصححون فيها خطأً، أو يشاركون بجهد.

والذي آمله من الإخوة القراء وغيرهم: أن يكون مستقراً في الأذهان؛ أن هذا لا يعني انتقاصاً - بأي حال من الأحوال - لجهدٍ طيب يبذله مؤمنون صادقون، يعرفون للكلمة قدسيتها، وللتراث قيمته، فيعكفون على خدمته: دراسةً وإشاعةً في الأمة، في حلّة زاهية وثوب قشيب، بعد جهد ومعاناة، يتعانق فيها الشكل مع روعة المضمون.

كما لا يعني إبداء هذه الملاحظات - أو النصائح - أن كاتبها يجعل من نفسه حَكَماً على غيره، يقوِّم أعمالهم وجهدهم.

ولكنها ملاحظات على ظواهر نراها بارزة، ونسعى للتخلص منها؛ تجويداً للعمل وتصويباً للطريقة.

ولست في هذا بمبتدع، فقد سبق كثير من الباحثين والكُتّاب الأفاضل، برصد بعض الظواهر وإبداء ملاحظاتهم، ورفعوا عقيدتهم بصيحات مخلصة إن شاء الله تعالى تهدف إلى وقف الخطر على تراثنا.

تجد هذا في ما تقرؤه في كتاب «التعالم، وأثره على الفكر والكتاب» لفضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، وفي «أخطار على المراجع العلمية لتراث أئمة السلف» للشيخ عثمان عبد القادر الصافي، وفي مقالات بمجلة «البيان» الغراء، آخرها في العدد السادس والثلاثين. فعزز ذلك عندي إبداء هذه الملاحظات التي تتبعتها وسجلتها منذ سنوات ولعلها تكاملت في معظمها الآن، فعلى بركة الله وتوفيقه نعرضها على الإخوة الكرام.

«**التحقيق**»: بذل عناية خاصة بالمخطوط لتقديمه صحيحاً كما وضعه مؤلفه. وتكاد كلمة المحققين والمعنيين

بالتراث نُجمِع على أن الجهود التي تبذل في كل مخطوط يجب أن يتناول البحث فيها: أولا تحقيق عنوان الكتاب، ثم تحقيق اسم المؤلف، ونسبة الكتاب إلى مؤلفه، ومن بعدُ: تحقيق متن الكتاب[1] ولكن هذه القاعدة المسلَّمة أو البديهة، يضرب بها بعض المحققين عرض الحائط، ويجعلونها تحت أقدامهم ودَبْر آذانهم، فيبيحون لأنفسهم تغيير اسم الكتاب وعنوانه، ويستبدلون به اسماً آخر موهماً، مع أن الكتاب قد عرف منذ قرون واشتهر باسمه الصحيح، فيأتي محقق مجتهد ومعلِّق بارع، يجانبه الصواب، ويجانب الأمانة العلمية والخلق الإسلامي. فيعدو على تراث الأمة وحقوق العلماء. فيعمل في مؤلفاتهم تشويها وتحريفاً.

والأمثلة على ذلك كثيرة تعزُّ على الحصر وهذه إشارة إلى بعضها:

* للعلامة بدر الدين بن عبد الله الشبلي (توفي ٧٦٩هـ) كتاب أسماه: «آكام المرجان في أحكام الجان» وهو منذ سبعة قرون معروف بهذا الاسم بين العلماء وطلبة العلم، وفي فهارس الكتب باسمه كاملاً ومختصراً. ومنذ سنوات ظهر في سوق الكتب كتاب بعنوان تجاري يستهوي الباحثين عن العجائب والغرائب في عصر العجائب الكثيرة التي نعيشها اليوم. هو «غرائب وعجائب الجان كما يصورها القرآن والسنة» تحقيق وتعليق ابراهيم الجمل، (مكتب الخدمات الحديثة بجدة، عام ١٩٨٢م) وكأن القرآن الكريم أنزله الله تعالى ليكون كتاب عجائب وغرائب، وكذلك وردت السنة النبوية !

والذي يتبادر للذهن أنه كتاب غير الكتاب الأول بكل تأكيد، للمفارقة التامة بين العنوانين، فالأول أحكام والثاني عجائب.. وهذا يدفع لاقتناء الكتاب، وخاصة لمن يتابع القراءة في مثل هذه الموضوعات أو يبحث فيها. ثم يفاجأ بأن الكتاب نفسه عنده بعنوان آخر.

ولن تحتاج إلى جهد كبير لتقف على

١- راجع: تحقيق النصوص ونشرها. د. عبد السلام هارون. قواعد تحقيق المخطوطات للدكتور المنجد. محاضرات في تحقيق النصوص للدكتور أحمد الخراط.

معرفة الجاني الذي عدا على الكتاب بالمسخ وتغيير هويته، فستطالعك مقدمة محقق الكتاب بكل صراحة ووضوح: «..فغيَّرنا اسمه إلى: عجائب وغرائب..ليلائم روح العصر» (أقول: لا عجب، أليس الإسلام ملائماً وصالحاً لكل عصر ؟) وهذا التعليل أَعْجَبَ ناشر الكتاب فقال مادحاً المحقِّق، مزكياً عمله: «وقد أحسن المحقق (!) إذْ عدَّل في عنوان الكتاب فجعله: غرائب وعجائب الجان..حتى يعكس العنوانُ حقيقة المصدر الذي اعتمد عليه المؤلف، فيطمئن القارئ إلى أنه سيقرأ كتاباً مستمداً من نور القرآن الكريم والسنة المطهرة، خالياً من الشعوذة والخرافات التي عمَّ انتشارها عن الجن وأحوالها وعلاقتها بالناس»!!

ولست أدري - ولا إخال عاقلاً يدري - كيف يطمئن القارئ إلى ما يقرأ وكيف يثق بالنص أمامه وهو يجد الإقرار على التحريف والتزوير الذي سماه المحقق «تغييراً» وسماه الناشر «تعديلاً» كيف يطمئن لصحة النص وهو يجد ذلك منذ وقعت عينه على غلاف الكتاب ثم على الورقة الداخلية، ويجد الإقرار ممهوراً بتوقيع الجاني وشهادة الناشر!

فهل يظن حضرة المحقق أو الناشر أن هذا التراث نهب لكل من أراد، أو أنه مزرعة آلت إليه ملكيتها بالإرث من أحد آبائه، وهو الوارث الوحيد، فله الحق أن يفعل فيها ما يشاء دون رقيب أو حسيب ؟ فماذا لو كان هناك وارث آخر وبدا له أن يُغيِّر العنوان مرة ثانية (لأنه شريك في التركة) بعد سنوات ليكون ملائماً «لروح العصر» أيضاً ؟

ثم ما هذا التدليس والتغرير بالقراء بهذه العبارة: «كما يصورها القرآن والسنة» ؟ أهي متاجرة بالدعوة للعودة إلى المصادر الأولى: الكتاب والسنة، بين جيل الصحوة الذي يجد في هذه الدعوة تحقيقاً لأمله ؟

أما اطمئنان القارئ إلى أنه سيقرأ كتاباً معتمداً على الكتاب والسنة، فيكفيه أن يكون الكتاب عنوانه «أحكام الجان» فإن الأحكام في الإسلام مستمدة من الكتاب والسنة والمصادر التبعية الاخرى، بينما العجائب والغرائب

التي حشرها المحقق ليست كذلك. فما كان جديراً بالمحقق ولا الناشر أن يتاجرا بهذا الكلام ويطمسا الحقيقة. وأي شعوذة أو خرافة أكثر من هذا العمل في علاقتهما بهذا الكتاب !

• وليس هذا الكتاب الوحيد الذي يتلاعب «الأستاذ الجمل» به، فيبدو أنه استمرأ العملية هذه واستملحها. وساعده على ذلك ناشرون آخرون، فإن ابن غانم المقدسي له كتاب اسمه: «مجموع منتخب في مصايد الشيطان، وذم الهوى» فسطا عليه المحقق وعبث فيه فجعل عنوانه: «مصائد الشيطان وذم الهوى، مختصر إغاثة اللهفان لابن القيم» لابن غانم المقدسي (مكتبة القرآن. القاهرة. ١٩٨٢م).

وبالتأكيد لم يكن هذا سهواً أو جهلاً بحقيقة اسم الكتاب. بل كان عن عمدٍ وقصدٍ. والشهادة على هذا بالزنكوغراف في الكتاب وهي صورة الصفحة الأولى من المخطوط. والعنوان واضح فيها وضوح الشمس في رابعة النهار !

• للحارث بن أسد المحاسبي كتاب اسمه «العقل، وفهم القرآن» وقد نشره في بيروت الدكتور حسين القوتلي، (دار الكندي ١٤٠٢ هـ) ولكن محقِّقاً آخر هو الأستاذ أحمد عطا، نشر الكتاب ثانية في القاهرة بعنوان: «المسائل في أعمال القلوب والجوارح والعقل» تضمن كثيراً من السهو والخطأ والاجتهادات الشخصية في تغيير النص..ويستطيع القارئ اكتشاف ذلك كله بالمقارنة بين النشرتين للكتاب. (مقدمة القوتلي ص ٧).

• ثم ظهر كتاب آخر للإمام الآجري رحمه الله بعنوان «أخلاق أهل القرآن» محققاً في بيروت بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث (!) وعنوانه الصحيح الذي وضعه له المؤلف «آداب حملة القرآن» وحقَّقه تحقيقاً نفيساً وقدم له بدراسة قيمة فضيلة الدكتور عبد العزيز القارئ، وجدير بالقارئ أن يقرأ ما كتبه الدكتور عبد العزيز في هذا المجال عن الكتاب وعن تحقيقه. وحسبنا هنا هذه الإشارة.

ومنذ زمن وجدنا الشيخ محمد منير

الدمشقي، رحمه الله يرفع عقيرته بالشكوى من «العوام الذين يقرؤون ويكتبون وليسوا بعلماء ولا متعلمين، وهؤلاء كثيرون جداً في جميع الممالك الإسلامية والبلاد العربية، وهم أغلب باعة الكتب التي تروج بين غالب أهل الإسلام. وهؤلاء أهل مادة فقط. فكلما أرادوا نشر كتاب – كثر طلابه وتكرر استجلابه وقامت سوقه – تهافتوا عليه تهافت الفراش، بدون نظر لنفعه أو ضرره، وصحته أو سقمه، حتى إنهم ربما نسبوا الكتاب إلى غير مؤلِّفه أو غيَّروا اسمه، وزيد عليه اسم آخر مخترع، يرغب سامعه ويشوق شاهده، وليس بغريب من أمثال هؤلاء العوام مثل ذلك، بل الذي يعجب منه ويستهجن: إقرار العلماء على ذلك وإصرارهم على السكوت وعدم التعرض لذلك كتابةً ونشراً. ولو نبَّهَ العلماء على ذلك وبيَّنوا أن هذا خيانة وتصرفٌ فيما للغير بغير إذنه لا يجوز بحال لارتدع الناشر والطابع والمنفق، ولما تجاسر أحد على أمثال ذلك، وإذا لم يكن العلماء يحافظون على مثل هذا وينبِّهون عليه، فمن المكلَّف بذلك ؟ » (انظر كتابه: نموذج من الأعمال الخيرية ص ٧٨).

وللحق لم يكن عمل هؤلاء الذين ذكرهم الشيخ باسم التحقيق الذي يتبجح به الناس اليوم، وإنما كان الدافع لهم الحرص على التجارة الخاسرة أو الجهل والعاميّة، فما بال محقق القرن العشرين اليوم ؟! ثم إن أولئك عوام وهؤلاء متعلمون !

ثم يفْجَأ القارئ أو طالب العلم، بعد ذلك، عناوِينُ جديدة لعلماء معروفين، فيظنها كتباً جديدة تنشر للمرة الأولى، فيسارع إلى اقتنائها فيجد عجباً، إذْ هي منتزعة من كتب أخرى أو مسلوخة منها سلخاً، طبعت في كتاب مستقل بعنوان جديد، فيقال مثلاً: «خصائص يوم الجمعة» تأليف شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية. هكذا: «تأليف»، باللفظ الصريح دون الكناية أو التلميح. وعندئذ يقطع الناشرُ أو المحقق قولَ كل قَائل، إذن فالكتاب بهذا الشكل والمضمون كتاب من تأليف فلان. ويمضي هذا التدليس دون أي إشارة إلى ذلك على غلاف الكتاب أو صفحة العنوان الداخلية، وقد تجد شيئاً من هذا أحياناً في المقدمة على خجل واستحياء،

أو على خوفٍ من اكتشاف التلاعب وبوار الكتاب. وقد لا تجد هذا ولا ذاك، فتعرف الحقيقة بمجرد الاطلاع على الكتاب ومعرفة كتب المؤلف.

وهذا العمل فيه تدليس وتلبيس على القارئ، ونسبة كتاب جديد لمؤلف لم يكتبه بهذا العنوان أو الشكل. فكأنه ينسب لرجل ولداً جديداً لم يلده !

ونجد كثيراً من الأمثلة على هذه البدعة الجديدة، يتأكّل فيها بعض «المحققين» و «الناشرين» و «المشرفين» بأسماء أعلام كبار كابن تيمية، وابن القيم، وابن حجر، والغزالي، والرازي وغيرهم، ويتولى كِبْرَ هذا العمل الخاطئ أصحاب مكتبات يستغلون أسماء لها مكانتها ووقعها في نفوس المسلمين، ويشوّهون بذلك صورتهم الوضيئة في نفوس الناس لارتباط هذا العبث باسمهم، فتجد «مكتبة الصحابة» «مكتبة التراث الإسلامي»، «المكتبة القيمة» .. وانظر ماشئت من هذه الأسماء التي تزين أغلفة الكتب «المسلوخة» بأقلام «أبي فلان» و «أبي علان» (عفا الله عنهما).

وحتى لا يظن أحد أنني ألقي الكلام على عواهنه، أسوق بعض الأمثلة لهذه التآليف المزعومة:

* «كتاب التوبة» تأليف ابن قيم الجوزية، تحقيق! صابر البَطاوي مكتبة دار السنة، الدار السلفية للنشر، بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ. وهو من كتاب «مدارج السالكين» المطبوع في ثلاثة أجزاء.

* «خصائص يوم الجمعة» تاليف ابن القيم المكتبة القيمة بالقاهرة وهو فصل من «زاد المعاد».

* «حكم الإسلام في الغناء» لابن القيم. وعليه اسم: أبو حذيفة ابراهيم بن محمد (وهذه المرة ليس فيها كلمة تحقيق ولا جمع ولا إعداد) مكتبة الصحابة (رضوان الله عليهم) طنطا ١٤٠٦ هـ. وهو فصل من كتاب «إغاثة اللهفان».

* معجم التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية» لابن القيم (أيضاً) مكتبة التراث الإسلامي لصاحبها عبد

الله حجاج، ويبدو من المقدمة أنه الذي فعل ذلك فقال بعد أن ذكر كتاب «الطب النبوي»: قال: «..سلخت (ما شاء الله على هذا السلخ !) منه هذه المفردات الطبية التي وردت على لسانه صلى الله عليه وسلم...» الخ.

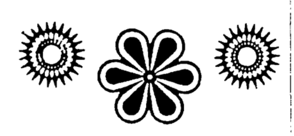
* «السحر والكهانة والحسد» للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني جمع وإعداد عبد الله حجاج - هو نفسه - مكتبة التراث الإسلامي. وهو مأخوذ من أبواب عدة من كتاب «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني رحمه الله.

* «المسيح الدجال وأسرار الساعة» تأليف العلامة محمد السفاريني، مكتبة التراث الإسلامي، الناشر عبد الله حجاج. (شاطر يا حجاج).

وكلمة تأليف تعني أنّه ألّف كتاباً بهذا الاسم. وهذه هنا أكثر تدليساً. وهو مأخوذ من الجزء الثاني من كتاب «لوامع الأنوار البهيّة» للسفاريني ص ٦٥ وما بعدها. ولم يُشِرْ حضرة الناشر إلى ذلك.

وكذلك أُخِذت فصول ومباحث كثيرة من «إحياء علوم الدين» للغزالي، و«التفسير الكبير» للفخر الرازي.. ونشرت بكتب مستقلة مثل «الموت وعذاب القبر»، و«السحر وحقيقته..» الخ حتى طال الأمر، وعجزت عن تتبع ذلكَ كله، مما ينبئ أن في الأمر خطورة وإلى الله المشتكى.

وليس هذا كل ما في الأمر، فإن هناك ملاحظات أخرى يضيق عنها المجال الآن، فلنرجئها إلى مقال آخر، بإذن الله تعالى.



علماء الاجتماع
والعداء للدين وللصحوة الإسلامية

د.أحمد إبراهيم خضر

لماذا يعادي رجال الاجتماع في بلادنا الدين والصحوة الإسلامية وحركاتها ؟

إن موقف علماء اجتماع الغرب المعادي للدين بصفة عامة وللإسلام وللصحوة الإسلامية وحركاتها بصفة خاصة لا يحتاج إلى مزيد عناء للكشف عن أسبابه ودوافعه. أما أن يعادي رجال الاجتماع في بلادنا دينهم والصحوة الإسلامية في بلادهم فإن هذا الأمر يحتاج إلى وقفات.

أشاد رجال الاجتماع في بلادنا بما قام به أتاتورك فيما يسمونه بعملية تخليص الشؤون الدنيوية من الدين بمنع التربية الدينية في المدارس واعتماد القانون الأوربي بعد إلغاء الشريعة الإسلامية وتأميم الأوقاف وتقليص قوة علماء الإسلام ومنع أي إشارة إلى الإسلام في الدستور[1]، ورأوا في ذلك إنجازاً كبيراً رسم لهم طريقا رائداً في تخريب النسيج الاجتماعي في عالمنا العربي.[2]

وبينما استمر رجال الاجتماع في المشاركة في عملية تخريب النسيج الاجتماعي في بلادنا باغتتهم الصحوة الإسلامية وحركاتها التي عمت كل المجتمعات العربية بلا

١- علي الكنز، الإسلام والهوية، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٩٠ ص ٩٥

٢- جلال أمين، بعض مظاهر التبعية الفكرية في الدراسات الاجتماعية في العالم الثالث

استثناء واستهدفت إعادة تركيب النسيج الاجتماعي بصورة مكثفة وفق المقياس الأوحد والمعترف به وهو الإسلام.

يقول علي الكنز أستاذ علم الاجتماع بجامعة الجزائر: .(وفي هذا السياق نجد بأن الموقف يستهدف إعادة تركيب البنى الاجتماعية والسياسية في المجتمعات العربية وكذلك الذهنيات الجمعية والفردية وفق منظور محوري وهو الإسلام..هذه الحركة الجديدة التي تخضع لها المجتمعات العربية دون استثناء تشكل في الأساس عملاً داخلياً مرتبطاً بهذه المجتمعات ومستهدفة إعادة تركيب نسيجها الاجتماعي بصورة مكثفة وفق المقياس الأوحد المعترف به وهو الإسلام. وتتسم هذه الحركة الجديدة في بنيتها وفي تطورها مع بعض الاختلافات الطفيفة بالمميزات الأساسية نفسها في مختلف المجتمعات العربية).[١]

وحينما أفاق رجال الاجتماع في بلادنا من صدمة مباغتة الصحوة الإسلامية لهم تساءلوا أين كانوا وقت حدوثها ؟ لم يكن رجال الاجتماع على امتداد عالمنا العربي يتوقعون هذه الصحوة، كانوا يعتقدون أن تجارب التنمية في هذا العالم وما يسمونه بانتصاراته الوطنية قد شهدت ميلاد ثقافة جديدة خلفت الدين وراءها لتساير هي ما يسمونه بالتطور الاقتصادي والاجتماعي في كل بلد.

يقول علي الكنز متحسراً: (من كان يظن أيام ميثاق القاهرة بأن مصر الثمانينات سوف تواجه كمجتمع وكدولة تلك المسألة التي أصبحت محورية ألا وهي طبيعتها الإسلامية وأن سيد قطب في مواجهته لعبد الناصر سيصبح يوماً ما شهيد الجماهير، وأن حزب حسن البنا (الإخوان المسلمون) سيحظى يوماً ما في أوساط بعض الشبان الجزائريين بمعرفة تفوق معرفتهم لتاريخ جبهة التحرير الوطني).

ويستمر علي الكنز قائلاً: (والسؤال الذي يفرض نفسه علينا اليوم هو أين كان

١- علي الكنز، الإسلام والهوية ص ٩٢

الخيال السوسيولوجي من كل هذا في وقت عرف كبريات التجارب التنموية لآمال معقودة عليها مثل سلسلة الإصلاحات التي توالت في مختلف البلدان العربية، وكذلك التأميمات الكبرى انطلاقاً من قناة السويس عام ١٩٥٦ إلى المحروقات في الجزائر عام ١٩٧١ والانجازات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الهائلة مثل سد أسوان ومركبات الحديد والصلب وكبريات الجامعات العلمية والتقنية؟)[١]

وعن عدم توقع رجال الاجتماع للصحوة الإسلامية يستطرد علي الكنز قائلاً: (نقول بأن هذه الظاهرة غير متوقعة لأن الانتصارات الوطنية التي شهدها الوطن العربي في الخمسينات وظهور حكومات وطنية كما كانت الحال في كل من سوريا والعراق والجزائر شهدت ميلاد ثقافة جديدة كانت مسايرة للتطور الاقتصادي والاجتماعي في كل بلد على الرغم مما عرفه كل بلد من نزاعات عديدة بين مختلف المجموعات المتصارعة مثل الوطنيين والشيوعيين والليبيراليين)[٢]

كان رجال الاجتماع في بلادنا يتصورون أن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ومهام التنمية في عالمنا العربي قد قلصت من مكانة الدين وحولته إلى مسألة شخصية لكنهم فوجئوا بأن الدين يستعيد حيويته ويفرض هيمنته على جميع جوانب الحياة.

يقول علي الكنز معترفاً: (كنا نعتقد ببساطة أن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية المعروفة وأن المهام المعقدة للتنمية سوف تقلص تدريجياً من مكانة الدين في الضمير الجمعي ليصبح في النهاية قضية شخصية بحتة تماماً مثلما حدث في مجتمعات أخرى وبخاصة الغرب البورجوازي غير أننا هانحن اليوم أمام هذا النموذج الكلياتي وهو يستعيد حيويته ويستهدف فرض هيمنته على جميع جوانب

١- علي الكنز، الإسلام والهوية ص ٩٥-٩٦
٢- نفس المصدر ص ٩٥

الحياة)[1]

اعترف رجال الاجتماع بأن «القومية» و «الوطنية» ليستا بقادرتين على البقاء أو جذب الجماهير للالتفاف حولها لأن الإسلام أصبح المكافئ الوظيفي لهما.

يقول سعد الدين إبراهيم أستاذ الاجتماع بالجامعة الأمريكية بالقاهرة:

(إن الإسلام الثوري للجيل الحالي من أبناء الطبقة الوسطى والصغيرة في الأمة العربية هو المكافئ الوظيفي للقومية العربية منذ جيل مضى كما أنه مكافئ للوطنية المناهظة للاستعمار منذ جيلين سبقا على الطريق)[2]

ويعترف سمير نعيم أستاذ الاجتماع بجامعة عين شمس بالقاهرة بذلك في مقالة شديدة العداء للجماعات الإسلامية في مصر فيقول: (شهدت مصر منذ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٢ ما يمكن أن نطلق عليه تلازماً بين ما سموه بالصحوة الإسلامية والتنظيمات الإسلامية العلنية والسرية وبين غياب القضية العامة التي تلتف حولها الجماهير أو المشروع الحضاري أو التنموي).[3]

أسقطت الصحوة الإسلامية تلك العقلانية التي تعلق بها رجال الاجتماع لفهم الواقع الاجتماعي والسياسي بعد أن سقطت تلك الأحزاب والتنظيمات التي حملتها الواحد تلو الآخر بالرغم من سيرها وفق الخطوط التي رسمت لها لتحل محلها التنظيمات الإسلامية التي اعتقد رجال الاجتماع أنها تنظيمات غريبة تجاوزها التاريخ» إلى الأبد.

يقول علي الكنز متحسراً: (من كان يظن بأن كبريات الأحزاب الوطنية

١- علي الكنز، الإسلام والهوية ص ٩٦

٢- عاطف العقلة عضيبات، الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٩٠ ص ١٥٢

٣- سمير نعيم، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠ ص ٢٣١

المنجزة كقوى عقلانية لهذه التحولات العميقة لكل من الطبقة والمجتمع مثل حزب البعث في سوريا والعراق والاتحاد الاشتراكي في مصر والدستور في تونس وجبهة التحرير الوطني في الجزائر سوف يأتي يوم ينهار فيه الواحد تلو الآخر؟ وما هو ملفت للانتباه حقاً في هذا الشأن هو أنه لم يحل مكان هذه الأحزاب تنظيمات أخرى على يسار أو على يمين النهج المرسوم بالنسبة للكل وإنما تنظيمات غريبة وثقافة كان يعتقد آنذاك أن السير الوضوعي للتاريخ قد تجاوزها إلى الأبد)[1]

جاءت الصحوة الإسلامية لتثبت لرجال الاجتماع أن هذه (العقلانية) التي علقوا عليها آمالهم لفهم الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي قد أصبحت عاجزة على الصعيدين النظري والمنهجي في فهم هذا الواقع ولتصيب هذا التفكير (العقلاني) بأزمة عميقة وخيبة أمل.

يقول علي الكنز معترفاً:

(إن اقتحام التفكير الديني للايديولوجية العربية المعاصرة بهذه الشدة ليدل في الحقيقة على أزمة عميقة تمر بها مجتمعاتنا اليوم وهذا ما يراه كثير من المحللين ويعتمدونه في دراساتهم غير أن هذا الأمر قد يتعلق أيضاً بمؤشر أو بمبرر لأزمة عميقة أصبح يعاني منها التفكير العقلاني وكذلك عجز هذا التفكير على الصعيدين النظري والمنهجي في فهم واقع اجتماعي وثقافي وسياسي لم يتوقع حدوثه من قبل).

وعن خيبة الأمل التي أصيب بها رجال الاجتماع يقول علي الكنز في إحدى دراساته.[2]

(إني أريد من خلال تدخلي هذا أن أقوم بمساهمة متواضعة في تحديد هذا المجال الجديد للبحث الذي يفرضه علينا ما عرفناه من خيبة أمل في تاريخنا الفعلي

١- علي الكنز. الإسلام والهوية ص ٩٦

٢- نفس المصدر ص ٩٦-٩٧

وفي قدرتنا على معرفته علمياً).

لم تكن العقلانية فقط هي التي سقطت مع ظهور الصحوة الإسلامية وإنما سقطت معها كل شعارات التحديث والعلمنة وبناء المجتمع وضمان الرفاهية التي دخلت هي نفسها في أزمة خانقة عميقة وحادة أيضاً.

يعترف (الهرماسي) أستاذ الاجتماع بالجامعة التونسية:

(لقد جابهت الإنسانية في أواخر هذا القرن عدة أزمات مختلفة كأزمات الغذاء والطاقة والفقر وما من شك في أن مثل هذه الأزمات قد حد من قدرة البشر على إيجاد حلول ناجعة لمجمل المشاكل المطروحة عليهم حتى عندما تكون هذه المشاكل واضحة تمام الوضوح وبالتالي فإن الايديولوجية العصرية التي ما انفكت تحمل شعارات التحديث والعلمنة والتي اضطلعت ببناء الدولة العصرية ونحت معالم المجتمع الحديث وضمان الرفاهية دخلت هي نفسها في أزمة خانقة عميقة وحادة)[١]

لقد نجحت الصحوة الإسلامية تلك التي اعتقد رجال الاجتماع أنها لا تتفق مع متطلبات العصر في إحباط ما أسموه بالمحاولات الجريئة للفكر العربي المعاصر وساهمت في الأزمة التي آل إليها.

يقول علي الكنز معترفاً:

(إن هذا المنظور الجديد للوطن العربي والعالم الإسلامي يبدأ أولاً وقبل كل شيء كظاهرة لم نكن نتوقعها وغير متفقة مع متطلبات العصر ومن حيث هو كذلك فقد ساهم بقسط وافر في الأزمة التي آل إليها الفكر العربي المعاصر الذي يشهد اليوم إحباط أقل محاولاته جرأة)[٢]

١- عبد الباقي الهرماسي، علم الاجتماع الديني، المجال والمكاسب والتساؤلات، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠ ص ٣٠

٢- علي الكنز، الإسلام والهوية ص ٩٤

راقب رجال الاجتماع في بلادنا هذه الصحوة الإسلامية عن كثب على أمل يراودهم وهو محاولة التحكم فيها وسجلوا على أنفسهم بانهم يقومون بهذه المحاولة مسترشدين بنفس الإطار الغربي الذي يرصد هذه الصحوة باهتمام بالغ.

يقول محمد شقرون أستاذ الاجتماع بجامعة محمد الخامس بالمغرب: (إن المشكل الاساسي الذي يطرح بالنسبة إلى البحث في هذه الظرفية الجديدة هو التحكم في الاتجاه الجديد الذي يريد أن يرى في الدين كل شيء ويمكن أن تعتبر المكانة التي أصبحت تحظى بها دراسة الحركات الدينية الجديدة في سوسيولوجيا الدين الانجلوسكسونية مادة خصبة للتفكير في هذا الإطار)[١]

توصل رجال الاجتماع في بلادنا في تحليلاتهم للصحوة الإسلامية وحركاتها إلى ما يلي:

أولاً: أن الحركات الإسلامية تسعى إلى تحقيق هدف أساسي كان ولا يزال ينحصر في محاولة العودة بالمجتمع العربي الإسلامي إلى النموذج الذي وجد في صدر الإسلام أيام الرسول صلى الله عليه ونسلم والخلفاء الراشدين.[٢]

ثانياً: أن هذا الهدف الذي تسعى لتحقيقه هذه الحركات كان ولا يزال يستمد شرعيته وتبريره من الإيمان الراسخ لدى منظري وقادة هذه الحركات وغالبية المسلمين من جهة أخرى بأن الإسلام نظام حياة شامل يصلح لكل زمان ومكان ولذلك كانت هذه الحركات تصر على أسلمة المجتمع وعلى اعتبار الإسلام ديناً ودولة.[٣]

يقول (عاطف عضيبات) أستاذ الاجتماع في جامعة اليرموك بالأردن في لهجة

١- محمد شقرون، الظاهرة الدينية كموضوع للدراسة، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت ١٩٩٠ ص ١٣٢

٢- عاطف عضيبات، الدين والتغير الاجتماعي ص ١٥٤

٣- نفس المصدر ص ١٥٤

تحد وعداء: (إن التاريخ العربي-الإسلامي برمته يشهد على استحالة الرجوع إلى الوضع الذي كان قبل العام الأربعين للهجرة وجميع المحاولات للعودة إلى بدء عهد الدعوة الإسلامية أو إلى مزج الزمني بالروحي مصيرها الفشل في يومنا هذا كما كان حالها بالأمس وكما ستكون غداً.[١]

ويقول عضيبات في موقع آخر: (وكلما تقدمت الأزمنة بالعرب المسلمين زادوا من إضفاء المثالية على تلك الحقبة التاريخية التي لم تتجاوز نصف قرن. وكلما ألهمت سيرتها خيال ووجدان الرافضين للواقع المعاش إلى المجتمع الفاضل).[٢]

ثالثا: ترجع الحركات الإسلامية باستمرار إلى الكتاب والسنة لفهم كل المشاكل التي تطرحها علاقة الإنسان بالعالم والطبيعة والانتاج والفكر والثقافة والمجتمع والقانون..الخ. فكل تفكير سواء أكان علمياً أم غير علمي جمالياً، أخلاقياً، وسياسياً هو في النهاية مجرد عمل تفسيري وتأويلي لما جاء في الكتاب والسنة.[٣]

يقول علي الكنز بلهجة ساخرة: (في هذا السياق نجد حركة الأصوليين تمجد العصر الذهبي الأول حيث يصبح الاسطورة المؤسسة للتاريخ الفعلي أي للإسلام كما هو موجود فعلاً إن صح التعبير. هذا الإسلام الذي يجب أن يفرض بصورة مطلقة وشاملة باعتباره المعيار الأوحد لتصور ما حدث في التاريخ وما سيحدث في المستقبل).[٤]

رابعاً: ترفض الحركات الإسلامية أن ينحصر نشاطها في المجال الديني فقط وهي لا تقر بالفصل بين الدين والحياة الاجتماعية بصورة عامة وتعتبر هذا الفصل

١- عاطف عضيبات، الدين والتغير الاجتماعي ص ١٦١

٢- نفس المصدر ص ١٥٤

٣- علي الكنز الإسلام والهوية ص ٩٣-٩٤

٤- المصدر السابق ص ٩٣

موقفاً غريباً لا يمت إلى الإسلام بصلة وإن التمييز بين ما هو ديني ودنيوي غير وارد بالنسبة لهذه الحركات التي ترفض كل علمنة وتعتبر نفسها في الوقت ذاته حركة دين ودنيا ودولة.[1]

خامساً: تقوم الحركات الإسلامية على أساس الشرعية الإسلامية بمعنى تطبيق الشريعة الإسلامية وترفض أن تطرح هذه الشرعية على أساس آخر ويعني هذا عند رجال الاجتماع أن هذه الحركات تتجاهل كل الثقافة العصرية التي تعتبرها أجنبية وغريبة بما فيها مسألة الديمقراطية والصراع الطبقي.

سادساً: تسعى الحركات الإسلامية إلى إقامة الخلافة الإسلامية كما أنها تنظر إلى العالم على أساس ثنائية دار الإسلام ودار الحرب. وهي تهمل بذلك - كما يرى رجال الاجتماع الإشكالية العصرية المتمثلة في الدولة الوطنية وتجارب التنمية الوطنية المختلفة التي شهدها الوطن العربي.

وبإسقاط الحركات الإسلامية مسائل الديمقراطية والصراع الطبقي والدولة الوطنية وتجارب التنمية من حساباتها تكون قد سحبت من يد رجال الاجتماع مرتكزات أساسية يعتمدون عليها في تبرير وإثبات وجودهم وأهميتهم للجماهير.

سابعاً: يبدأ الإعداد لهذه الحركات في المدارس والجامعات ليمتد بعد ذلك إلى نشاطات تستهدف مراقبة المجتمع انطلاقاً من المساجد لينتهي في الأخير إلى المواجهة المعلنة مع الدولة والنظام السياسي من خلال أحزاب سياسية تتخذ الإسلام قاعدة لها.

ثامناً: انتقلت الحركات الإسلامية من موقف دفاعي إلى موقف هجومي بفضل تطور القضايا التي رسمت علامات حركتها كالاصلاحات التربوية والتنديدات الأخلاقية والانتقادات السياسية عبر المساجد والمؤسسات والأحزاب السياسية.

١- علي الكنز. الإسلام والهوية ص ٩٢

تاسعاً: لا تختلف الموضوعات التي تتمحور حولها الحركات الإسلامية من بلد عربي إلى آخر وتتسم هذه الموضوعات بالبساطة وتتبلور حول مسائل لا تضيف في حد ذاتها أي جديد ملفت للانتباه بل تكمن أهميتها في طريقة عرضها وفي فعاليتها الايديولوجية.

عاشراً: تمكنت الحركات الإسلامية من التغلغل في القطاعات الاجتماعية المختلفة وكونت قاعدة اجتماعية واسعة لمواجهة الأنظمة القائمة ومحاولة العودة بالمجتمع الإسلامي إلى منابعه الأصيلة[1] كما نجحت في اختراق التنظيمات الطلابية وسيطرت على اتحاداتها وامتد تأثيرها إلى أعضاء هيئة التدريس بالجامعات[2] وذلك بسبب مرونتها وعموميتها التي جعلتها قوية وقادرة على استيعاب قوى اجتماعية متباينة[3] يعني ذلك في نظر رجال الاجتماع أن الحركات الإسلامية لا تقر التمايز الطبقي في المجتمع وأنها تتعدى الطبقات وتحتويها كلها في الوقت ذاته على عكس الايديولوجيات والأنظمة الفكرية التي ظهرت ابتداءً من القرن التاسع عشر والتي تصور المجتمع على أنه قائم على وجود طبقات ومصالح اجتماعية[4] وتنظر الحركات الاجتماعية إلى المجتمع على أنه كيان توحده العقيدة وليس كيانا يرتبط بمجرد مصالح عملية وعلاقات إنسانية سطحية وإذا أخذت هذه الحركات هذا التمايز في اعتبارها فإنها تفعل ذلك من أجل التنديد بآثاره.

حادي عشر: الحركات الإسلامية متعددة الأبعاد تكتسح المجال الاجتماعي عبر موجات متتالية تغمر بالتدريج كل جوانب الحياة الاجتماعية من تعليم وآداب واقتصاد وسياسة ولا ينجو منها أي جانب حتى الهندام وكيفية الضحك والحب يمكن أن يخضع لها في وقت ما. وهذا يعني في نظر رجال الاجتماع أنها حركة شاملة وشمولية.

١- عاطف عضيبات. الدين والتغير الاجتماعي ص ١٥٤

٢- سمير نعيم. المحددات الاقتصادية و الاجتماعية للتطرف الديني ص ٢٣٣

٣- علي الكنز نقلاً عن سمير أمين. الإسلام والهوية ص ٩٢

٤- علي الكنز، الإسلام والهوية ص ٩٢

الجامعة في مجهر القراءة المعاصرة *

د.مصطفى السيد

أريد بمصطلح القراءة الوارد في عنوان هذه المحاضرة «نظرية القواعد التي تحكم تأويلاً من التأويلات، أي تحكم تفسير نص من النصوص أو تفسير مجموعة من العلامات التي يمكن النظر إليها بوصفها نصاً»

(والسبب وراء شيوع مصطلح القراءة بمثل هذا التصور في ثقافتنا العربية المعاصرة راجع إلى الرغبة في تأكيد الطابع التفسيري لكل فعل من أفعال القراءة في مختلف المجالات الثقافية من جانب، وتأكيد الدور الذي يقوم به القارئ في عملية القراءة من جانب ثان، وتأكيد الطبيعة المعرفية التي تصل القارئ بالمقروء في عملية إنتاج معرفة جديدة من جانب ثالث)[1]

هذه القراءة الإنتاجية هي نقيض للقراءة الاستهلاكية، والقراءة الإنتاجية فعل حضاري وسلوك مدني، وهي بتوفيق الله السبب القوي لتغيير المواقع والواقع في أي أمة، وهي معيار الحكم في الخلف في كثير من القضايا التي لا يكون الموضوع سبب الاختلاف بل يعود إلى الكم والكيف القرائي حول هذا الموضوع، ومثل هذه القراءة لم تمت ولن تموت في عالمنا الإسلامي، ولكن الذي مات ولم يعد له جمهور هو الكلام المكرر والفكر المبتسر، ولابد أن أشير إلى أن من لوازم هذه القراءة الاطلاع المتكامل على العناصر، لأن المقروء وإن كان واحداً في النتيجة، فهو ليس وحيداً في المسببات والمقدمات، أقول هذا لما يكتنف الحديث عن

* محاضرة ألقاها الدكتور مصطفى السيد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم.

١- قراءة جديدة لتراثنا النقدي ١/١١١-١١٣

الجامعة محاذير لا حد لها، ولعل أدهاها هو خطر السقوط في التنظير الأخلاقي المجاني السهل، وهو أمر تميزت به كثير من القراءات وتوكأت عليه، وأرجو من الله أن تربأ عنه هذه الدراسة، وقبل البدء نلق هذا السؤال:

ما هي الجامعة ؟

في المعجم الوسيط: (الجامعة مجموعة معاهد علمية، تسمّى كليات تدرس فيها الآداب والفنون والعلوم)[١]

ويلحظ على هذا التعريف غياب العلوم الشرعية عن مفرداته، وفي ذلك إخلال واضح بالصورة التاريخية للجامعة كما كانت عليه في تراثنا الجامعي المتمثل في جامعة الأزهر لأنها أقدم جامعة على وجه الأرض، حيث أنشئت عام ٩٧٠م، بينما أقدم جامعة غربية لا يتجاوز عمرها القرن الثاني عشر الميلادي. هذه الجامعة الأزهرية كانت تحمل عبء الدراسة الشرعية واللغوية عبر القرون ولله در أمير الشعراء أحمد شوقي القائل في فضل الأزهر.[٢]

يا معهداً أفنى القرون جداره ... وطوى الليالي ركنه والأعصرا

ومشى على يبس المشارق نوره ... وأضاء أبيض لجها والأحمرا

وأتى الزمان عليه يحمي سنة ... ويذود عن نسك، ويمنع مشعرا

وهناك تعريف آخر «المؤسسة التي تتولى التعليم العالي»

أما في الغرب فالكلمة (مأخوذة من universitas، وقد أطلقت في العصور الوسطى، على المؤسسات التعليمية الجديدة وتعني: رابطة أو اتحاد بين مجموعة من الأفراد ينظمون بأنفسهم تنؤن مهنة معينة)[٣].

---

١ - المعجم الوسيط ١/١٣٥

٢- الشوقيات ١/١٥١

٣- مجلة الفكر العربي عدد ٢٠

ولكن من المهم ان نلاحظ أن الجامعة قد تحولت عن مفهوم كونها جامعة أحادية الوظيفة لتصير قائمة على التعددية في الوظائف والأقسام وهذا ما عبروا عنه بالإنجليزية: From university to a multiuniversity

وفي تعريف غربي معاصر للجامعة هي بالمعنى الدقيق:

(المؤسسة التي تعلم الطالب العادي أن يكون شخصاً مثقفاً وعضواً ناجحاً في مهنة ما)[1].

ولقد كان تعريف الجامعة ودورها يتطور في الغرب تبعاً للنظير الحضاري والمعرفي. لأن الجامعة جزء من البنيان الفوقي للمجتمع. وتتأثر بالبنيان التحتي وتؤثر فيه.

هي إذا في متن الحياة العامة أوثق حلقاتها قربى وأكثرها أهمية.[2] لأنها (تحرض على الإبداع، وتستثير كوامن القلق، وتبعث هاجس العطاء الأصيل المنفرد).[3]

وأما اختيار الجامعة لهذه القراءة فلأنها تأتي في طليعة التشكيلات التي تحمي عقيدة الامة ووجودها الثقافي والعلمي، وتقف على خط الدفاع الأول ذائدة عن حدودها الفكرية وتطلعاتها الثقافية. وجندها في ذلك فئة اجتماعية تعرف " المثقفة «التي تصوغ وعي الأمة وتقودها، وهي التي تتلق مشاعر الأمة وآمالها النابعة من عقيدتها. وحاجاتها الراهنة والمستقبلية والمتأثرة بتاريخها وتراثها، تتلقاها وتحولها إلى وعي. وتحول الوعي إلى إرادة وتحقق الإرادة في إنجازات.

إن النخبة من مدرسي الجامعة (إذ تقود الأمة فهي تنقل نشاطها في المقابل.

١- مجلة الفكر العربي عدد ٢٠ ص ١٥٢ و ١٥٨/١٥١

٢- نفس المصدر

٣- نفس المصدر

من حيز العمل الموضوعي اليومي الغارق في الجزئيات إلى مستوى العمل الإرادي الفاعل النابع من رؤية شمولية)[1]

وهي تفعل ذلك كله من خلال وظيفتها الرئيسية وهي:

«التحليل النقدي لعمليات إنتاج المعرفة ونشرها وتطبيقها»[2]

وبذلك تكون الجامعة أحد المعالم الرئيسية لمؤسسات الأمة، كما في أدائها لدورها المدخل الرئيسي لعمليات التنمية المعنوية والمادية للمجتمع المثالي المطلوب إحداثه. من هنا مسؤولية الجامعيين، وكل القيمين على الجامعة في أن يكونوا بمستوى حقيقة الجامعة ووظيفتها، ولا يمكن للجامعة أن تحقق سيادة العلم في وطنها إذا لم تكفل سيادتها في داخلها أولاً. ولا أن تبعث القوى الخيرة في مجتمعها إذا لم تكن هي قد حققت هذه القوى في صميمها، ولا أن تسهم في بناء حياة وطنها على المبادئ والقيم، إذا لم تشد هي بنيانه ذاته على نفس هذه القواعد. وبقدر ما تكون الجامعة ممثلة لهذه الحقائق على أرض الواقع. بقدر ما تكون النتائج متحققة حسب التطلعات والآمال المرجوة منها.

في بحث لأستاذ العلاقات الاجتماعية بجامعة هارفارد بعنوان (فيروس العقل) أجراه على أربعين بلداً وصل إلى هذه النتيجة: (وهي أنه كلما ازدادت مواد القراءة في المؤسسات التعليمية التي تبحث على الأمل والعمل جاءت النتيجة بعد ذلك بنحو عشرين عاماً زيادة في النمو الاقتصادي، والعكس كذلك صحيح، وكان من أهم ما لاحظه الباحث في مطالعات البلاد التي تقدمت بعد حين أنها احتوت على العلاقات الاجتماعية التي تجعل الفرد يعمل من أجل نفسه ومن أجل سواه في آن معاً. كما كان من أهم ما لاحظه الباحث في مطالعات البلاد التي تدهورت بعدئذ أو واصلت طريق التدهور أنها بالغت في الإشادة بالطرائق

١- مجلة الاجتهاد عدد ٥ ص ٥ بتصرف ١٩٨٩م

٢- نفس المرجع ص ٢١٠

التقليدية في الفكر والسلوك)[1] والتقليدية (اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً الحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه).[2]

ومن الطرائق التقليدية الطريقة التلقينية التي تؤدي إلى الانقطاع بين المجتمع ومضمون المواد الدراسية، لأن المعارف التي تلقن سواء منها ماينتمي إلى التراث أو ينقل من العلم الحديث معارف غير مبيأة عربياً، غير معدة للغرس والاستنبات في المجتمع لاعتمادها أسلوب التلقين، ولقد كانت التلقينية التي تسلسلت إلى العقل المسلم والثقافة الإسلامية حينا من الدهر وتقدمت المذهبية على حساب المنهجية كانت شذوذاً تأباه طبيعة الإسلام وعقيدة الإيمان التي دعت المسلم إلى القراءة في كتاب الله المسطور هو القرآن قال تعالى: ﴿**ورتل القرآن ترتيلا**﴾ وقال سبحانه: ﴿**إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا**﴾ فالارتباط واضح بين تحمل المسؤولية وبين تأسيسها على القراءة المتأنية، كما دعته إلى التأمل في كتاب الله المنشور، وهو الكون الواسع قال تعالى ﴿**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**﴾ [البقرة ١٦٤]

فالثقافة التي تقدمها الجامعة ليست حشداً للمعلومات عن طريق التلقين (بل هي تفاعل بين الإنسان والعقيدة والفكر، ويظهر أثره في السلوك. فقد يحفظ الإنسان معلومات كثيرة، ولكن سلوكه الاجتماعي غير مقبول، فنظرته للآخرين فيها استعلاء واحتقار، وتقويمه المواقف مبني على الأنانية وحب الذات، وتذوقه للجمال ضعيف يدل على بلادة المشاعر وضعف الإحساس، وكلامه خال من المشاعر الرقيقة والمشاعر الطيبة ولا تظهر فيه آثار للمعلومات التي يكتنزها، فمثل

١- هذا العصر وثقافته د. زكي نجيب محمود

٢- الكليات لأبي البقاء الكفوي

هذا ليس مثقفا بل هو جهاز كمبيوتر من نوع بسيط ورخيص لقدرته المحدودة على الاستيعاب والحفظ).[١]

والإسهام في الثقافة هو إذاً غاية العمل الجامعي وكماله، وللإسهام هذا صيغ وميادين تتنوع وتتعدد وتتمايز لكنها تتفق جميعاً في كونها إضافة أصلية متفردة. الإسهام أن يضيف أو يقدم جديداً، والجديد متاح في ميادين الثقافة كلها، والعجز عن الإضافة لا يعني العجز عن ولوج بوابات المستقبل فحسب، بل يعني كذلك فشل الاحتفاظ بلحظة الحاضر، والكينونة التي لا يضاف إليها تخسر من ذاتها، فتتراجع إمكاناتها وتنحط حتى الصدأ فالمرض فالموت، وتبقى في النهاية فيما لو بقيت قفراً قاحلاً مجدباً، ذلك هو مصير جامعة لا تضيف إلى الثقافة جديداً ومصير طلاب وأساتذة يمضغون نظريات ويرددون اجتهادات خلف اجتهادات. ويبقون خارج همّ الإضافة وعظمة الإبداع، الإضافة هي إعلان الحق بدخول المستقبل).[٢]

وخير عون للجامعة على تحقيق رسالتها بعد توفيق الله حرية النقد المنهجي إذ كيف يمكن لمسيرة العلم والثقافة عموماً أن تتعزز ما لم يطلق العنان لنقد صادق حر لا يخضع إلا لسلطة النص الشرعي أو الحقيقة العلمية، أما إذا أسقطنا حرية النقد المنهجي «فإن ذلك يورث معرفة بائسة هجينة ملفقة، أدنى من أن تستجيب لشروط الثقافة التي اؤتمنت الجامعة عليها. الجامعة مطالبة إذن إدارة وهيئات بتشجيع ذلك اللون من النقد، فتحث عليه وتطلبه دوماً، فلا يطغى على البحث التلقين ولا على النقاش التصديق الآلي، ولا تقدم المعرفة أياً كانت جاهزة ونهائية فالكلمة الأخيرة – ما عدا ثوابت الشريعة – اصطلاح لا محل له في العلم والمعرفة، وإذا كان هناك كلمة أخيرة حقاً فهي للتجربة والاختبار والتاريخ.[٣]

١- التراث والمعاصرة د.أكرم العمري ص ١١٠

٢،٣- نفس المصدر ص ١٥٦-١٦٠

ولنا في المنهج القرآني مستند عظيم فقد أعطى خصوم العقيدة فرصة التعبير عن نظريتهم الكفرية، ليتبع ذلك نقدها، ومن ثم نقضها تأسيساً للحقيقة وتوجيهاً للعقول السليمة إلى حرية الاختيار القائم على الأدلة الواضحة قال تعالى: **﴿أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾** [النمل ٦٠]

وإذا كان أداء الجامعة لدورها يشكل صمام الأمان لعقيدة الأمة ومستقبلها المؤسس على العلم، فإن إخفاقها يعد كارثة عظيمة، ولقد قرأت مرة هذه الكلمة: إذا أخفق المزارع فالخسارة ضياع موسم زراعي، وإذا أخفق المصنع فالخسارة ضياع حفنة من الدراهم. ولكن إذا أخفقت الجامعة فالخسارة ضياع الجيل، وفي شعر مترجم لشاعر مسلم هندي أنثرها لكم، تتبين فيه خطورة انحراف الجامعة عن دورها حيث يقول: «يا لبلادة فرعون الذي لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات، وقد كان ذلك أسهل طريقة لقتل الأولاد، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة في التاريخ». أجل فالكليات الجامعية قد تكون بفضل الله معبر الأمة إلى حياة أفضل، وقد ترافقها بعض السلبيات فتحرفها عن منهجها، لتلقي بالجيل ومن ورائه الأمة في مهامه الردى وسباسب الهلاك.

إن ثمن خطأ أحد ركاب القطار قد لا يدفعه إلا هو. أما إذا أخطأ قائد القطار فالركاب وعربة البضائع سيواجهون الردى والعطب. وهكذا يكون حال المجتمع إذا كثرت سلبيات الجامعة لأن منزلة الجامعة من المجتمع تشبه من بعض الوجوه وظيفة القائد للقطار الذي ينقل الناس إلى محطات الأمان والآمال.

ولعل من أخطر السلبيات التي تحاقبت مع نشأة المؤسسات الجامعية في العالم الإسلامي وتزامنت مع بداية نشاطها، أنها أخذت تمارس دورها تربية وتعليماً منطلقة من الخلفية الثقافية الغربية التي ارتكزت عليها الجامعة في الغرب. يقول

بعض الباحثين العرب: «إننا في الواقع ورثة جامعات فرنسا وبولونيا».[1]

ويقول الدكتور أكرم ضياء العمري الرئيس السابق لقسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية:

«نشأت معظم الجامعات في العالم العربي والإسلامي على أسس علمانية وذلك بحكم تسلط القوى الاستعمارية على العالم الإسلامي في وقت تكوينها فطبعت بطابع الحضارة الغربية، ونقلت إلى الطلاب نظريات العلماء الغربيين في حقول الاجتماع والاقتصاد وعلم النفس، نقلت إليهم على أنها مسلمات علمية وأنها العلم لا سواها، وهكذا درس طلابنا ويدرسون».

سان سيمون – أوجست كونت – دوركايم – ليفي بريل – ديفيد هيوم – آدم سميث – هوبز – هربرت سبنسر – فرويد – ماركس – أنجلز – بافلوف – ديوي – برتراند راسل – هارولد لاسكي، وكلهم ينطلق من أساس غيز ديني في تفسير نشأة الخليقة والإنسان والمجتمع، وقد لا يمر على مسامع الطلاب اسم الإسلام وأسماء علمائه.[2] أمَا عَلِمَ جامعيونا أن فقرنا أمام الفكر الغربي فقر معاصر، وأن نقلنا المباشر عنه في كثير من الأحيان يصبح مهزلة فكرية. إذ أن ما نقلناه عنه جزء من أصيل تراثنا الذي نجهله جهلاً مؤسياً.[3]

إن مثل هذه الأنهاج التعليمية قد أعطت الإسلام دوراً هامشياً في تكوين ثقافة الجامعي، تاركة للطالب حرية التعاطي مع الدين ومؤمنة له حق الولوج والخروج منه متى شاء وكيف شاء. عاملة على تثبيت الازدواج في المعتقد والسلوك وإضفاء الشرعية العلمية الغربية القائلة بقصر الدين على بعض النشاط الفردي دون أن يكون له وجود أو دور فيما هو أبعد من ذلك.

١- التراث والمعاصرة ص ١٢١

٢- المصدر السابق

٣- جدلية الخفاء والتجلي د. كمال أبو ديب.

ولقد كان الكثيرون من هؤلاء الخريجين من أمثال هذه الجامعات عقبة أمام طلائع الصحوة الإسلامية لدفاعهم عن القيم الجامعية التي تلقوها والتي تتناقض أحياناً مع عقيدة الأمة وهمومها.

ولكم سمعنا من جامعيين مرموقين وجامعات مرموقة كلمات مثل: هذا أمر ديني وذاك مدني أو علمي أو نظامي، ولكل دائرته ودوره ودورته الحياتية، وتأسس على مثل هذه المفاهيم الخطيرة، دعوة خاطئة وهي توجيه الجامعة إلى توكيد التخصصية بكل وسيلة دون أن تفسح المجال للإسلام أن يشارك مشاركة فعالة حماية لهذا التخصص من مزالق الخطأ وحملاً على توظيفه توظيفاً لا يصطدم مع المصالح العامة للأمة هذه الدعوة إلى التخصص الأصم المبتور عن عقيدة المجتمع وعن وحدة الثقافة تحصل في كثير من الجامعات العربية بالرغم من أن رسالة الجامعة تقوم على وحدة المعرفة، على أساس أن المعرفة هي في الأساس بنيان واحد متكامل من الحقائق المترابطة كما يوجد في الغرب صوت يدعو إلى توحد التخصصات وتوحيدها بل توحيد روحها وجوهرها وأصولها في شخص واحد، لإزالة التنافس أو التعارض القائم بينها - لدى تفرقها في أفراد - هذا التعارض الذي تدفع البشرية ثمناً له من أمنها واستقرارها بل وحتى استمرارها.

وفي الولايات المتحدة أيضاً نجد جيمس كونانت رئيس جامعة هارفارد ١٩٧٨-١٩٨٣م يلج بوابة التربية من عالم الكيمياء ميدان تخصصه الدقيق، ليترك منطلقاً من تخصصه الكيميائي مشاريع تربوية عملية تبنتها الحكومة الأمريكية، ولقد كان في التطبيق الرسمي لآراء كونانت ردم للثغرة التي حدثت في الثقافة الأمريكية عشية سبق روسيا لأمريكا في إطلاق أول قمر صناعي إلى الفضاء عام ١٩٧٥م، فإذا تبين لنا أن هذين الباحثين وكثيرين غيرهم يدعون للتصالح بين التخصصات لأمن الإنسان وراحته، فالتصالح بين العلم والإسلام لم يعد مطلباً جمالياً بل ضرورة يقتضيها تاريخ الأمة وجغرافية الأفكار فيها لأنه لا يمكن للمثقف أن يحصر معلوماته في قضية واحدة من قضايا الفكر إذا أراد أن يبقى

مثقفاً». والتخصص المعمّق والثقافة الموسوعية من السمات البارزة في تاريخ العلم الإسلامي، فابن حزم ترك عشرات المؤلفات في شتى موضوعات المعرفة، واثارت في عصرها وعصرنا ما تثيره الثقافة الحية في متلق واع، وابن خلدون في مقدمته ليس بعيداً عن ابن حزم.

وإذا عبرنا إلى المشرق نجد لدى ابن تيمية مشروعاً ثقافياً متكاملاً لمواجهة التآكل في عقل الأمة وثقافتها والتراجع في عقيدتها، كما كان حضوره على جبهة الفكر اليوناني بما كان يمثله من بريق بهر كثيراً من معاصريه فلم يجد بدأ من أن يجابه هذا الإعصار اليوناني فكتب الرد على المنطقيين، ودرء تعارض العقل والنقل. وفي الساحة الثقافية الداخلية كتب العقيدة التدمرية والواسطية والإيمان، وفي الفقه السياسي السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ونقد الفكر القائم في عصره بكل موضوعية وتجرد، أشخاصاً وموضوعات. ولم يعان عقدة نقص أو تمذهب متعصب، وسرت في كتاباته روح الوعي والإشفاق على الأمة حكاماً ومحكومين، ومن يقلب صفحات الفتاوى يشعر أنه أمام عالم فقهي ومصلح اجتماعي وفقيه لغوي تعقب سيبويه وكتابه وسجل عليه بعض الملاحظات وتتبع سائر المؤسسات القائمة في مجتمعه فداخلها وحاورها باذلاً النصح والإخلاص فيه، لقد كان أمة في ثقافته ودوره. كان في عصره بوصلة مجتمعه وبعد عصره تتجلى جهوده بمنهجه الذي خلفه وراءه وتخرج به كوكبة من كبار العلماء.

فلنقارن بين حضور ابن تيمية في حياتنا وفكرنا والنهضة العربية المعاصرة التي نبحث الآن عن خطوط البداية فيها.

إن المفاهيم النهضوية الغربية التي فرضت على الكثير من جامعاتنا جعلتنا لنتوهم أننا قد أنتجنا نهضة حقيقية، لقد كنت أطالع في بعض المجلات المتخصصة مقالاً عن النهضة العربية الحديثة أفكارها ورجالها، فوجدت كاتب

البحث ينتهي إلى القول: وبعد مائتي عام من النهضة ما زلنا نقرأ أهم الكتابات عن مجتمعنا وتاريخنا على يد المستشرقين وما زلنا عاجزين عن إنتاج ما نستهلك.[١]

والجذر اللغوي للجامعة لا يباين الجذع الألسني للجامع، إذ بينهما في الاشتقاق والدور غير وشيجة وأكثر من صلة، والجامعات الإسلامية التي تحدرت أصولها من الجامع ولدت تلبية لمطامح شرعية واحتياجات اجتماعية وعقلية، وشكلت خلال مراحل تطورها في أكثر الأحيان - إنجازاً رائعاً ولقد قامت هذه الجامعات في العالم الإسلامي لتؤكد على أصالة الأمة وتوثيق ارتباطها بماضيها الإسلامي المجيد وتبني شخصيتها على هدى الكتاب الكريم والسنة المطهرة فصارت أملاً يرتجّى ومطمعاً للخيرين. وجامعة الأزهر في مصر والزيتونة في تونس خير مثالين للجامعة القادمة من قيم المسجد الجامع ورسالته التربوية والتعليمية ولولا خشية الإطالة لذكرت نماذج للأزهريين والزيتونيين الذين أدوا دوراً عظيماً في تحقيق الترابط بين عقيدة الأمة وثقافتها وحاضرها ومستقبلها، ويكفي جامعة الزيتونة فخراً أن تخرج رجلاً مثل عبد الحميد بن باديس ١٨٨٩-١٩٤٠م الجزائري ليعود إلى بلاده ليقود أمة ترزح تحت الفكر الغربي والكفر الفرنسي فيؤلف ويحاضر ويخطب ويناظر ويسافر في طول المغرب العربي وعرضه حاملاً رسالة الإسلام جاعلاً حياته كلها للإسلام كما قال في أحد مذكراته، إن جهود ابن باديس بفضل الله أثمرت رفض مسلمي الجزائر لفرنسا وأشعلت الحرب ضد هذا الوجود الكافر.

إن ابن باديس والزيتونة مثال للجامعة والجامعي الذي يعرف موقعه ودوره في نهضة أمته وخدمة عقيدته، في مثل هذه الجامعة ذات الأصول المسجدية.

يقول الله عز وجل **﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفر من كل فرقة**

١- مجلة الاجتهاد عدد ٥ ص ١٥ ١٩٨٩م

منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ [التوبة ٢٠٦] في هذه الآية يحث القرآن الكريم على طلب العلم بوصف النفرة (فلولا نفر) وذلك يجعل العلم والجهاد في موقع واحد، كما أن سياق الآية وسياقها يضع التعبئة الفكرية على قدم المساواة مع التعبئة العسكرية.

روى الإمام أحمد في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو ليعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله»

ورضي الله عن عمر الفاروق القائل عن العلماء: «بذلوا أموالهم ودماءهم دون هلكة العباد»

ويرحم الله ابن القيّم القائل: تبليغ سنته صلى الله عليه وسلم إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو. لأن الجهاد قد يستطيعه كل أحد أما العلم فليس له إلا أهله.

وأخيراً:

لأن الجامعة تقوم في متن الوطن وتحيا هموم أهله، ولأنها تلامس وتعي خصوصية محيطها وحاجاته، بات عليها أن تمتلك مشروعها الثقافي الذي لا يستجيب لخصوصية اللحظة فحسب، وإنما يدفع بها كذلك في سياق البعد الإنساني الأرحب، والجامعة تستطيع ذلك، إذ لها من خبرتها وخبرة مدرسيها ما يسهم في توفير انفتاح أكبر على المجتمع و الدخول معه بوابات المستقبل. والجامعة عندما تتنازل عن مشروعها بسبب بعض العقبات فذلك يعني التنازل العلمي عن الماضي والحاضر والمستقبل.

وهناك عقبات داخل الجامعة وخارجها تحجّم من دورها وتعمل على اختزاله واختصاره منها:

١- غياب الصلة الأخلاقية والأبوية بين الطلاب والمدرسين في الغالب مما أدى إلى اهتزاز دور المدرس الجامعي الذي تشكل هذه العلاقة بينه وبين الطلاب العمود الفقري في الحياة الجامعية.

٢- الانفجار السكاني الذي دفع إلى الجامعة باعداد من الطلاب أكبر من طاقتها، وكثيراً ما يكون استقبالهم على حساب سمعة الجامعة ومكانتها، وهذا يتعين على الجامعة أن توازن بين حاجات السوق وأهدافها الاستراتيجية.

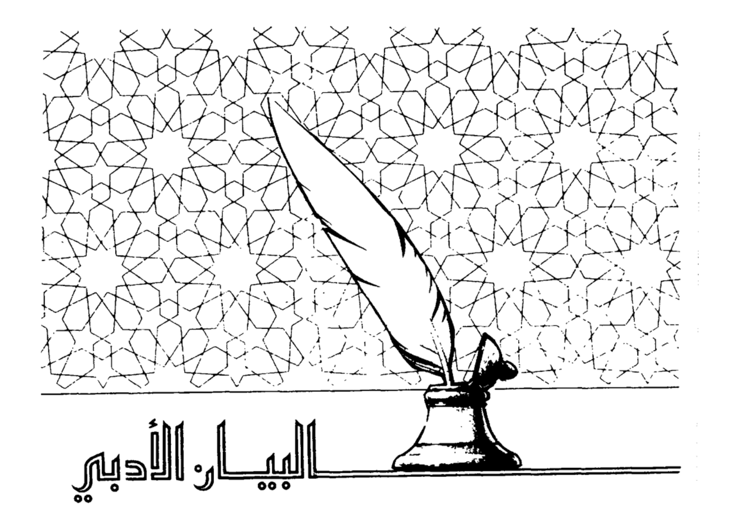
٣- الاستفادة السلبية من الغطاء الجامعي من قبل بعض المدرسين للترويج للفكر المضاد لثقافة الأمة وعقلها، والشعر الحداثي أوضح الأمثلة في هذا الميدان، فهو نتاج بعض الجامعيين قولاً ونقداً، هذا الشعر ألغى نفسه وفقد قراءه، وهو في كثير من نصوصه ليس إلا إحياء للكهانة الوثنية تحت مسميات مختلفة، غير أن أنكى ما في الأمر التغطية الجامعية له.

٤- غياب الصلة بين الجامعة ومراكز البحث العلمي.

٥- تواضع المكتبة الجامعية كماً وكيفاً ومساحة ومسافة وزمناً وعدم افتقار البحث العلمي إلى التأصيل والدراسة المكتبية المعمقة.

إن الروح الجامعية لا تخالطنا وتلازمنا لكوننا موجودين في الجامعة عمداء ومدرسين وطلاباً بل بكون الجامعة متلبسة فينا قيماً خلقية وموسوعية علمية ونهماً معرفياً نرى اكتمالها في سعيها الدائم نحو الكمال.

إن الأمة التي ترسل إلى الجامعة بفلذات أكبادها، وجزء من دخلها، تفعل ذلك واثقة من أن الجامعة سترد هذا العطاء عقولاً مؤهلة وأرواحاً متوثبة لنقل الأمة خانة أو أكثر في مراتب التقدم المنشود.



- رسالة إلى قلب الدين حكمتيار (قصيدة)
- أزمة الشعر الحديث
- قارئ الفنجان (خاطرة أدبية)

رسالة إلى قلب الدين حكمتيار

أحمد بن راشد بن سعيّد

[رسالة إلى كل مجاهد أفغاني علمنا معنى العزة في زمان كثر فيه الخائبون والأتباع].

اضرب فديتك بالقنابل

اضرب قلاعهم الحصينة

بالمدافع..بالمعاول

لا تبق فيهم من يخون

ولا تصالح من يشاكل

اضرب - هديت -

فما بنى الطاغوت محض باطل

اضرب

ولا شلت يمينك

واتَّبع نهج الأوائل

اضرب

فلا نام الجبان

ولا استطاب العيش خامل

اضرب

ونحن جنودك الأبرار

عشاق المحافل

لبيك نعلنها ونأتي

جحفلاً يتلو جحافل
اضرب فأمتنا تحن إلى ضياء الصبح
تستسقي الهواطل
اضرب فأنت لها تقاتل
اضرب فلا عاش التخاذل
هل أنت إلا عزة تصحو
وتاريخ يناضل
هل أنت إلا يقظة الأجيال
تجتاح المعاقل
اضرب فديتك بالقنابل
لله أنت
وزفَّ بشرى الفتح
وانهض بالجلائل
هذا أوان الفتح
كي تنساب في الكون الفضائل
هذا أوان الغرس
كي تزكو ربى الدنيا خمائل
هذا أوان العتق والتحرير
فاعصف بالسلاسل
واضرب فديتك في المقاتل
هذا أوان الفصل
يا شيخي
وترتيب المسائل
لا. نحن لن نبقى وسائل.

أزمة الشعر الحديث

عبد الله بن إبراهيم الزهراني

كان الشعر وما يزال ميدانا رحبًا من ميادين الثقافة، وله دور فاعل في الحياة الثقافية المعاصرة، ولكن كثيرًا من المثقفين ومن أساتذة كليات الآداب العربية بدأوا يشكون ويتذمرون بشكل واضح مما ينشر هذه الأيام في الصحافة والمجلات الأدبية، ويقولون بصوت واحد: لم نعد نفهم هذا الشعر الذي تقولون أيها الشعراء.

والشعراء بدورهم يلقون باللائمة على القارئ.

ترى ما السبب الذي أدّى إلى ظهور هذه الأزمة تجاه الشعر الجديد ؟

هنالك عوامل عدة أدت أو ستؤدي حتماً إلى خروج الشعر بمستواه الحالي - الذي تسوّد به كثير من الصحف والمجلات العربية - من دائرة الثقافة. ويرجع ذلك في نظري إلى أن هذا الشعر يمر بعدة أزمات منها:

١- أزمة فكرية:

إن ما يسمى بالشعر الجديد نشأ أول ما نشأ على يد أناس متهمين فكرياً بدءاً بالسياب ونازك الملائكة. وعبد المعطي حجازي. وصلاح عبد الصبور...وانتهاءً بسعدي يوسف ومحمود درويش. والأفراخ الجدد ممن تربى بين أحضان تلك المدارس.

ولا زالت القضية الفكرية هي المحور. فإن الانفصام الثقافي بين أولئك الشعراء. وبين الطبقة التي تمثل الأكثرية في العالم العربي ممن يؤمن بدور الشعر

التثقيفي بل والتغييري ومنهم روّاد في الثقافة - أدّى ذلك إلى وجود أزمة للقصيدة الجديدة، إذ تلقاها الجمهور المثقف على أساس أنها تمثل تياراً مناقضاً للموروث بكل أشكاله، فرفضت ولفظت من هذا الجانب بكل قوة، إذ أنها بما تمثله من تيار فكري غريبة تلق أصحابها فتات الثقافة الأخرى.

والحق أن الانحراف الفكري لمنظري القصيدة الجديدة بلغ درجة لا تطاق والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، ومن يلق نظرة على إنتاج تلك الفئة يجده بينا، وعلى سبيل التحدي من أمثال البياتي، والسياب، وأدونيس، والمقالح، وبلند الحيدري..الخ.

حتى أصبحت قضية المفارقة الفكرية سمة ملازمة للقصيدة الجديدة وتنضح بعبارات الإلحاد وشعاراته مما يرفضه حس الإنسان المسلم.

٢- أزمة في الغموض:

هذه هي الأزمة الثانية التي تردّت فيها القصيدة الجديدة وبخاصة في جيلها الثالث.

والمقصود به الغموض الذي يصل إلى حد الأحاجي والألغاز، إذ أضحى الشعر عند هذه الفئة نوعاً من الحذلقة، والتصنع في رص الفاظها والتراكيب حتى أصبح الغموض سمة الشعر الجيد عند هذه الفئة، لدرجة لا يكاد يفهمه صاحب النص، ، مما حدا بأدونيس أن يقول عن فهم الشعر: «ليس من الضروري لكي نستمتع بالشعر أن ندرك معناه إدراكاً شاملاً لأن مثل هذا الإدراك قد يفقدنا هذه المتعة..».

ويقول أحد المعجبين بأدونيس: «إن الشاعر المعاصر لا يتيح لهؤلاء الآخرين فرصة الولوج إلى عالمه بسهولة بل يرى قمة المجد ألا يكون مفهوماً» فهذا الضرب من التنظير النقدي، وفتح باب التجريب على مصراعيه أدّيا بكثرة كاثرة من الجيل

الثالث أن يتسلق هذا السلم كل من أراد الظهور والشهرة. وكان لبعض المجلات والجرائد المختصة دور تخريبي لا يغفل. ويأتي الغموض تحت شعار تجديد اللغة الشعرية، وإصرارهم على الإتيان بصور غريبة يأباها الذوق العربي. إذ هي بعيدة كل البعد في تراكيبها عن العربية.

من ذلك مثلاً قول «أدونيس»:

هذه ناري

لم تبق آية، دمي الآية

هذا بدئي

ونحوه قول «أنهسي الحاج»:

المدينة الحاضرة جيب صادق

يهدل لحم الليل

يتفسخ يتطاير محروقاً

وشظايا نار

مدّها قحط السنوات

من حاملي الألوية.

وعلى نفس المنوال يقول أحمد عبد المعطي حجازي:

وبعد صمت لم يطل

الطائر الأخضر طار

الغصن مازال بسحره يميل

كأنني شجرة من الشجر

مرت بها الأمطار

فسار في أعماقها حلم الثمر

وانحلت الأسرار

بعد طفولة طويلة بعد انتظار

فهي كما يقول الدكتور يوسف عز الدين «ولكن هذا الإيحاء غامض، غموض الغموض..».

ولنا أن نتساءل ما الفائدة من الشعر إذا لم يتذوقه المفكر ويفهمه الأديب والمثقف.

على أنه ينبغي القول إن الشعر لا بد أن يكون فيه نوع من الغموض الواضح إن صحت التسمية لئلا ينزلق الشعر إلى السطحية، بل إن الشاعر قد يلجأ إلى نوع من الرمز والغموض ليعبر عن قضاياه اتجاه قوى القهر والظلم، والشاعر الذي يمتلك الموهبة والثقافة يستطيع أن يوازن بين الغموض والوضوح.

٣- أزمة المتلقي:

لعل أشد الأزمات قتامة مني بها دعاة الشعر الجديد هو المتلقي، إذ يتشكى كثير منهم من انفصام العلاقة بين كاتب القصيدة ومتلقيها، وذلك يرجع في نظري إلى السببين السابقين إذ أدّيا إلى النفور العام من القصيدة الجديدة، برغم محاولة كثير من الشعراء والمصفقين لهم من النقاد الإلقاء باللائمة على الجمهور المتلقي، لأنهم كما يزعمون ظلوا أسرى التخلف في مطالعاتهم، مما نتج عنه عدم تفاعلهم مع الجديد، وهذا القول فيه مجافاة للحقيقة فقد وجدنا أساتذة الأدب الحديث يقفون حيارى مشدوهين أمام كثير من النصوص لعجزهم عن فك طلاسمها.

والشعر إذا لم يتقبله الجمهور المثقف الواعي يفقد هدفه، لذا فالأفضل أن يخرج من دائرة الثقافة عامة، ومن فن الشعر خاصة.

على أن هنالك أزمات كثيرة تمر بها القصيدة الجديدة مما قد يطول المقام عندها كأزمة اللغة، والإيقاع، والسرقة..الخ.

ولأن هذا الشعر منبوذ من قبل الأمة لمضامينه المنحرفة التي تعيش على فتات الأفكار المنحرفة يعجب المرء من هذا الغي والتمادي في الباطل.

قارئ الفنجان

سعد بن محمد عبد اللطيف

جلس الحلاج على كرسي في مقهى التاريخ..يحمل معه كتاب «الثابت والمتحول» صفق بيده الغليظة..جاء يركض صبي القهوة ملبياً ذاك التصفيق، تقدم الصبي إلى الحلاج قائلاً: ماذا تريد يا سيدي ؟

الحلاج: أريد فنجاناً من القهوة الساخنة..أسرع الصبي ليجيب الطلب. فضاء المقهى يعج بالدخان..راح الحلاج يتأمل الطريق المؤدي إلى جمعية التحرر الثقافي الذي هو عضو فاعل فيها. وهي تقع خلف المركز التجاري الكبير..لابد من إصدار صحيفة تنادي للفجر الجديد..لمحاربة المتعصبين والأصوليين المتطرفين..أصحاب الأفق الضيق الذين يحاربون الرأي الآخر والحوار، أصحاب التسلط والإرهاب الفكري الأحادي..أتى الصبي يحمل فنجان القهوة، يضعه على الطاولة المتسخة..ينقطع تأمل الحلاج وتفكيره ويقبل على الفنجان يرفعه إليه ينظر إلى الفنجان..يمارس هوايته..قراءة الفنجان ليطلّع على مستقبل الفكر وحريته وآخر أخبار البيت الأبيض والكرملين ؟!

يتطلع في الفنجان باهتمام مشدوداً إليه..شيئاً فشيئاً تتهلل قسمات وجهه وينفرج فمه عن ابتسامة صفراء ..«ها هم أو هم سيأتون في زمن ما ولكنهم سيأتون..جيوش جرارة من المثقفين التقدميين..يتصدرون المجالس والمنتديات..ولكن ما هذا الهذيان الأدبي والفكري الذي لا أفهمه..لعلها تشبه بعض إبداعاتي الطليعية.

ولكن كلام هؤلاء يغلب عليه الغموض وشبيه بطلاسم وأساطير الهند

والفرس..أهم وصلوا إلى قمة الإبداع وجوهره ؟ أم هو الفيض والعلم اللدني ؟!

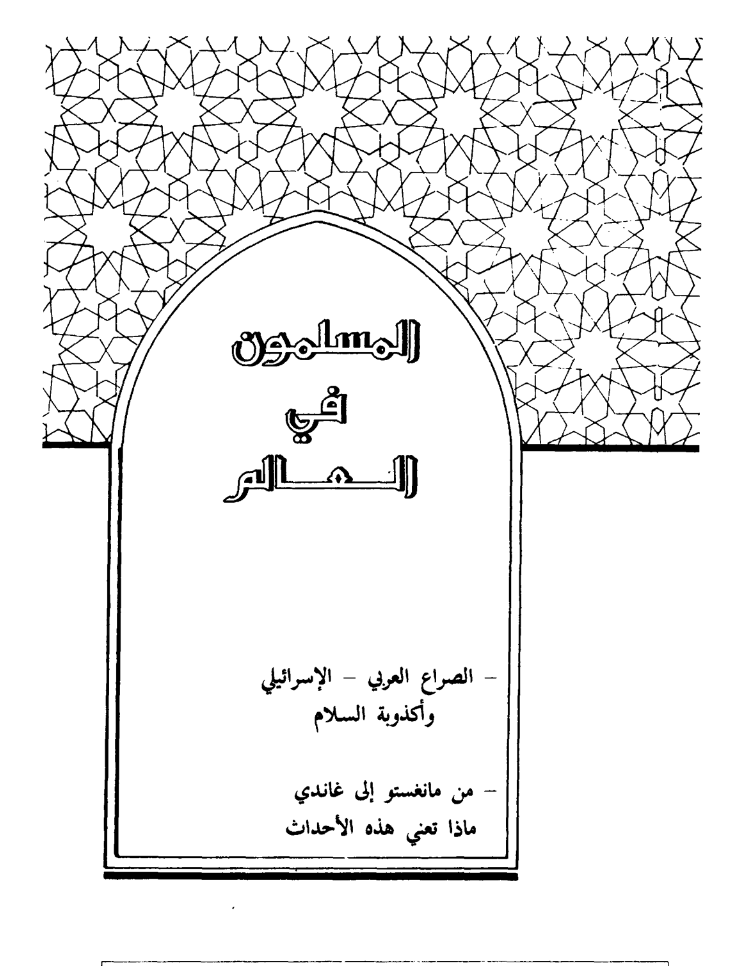
يعود إلى النظر في الفنجان..يرى أحدهم اعتلى منبراً..يلقي قصيدة..يحرك يديه بانفعال كأنه يريد أن يمسك بذباب يضايقه «لو قال أحد أو لق مثل هذا الكلام من مجانيننا وادعى أنه شعر وأدب لكان جزاؤه اللطم على الخدود والركلات على الرؤوس..»

يعود إلى النظر في الفنجان «أواه إني أرى أمريكا..الحضارة..الثقافة..التحرر..وذاك تمثال الحرية الشامخ. لكم تمنيت أن أصنع وأضع مثله في أرض الجزيرة أو الشام..هم وصلوا إلى سطح القمر وأطلقوا الأقمار الصناعية والناس هنا يتناقشون حول الحيض والمسح على الخفين..»

«على كل حال البركة في هذا الجيل القادم الذي رأيته في الفنجان قبل قليل..حقاً ما أروعهم وما أروع هذا الجيل وهذا الجو المتخم بالحرية والديمقراطية، أين كل هذا من واقعنا الحاضر..من هذا التطرف والتعتيم الإعلامي..»

يبدأ بشرب القهوة بعد تلك الخواطر..يخرج من تأملاته..لكنه يتذكر: غداً سألقي محاضرة في جمعية المرأة المثقفة بعنوان «دور المرأة المثقفة المتحررة في التنمية» وسأقوم بقص الشريط لفتح معرض الشيكولاته والكعك وسيكون ربح هذا المعرض لجمعية المعوقين».

يتشاغل الحلاج بنظر إلى زبائن المقهى..يمر بائع الصحف..يصيح الحلاج: ناولني صحيفة اليوم..يطالعها بلهفة..«ماهذا، لا أصدق ؟» «لم أجد ذلك عند قراءتي للفنجان..» يخرج نظارته..يلبسها مرتبكاً..يتأكد..يتمتم من هؤلاء..تبتلعه الدهشة..يسقط مغشياً عليه على أرضية المقهى المملوءة بأعقاب السجائر..الناس حوله يتجمهرون..يستفسرون «احملوه إلى المستشفى» قال أحدهم.. يتفرق الجمهور يلتقط أحدهم الصحيفة، يرى السبب ويعلن الخبر..يقرأ..«فاز الحلاج بجائزة نوبل لهذا العام. ومن المتوقع أن يكون هو حاكم البلاد اللاحق» !



المسلمون
في
العالم
- الصراع العربي - الإسرائيلي
وأكذوبة السلام
- من مانغستو إلى غاندي
ماذا تعني هذه الأحداث

الصراع العربي - الإسرائيلي
وأكذوبة السلام

مازن عبد الله

لقد انتهت حرب الخليج بانتصار دول التحالف وعلى رأسها الولايات المتحدة، التي خرجت من تلك الحرب كقوة عظمى وحيدة خاصة بعد سقوط منافسها الاتحاد السوفييتي وانحسار نفوذه على الساحة الدولية. ولقد ظنت الولايات المتحدة المنتصرة في الحرب التي أعدت وجندت لها وقادت دول التحالف فيها. وفكرت بأن تلعب دور الشرطي الدولي، فقرر رئيسها صاحب القرار وبطل العملية، وطموحاً منه في أن يدخل التاريخ وينظم إلى مجموعة عظمائه، قرر أن يقوم بعمل يتوج فيه نصره ويذكره التاريخ عليه، فوعد بنظام عالمي جديد ينهي به عهد الظلم والظلمات ويحكم على أساسه بالعدل والإنصاف...وكان لابد له، ولكي يصبح لكلامه هذا معنى ومصداقية، بأن يبدأ بترجمة كلامه بحل مشكلة الشرق الاوسط، منبع الاضطرابات وعدم الاستقرار في المنطقة والعالم. فكان القرار، وكما جاء على لسانه في خطاب له بعد انتهاء حرب الخليج مباشرة، أمام الكونغرس الأمريكي.. «لقد حان الوقت لعقد سلام شامل في الشرق الأوسط يقوم على مبدأ الأرض مقابل السلام وعلى قراري الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ و٣٣٨».

لقد مضى على وعد بوش هذا أكثر من شهرين. وقبل أن نبدأ بتقييم الخطوات العملية لهذا القرار التي تم تنفيذها حتى الآن، نود أن نستذكر

بعض الأحداث والتطورات السابقة المتعلقة بهذا الموضوع، ذلك أن قراراً كهذا لم يكن الأول ولن يكون الأخير...

في حزيران عام ١٩٦٧، قامت إسرائيل بعدوان على الدول العربية واحتلت سيناء والضفة الغربية وغزة والجولان، فما كان من الدول العربية إلا أن لجأت إلى الأمم المتحدة في الشهر التالي من العدوان فتقدمت دول أمريكا اللاتينية بمشروع القرار المعروف بالمشروع اللاتيني والذي يقوم على أساس مبدأ الأرض مقابل السلام، إلا أن الدول العربية رفضت القرار وقتئذ باعتباره يقدم مزايا سياسية لإسرائيل. في شهر أيلول من نفس العام تم طرح الموضوع مجدداً أمام مجلس الأمن، فأصدر هذا الأخير وبعد مناقشات دامت شهرين تقريباً قراره رقم ٢٤٢ وذلك في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧؛ لقد تبنى مجلس الأمن الدولي وبالإجماع هذا القرار الذي قضى بانسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في النزاع الأخير. فلقد صدر هذا القرار إذن، بغية إنهاء العدوان الإسرائيلي على الدول العربية ولكنه لم يتعرض لا من قريب ولا من بعيد للقضية الفلسطينية. ولقد حرص السفير الأمريكي لدى الأمم المتحدة حينذاك على تسمية هذا العدوان نزاعاً، وذلك لاعتبارات قانونية إذ أن اعترافه بالعدوان الإسرائيلي يستتبعه قبوله تطبيق الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة الخاص بالعقوبات على إسرائيل، وهو ما تم تطبيقه على العراق لعدوانها على الكويت.. إنه وبالرغم من تجاهل هذا القرار للقضية الفلسطينية، فلقد ضربت إسرائيل به عرض الحائط ولم تنفذ شيئاً منه ولم تلق أية ضغوطات لتنفيذه.

في ١٦ كانون الثاني ١٩٦٩، أرسلت فرنسا خطاباً إلى كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبريطانيا تقترح فيه أن يلتقي مندوبو الدول الأربع لبحث قضية السلام في الشرق الاوسط، فوافقت الدول على اقتراحها، وظل المندوبون الدائمون الأربعة في مجلس الأمن يلتقون طوال عام ١٩٦٩ في نيويورك ولكن من دون جدوى، فلقد باءت محاولاتهم ولقاءاتهم هذه بالفشل.

في ٢٢ تشرين الاول ١٩٧٣ وخلال حرب أكتوبر تبنى مجلس الامن الدولي

القرار رقم ٣٣٨ بأغلبية ١٤ صوتاً مقابل لا شيء. ولقد دعا هذا القرار جميع الأطراف المشتركة في القتال إلى وقف لطلاق النار والبدء فوراً بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه. ولكن القرار الجديد هذا لم يكن أوفر حظاً من سابقه فلقد ذهبت كلماته أدراج الرياح.

مع بداية عام ١٩٩٠، وعقب انتهاء الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفييتي ولقاء رأيسيهما في مالطا طرحت مسألة الشرق الاوسط مجدداً كونها من أهم النقاط الساخنة وتم الاتفاق على إقامة موتمر دولي تشارك فيه جميع الأطراف تحت رعاية الأمم المتحدة. وبدئ فعلاً بالعمل والتحضير لهذا المؤتمر وكلف بهذه المهمة وقتئذ جيمس بيكر نفسه الذي يقوم بنفس المهمة الآن بعد انتهاء حرب الخليج والذي قدم مشروعا من خمس نقاط لحل تلك المشكلة ولكن في النهاية كل تلك المحاولات والمشاريع باءت كسابقاتها بالفشل.

لقد انتهت الحرب في السادس من آذار ١٩٩١ بخروج أمريكا سيدة للموقف الدولي، فعاد رئيسها للنغمة القديمة ووعد بحل مشكلة الشرق الأوسط. ولقد عين لهذه المهمة وزير خارجيته جيمس بيكر الذي بدأ فعلاً بجولات مكوكية على الأطراف المعنية وكانت الخطة الأمريكية في بادئ الأمر تقضي بسحب موافقة جميع الأطراف على عقد مؤتمر دولي برعاية الأمم المتحدة وحل النزاع على أساس القرارين رقم ٢٤٢ و٣٣٨ . لقد قابل العرب والفلسطينيون هذا القرار بالقبول والترحيب بعدما رفضه معظمهم في الماضي، فأيدوا مساعي بيكر وشجعوه على المضي قدماً في طريق البحث عن سلام غربي إسرائيلي في ضوء تلك المبادئ التي أعلنها بوش، وخاصة مقايضة الأرض بالسلام، والاعتماد على «الشرعية الدولية» وكما تسمى، ممثلة في القرارين رقم ٢٤٢ و٣٣٨ . وشجعهم على ذلك أكثر فأكثر، مواقف أوروبية أخرى كان أهمها موقف الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران الذي، بالإضافة إلى موافقته على مبدأ الارض مقابل السلام وتحكيم «الشرعية الدولية» في حل النزاع؛ عاد ليذكر بقرار الأمم المتحدة القديم بتقسيم فلسطين إلى دولتين، واحدة إسرائيلية وأخرى عربية، وهو القرار الذي ترفضه إسرائيل وتتجاهله أوروبا وأمريكا منذ

الأربعينات وحتى اليوم...أما بالنسبة لإسرائيل، فلقد رفضت الخطة الأمريكية رفضاً قاطعاً ورفضت فكرة عقد مؤتمر دولي كما رفضت إعطاء أي دور للأمم المتحدة ومجلس أمنها. خوفاً من أن تحاول تلك الأخيرة ممارسة أي ضغط أو فرض أية حلول عليها، وعزت رفضها هذا لعدم ثقتها بالأمم المتحدة التي تتهمها بالتحيز عندما قررت مساواة الصهيونية بالعنصرية.. فلقد قال مرة «أبا إيبان» وهو أول مبعوث لإسرائيل في الأمم المتحدة، ويؤيد قيام الأمم المتحدة بدور ما في عملية السلام.. «لو أن العرب اقترحوا مشروع قرار يقول أن الأرض مسطحة. فسيحصلون على موافقة أغلبية ثلثي أعضاء الجمعية العامة.»

في ١٠ نيسان ١٩٩١ أعلنت وكالات الأنباء. وعلى أثر مقابلة بيكر مع وزير خارجية إسرائيل دايفد ليفي. أنه تم الاتفاق بين أمريكا وإسرائيل على العمل على عقد مؤتمر إقليمي للسلام في الشرق الأوسط برئاسة الولايات المتحدة ومشاركة الاتحاد السوفياتي والدول العربية على أن لا يكون الهدف النهائي لعملية السلام، إنشاء دولة فلسطينية. ولقد اشترطت إسرائيل في هذا الاتفاق أن يتم التعامل مع المشكلة الفلسطينية على أساس خطة إسحاق شامير التي قدمها عام ١٩٨٩ والتي تقضي بإجراء انتخابات محلية في المدن والقرى العربية تمنح الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة حكما ذاتيا محدوداً تحت السيادة الإسرائيلية الكاملة على الأرض والموارد والدفاع. وتمتد فترة الحكم الذاتي هذه لثلاث سنوات، تعقبها محادثات لاحقة حول الحل النهائي بشرط أن لا تجبر إسرائيل على قبول ما لا يناسبها. واشترطت إسرائيل أيضاً أن يتم تشكيل وفد فلسطيني يتفق حوله معها ويكون من داخل الضفة والقطاع فقط. كما اشترطت الاعتراف بوجود أكثر من تفسير لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وإعلان واشنطن حق إسرائيل في التفسير المناسب لها، وتفسر إسرائيل قرار مجلس الأمن بأنه يدعوها إلى الانسحاب من أراض احتلتها في حرب عام ١٩٦٧ وليس من الأراضي التي احتلتها في حرب عام ١٩٦٧. وتعتبر أنها التزمت بهذا القرار ومنذ وقت طويل وذلك عندما انسحبت من شبه جزيرة سيناء في إطار معاهدة السلام التي وقعتها مع مصر عام ١٩٧٩

وعلى صعيد اشتراك الاتحاد

ج.٤

السوفياتي إلى جانب الولايات المتحدة في اللقاء، اشترطت إسرائيل على موسكو أولاً إعادة العلاقات الديبلوماسية كاملة معها، وثانياً الإقرار بنقاط اللقاء الإسرائيلي الأمريكي سابق الذكر حول شكل وهدف المؤتمر. تجدر الإشارة هنا إلى أن إسرائيل وخاصة اللوبي الصهيوني التابع لها داخل الكونغرس الأمريكي، لعبت دوراً مهماً وأساسياً في الضغط على الاتحاد السوفياتي من أجل إعادة العلاقات الديبلوماسية كاملة معها ومن أجل إرغامه على تسهيل هجرة اليهود السوفيات إليها؛ فلقد ذكرت وكالات الأنباء في ٩١/٤/١٧ أن وزارة الخارجية الأمريكية أصدرت بياناً جاء فيه أن الرئيس الأمريكي جورج بوش أوضح عندما وقع الاتفاق التجاري الأمريكي السوفياتي خلال اجتماع قمة واشنطن ومرة أخرى عندما أوقف مؤقتاً العمل بقانون جاكسون - فانيك، الذي يحظر تقديم أية قروض إلى الدول التي لا تسمح بحرية الهجرة. أنه لن يقدم الاتفاق التجاري للكونغرس إلا إذا طبق الاتحاد السوفياتي قانوناً جديداً للهجرة. ولقد أعرب المؤتمر القومي بشأن اليهود السوفيات في أمريكا وقتئذ عن قلقه العميق بشأن التقرير عن تأخر صدور هذا القانون. وكان هذا المؤتمر قد حث الولايات المتحدة على تخفيف القيود التجارية على موسكو عندما خففت القيود على الهجرة.

أخيراً، فإن فكرة المؤتمر الإقليمي هذا الذي طرحته إسرائيل وتبنته الولايات المتحدة، حتى هذه الفكرة حمّلتها إسرائيل من الشروط ما يشجع العرب على رفضها. بل يجعل من المستحيل القبول بها. ولكن وبالرغم من كل هذا، قبلت بعض الدول العربية بها؛ فلقد اعتبرتها مصر ووصفتها بأنها «مفيدة جداً» وتخلت بذلك عن طلبها، الذي تقدمت به خلال زيارة الرئيس السوري حافظ الأسد إلى القاهرة بمشاركة الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن في هذا المؤتمر. ولقد ذكر مسؤول رفيع في وزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ٤/١١/ ١٩٩١ أن السعودية أبلغت بيكر أنها أوقفت الدعم المالي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وأن الأمير سعود أبدى اهتماماً كبيراً بالاقتراع الأمريكي بعقد مؤتمر إقليمي للسلام بين إسرائيل والدول العربية والفلسطينيين بإشراف الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي... وكانت سورية قد أصرت على التفاوض

مع إسرائيل على الأسس التي اتفقت عليها المجموعة الدولية، بما فيها أمريكا وتنفيذ قراري مجلس الأمن في إطار مؤتمر دولي تشارك فيه كافة أطراف النزاع بما فيها الطرف الفلسطيني.

ومن المسلم به أن إسرائيل ترفض فكرة المؤتمر الدولي والانسحاب حسب قرارات الأمم المتحدة. وهذا ما حدا بوزير الدفاع الأمريكي ريتشرد تشيني، في ٩١/٤/٢٩ إلى الحد من توقع حل مبكر لأزمة الشرق الأوسط، فأعلن أن «الانتصار في حرب الخليج يجب ألا يعني في شكل تلقائي أن علينا أن نتوقع أن في استطاعتنا خلال مدة قصيرة إزالة كل النزاعات ومصادر عدم الاستقرار في المنطقة». وفي رد له على سؤال في مؤتمر عقده معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى من بعد ظهر ذلك اليوم عما إذا كانت تستطيع الولايات المتحدة تحمل الفشل في التوصل إلى سلام بعد كل الجهود التي بذلتها، أعرب عن أمله بالتوصل إلى حل سلمي للمشاكل في الشرق الأوسط وقال: «ولكنني أعتقد بأن علينا ألا نكون بسطاء للاعتقاد بأن الأمر سيكون سهلاً. وأننا نستطيع في الضرورة حل المشاكل الموجودة في المنطقة».

أخيراً يبدو واضحاً من خلال متابعة التطورات والتصريحات الرسمية التي رافقت جولات بيكر، أن إسرائيل ترفض مبدأ الأرض مقابل السلام ولن تقدم تنازلات ولن تتخلى عن الضفة الغربية أو غزة أو الجولان ولن تقبل بدولة فلسطينية مهما كان شكلها ووضعها وتصر على استبعاد الدول الأوربية والأمم المتحدة ولا تريد إلا مؤتمراً إقليمياً وبجلسة واحدة تمهد لمفاوضات مباشرة تقتصر على إسرائيل وكل من الدول العربية على حدة..فالذي ينظر إلى العقلية الإسرائيلية بعمق ويفكر بالنظرية الصهيونية ومنهجيتها العملية بعقلانية، يعلم ويتيقن بأن تلك الفئة من المخلوقات، عندما تتحدث عن أمن أو سلام، إن هو إلا ذر رماد في العيون. وأن هؤلاء الذين عملوا وجهدوا طوال عشرات السنين وفي جميع الظروف والحالات ليصلوا وبكل الوسائل إلى هدفهم الموعود «إسرائيل الكبرى»، عندما يتكلمون عن مؤتمرات إقليمية أو غير إقليمية ومفاوضات مباشرة أو غير مباشرة وعندما يتحدثون عن إمكانية تقديم تنازلات أو استحالتها، إنما يتبعون أسلوباً ذكياً مبنيا على تخطيط مسبق بعيد وعميق،

يعملون ويقتسمون الأدوار على أساسه فهذا يميني وذاك يساري، وهذا متطرف وذاك معتدل، وهذا يريد السلام وذاك لا يريده، فالقضية مناورات بمناورات والمسألة تمثيل بتمثيل، وفي النهاية تجدهم متفقين على الهدف النهائي.. لقد ذكرت صحيفة «هآرتس» أن رئيس حزب العمل شمعون بيريز تحفظ على تصريح النائب يوسي بيلين بشأن تأييد الحزب للحكومة في حالة انسحاب الأحزاب اليمينية منها إذا ما وافق رئيس الوزراء على تقديم تنازلات بشأن السلام. وقال بيريز: «ما كنت لأقول كما قال بيلين لأن تصريحاً كهذا كان سيخلق انطباعاً بأن شامير مستعد فعلاً لتقديم تنازلات» وهو لا يريد أن يخلق انطباعاً بأن هذا ما سيحصل. وأضاف أن على الولايات المتحدة أن تمارس الضغط على العرب وليس على إسرائيل «فالعرب يهذون في أحلامهم ويبالغون في طلباتهم»..فبيريز هذا، وهو زعيم المعارضة في إسرائيل، لا بأس عنده في أن يعارض وينتقد شامير في مسألة مبتوتة سلفاً وقطع شوطاً في تنفيذها كمسألة الاستيطان وبناء المستعمرات، أما عندما تكون المسألة متعلقة بقرارات عملية لها علاقة بمستقبل إسرائيل فلا معارضة ولا خلاف. وتجدر الإشارة هنا بأن شارون وزير الإسكان الإسرائيلي ومدبر ومخطط عملية غزو لبنان بدأ بتعجيل برنامج إسكان ضخم في الأراضي المحتلة ليجعل من الانسحاب منها تحت ضغط من جانب واشنطن أمراً مستحيلاً. وهذا البرنامج يشمل خطط لبناء ١٣٠٠٠ مسكن جديد في الضفة الغربية خلال العامين المقبلين.

أخيراً، أجد من المناسب أن أختتم هذا المقال بكلام لوزير العلوم الإسرائيلي يوفال نئمان في مقابلة أجرتها معه مجلة «جيروزالم ربورت» وصف فيها المسيرة السلمية كحيلة خطيرة لإجبار إسرائيل على تقديم تنازلات خطيرة قال: «إن اليهود تدبروا أنفسهم بدون سلام على مدى مئة سنة وبوسعهم أن يتدبروا أنفسهم بدونه مئة سنة أخرى»...

من مانغستو إلى غاندي
ماذا تعني هذه الأحداث

ما وقع أخيراً من الأحداث المتسارعة في دول آسيا وإفريقيا، قد يبدو في الظاهر أنه لا يجمعه جامع ففي الهند اغتيل زعيم حزب المؤتمر راجيف غاندي الذي ورث زعامة الحزب عن والدته وجده، وفي الحبشة فرّ منغستو متجهاً إلى زيمبابوي تاركاً بلاده إلى أزلامه المقربين، بعد حكم دموي دام أربعة عشر عاماً، وفي تونس ألقت الحكومة التونسية القبض على كثير من زعماء وأعضاء حركة النهضة الإسلامية، وذلك بتهمة التآمر والانقلاب على الدولة.

ماذا تعني هذه الأحداث، وما هو الشيءالمشترك بينها، أول ما

يتبادر إلى الذهن أن أكثر دول إفريقيا وآسيا (العالم الثالث) لا تزال في مرحلة تخلف واضطراب ولم تستقر على حال بعد. وكل الحكومات المتعاقبة لم تسر على خطى صحيحة، وتعمل في سبيل مصلحة بلدها. وأولى الخطوات هي إعطاء الإنسان الكرامة التي يستحقها. فالظلم يؤدي إلى الخراب الاقتصادي. والخراب الاقتصادي يؤدي إلى الفساد الاجتماعي..وهذه الدول لا تزال تعيش عقلية القرون الوسطى الأوربية. فالذين قتلوا راجيف غاندي إنما يريدون منه أن يكون أكثر تعصباً ضد المسلمين وهو لا يختلف عنهم إلا أنه ناعم الملمس. ومنغستو لا يقر بأي حق للمسلمين في بلاده. بل إن مواطنيه يقولون: لن يتغير شيء بعد رحيله لأنه ترك أزلامه في السلطة.[1]

وحركة النهضة الإسلامية كانت في البداية تداري وتؤيد الحكومة الجديدة على أمل الحصول على حقوق الإنسان الأساسية، ولكن أمور الحكم تسير دائماً وكأنهم يريدون تفجيرها ليهدموا البيت على ساكنيه. وتبقى البلاد في حالة مزرية من الضعف والتمزق. وقد عبر راجيف غاندي لأحد الصحفيين قبل مقتله بقليل عن إحباط الناس في الهند. فقال: «إن إحباطاً هائلاً يتولد بين الناس لأن النظام لا يحقق طموحاتهم»[2] وطبعاً هو جزء من هذا النظام فقد حكم هو وأسرته فترة طويلة.

إن هروب منغستو. وهروب سياد بري وسقوط غيرهم من المفسدين في الأرض يجعل أكثر الناس عبرة يعتبر وينزجر. ولكن يبدو أنه قد ران على قلوبهم.

---

١ الحياة ٢٢ ٥ ٩١

٢ القدس العربي ٢٣ ٥ ١٩٩١

دور المرأة المسلمة

وجهت البيان مجموعة من الأسئلة إلى الأخت الفاضلة خولة درويش. وكان الحوار يدور حول مكانة المرأة المسلمة ودورها في الأسرة والدعوة إلى الله فأجابت مشكورة.

س: لا نستطيع أن نقول أن هناك مشكلة في الإسلام اسمها مشكلة المرأة، لأن هذا الدين من عند الله ولا يظلم ربك أحداً، وكل له مكانه ومكانته في حدود ما يسر له.

ولكن السؤال من ناحية واقع المسلمين، هل هناك مشكلة للمرأة؛ وما أسباب هذه المشكلة ؟

ج: حقاً لا توجد مشكلة للمرأة في الإسلام...أما من حيث واقع المسلمين، فواقعهم يزخر بالمشكلات لكل من المرأة والرجل على السواء: من بناء الأسرة إلى طريقة الكسب، طريقة الإنفاق، التعلم، العمل لخدمة الإسلام..

والمرأة المسلمة تعيش الأوضاع نفسها التي يعيشها الرجل المسلم، فهي بلا شك تعاني نفس المشكلات أيضاً، يضاف لها المشكلات المفتعلة والتي يصورون سببها رئاسة الرجل للأسرة.

وفي ظل الالتزام بأمر الله تعالى، لن تكون هناك مشكلة أبداً وسبب ذلك أن الله تعالى خالق الذكر والأنثى وكرمها جميعاً قال تعالى **﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾** شرع ما فيه خير الجميع من رجل أو امرأة. ولا يحابي في تشريعه الحكيم أيا منهما.

هذا وإن جعل التشريع الحكيم القوامة للرجل..لكنه قيده بضوابط شرعية تمنعه من النكاية بالمرأة وإلحاق الضرر بها.

وفي غيبة تطبيق الشريعة الربانية تبرز الأنظمة البشرية التي تقصد مصلحة أحد الطرفين لا محالة وهنا فقط تكون المشكلة من تضييق على المرأة باسم القوامة ليحرمها من حقها المشروع..إلى تسيب المرأة تحت دعوى الحرية والمساواة.

س: بالنسبة لمشكلة التعليم، الى أي حد تساهم المناهج الآن في تشكيل عقلية المرأة وإعدادها لدورها المطلوب ؟ وما هي حدود تعلم المرأة التي تتناسب ودورها وشخصيتها ؟

ج: إن عدم إلمامي بجميع مناهج البلاد العربية يجعل الجواب صعباً، وفي حدود معلوماتي فإن المناهج الحالية لها بعض الفائدة في تعليم البنات ما ينفعهن في حياتهن. لكن يعكر على هذه الفوائد كثير مما لا فائدة حقيقية منه، بل ومآله ضرر محقق.

أما الاهتمام بدورها الأسري. وإعدادها لتكون زوجة واقعية وأماً مربية فالمناهج لا تفي بهذا المقصود المهم. أما الشطر الثاني من السؤال وهو حدود تعلم المرأة: فالعلم المفروض هو ما تحصل به معرفة أمور دينها التي لا يتم الإسلام إلا بها. أما ما زاد على ذلك فالمرأة تتعلم ما قدر الله لها من العلم وما ترغب فيه ويتناسب مع استعداداتها وذكائها ما دام ذلك بحدود الشرع. في كون العلم دون اختلاط أو خلوة..ونحو ذلك وكذا نوعية العلم الذي تدرسه فالعلم الذي هو ترف فكري لا ينفعها في دينها أو دنياها، ويعتبر مضيعة للوقت وتحاسب عليه أمام الله عز وجل.

ومن أكثر ما يهم المرأة المسلمة ويجب أن تسعى لتعلمه: معرفة أسس الشريعة التي تؤهلها للعبادة، معرفة قواعد الصحة العامة، التدبير والاقتصاد المنزلي، أسس التربية، وكذا ما ينفعها في مهنتها المشروعة (كأن تنمي معلوماتها التي تختص بالتعليم وإن كانت تعمل معلمة، أو تجدد اطلاعها إن كانت طبيبة..وهكذا).

س: من الملاحظ أن المرأة كان لها دور كبير في أوائل الدعوة فما دورها الآن ؟ وهل أتحنا لها أن تقوم بهذا الدور في مجتمعاتنا الدعوية المعاصرة. ومن يتحمل مسؤولية إبعادها عن هذا الدور ؟

ج: لا شك أن كل منصف يقدر للمسلمة في فجر الدعوة دوردها ومساهمتها في تبليغ رسالة السماء، ونتطلع إلى الاقتداء بأولئك النساء الفضليات. أما دورها الآن، فأرى أنه شبه مفقود، وإن وجد فهي محاولات ذاتية وقليلة للقيام بهذا الواجب الشرعي. ونرجو لهذه المحاولات أن تنمو على أسس شرعية سليمة.

أما مسؤولية إبعادها عن هذا الدور:

- فتتحمله الأوضاع الجائرة في كثير من البلاد الإسلامية..فهي قد أبعدت الرجال عن القيام بهذا الواجب فضلاً عن النساء.

- وتتحمله الموروثات الخاطئة عن مهمة المرأة في الحياة حيث ينظر إليها على أنها أداة لحفظ النسل.

- وتتحمله أنانية كثير من الرجال أو ضيق أفق بعضهم، لشعورهم بذاتهم في غيبة وعي المرأة وعملها في الدعوة.

وتتحمله المرأة نفسها إذ للأسف يصعب على البعض الموازنة بين الحق والواجب فيجمح بها الغرور، ويحول الكبر والغطرسة التي قد يخلفها العمل دون تقدير رأي الزوج مما يحول البيت إلى جحيم لا يطاق.

وأرى أن الحل هو في التربية الإسلامية المتوازنة التي تدعو إلى إعطاء كل ذي حق حقه أولاً، ومن ثم الدعوة إلى الخير والتناصح.

س: ضمن التناول المتطرف للأمور يأتي موضوع المرأة بين من يريدون مساواتها بالرجل في أمور الدعوة وبين من يحصرون دورها ومهمتها في المطبخ والأثاث والملابس..الخ ما رأيكم في هذا ؟

ج: إن الدعوة قد تستلزم السفر أو الخروج من المنزل، وقد تستلزم الذهاب إلى بيوت الأخريات أو قدوم النساء إلى بيت المرأة كما وأنها تحتاج إلى بذل وإنفاق. وهذه الأمور جميعا ينظمها الشرع ويجعل الرأي فيها جزءاً من قوامة الرجل على المرأة. أي أن مساواتها بالرجل في أمور الدعوة تنافي الدعوة التي تريد أن تتصدر لها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن تكون مهمتها الطبخ والأثاث ونحو ذلك، فهذه مهام تقوم بها أي امرأة أو حتى الرجل إن كان خادماً، فلماذا أوصى الشرع بحسن اختيار الزوجة ؟ وإلا ما الفرق بين امرأة وأخرى.

والناظر في دور المرأة المسلمة في هذا المجال عبر التاريخ، يجد أنه كان لدعم عمل الرجل. ولا يصح بحال أن يستهان بهذا الدور فمواساة السيدة خديجة للرسول صلى الله عليه وسلم في بدء الدعوة شدت أزره وأذهبت روعه حين تحملت معه المصاعب في الشعب وواسته بمالها فكان موقفها يعجز عنه الرجال.

فالمرأة في كونها السكن النفسي لزوجها تؤدي دوراً دعوياً مهماً. ذلك لأنه مشغول البال والفكر لا يمكن أن ينهض لحل مشكلاته الخاصة فضلاً عن دعوة الغير إلى الخير. وأنّى له أن يجد الراحة وقد تحول بيته إلى مكان لتنغيص العيش وإثارة الهم.

وباختصار فالرجل المسلم لا يكبتها فيحطم كيانها و بنفس الوقت لا يترك الحبل على الغارب فيفسد دينها ودنياها والمرأة المسلمة تعلم أن عملها في المطبخ ليس مجال أنفة وكبر وإنما هو مجال للثواب. ورجلها المسلم إذا أمكنه لا يبخل عليها بإحضار بعض الآلة المريحة التي تشعرها بكيانها وتوفر جهدها ووقتها لتقوم بمهام دعوية جليلة.

س: هل تستطيع المرأة المسلمة توظيف موضوع الزيارة مع الأقارب أو الجيران أو أخواتها المسلمات دعوياً لإيجاد تطلعات إلى الحياة الإسلامية ؟

ج: إذا كانت مسلمة حقاً فبالتأكيد تستطيع ذلك وهو جزء من واجبها الديني.

ذلك أن نظرة الناس إلى الدين إنما تبنى بالنظر إلى تصرفات المتدين. ودعوتها تبثها في كونها قدوة حسنة في كريم أخلاقها، اعتدال لباسها واحتشامه، همومها، تطلعاتها، معايشتها للآخرين ومشاركتها لهم في آلامهم وأفراحهم حسب ما يبيحه الشرع. كل ذلك تاتي به طبيعياً دون تكلف، فضلاً عن الدعوة المقصودة في انتهاز الفرص المناسبة للدعوة والتوجيه على أن لا يكون في ذلك مبالغة، وعلى أن تراعي أحوال المدعوات وإلا كان الكلام ممجوجاً ثقيل الظل. وبالتالي تمقت المبادئ التي تدعو لها.

س: أين تقف المرأة المسلمة الآن من مؤسسة الأسرة وهموم هذه المؤسسة ؟

ج: للأسف قد تزف الكثير من فتياتنا إلى بيت الزوجية، والواحدة منهن تحمل أوهاماً كثيرة..تظن أنها ستذهب للراحة والتدليل، وما درت أن هذه بداية المسؤوليات، فقد ذهب دور الأخذ الأسري الطفولي وجاء دور العطاء العاطفي والتضحية بالراحة والرغبات لمصلحة كل من الزوج وأهله والأصحاب والجيران..ومن ثم الأولاد.

وتبدأ المشاكل حين تصطدم الفتاة بالواقع الذي لم تهيأ له وقد يطول لسان المسكينة لتثبت أنها ليست بأقل من رجلها فتحول دون الهناءة المنتظرة ويتعلم أطفالها ذلك.

والمرأة الداعية لدينها تعلم أنها إن احترمت زوجها وأحسنت عشرته احتسابا للثواب من الله فهي في عبادة تؤجر عليها.

وإن حفظته في أهله فراعت حقهم وأحسنت إليهم، وإن حفظته في ماله فوضعت كل درهم في موضعه المشروع فهي في عبادة. وهي إن ربت أولادها فأحسنت أدبهم فهي في عبادة يبقى أجرها لما بعد الموت، تعرف أطفالها حق الله،

وتتابعهم في أداء الصلاة تعودهم على مراقبة الله والعمل على مرضاته، تعرفهم حق الوالدين فلا تسمح لأحد بذكر كلمة سوء عن الأب حتى ولو كانت في أشد حالات الغضب. وإلا فهي التي ستتلق التهجمات من ابنها نفسه فيما بعد لأنها قد أورثته العقوق، تحببهم في العلم ومصاحبة الكتب..

وهكذا تجعل من بيتها واحة عطرة تفوح بالخير والفضيلة في أرجاء المجتمع، والمسؤولية للنهوض بالمرأة (فيما أرى) موزعة بالتساوي على أسرنا وإعلامنا ومناهج الدراسة.

س: ما هي الكتب والموضوعات التي تبني شخصية المرأة وتنميها في الأمور التي نرى أنها مهمة لها كمسلمة تعيش في ظروف المجتمعات الإسلامية الآن:

ج: الكتب كالدواء، فكما أنه يوصف لكل مريض ما يناسبه، ويضر به أن يعب من الصيدلية أي دواء. كذلك فلكل امرأة ما يناسبها من الكتب حسب ثقافتها واستعداداتها والغاية التي تريد أن تقرأ لأجلها. وعلى العموم فالكتب التي يشترك الجميع فيها قد تكون:

المرأة بين الفقه والقانون لمؤلفه	د.مصطفى السباعي رحمه الله
كتاب الحجاب – تفسير سورة النور	لأبي الأعلى المودودي رحمه الله
ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين	لأبي الحسن الندوي
واقعنا المعاصر	محمد قطب حفظه الله
قولي في المرأة	مصطفى صبري رحمه الله
الإسلام والحضارة الغربية	د.محمد محمد حسين رحمه الله

المجلات الإسلامية كالبيان مثلاً.

س: باعتبارك تشرفين على المدارس الأهلية للبنات. فما انطباعاتك عن هذه المدارس؟ وما دورها في تربية أبناء المسلمين تربية إسلامية هادفة؟!

ج: للمدارس الأهلية دور كبير في التغيير الاجتماعي سلباً أو إيجاباً. وقد عرف

المبشرون والعلمانيون ذلك، فتخرج من مدارسهم أناس أداروا دفة التوجيه والقيادة في كثير من بلادنا الإسلامية.

واليوم ولله الحمد قد أدرك الكثير من المسلمين أهمية المدارس والتربية فيها، فنشطوا ليسدوا بعض الثغرات، وليقوموا بأمانة تربية الأجيال المسلمة. وأصبح كثير من هذه المدارس يسعى إلى غرس المثل الإسلامية، والقيم الخلقية السامية رغم العقبات التي تلقاها، من قلة الكوادر المؤهلة في الإدارة والتعليم حيناً، أو الصعوبات المالية حيناً آخر، أو تدخل الأنظمة في أكثر بلدان المسلمين لتحد من انطلاقة المدارس الجادة نحو تحقيق أهدافها المرجوة الخيرة.

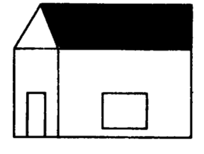
ومهما يكن الأمر فهي معقد الأمل للتربية الإسلامية المنشودة، جزى الله القائمين عليها خيراً.

س: وأخيراً هل لديك نصيحة تريدين توجيهها إلى الفتاة المسلمة؟

ج: نعم أرجو من كل فتاة مؤمنة أن تكون على مستوى مسؤوليتها فالمؤامرات تحاك ضدها فلا تنخدع.

وأن تشعر أنها على ثغر خطير من ثغور الإسلام فلا يؤتين من قبلها.

أن ترتفع فوق جواذب الأرض والتفاهات الفارغة. والموضات الخداعة القاتلة. لأنها ذات رسالة وأية رسالة! إنها إعداد الأجيال المؤمنة. لبنات الحياة الإسلامية. والمجتمعات الجادة على طريق سلف هذه الأمة وما ذلك على الله بعزيز.



من وحي التربية النبوية للأطفال

مؤمنة الشلبي

إذا كانت معظم الحضارات السالفة التي ازدهرت قبل ظهور الإسلام، قد عرفت ألواناً متعددة من التربية طبعت حياتها بطابع يعكس فلسفة كل أمة من تلك الأمم.. فإن الأمة الإسلامية قد انفردت عن غيرها من الأمم بنظام تربوي متميز قادر على تكوين أجيال مسلمة متوازنة، قادرة على تحمل المسئولية الكاملة في تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم هو المربي الأول الذي قام بهذه المهمة التربوية فرسم نماذج تربوية للطفولة لم يسبق لها مثيل في عالم الرعاية بالأطفال حيث كان يشرف بنفسه وبأسلوبه الفريد في تنشئة تلك البراعم التي لم تتفتح، والأغصان التي لم يشتد عودها بعد.

ولم تكن هذه التربية النبوية قاصرة على من يعيش في كنف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، أو من يعيش تحت سقف بيته، بل كان ذلك مبدءاً تربوياً ينتهجه لأمته عامة، ويرسخه لكل الأجيال من بعده ليقتفوا أثره. ويسيروا على منهجه التربوي عملاً بقوله تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله قدوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾ [الأحزاب ٢١].

ولو تتبعنا مراحل المنهج التربوي النبوي في عالم الطفولة لرأينا أن مرحلة التربية تبدأ منذ أن يكون الطفل سراً في عالم الغيب، وذلك ليضمن الأصل الصالح، والمنبت الطيب، والمحضن الأمين، فدعا الزوج لاختيار الزوجة الصالحة التي ستكون مصدر عزة الطفل ومربيته على الفضائل.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تخيروا لنطفكم، فأنكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم»(1) وقال عليه السلام: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»(2). كما دعا عليه الصلاة والسلام المرأة وبنفس القوة إلى إيثار الزوج الصالح الذي سيكون أباً لأطفالها وقدوتهم ومصدر عزتهم فقال تعالى: ﴿**ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم**﴾ [البقرة ٢٢١]. كما قال صلى الله عليه وسلم: « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد، قالوا: يارسول الله وإن كان فيه ؟؟ قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه..ثلاث مرات»(3) وما أن يتم عقد الزوجية حتى يتمثل الزوجان قول الله عز وجل: ﴿**ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما**﴾ [الفرقان ٧٤].

وقبل المباشرة يردد الزوج ما أرشده إليه النبي صلى الله عليه وسلم: «بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا» متفق عليه.

وهذا من باب الأخذ بأسباب التربية الصالحة التي تبعث في الزوجين الطمأنينة على مستقبل أطفال أصحاء روحياً وجسدياً.

١- سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٠٦٧

٢- حديث متفق عليه أخرجه البخاري في النكاح (١١٥/٩) ومسلم برقم ١٤٦٦

٣- أخرجه الترمذي برقم ١٠٨٥ في النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه،

وما إن تستقر النطفة في رحم المرأة، وتبدأ مرحلة تكوين الجنين في بطن أمه حتى يوصي الإسلام بالعناية بالحامل عناية كبيرة من أجل سلامتها وسلامة جنينها فيأمرها بالأخذ بالأسباب العلاجية، والوقائية، والنفسية والروحية، لدرجة أنه يعفيها من فريضة الصيام أثناء الحمل[1]، كما أنه يحثها على قراءة القرآن، والدعاء المستمر، فقد أثبتت التجارب العلمية والعملية أن المرأة المتزنة، والمطمئنة نفسياً، يتصف وليدها بطبيعة هادئة ومتزنة على عكس المرأة المضطربة نفسياً والتي تمارس العادات السيئة.

وبعد الولادة حيث يستقبل الطفل بالفرح والبشارات ومع بداية هذه المرحلة الهامة من حياة الطفل الذي يكون فيها جاهزاً لكل مايعرض عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نبدأ هذه المرحلة بغرس جذور العقيدة وكلمة التوحيد والشهادة من خلال الأذان في أذن المولود اليمنى. فقد أذن النبي الكريم في أذن الحسين بن علي فعن عبيد الله ابن أبي رافع قال: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة»[2]

وحين يبلغ الطفل يوم سابعه يوصي الرسول صلى الله عليه وسلم بتكريمه والاحتفاء به حين يقول: «مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دماً، وأميطوا عنه الأذى»[3]

فيأكل الفقير والأقارب من هذا الاحتفال بقدوم المولود. ويحلق شعره ليماط الأذى عن رأسه، ويتصدق بوزنه من الفضة على الفقراء، والمساكين. والمحتاجين فقد قال صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضي الله عنها حين

١- **(البيان)** : الإسلام لا يعفي المرأة الحامل من الصيام إلا إذا خافت على نفسها أو ولدها من الضرر. فالأمر مقيد والله أعلم..

٢- أخرجه أحمد في المسند (٩/٦) وأبو داود برقم ٥١٠٥ والترمذي برقم ١٥١٤ وقال حسن صحيح.

٣- أخرجه البخاري (٥٠٩/٩) كما في الفتح، وأبو داود برقم ٢٨٣٩ والترمذي برقم ١٥١٥

ولدت الحسين: «احلقي رأسه فتصدقي بوزنه من الورق على المساكين»[1].

وفي هذا اليوم أيضاً ندب عليه الصلاة والسلام تسمية الطفل واختيار الاسم الحسن له حيث قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله، وعبد الرحمن»[2] فكانت هذه أيضاً مكرمة للطفل تساعده على الابتهاج حين يدعى باسم حسن، وتجنبه الاعتزال والخجل فيما لو أسماه إسماً قبيحاً.

ومن أجل ذلك حرص عليه السلام على إبدال الأسماء القبيحة بأسماء حسنة، كما بين لنا أحب الأسماء وأصدقها، وأقبحها.

وهكذا تتدرج العناية بالطفل والاهتمام به، وتربيته بكل أنواع التربية الشاملة من خلال توجيهات نبوية كريمة، في كل مرحلة من مراحل نمو الطفل نفسياً، وجسدياً. بدءاً من التربية العقدية السليمة ومروراً بالتربية الاجتماعية والخلقية، والعاطفية.

ولكن المهم الذي لا بد من ذكره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان نموذجاً فريداً للأبوة الكريمة في حياة البشرية. يفرح بقدوم الأطفال، ويشارك في اختيار أسمائهم، ويحنو عليهم فيمازحهم، ويلاعبهم، ويضمهم إلى صدره الكريم، ويقبلهم بفمه. فإن هذا يعطيهم الجو النفسي للحياة الإنسانية السوية رحمة وحباً وإخاء.

وبذلك كان من ثمار هذه التربية الفذة أن أنشأت جيلاً مثالياً حقاً في إيمانه، وعبادته، وتفكيره، وأخلاقه، ومعاملته.

١- أخرجه أحمد (٦/٢٩٠ و ٢٩٢) والبيهقي في سننه (٩/٤٠٣) وسنده حسن.
٢- أخرجه مسلم برقم ٢١٣٢

عرض لكتاب كيف تخشعين في الصلاة

تأليف: رقية بنت محمد بن محارب

عرض: سمية عبد العزيز

لقد أنسانا هذا العصر المادي - عصر السرعة والجري المتواصل - الغرض من الصلاة فالكثير منا يصلي والقليل منا يخشع مع الأسف الشديد.

نتساءل: ما معنى الخشوع ؟ وما الهدف من الخشوع ؟ والأهم من هذا كيف يتحقق الخشوع ؟ ؟

نجد الإجابة عن هذه الأسئلة في هذا الكتاب: «**كيف تخشعين في الصلاة**».

الكتاب يقع في حوالي الثمانين صفحة من القطع المتوسط، خمسة موضوعات رئيسية بعد المقدمة.

وقد خصص الموضوع الأول منه في فضل الخشوع، ثم تلاه الثاني في ذكر الخشوع قبل الصلاة، ثم الاستعداد للصلاة قبل الصلاة، ثم في أثناء الصلاة وأخيراً: خشوع السلف.

وعند حديث المؤلفة عن أصل الخشوع ذكرت قول ابن رجب: «لينُ القلب. ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره ورقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء لأنها تابعة له».

ثم تقول: «والخشوع يتأتى غالباً للعبد إذا ما بذل أسبابه، كما أن القلب يقسو ويغفل إذا ما تركت أسباب الخشوع».

وبعد ذلك يمضي الكتاب ذاكراً أسباب الخشوع، حيث يخصص موضوعاً لذكر ما يجب فعله استعدادا للصلاة قبل الصلاة. ثم يذكر ما يجب على المصلي أثناء الصلاة.

في هذا الموضوع تقول: «أول مايبدأ به المصلي تكبيرة الإحرام أما كيفية الخشوع بتكبيرة الإحرام فإن عليك أيتها المصلية أن ترفعي يديك حذو منكبيك أو حيال أذنيك متوجهة بباطن الكفين إلى القبلة ممدودة الأصابع ضامة لها، تشعرين وأنت بهذا الحال بالاستسلام التام لرب العباد، واستشعري أنك إذ ترفعينها تستسلمين لله الذي خلقك وهو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه سبحانه، كيف بمن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، يأمرك أن تستسلمي وتقفي بين يديه ذلاً وخضوعاً له رافعة يديك معلنة التسليم التام له. متخلية عن كل شيء في يديك أو تملكينه فالأمر أعظم من أن تتمسكي بشيء من أمور الدنيا فهذا وقوف بين يدي من بيده كل شيء كيف يمر عليك التكبير والمال هكذا بسهولة !!

ثم تنطلق كلمة التسبيح والحمد لمن هذا شأنه، فتقولين: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك».

وأنت في قيامك هذا تقفين موقف الذليل الخاضع. تضعين يدك اليمنى على اليسرى على صدرك بكل استكانة لمن أوقفك هذا الموقف، وسيوقفك الموقف الرهيب يوم القيامة، تنظرين إلى موضع سجودك بكل إطراق وتفكر فيما توردين من ألفاظ مقتدية بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان إذا صلى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض.

تخشين أن ينصرف الله عنك وتستحضرين قوله عليه الصلاة والسلام: «فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وقوله: «لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت، فإذا صرف وجهه انصرف عنه».

ويمضي الكتاب في ذكر الأسباب الجالبة للخشوع أثناء الصلاة سواء في القراءة أو في الركوع أو في السجود أو في التشهد، ثم تذكر الأذكار التي تقال بعد السلام.

هذه نبذة يسيرة علها تكون دافعاً لقراءة هذا الكتاب القيم.

قليلا من العاطفة..ودعونا نفكر أكثر !

أحمد بن راشد بن سعيّد

بعد غزو صدام للكويت كان الرد الإعلامي في الدول العربية المستهدفة من الغزو عاطفياً إلى حد كبير..وكانت الصحف والمجلات لا تكف عن نقد صدام حسين والتشهير به..وأغفلت كثيراً التحليل الموضوعي، والمعالجة المنهجية للأزمة.

وقد يكون مفهوماً أن يستجيب الإعلام عاطفياً للأزمة في أيامها الأولى. فيبدي امتعاضه واستهجانه للغزو والقائمين به، ولكن هذا لا يكون هو الشغل الشاغل للصحافة طوال أيام الأزمة..وقد لاحظنا كماً هائلا من رسوم (الكاريكاتير) الساخرة بشخص صدام حسين، وقصائد نبطية تملأ أعمدة الصحف..وكان استمرار نشر هذه الرسوم والقصائد بعد انقضاء الأيام أو الأسابيع الأولى للصدمة أمراً لا يخدم القضية..وكان الأولى هو تنبيه الرأي العام إلى أن القضية ليست شخصاً يظهره (الكاريكاتير). على أنه حيوان أو مجنون، وإنما القضية قضية حكم فردي دموي جائر، يتبنى طروحات وعقائد دخيلة على المسلمين.

كانت مساحات التحليل والنقاش، ومعالجة أسباب الأزمة واستقاء الدروس محدودة جداً، وتكاد تكون غائبة إذا قورنت بمساحات الغضب والانفعال والتهكم بحاكم العراق ومؤيديه..

غير أن هناك نوعاً من الإعلام برز خلال الأزمة، واتسم بالموضوعية والتعقل والطرح المتوازن، وهو إعلام المساجد أو الخطب والمحاضرات التي ألقاها بعض المشايخ وطلبة العلم حول الأزمة..وقد استقطب هذا الإعلام اهتمام الجمهور.

وكسب احترامه، مما حفز كثيراً من الناس لتسجيل أشرطته وتداولها.. لكن بعض الصحفيين والكتّاب الذين تسوقهم العاطفة أكثر من التفكير التحليلي أو المنهجي، لم يعجبهم انتشار وشعبية الإعلام «المسجدي»، وحاولوا مقاومته والتحريض عليه باسم العقلانية والمنهجية، وكان أحد هؤلاء الدكتور عبد الله الفوزان..

فقد كتب الدكتور في مجلة اليمامة (العدد ١١٢٣ ٧ ربيع الأول ١٤١١هـ)، مقالاً عن أزمة الخليج بعنوان: «كفى عواطف..ودعونا نفكر»..حذر فيه من خطورة ما وصفه «بالإعلام السري» الذي «يتسرب في الظلام فلا يراه أحد»..ومثل له «بالأشرطة»..وعزا انتشار هذا النوع من الإعلام إلى ضعف ما وصفه «بالإعلام العقلي الرسمي».

ووضح الدكتور الفوزان رأيه أكثر فقال ان أحاديث بعض الاخوة في (المساجد وحلق الذكر والمجالس الخاصة) «لا تصمد للعقل الفاحص» و«تحمل قدراً كبيراً من الخطر على بعض السامعين البسطاء الذين يثقون أكثر مما يفكرون»..وعبارات الدكتور تشير بشكل واضح إلى أحاديث لبعض المشايخ وطلبة العلم حول الأزمة، وتحذر من تأثير سلبي محتمل لهذه الأحاديث على عامة الناس، لسبب جوهري وهو «مصداقية» هؤلاء المشايخ. وتقبل الناس لكلامهم..ودعا الفوزان إلى مناقشة آراء هؤلاء في وسائل «الإعلام العقلي»، حتى يتحصن الناس ضد ما وصفه «بالآراء الخاطئة والتحليلات البعيدة عن الصواب. التي يبثها الإعلام العقلي السري» !

وقد تجاهل الفوزان – تحت تأثير عاطفته المحضة – أن المساجد كانت ولا تزال أماكن اجتماع المسلمين، وملاذهم في الخطوب. يناقشون فيها مشكلاتهم. ويقترح فيها العلماء والخطباء حلولاً لهذه المشكلات، صادرين عن أصلين عظيمين هما الكتاب والسنة، ومستشهدين بالتاريخ والآثار وأحوال الأمم الغابرة والحاضرة..فإذا كان الدكتور قد عنى بالإعلام العقلي التحليل الموضوعي، والنقاش المبني على المسببات والنتائج. والحلول والدروس. فإن المسجد هو المكان الأصلي والطبيعي لمثل ذلك. إذ أنه أقدم وأشهر وسيلة إعلامية في التاريخ الإسلامي.. وهذا بالطبع لا يعني التقليل من أهمية وتأثير الاعلام الحديث، إذ ينبغي أن تعمل الصحيفة والاذاعة والتلفزيون جنباً إلى جنب مع المسجد في أداء

وظيفة الإعلام والاتصال وتبادل وجهات النظر..ولا ضير أبداً من حديث أهل العلم في المساجد وحلق الذكر، ولا خوف على الناس عامتهم وخاصتهم من ذلك، بل الخوف هو من هذه النظرة الدونية إلى إعلام المساجد، والتي تقلل من فرص الإبداع والحوار، والمشاركة الجماعية، وإثراء الرأي العام..

والغريب في الأمر أن الدكتور وأمثاله من دعاة العقلانية والمنهجية، يدعون إلى تكريس هيمنة إعلام واحد فقط، ويحذرون من آثار سلبية مزعومة للإعلام الأصلي النابع من ديننا وحضارتنا، وهو تحيز يقف بلا شك ضد العقلانية السوية!

إن عبارات «الإعلام السري» الذي «لا يصمد للعقل الفاحص» و«يتسرب في الظلام فلا يراه أحد»..هي عبارات مشحونة بالعاطفة والهوى، وليس فيها من العقل الفاحص ولا الناقص ذرة !

إن الدعوة ينبغي أن تكون لتوسيع نطاق الاعلام «المسجدي» والسماح له بإثراء الرأي العام، وتصحيح الأخطاء القائمة.. كما ينبغي أن تكون لتصحيح مسار الصحافة المغرقة في التنفيس العاطفي، وتوجيهها لكي تفسح مساحات أكبر للنقاش الموضوعي، والنقد الذاتي، ووجهات النظر الأخرى.

لقد كشفت أزمة الخليج عن ضحالة كبيرة في الإعلام العاطفي وضيق أفق لدى بعض أربابه، الذين يريدون وأد أصوات العقل والعاطفة، المنضبطة بحدود الشرع..كما كشفت عن قدرة الاعلام المسجدي (الذي تتميز به الأمة الاسلامية) على الاتصال بالناس، والحوار معهم، وتحفيز مشاركتهم، وتوعيتهم وتثبيتهم..

بقي أن نقول: إن مهمة الاتصال بالمجتمع ليست حكراً على مؤسسة واحدة، ولا «دكتور» أو «رئيس تحرير» بعينه، لا سيما إذا كانت الآراء التي يراد إيصالها شاذة مستوردة، ومن النوع التحريضي العاطفي الصرف..

قليلاً من العاطفة إذن..

ودعونا نفكر أكثر !

المواعيـــــد

د.خالد الموسى

سبحان الله لقد أصبح مثلاً أن يتخاطب شخصان عن موعد بينهما بتساؤلات غريبة: هل هذا الموعد عربيٌّ أم افرنجي ؟

ذلك لأن الموعد العربي (حسب زعمهم) متصف دوماً بالتأخير واللامبالاة والاستهتار بل والإخلاف بالوعد على نقيض الموعد الإفرنجي أو الانكليزي بالتحديد الذي يعني دوماً وللأسف دقة الموعد وضبطه..حتى صار مجالاً للمدح والإطراء..

إنه لمؤسف جداً أن يتسم أعداء الإسلام ببعض صفات الخلق الاجتماعي كالوفاء بالوعد والالتزام بالاتفاق وأقول للحق إن هذا الأمر فيما يخص المواعيد واللقاءات وتحديد الزمن فيها موجودٌ عند غالبيتهم العظمى..

ومقارنة لهذا النظام السائد بينهم وبين غيرهم نجد العكس تماماً فغالبية شعوبنا لا قيمة للوقت عندهم..سواء تأخر الشخص ساعة أو ساعاتٍ أحياناً أو يهمل الموعد وينساه أو يتناساه وما أكثر ذلك..وسيان عنده الأمر إن حضر للموعد والتزم بالوقت أو تأخر أو غاب عنه وتخلف..ويقول لك: ماذا يعني هل خربت الدنيا واندثر العالم بهذه المخالفة وهذا التأخير..فيأبى في أعماق نفسه حتى عن الاعتذار وإظهار الاسف عن التأخر أمام الآخرين مراعاة لشعورهم وأحاسيسهم وتحرجهم وإحراجهم من هذا التأخير وهذا الارتباط بالموعد..

نسي الكثيرون أن الوقت ليس ملكهم خاصة..وأن المواعيد ملك للمتعلقين بهذا الوعد..وقد يترتب عليها مفسدة بل مفاسد وأضرار تضر بالمصالح العامة أو الشخصية..قد تلغي أو تؤجل اجتماعات..وقد يترتب عليها خسارات مادية واعتبارات شخصية..وخللٍ اجتماعي...ويكفي أن يتصف هذا الشخص أو ذاك بأنه كذاب وأنه يخلف الوعود..وهذه صفة من صفات المنافقين..يقول عليه الصلاة

والسلام: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

وللإنصاف نقول من جهة أخرى: مازال البعض وخاصة من حملة الرسالة وحملة الدعوة الصادقين الملتزمين يحترمون هذه الأوقات ويلتزمون المواعيد والارتباطات ويحثون الناس على احترام المواعيد والمواثيق. وتجدهم أسوة حسنة ومرآة ناصعة أمام الجميع.

إنها لمفارقة عظيمة أن نستمر في هذه الفوضى وأن نعيش بعيداً عن معتقداتنا ومنهجيتنا وسلوكنا القويم وتربيتنا الصحيحة السليمة. إنها لمفارقة أن نعترف لأعدائنا بأنهم يتسمون بالنظام وضبط المواعيد ولأنفسنا بالفوضى واللامبالاة والتخلف عن المواعيد..

مفارقة أن لا نحاول ترك الكذب والمراوغة في حياتنا وسلوكنا اليومي وأن ندع الآفات الاجتماعية برمتها تتراكم متثاقلة فوق أجسادنا وترسخ بكامل وزنها وثقلها فوق عاتقنا حتى توصلنا إلى مرحلة اليأس من التغيير، والإذعان للأمر الواقع.

إنه لجديرٌ بنا ونحن أمة القرآن وأمة الإسلام أن نسترد عزيمتنا ونقوم سلوكنا ونربي أنفسنا ونغير منهجنا لما يرضي الله عز وجل ووفق منهج الحق والصلاح والاستقامة وأن ننشئ الجيل القادم على الفضيلة والصدق والوفاء وأن نتمثل ذلك فينا لنكون قدوة حسنة وأسوة طيبة.

إنه لحريٌ بكل [illegible] أن يغير ويبدأ الإصلاح بنفسه ويعاهد الله بالالتزام بالمواعيد والتقيد بها بدقة أ[illegible] يجاهد نفسه على تنظيم أوقاته وارتباطه مع الآخرين ووالله سيجد لذة ومتعة حينما يجد نفسه التزم مع الآخرين والتزم الآخرون معه، وعرف قيمة الوقت وتنظيم الساعات..وهذا لا يكلف الكثير..مرات ومرات من المحاولة والاعتياد. فيجد نفسه سار في درب النظام وتعود على دقة المواعيد وأصبحت جزءاً من حياته اليومية وأصبح قدوة لغيره.

قال تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾

أزمة الخليج..حولها ندندن

مع أن هذه الأزمة كانت فتنة، ولكن قد تلوح الحمرة قبل الفجر، وأمل المسلم بالله كبير.

إن الذين حاولوا استخدام الدين لمصالحهم الشخصية، أو لإبعاد تأثيرات الأزمة إنما كانوا يعلمون أن الإسلام في الحقيقة هو محرك الشعوب. وهو الذي يهز المشاعر وقبل هذا ما كانوا يأخذون رأي الدين.

حتى أن (بوش) حاول إبعاد الدين عندما قال: «الحرب ليست حرب أديان أو حرباً مقدسة..» وذلك لعلمه بتأثير الدين وكل يتكلم من زاويته التي يراها مناسبة.

إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم. وما جاءت هذه الفتنة إلا لأن الصحوة الإسلامية عمّت واشتد عودها واستوت على سوقها. واشتدي أزمة تنفرجي..

عبد الحليم صالح البراك

ضوء في طريق الغرباء

بدأ الوحي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الهزة الشديدة العنيفة. وكأنها تهيئة له صلى الله عليه وسلم لاستقبال ذلك الأمر الضخم ليكون عليه الصلاة والسلام في قمة الانتباه والصحو.

ثم يأتي أول أمر، أول توجيه، أول كلام الله عز وجل إلى رسوله الكريم وإلى البشر أجمعين ﴿إقرأ﴾ يأتي دعوة قوية للقراءة والعلم..قراءة الكون والحياة، قراءة الإنسان والكائنات، قراءة السنن والأوضاع والأحوال. قراءتها على هذا النحو ﴿باسم ربك الذي خلق﴾ باسم الله سبحانه الخالق المبدع، اقرأ هذه الآيات ولكن بالنظرة الجديدة بالإخلاص الكامل والتجرد لله الواحد. اقرأ كل هذه الآيات ولكن من خلاله سبحانه بالتصور الذي يوحيه ويرضاه، اقرأ وزن ولكن بميزان الله، وانظر وشاهد ولكن من خلاله سبحانه..إخلاص كامل، ونقلة بعيدة..

هذا هو الطريق وتلك أولى خطواته، طريق تقوم خطواته منذ بدايتها على الجادة واليقظة والانتباه بل على قمة هذه المعاني تسير يدفعها الإخلاص والتجرد لله سبحانه..هذا هو الطريق إخواني فهل نحن سائرون ؟!

نعلم إخواني إن الاستمرار على الجادة شيء صعب، وإن الارتقاء ومداومة اليقظة والصحو شيء كذلك صعب يحتاج إلى عزيمة لا تنضب، كما أن الإخلاص ومتابعة النفس وشهواتها والتجرد لله تعالى شيء يحتاج إلى صلة دائمة بالله تبارك وتعالى وذكر دائم، وأن كل هذا في إجماله يحتاج إلى صبر لا ينفذ.

لهذا فأول ما يحتاج إليه الإنسان بعد أن يضع قدمه على الطريق ويخلص النية والقصد ذلك هو الزاد..فتعالوا معي إخوتي لنرى ما الذي وجه الله تعالى إليه نبيه الكريم ليستطيع حمل التبعة والأعباء العظام. تعالوا لنرى ثم لنحاول أن نحمل أنفسنا على مثله، عسانا نصدق في اقتفاء الأثر الكريم لذي الخلق العظيم على درب رب العالمين. في محاولة لبعث الأمة من جديد بعد إزالة الغربة على طريق التمكين لدين الله ربنا رب العالمين.

كان من أول التوجيهات تلك التي جاءت في أول سورة المزمل وأول سورة المدثر، فكانت دعوة إلى قيام الليل والتهجد، وترتيل القرآن الكريم كلام الله

رب العالمين، وكانت دعوة لذكر أسماء الله وصفاته والتسبيح والتبتل إليه والخضوع لجنابه، وكانت دعوة للتوكل عليه والخلوص إليه سبحانه فهو مالك الملك رب المشرق والمغرب بيده الأمر كله وهو فعال لما يريد، ثم كانت الدعوة إلى الصبر والاحتمال، هذا مع الاعراض عن سبيل المجرمين وفي الحقيقة أن كل هذا من قيام وترتيل وذكر وتبتل وحسن توكل يحتاج إلى صبر تتقاصر دونه الهمم الضعيفة وترتعد منه الأوصال الهزيلة في حين أن من يقوم بتلك الأعمال فإنه يزداد يقينه وتثبت أقدامه وبالتالي يزيد صبره فهي حلقات يسلم بعضها إلى بعض، وهي في مجملها الزاد والنبع الذي لا ينضب.

آخر يوم في حياة الداعية

إن الدعاة إلى الله لهم منزلة من أعلى المنازل ذلك لأنهم لا يستوحشون من قلة السالكين ولا يغترون بكثرة الهالكين. عرفوا أن الأمة الإسلامية جاء دورها لتحقيق ما أراده الله منها، وإذا كان الداعية بهذه المثابة فما هو آخر يوم في حياته؟ إنه اليوم الذي يتخلى فيه عن أعز ما يملك، يتخلى عن دعوته إنه يوم مظلم قاتم. لأن سقوط الداعية سيتعدى ضرره إلى غيره ويثقل كاهل الدعوة ويزيد من أعبائها. عدا ما تحدثه هذه الظاهرة من شروخ وتصدع في بنية العمل الإسلامي. ولعلي أذكر سبباً من أسباب هذا النكوص فمنها:

١- ضعف في الجانب التربوي حتى تطغى الجوانب الإدارية والسياسية على كل شيء مما يجعل الإداريين مقطوعي الصلة بالتربية والشؤون التربوية نظرياً وعلمياً.

وهنا يبرز صنف يقال عنهم بأنهم فوق التربية إنهم تجاوزوا مرحلة التربية، وهذا غير صحيح.

٢- عدم وضع الفرد المناسب في المكان المناسب مما يؤدي إلى الفشل أو الخسارة.

٣- عدم متابعة التأهيل التربوي إما تكاسلاً أو أن القاعدة العريضة من الجماهير أكبر من الإمكانيات.

٤- طبيعة غير انضباطية، فهو لا يطيق القيود، ويريد المحافظة على كيانه وشخصيته كما هي وما فيها من عيوب ونقائص.

٥- الوهن والخوف على الرزق، أو حب الدنيا والتكالب عليها.

٦- حب الظهور وقديماً قيل «**حب الظهور يقصم الظهور**» وهذا الغرور يقوده إلى التطلع للرئاسة ويرى أنه أفضل الموجودين.

٧- ضغط المحن والأهل والأقربين.

وأخيراً لابد من ذكر بعض القواعد الهامة:

١- إن الداعية لا يسوغ له أن يمنح نفسه إجازة من العمل للدعوة.

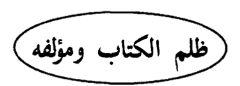
٢- إن من سنة الله عز وجل أن هذا الدين لا يتحقق في واقع البشرية إلا بالجهاد البشري، وذلك يجعلنا نسعى دائبين لتحقيق هذه السنة الربانية.

٣- إن هذا الدين عزيز وغال لا ترتقي إليه همة الضعفاء العاجزين.

٤- إن الله تكفل بحفظ هذا الدين ولو كره الكافرون، طال الزمن أو قصر.

٥- إن نكوص البعض عن الدعوة لا يزيد النفوس المؤمنة إلا مضاء وثباتاً. وهذه هي طريق الأنبياء.

سعيد بن محمد القحطاني



ظلم الكتاب ومؤلفه

التقيت قبل مدة بمجموعة من الشباب الطيب، الذين نحسبهم يحبون الدعوة، ويبذلون في سبيلها كل غال ورخيص (ولا نزكي على الله أحدا)، فأحببت أن أقدم إليهم كتاباً قيماً يستفيدون منه في حياتهم الدعوية، فسألني أحدهم عن اسم المؤلف فقلت: فلان بن فلان وبعد أن علم اسمه غضب وقال: ألا تعلم من هذا إنه كذا وكذا وبدأ يذكر مساوئ ذلك المؤلف قلت له متسائلاً: أقرأت للمؤلف كتاباً ولاحظت فيه تلك الأمور قال: لا فأنا لا أقرأ له ولكن سمعت فلاناً يقول ذلك.

عند تلك اللحظة تذكرت ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الشيطان الذي حاول أن يسرق من مال الصدقة، أنّه قال لأبي هريرة «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنك لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح» فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أما إنه صدقك وهو كذوب».

وكان مما يستفاد من ذلك الحديث أمرين:

الأول: أن أبا هريرة رضي الله عنه. قد استفاد من الشيطان. وهو شيطان رجيم مدحور مذموم. فكيف الشخص يترك مؤلفاً لا لسبب. إلا لأن أحدهم قد ذم المؤلف أمامه !! فكيف إذا كان هذا المؤلف من الدعاة الصادقين ولكن بعض الناس لجهل أو لحسد يتكلمون فيه. اللهم هذا ظلم لا نرضاه.

الثاني: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وقف وقفة الحق فقال قد صدقك في هذه يا أبا هريرة ولكنه كذوب.

أبو مالك - الأردن

مع القراء

١- تصلنا لزاوية الأدب والشعر قصائد تدل على صدق قائلها وتألمه لحالة الأمة الإسلامية ولكن غالب هذه القصائد تحمل نغمة الحزن والتشاؤم، وذكر مصائب المسلمين في كل مكان.

ونرى أنه لا يجدر بالمسلم أن يكون نواحاً و يمكن أن يسخر الشعر لنقد الواقع أو تحليل شخصية الإنسان في العالم المعاصر أو دفع المسلم بقوة ليحتل مكانه الذي يجب أن يكون عليه...!

٢- كما تصلنا رسائل من بعض الأخوة القراء، يشكون فيها من غلاء سعر المجلة، ومع أن هؤلاء الشاكين ممن يملكون قوة شرائية بفضل الله فنحن نستغرب جداً، أن تثار هذه المسألة، لأنه لا مقارنة بين مجلات مدعومة من الحكومات أو المؤسسات الحكومية وبين مجلة مستقلة. ومن المؤكد أن هؤلاء الأخوة مع حرصهم على الخير لم يعلموا بأسعار المجلات التي هي مجلات فكرية ولم يروا هذه المجلات وإنما يقارنون بمجلات في بلادهم.

٣- لا يزال بعض القراء يثير مشكلة الألوان والغلاف، ونحن نعلم سبب هذا الإشكال عندهم، إنهم لا يعرفون طبيعة **البيان** فهم يطلبون منها أن تكون من المجلات الأسبوعية الإخبارية الملونة. و**البيان** مجلة فكرية شهرية.

بريد القراء

الأخ عثمان عبد الرحمن أبا بطين - الرياض -

أرسل إلينا كلمة عن هيئة الأمم المتحدة ودورها في مساعدة الأقوياء وعدم الاهتمام بالضعفاء، وأن صياح الضعفاء وكثرة شكاويهم لا يجدي فتيلاً.

الأخ علي الزهراني

أرسل لنا قصة مع أناس أراد نصيحتهم فلم يقبلوا، وردوا عليه رداً قاسياً.

البيان: جزاك الله خيراً يا أخ علي على نصيحتك، ولكن يجب أن تعلم أنه ليس كل الناس يستجيبون للنصائح فهناك صنف من البشر لا يستعمل عقله ولا يفكر ولابد أن تأطرهم على الحق أطراً، ولذلك شرع الجهاد والأمر بالمعروف، والأخذ بأيدي الناس، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

الأخ يوسف بن محمد يوسف - الخبر -

أرسل كلمة قصيرة يتساءل فيها هل تعلمنا الدرس من واقع الأزمة، هل سيتغير واقع حياتنا، ثم يدعو شعوب المنطقة إلى الرجوع إلى الله، والاعتماد عليه، وترك القوانين الأجنبية.

الأخ عبد القادر بولبداوي - الجزائر -

أرسل لنا رسالة مطولة يتكلم فيها عن الإعصار الإعلامي الموجه ضد الإسلام وهو مبني على دراسات ماكرة متقنة، ويدعو المسلمين للاهتمام بالإعلام وكل وسائله المرئية والمقروءة، واستخدام كل التقنيات العلمية سواء في الجانب الفني أو الموضوعي، حتى يكون التأثير واضحاً وقوياً، كما يدعو إلى إقامة ندوات ومؤتمرات حول هذا الموضوع.

أخبار حول العالم

زار تونس - في الأيام الأخيرة - الجامعي الفرنسي المختص في العلوم السياسية الأستاذ موريس ديفيرجيه، وشارك في الندوة التي انتظمت هناك عن: « التحولات الديمقراطية في العالم اليوم ». وكان ديفيرجيه المتدخل غير العربي الوحيد الذي تعرض للحركات الإسلامية في أحد تعقيباته التي استرعت الانتباه. قال: «إن ظاهرة الحركات التهامية» (Integrisme) المتنامية عندكم (يعني في المجتمعات الإسلامية) تشبه كثيراً ما عاشته أوروبا خلال الفترة الفاصلة بين الحربين عندما برزت على السطح الحركات الفاشية والنازية أو الستالينية. وقد انتهت هذه الحركات إلى القضاء على الديمقراطية. لهذا أرى أن مسألة الاعتراف بالتنظيمات الإسلامية الأصولية مرهون بحجمها. فإن كانت محدودة التأثير صغيرة الحجم فلا خوف من تشريكها. لكن إذا بلغت من النمو ما من شأنه أن يهدِّد ميزان القوى السائد، يجب إقصاؤها حتى لا تستفيد من النظام الديمقراطي الذي تؤمن به. **(مجلة منبر الحوار)**

تعليق: ويبدو أن حكومة تونس قد أخذت بهذه النصيحة الغالية التي يقدمها «ديفيرجيه» وتعمل بكل أمانة على وضعها موضع التطبيق، وبقدر قيمة الناصح يكون الحرص على تطبيق نصيحته، ولا أحد أعز ولا أليق من أن توضع نصائحه على الرأس والعين - عند علمانيي تونس وتلاميذ بورقيبة من رجل فرنسي المولد والنشأة والهوى.

● ● ●

في تونس اكتشفت مصلحة الجمارك شبكة لتهريب الذهب إلى روما وباريس ويشرف على هذه الشبكة يهود في داخل تونس ويهود أوربيون وكانوا يجمعون الذهب في جزيرة جربة، ثم يصدرونه إلى إيطاليا وتتوقع الحكومة أن يكون هناك عدد أكبر من هذه الشبكة ضالعين في العملية.

الأسبوع العربي ١٥/٤/٩١

٤٣٧

مثل البالون المثقوب !

حسن القارئ

تعجبت من أمرنا..وأنا أسمع يوماً خطيب الجمعة يخطب وقد انتفخت أوداجه واحمرت عيناه من الغضب والحماس..وجزاه الله خيراً على ذلك..إلا أنني فكّرت في الأمر فوجدته لا يعدو أن يكون مثل النفخ في بالون مثقوب..وأعني بذلك أن من عادة الناس أن يقف بعضهم حماساً وتجاوباً مع الخطيب وهو يخطب..ولكن سرعان ما يخبو ذلك الحماس، كما يخرج الهواء من ثقب في بالون منفوخ..

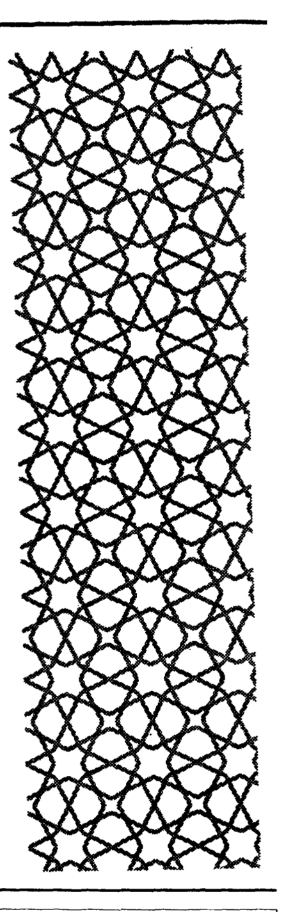
والأمر في الحقيقة له جانبان:

الجانب الأول: الخطيب نفسه..فهناك فرق بين خطيب معلم مربي وبين خطيب جل أمره انتفاخ أوداج واحمرار عينين..

فالأول يسير في أمره بحلم ورفق وأناة..يرسم إطاراً ومنهجاً ثابتاً يكون ارتفاع الحماس فيه وانخفاضه ضمن ذلك الإطار وذاك المنهج..فيشد الحبل متى أرخوا ويرخي الحبل متى شدوا..خشية أن ينقطع..فلا يعود يستطيع توصيل وإبلاغ الحق.

والثاني..يسير في أمره نتيجة انفعالات وانبعاجات نفسه..فإن أصيب بإحباط نقل في خطبته مشاعر الإحباط..وإن أصيب ببلوى في نفسه أو أهله أو ماله صور الدنيا وكأنها دار خربة لا خير فيها..وإن طابت نفسه وزان عيشه توردت وجنتاه وطابت كلماته وخفت وطأتها على النفوس..

والجانب الثاني..السامع للخطيب..فهو إما موسوس يظن الخطيب يعنيه، وإما عاطفي يلهبه الحماس وليس بعد الخطبة عمل فسرعان ما يخبو، وهؤلاء كثير، وإما ناقد لا يعجبه العجب، أو عاقل حليم يترك الغث ويأخذ السمين..يرتجف قلبه وترتعش مشاعره ولكن تدمع عيناه ويزيد إيمانه..أن الفرج مع الكرب وأن النصر مع الصبر..



البيان

العدد الحادي والأربعون
محرم ١٤١٢ هـ
٧ / ١٩٩١ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن
المنتدى الإسلامي
لنـــدن

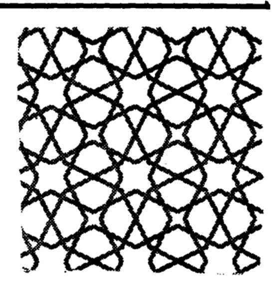
رئيـس التحـرير
محمد العبـدة

العنـــوان
AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 736 4255

٤٢٥



المحتويات

قالوا وقلنا

قالوا: إن الأوطان تبنى بالمشاركة وتعاون جميع فئات المجتمع ، ولا يتصور قيام مجتمع إلا بمساهمة كل أفراده - كل حسب طاقته وتخصصه - في عملية البناء والتنمية.

قلنا: نعم، وهذا هو عين ما نفتقده في مجتمعاتنا الإسلامية التي لا يصنف الإنسان فيها على حسب جدارته ومواهبه الفردية؛ بل على حسب أمور أخرى: كالنسب، والجاه، والمال، ومدى قربه من أصحاب السلطان...ولذلك فإن الوقت قد حان للخروج من أسر هذه المعوقات والمثبطات التي أصبحت غير صالحة في هذا الزمن الذي اقتنع فيه جل سكان الأرض أن هذه المقاييس لا تبني بل تهدم، وهذا المعنى هو الذي يلح عليه العاملون في الحقل الإسلامي في كل مكان، مع اختلاف بينهم وبين غيرهم في أنهم يريدون تحكيم الإسلام واستلهام مبادئه وآدابه.

قالوا: ولكن من يفسر الإسلام، ولماذا تنصبون أنفسكم متحدثين باسم الإسلام؟

قلنا: إن الإسلام - بحمد الله - دين محفوظ الأصول، ويفسره علماؤه الذين ترتضيهم الأمة. وليس لأحد أن يحتكر حق التحدث باسم الإسلام،

بل كل مسلم أنس من نفسه القدرة على التوجيه والنصح فله ذلك، (إذا كان منضبطاً بالأصول المتعارف عليها)، فإن أخطأ رد الناس عليه، وبينوا خطأه.

لكننا نرى أن هذه العبارة: (احتكار التحدث باسم الإسلام والوصاية عليه) قد أصبحت قالباً جامداً من القوالب الجاهزة التي ترمي في وجه كل من يدعو إلى الإصلاح ومحاربة الفساد مستنداً إلى تعاليم الإسلام، فكلما أمِرَ بمعروف أو نُهِيَ عن منكر قوبل من يستند إلى هذا الأمر المشروع بهذه التهمة = تهمة الاحتكار والوصاية، وهذا أسلوب معروف في المداورة والمناورة، فعندما لا تستطيع نكران الحق فالجأ إلى تجريد من ينطق به من الشرعية التي يستند إليها، وعندما تفعل ذلك سوف لن تظل وحدك في مواجهة هذا الحق؛ بل سينضم إليك جموع وأفراد من دعاة الحق أنفسهم، وهذا هو ما يفعله العلمانيون في حربهم للإسلام ودعاته في بلادنا، وهكذا فإن هؤلاء العلمانيين لا يحبون أن يظهروا وحدهم في جبهة، ودعاة الإسلام في جبهة أخرى، بل يفضلون أن تكون المعركة في صورتها الظاهرة بين فريقين أو أكثر من المسلمين، وفي الوقت الذي يؤرثون نار العداوة بين طوائف المسلمين ويذكونها بشتى الحيل؛ يظهرون بمظهر الآسف أحياناً لما يجري، وبمظهر الحكم الذي «تدارك عبساً وذبيان بعدما تبزل ما بين العشيرة بالدم»![1]

قالوا: إن ما ترونه معروفاً أو منكراً قد تخالفكم طبقات من الناس في اعتباره ذلك، وعندما تلجأون إلى إقرار ما ترونه حقاً ومعروفاً وإنكار ما ترونه منكراً وباطلاً فإنكم تتدخلون في حرية الآخرين وهذا هو الإرهاب الفكري.

قلنا: إذن هو اختلاف على تحديد معاني الألفاظ، ونحن نرضى أن يكون للألفاظ التي نستخدمها معانٍ محددة لا رجراجة، ونكره التلاعب بالألفاظ.

١- تضمين لمعنى بيت زهير في معلقته في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف:

تداركتما عبساً وذبيان بعدما ... تبزّل ما بين العشيرة بالدم

٩٢٤

والرضا بمعانيها في حال، والنكوص عن الاعتراف بها في حال أخرى، وهذا ما ننقمه على أصحاب الشعارات التي ترفع ثم تفرغ من محتواها، وما نكرهه في لغة السياسيين تلامذة «ميكافيلي» والشيطان، فنحن لا نبتكر معروفاً من عند أنفسنا ولا نختلق منكراً، كما لا نحول محرماً الى معروف، ولا حقاً الى منكر. بل المعروف والمنكر معنيان لهما في حس المسلم وشعوره ولاشعوره معانٍ وجذور لا تزيلها السفسطة، ولا تمحوها الأجهزة الإعلامية على اختلافها وجبروتها، فهي من الحق القديم الذي لا يمحوه الباطل بهيله وهيلمانه، فالمعروف ما عرفه الشرع، والمنكر ما أنكره الشرع. وهذه حقيقة بسيطة وسهلة، وكلما حاول المحاولون الدوران حول هذه الحقيقة، أو استبدالها بتعريف لا تعرفه الأمة؛ ولا يلامس شعورها؛ فإن عاقبة ذلك مزيد من عدم الثقة، ومزيد من المعاناة لأكبر عدد من أفراد المجتمع، وباختصار؛ كل محاولة لاستيراد مفاهيم جديدة لا عهد للأمة بها، ولا تمثل شيئاً لها سوف ينعكس أثرها آلاماً وفقدان أمن، وركوداً في جميع المجالات.

قالوا: أنتم لا تريدون الديمقراطية، وإنما تستغلونها من أجل الوصول الى الحكم، فأنتم قوم متعطشون الى السلطة، وتتخذون من الديمقراطية سلماً لذلك، وإذا وصلتم الى ما تريدون سوف تحكمون حكماً استبدادياً، وسوف تتسلطون على غيركم، وتنتهكون حقوق الإنسان ولهذا فمن الطبيعي والمشروع لمؤسسات المجتمع والدولة أن تقف في وجهكم.

قلنا: هذا هو أسلوب فرعون في الجدل، الذي قصه الله عز وجل علينا بقوله: ﴿وقال فرعون: يا أيها الملأ، ما علمت لكم من إله غيري، فأوقد لي يا هامان على الطين، فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع الى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين ۞ واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق، وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ۞ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم، فانظر كيف كانت عاقبة الظالمين﴾ [القصص ٣٨-٤٠].

إن في قولكم هذا من المغالطة قدراً كبيراً، وكأنكم حينما تلقون بهذا الكلام تصفون أنفسكم بغيركم، وتنتزعون صفات المظنون من المحقق.

أما المظنون فهو أن يكون من يلحون بتحكيم الإسلام لهم شأن مؤثر بموسسات الحكم في هذا القرن الأخير على الأقل، فقد أبعدوا وأهملوا قسراً وعمداً، وعملت القوى التي ترى في الإسلام عدوها الأول على تشويه صورتهم بكل ما أوتيت من قوة وحنكة ووسائل.

وأما المحقق فعلى العكس من ذلك، إذ وليّت الأمور إما الى من ليس يعنيه شأن الشريعة الإسلامية بقليل أو كثير؛ وإما من اعتبر أن مهمته الأساسية كبت هذه الشريعة ومحاربتها، واعتقدَ أن الأمة لن تنهض إلا بتخليصها من كل أثقال الماضي ورواسبه المتخلفة بزعمه. ولا يمكن لأحد أن يزعم أن الشعوب العربية والإسلامية كانت بعيدة عما يرمي به العلمانيون المسلمين من نزوع الى التسلط والاستبداد، فإن هذه الشعوب قد جربت أبشع أنواع الاستبداد والقهر في ظل هذه الحكومات التي تسلمت حكم البلاد بعد الرحيل الصوري للمستعمر الغربي، وعانت من فقدان الحرية بعد فترة الاستعمار ما جعل كثيراً من أفراد هذه الشعوب – ممن جرب العهدين – يتحسر على عهود الاستعمار، ويتمنى لو رجع هذا الغربي الغريب ينقذهم من ظلم ذوي القربى، فقد شاهدوا كيف تنحر الحرية باسم الحرية، وكيف يسود الظلم بدعوى محاربة الظلم، وكيف تمزق الأوطان بدعوى الحفاظ على الوحدة الوطنية، وكيف تتعطل أحكام الإسلام باسم الإسلام، وكيف تتحول أغلبية الناس الى عبيد في عصر حرمت فيه تجارة الرقيق.

فكيف يُرمى الداعون الى الإسلام بالتسلط والاستبداد وهم لم يحكموا ؟! وكيف يحرمون من حق الاختيار وهم بشر ؟! وكيف تفرض عليهم وجهات النظر الأحادية في العصر الذي يدعي «المتحضرون والمتنورون» فيه أن حرية

العقيدة وحرية التفكير مكفولة؟ وأي حصانة لمن ينتهك كل المحرمات ثم يرمي البرآء بانتهاك حقوق الإنسان؟ وأي شرعية هذه التي يستند عليها من يداه ملطختان بالدماء فيتهم الناس جزافاً أنهم ظلمة فجرة، ويسخر مؤسسات المجتمع والدولة للوقوف في وجههم؛ والمؤسسات والدولة ما احتاج الناس إليها إلا إقراراً للعدل لا تثبيتا للظلم، وحرباً للباطل، لا تمرداً على الحق، وللأخذ على يد الظالم المستهتر؛ لا لتقييد الداعين إلى ضمان الحقوق وسيادة التشريع الذي يتساوى جميع الناس أمامه! ﴿إن الذين كفروا بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير حق؛ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾ [آل عمران ٢١].

إن أجهزة الدول ومؤسساتها ليست حكراً على مجموعة تستخدمها لمصالحها الشخصية وضمان استمرار تسلطها بل هي مرفق عام لدفع الضرر عن المجموع وجلب المصالح لهم. وما دمتم قد ارتضيتم الديمقراطية سبيلاً لإدارة الشؤون العامة؛ فلماذا لا تدعونها تجري مجراها، وعندما تتكرمون بمنحها للشعب؛ فلماذا لا تصحبونها بتعريف محدد يزيل عنها الغبش والإبهام، فتقولون مثلاً: نريدها ديمقراطية بطول كذا، وعرض كذا، وارتفاع كذا ! وكل مجاوزة لهذه الأبعاد سوف تجعلنا نسحب هذه «العطية» من أيدي الذين أعطيت لهم، ونعيدها إلى مخازنها للحفاظ عليها من الجروح والخدوش؟!

لكن مهلاً، إن «العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه»[1]. هذا إذا سلمنا أنكم تملكون ما وهبتم، فكيف بمن يَمُنُّ بما لا يملك ؟! لقد آن لمن يتعسفون في استخدام ما بأيديهم من وسائل الإذلال أن يدركوا أن الناس قد شبت عن الطوق، وأنه لا سبيل للخروج من المآزق التي يجدون أنفسهم فيها إلا بأن يعاملوا المسلمين كبشر، فيريحوا ويستريحوا.

١- صحيح ابن ماجه ٤٧/٢ وصحيح النسائي ٧٨٦/٢

علماء الاجتماع والعداء للصحوة الإسلامية (٢)

الاعتراف بفشل التحليلات الماركسية

د. أحمد ابراهيم خضر

تعرضنا في الحلقة الأولى لبيان كيف أن الصحوة الإسلامية قد باغتت رجال الاجتماع في بلادنا ولتساؤلهم لأنفسهم أين كانوا وقت حدوثها وكيف كانوا يعتقدون بأن ما يسمونه بالانتصارات الوطنية والقومية قد خلفت الدين وراءها، ثم اعترافهم بعدم قدرة الوطنية والقومية على البقاء أو جذب الجماهير حولها، واعترافهم كذلك بأن (العقلانية) التي علقوا عليها آمالهم في فهم الواقع العربي قد أصبحت عاجزة على الصعيدين النظري والمنهجي، وأن التفكير العقلاني أصيب بأزمة عميقة وخيبة أمل ثم اعترافهم بسقوط شعارات التحديث والعلمنة وبناء المجتمع الحديث. ثم عرضنا أخيراً لتشخيصهم لسمات الحركة الإسلامية التي سعوا إلى رصدها أملاً في التحكم فيها.

وسنخصص هذه الحلقة لبيان اعترافات الماركسيين العرب من رجال الاجتماع في بلادنا بفشل تحليلاتهم عن

الصحوة الإسلامية والدروس التي تعلموها منها.

في كلمات بسيطة وموجزة حسم الأستاذ (محمد قطب) القضية التي قضى رجال الاجتماع من الماركسيين العرب زمنا في دراستها. يقول الأستاذ محمد قطب: «جاءت الصحوة الإسلامية في موعدها المقدور من الله..وكانت مفاجأة ضخمة لكثير من الناس» وعن الذين باغتتهم هذه الصحوة يقول: «هؤلاء قد أغفلوا حقيقة ضخمة تندرج تحتها حقائق كثيرة لا تسير حسب حساباتهم ولا تستطيع حساباتهم أن تصل إليها لأن الله قد جعل على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا..أغفلوا بادئ ذي بدء أن الذي يدبر الأمر في هذا الكون العريض كله ليسوا هم وليس غيرهم من البشر، إنما هو الله».[(١)]

الماركسيون من رجال الاجتماع العرب ليس مرجعهم «الله عز وجل» إنما مرجعهم ماركس ولينين وماكس فيبر وألتوسير وغرامشي وسمير أمين وطيب تيزيني وعابد الجابري وحسين أحمد أمين ومحمد أركون وعبد الله العروي..الخ.

يقول علي الكنز أستاذ الاجتماع في جامعة الجزائر في تفسيره للصحوة الإسلامية: «لتفسير صحوة وانتعاش التوجه الديني الذي تعرفه المجتمعات العربية المعاصرة استعملت العديد من فرضيات البحث لكل واحدة منها فعاليتها النظرية الخاصة. وباختلاف هذه الفرضيات من حيث التناول والطرح فهي ساعدت على كشف واقع التشكيلات الاجتماعية العربية الراهنة. هذه الفرضيات العديدة والمختلفة وضعت من قبل الكثيرين من أمثال سمير أمين والطيب تيزيني ومحمد أركون وعبد الله العروي ومحمد عابد الجابري وغيرهم من الذين زودوا الانتاج العلمي بانتاجهم الذي لا يستهان به من حيث نوعية التحليل وثراؤه».[(٢)]

وفي إحدى الحواشي لدراسته عن الإسلام والهوية يذكر أنه تبنى عنوان كتاب

حسين أحمد أمين: دليل الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين[٣] وفي حاشية أخرى يقول: «ونستطيع هنا أن نردد الطريقة اللينينية المتعلقة (بالحلقة الأكثر ضعفاً) أو بطريقة غرامشي (الزمن التاريخي) أو حتى المقولة الألتوسيرية المستوحاة من التحليل النفسي.[٤]

هؤلاء هم مراجع الماركسيين العرب من رجال الاجتماع في تفسير الصحوة الإسلامية. وسنعرض فيما يلي اعترافاتهم الصريحة بإخفاق تحليلاتهم وتفسيراتهم لهذه الصحوة وما تضمنته هذه الاعترافات من تأكيد على خيبة أملهم في (العقلانية)[٥] التي ظنوا أنها ستساعدهم في فهم الواقع العربي.

أولاً: قولهم بارتباط الدين بالتراجع والتقهقر وارتباط العقلانية بالصعود والتطور.

الدين عند رجال الاجتماع تعبير عن الحزن وانعكاس لبؤس العالم وشقائه أما الفكر العقلاني فهو تعبير عن حيوية الوعي الجماعي الذي يعكس تطور العالم وازدهاره..ومن ثم فإن الصحوة الإسلامية وما يسمونه بانتعاش التوجه الديني هو عندهم تراجع وتقهقر إلى الوراء.

يقول علي الكنز (..فهل يمكن لنا أن أن ندلي بأن الوعي الديني أو التشبث بالدين هو مزامن للفترات التراجعية والمراحل المتقهقرة وأن الفكر العقلاني يزامن الفترات التصاعدية أو المتطورة ونقول أن ذلك هو تطبيق للقانون التاريخي..وعليه فإن الدين هو بمثابة تعبير عن الحزن وبالتالي فهو انعكاس لبؤس العالم وشقائه وعكس ذلك اعتبار الفكر العقلاني بمثابة تعبير عن حيوية الوعي الجماعي الذي يعكس هذه المرة تطور العالم وازدهاره)[٦]

اعترف الماركسيون العرب من رجال الاجتماع بعد مراجعة حساباتهم بفشل تصوراتهم عن الارتباط بين الدين والتقهقر وبين العقلانية والصعود، وساقوا الأسباب الآتية لبيان فشل هذا الارتباط:

١- أن هذا الارتباط يأخذ تاريخ الغرب على أنه النموذج الأصلي والمرجعي لتاريخ البشرية وهذا غير صحيح باعترافهم.

٢- أن هذا الارتباط يعتبر أحكاماً مسبقة لا أساس لها من الصحة لكونها غير مبنية على وقائع تاريخية أو براهين استدلالية.

٣- أن هذا الارتباط يمثل في رأيهم سقوطاً فيما يسمونه (بغي الايديولوجية الوضعية[٧] والعلموية[٨] التي أنتجتها الثقافة الغربية) بمعنى أنه (استهلاك لقراءة غربية يستهلكها الفكر العربي باسم العقلانية) وبصورة أخرى أنه (تبنٍ لايديولوجيات وفكر ونظريات انتجت خارج المجتمعات العربية) وذلك حسب تعبيراتهم ذاتها التي أوردوها في ثنايا اعترافهم[٩].

ثانياً: قولهم بالقدوم المظفر والمنتصر لرجل التقنية وزوال ما يسمى (برجل الدين).

من المعروف أنه ليس هناك رجال دين في الإسلام وإنما هناك علماء فمصطلح (رجال الدين) انتقل إلينا من النصرانية وشاع استخدامه في بلادنا بسبب التأثر بحضارة الغرب.

اعتقد الماركسيون العرب من رجال الاجتماع نقلاً عن عبد الله العروي بأن ما يسمى برجل الدين قد اختفى وزال من الساحة بسبب القدوم المظفر والمنتصر لرجل التقنية لكنهم عادوا يعترفون بعدم صحة ذلك مؤكدين في نفس الوقت اعترافهم بفشل العقلانية وأشكال تحليلاتها. وساقوا بأنفسهم أيضاً أدلة عدم صحة افتراضهم السابق على النحو التالي:[١٠]

١- ان الاعتقاد بزوال ما يسمى برجال الدين مغالطة لا تشاهد في التاريخ. يقول علي الكنز معترفاً: (إن التحليل السوسيولوجي الذي جاء به عبد الله العروي وتبنيناه نحن بدورنا..ماهو في نهاية الأمر إلا مغالطة يمكن أن تكون

انطلقت من حالة تلبس صامتة وهي مغالطة لا تشاهد في التاريخ).

٢- أن إيمانهم بزوال ما يسمى برجل الدين كان سببه تبنيهم للعقلانية كشكل إيديولوجي جعلهم يرون ما يريدون هم رؤيته وهو زوال ما يسمى برجل الدين يقول علي الكنز معترفاً (وهل اختفى رجل الدين عن الساحة فعلاً أم أن ادراكنا الايديولوجي لهذه الساحة هو الذي أوحى لنا بذلك تحت أشكال عقلانية حتى أصبحنا نؤمن بالوهم القائل بزوال رجل الدين ؟ إنها صورة مزيفة جعلتنا نشاهد ما نريد نحن مشاهدته) ويعترف علي الكنز مرة أخرى (وبناء عليه وبما أنه من المحتمل جداً عدم اختفاء رجل الدين عن الساحة فإنه يجب أن نتساءل بل نسأل أنفسنا ليس عن هذا الاختفاء بما أنه لا وجود له على الإطلاق بل عن عدم قدرتنا على كشف حضور رجل الدين بين فجوات الايديولوجية المسيطرة حاليا).(١١)

ثالثا: قولهم بأن الصحوة الإسلامية ظهرت بسبب عدم نضوج التركيبة الطبقية العربية:

يعلل الماركسيون العرب ظهور الصحوة الإسلامية بما يسمونه عدم نضوج وعدم اكتمال تكوين التركيبة الطبقية في العالم العربي التي من شأنها إذا كانت كاملة منسجمة وناضجة أن تؤدي إلى ظهور ايديولوجية علمانية وعقلانية وأنها إذا كانت غير كاملة ومذبذبة ستؤدي إلى ظهور ايديولوجية دينية ولا عقلانية. ولهذا فإن عدم اكتمال ونضوج هذه التركيبة الطبقية في العالم العربي - كما يتصور الماركسيون العرب - الذين وصفوها بأنها عاجزة ومشوهة أدى إلى فراغ، هذا الفراغ هو الذي أدى لظهور الصحوة الإسلامية.

ويستند الماركسيون من رجال الاجتماع العرب هنا إلى فكرة (محمد أركون) القائلة بأن المجتمعات العربية لا يوجد لديها ما يقابل أو يعادل طبقتي (البورجوازية والبيروليتاريا) في المجتمعات الغربية بمعنى أن هاتين الطبقتين

اللتين تضامنتا وتصارعتا عملتا على إظهار الايديولوجية العلمانية في الغرب لكن ضعفها الملحوظ في عالمنا العربي ساعد على ظهور الصحوة الإسلامية. هذا ويضيف الماركسيون العرب أسباباً أخرى لظهور الصحوة الإسلامية منها الفشل الاجتماعي والاقتصادي للمجموعات التي أزالت الاستعمار وقامت بالتنمية الوطنية، ومنها أيضاً وجود مجموعات متحالفة مع الغرب وأخرى طفيلية ظهرت وانتشرت أخيراً.(١٢)

ثم يعود الماركسيون العرب من رجال الاجتماع إلى الاعتراف بفشل هذا التحليل استناداً إلى ما يلي:

١- أن هذا التحليل اعتمد على المماثلة والقياس بالغرب بمعنى. أنه يعتبر أن الفئات التي ظهرت وتصارعت قديماً في أوربا وأنها تشبه الطبقات الرئيسية بها وخاصة البورجوازية والبروليتاريا. هذه المماثلة - باعترافهم - غير صحيحة لأن هاتين الطبقتين الرئيسيتين في المجتمعات العربية تختلفان من حيث السلوك عن النموذج الأصلي لهما ومن ثم - نعتوهما - بعدم النضوج واللاعقلانية الذي مهد لظهور الصحوة الإسلامية(١٣) ويلخص الماركسيون العرب من رجال الاجتماع هذه النقطة بقولهم: «إن هذا الفكر التحليلي سجن نفسه في إطار محدد وحبس نفسه في حقل تاريخي واجتماعي غريب عنه».(١٤)

٢- أن واقع المجتمع العربي لا يتفق مع ما يريده الماركسيون ولا يخضع أفراده (لقيم الانتاج) التي يتحدثون عنها ويعني هذا أن الناس لا تربطهم المصالح الاقتصادية وإنما الدين هو الذي يسيطر عليهم.(١٥)

٣- الخطاب الديني - باعترافهم - خطاب متفوق ولين يجتاز ويؤثر على جميع الفئات الاجتماعية بما فيها تلك الفئات التي يأملون أن تقوم بالتغيير كالبورجوازية والبروليتاريا بالإضافة إلى فئات صغار وكبار الموظفين(١٦) وفي عبارات صريحة تحوي اعترافا صريحاً بفشل نموذج التحليل الماركسي وباخفاق

واضطراب الفكر العقلاني وبسعي كل الطبقات إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وممارسة الشعائر الدينية، يقول علي الكنز: (نحن اليوم أمام فشل نموذج التحليل وأمام قلق واضطراب الفكر العقلاني وإذا كنا ننتظر على الأقل تأثيرات الطبقة العاملة والبورجوازية أن تتبلور وتتجسد داخل الحركة الاجتماعية فنحن نلاحظ هروب هذه الطبقات عن كل الفاعلين: شعائر دينية وأصول عرقية والتحريض لتطبيق الشريعة الإسلامية في قانون الأسرة..الخ إنه إخفاق في نظري يضع الفكر التحليلي أمام البديل).(١٧)

رابعاً: اعترافهم بأن نظرية الصراع الطبقي مسؤولة عن الدمار الذي يتخبطون فيه.

لا زال الماركسيون العرب من رجال الاجتماع يصرون على أن فكرة الصراع الطبقي فكرة صائبة بالرغم من أنهم اتهموا هذه النظرية بأنها مسؤولة عن الدمار الذي يتخبطون فيه. كما يعترفون بأن بعض المحللين العرب أرادوا قراءة الواقع العربي ماضيا وحاضراً انطلاقا من معطيات المجتمعات الغربية وفي ضوئها.

ويعترفون كذلك بأنه في هذا التاريخ الأوربي الذي يتخذونه كنموذج نادراً ما تطاحنت الطبقات الاجتماعية في المجتمعات الرأسمالية وانها لم تكن فاعلة مباشرة ولم تتمكن من فرض نفسها كطبقات.

كما يعترفون بأنهم تسرعوا في الحكم على الواقع العربي لأنهم لم يراجعوا نظرية الصراع الطبقي في فئاتها المرجعية المستعملة وفي منطلقاتها النظرية ولم يتأكدوا من صحتها ومدى ملائمتها ومدى صحة وقابلية أدواتها بل اعتبروا أن هذه النظرية هي الواقع الوحيد واحتقروا الحركة الإسلامية لأنها لم تتطابق مع نموذجهم المرسوم(١٨).

وسجل هذه الاعترافات علي الكنز بقوله:

(لقد تسرعنا في مشاهدة الطبقات وفئاتها وكذلك البورجوازية والبروليتاريا والبورجوازية الصغيرة والفلاحين داخل الحركات الاجتماعية والسياسية التي زعزعت بلدان العالم الثالث وقد تم هذا التسرع دون مساءلة المنطلقات النظرية والفئات المرجعية المستعملة وحتى التأكد من صحتها ومدى ملائمتها. وهكذا قمنا بالمعاينة دون التفكير في مدى صحة وقابلية تلك الأدوات بحيث أصبحت النظرية العلمية للطبقات هي المرجع الوحيد وعندما نشاهد الطبقات الاجتماعية حيث لم تكن موجودة حتى وإن تم ذلك علىَ حساب الحركة الاجتماعية واحتقارها لا لشيء إلا لأنها غير مطابقة للنموذج المرسوم).(١٨)

خامساً: اعترافهم بعدم ارتباط ظهور الجماعات الإسلامية بانحطاط وتدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية أو تطورها.

تبنى بعض الماركسيين العرب من رجال الاجتماع فكرة أن هزيمة ١٩٦٧ وتدهور الظروف الاجتماعية والاقتصادية هي السبب الرئيسي لظهور الجماعات الإسلامية، ومن ثم رأوا أن ما يسمى بالفهم العلمي السليم لما يسمونه بهذه الظاهرة والتصدي لها بجدية لا يتحقق إلا بفهم البنية الاجتماعية التي ظهرت فيها وفهم مجموعة الظروف الاقتصادية والسياسية السائدة بمعنى أن الصحوة الإسلامية ظهرت كردة فعل لحالة أزمة حادة وعامة على المستوى الاجتماعي وأن وجود أزمة حادة وعامة كان ولا يزال الشرط الضروري اللازم لظهور واندفاع ما يسمونه بالحركات الدينية والاجتماعية ذات الطابع التعبيري.

يقول عضيبات أستاذ الاجتماع بجامعة اليرموك بالأردن (هذا ويلاحظ خلال التاريخ العربي أن ظهور الحركات الدينية الاجتماعية كان ولا يزال مرتبطاً بفترات الاضطراب الحاد التي يكون فيها بقاء المجتمع وتماسكه واستمراره مهددا لذلك كانت هذه الحركات الدينية الاجتماعية ولا تزال بمثابة استجابات للأزمات الروحية والاجتماعية والسياسية الحادة التي شهدها ولا يزال يشهدها مجتمعنا

العربي الإسلامي).[١٩]

واستشهد (عضيبات) بالأزمة التي مر بها المجتمع العربي الإسلامي خلال فترة حكم معاوية والتي مهدت لعمر بن عبد العزيز إعادة توجيه الحكم بما يتفق والمبادئ الإسلامية كما استشهد أيضاً بتجربة الاخوان المسلمين التي أسسها (حسن البنا) والأزمات التي كان يعانيها المجتمع في عهده ليصل في النهاية إلى القول بأنه (من المؤكد أنه في ظل الظروف البالية والقلقة التي يعيشها الآن مجتمعنا العربي الإسلامي فإن نشاط الحركات الدينية مستمر لمواجهة هذه الظروف)[٢٠]

أخذ سمير نعيم أستاذ الاجتماع بجامعة عين شمس بالقاهرة كمثال سعى فيه جاهداً ليثبت أن سبب انتشار الدين والجماعات الإسلامية كان مرتبطاً بالخلل الذي أصاب النظم الاجتماعية في مصر على كافة المستويات.

تعرض نعيم لفساد النظام الاقتصادي الذي قال أن مفاتيحه قد أصبحت في يد الغرب الذي يملك في أي لحظة إحداث انهيار في هذا الاقتصاد إذا ما تهددت مصالحه أو تعارضت القرارات القومية المصرية مع هذه المصالح كما كشف عن تراجع الصناعات التحويلية والزراعة وتراجع دور الدولة في إقامة المشروعات الكبرى التي تستوعب الطاقة العاملة وتحدث عن ظهور واستشراء الفئات الطفيلية التي شهدت ثراء فاحشاً من خلال عملية تخريب الاقتصاد المصري وانتشار تجار العملة وزيادة معدلات التضخم واشتداد أزمة الإسكان وبطالة الشبان المتعلمين وكذلك انتشار الفساد والانحلال الخلقي وتراجع قيم الشرف وأن المال أصبح هو القيمة العليا وأصبحت الغاية تبرر الوسيلة حتى لو كانت هذه الوسيلة هي بيع الشرف أو الدعارة.

وعن تدهور النظام التعليمي أوضح نعيم أنه نظام يعتمد على التلقين القائم على حشو ذهن الطالب خلال مراحل الدراسة بمعلومات عليه أن يحفظها دون

أن يشغل عقله بالتحليل والنقد ودون أن يشجع على المعرفة والفكر أو المطالعة في المكتبات.

وعن فساد الثقافة والاعلام بين نعيم كيف أن الثقافة تحولت إلى سلعة تجارية واستثمارية تهتم بالربح وبالمظهر أكثر من الفائدة والمضمون وأشار أيضاً إلى الفن الهابط والمبتذل في المسارح المتاح فقط لمن يقدرون على تحمل أثمان دخول هذه المسارح ولتلك الفئة من الشباب التي تتفق قيمها وميولها مع ذلك النوع من الفن المشجع على الانحراف. أما وسائل الاعلام فإنها تعرض لجماهير الشباب صوراً متنوعة وبكثافة عالية للانفاق البذخي والمظاهر الاستهلاكية التي تعجز غالبية الشباب عن مجاراتها كما أنها تعرض نماذج سلوكية وثقافية غريبة مبتذلة بما يثير نقمة واشمئزاز الكثير من الشباب أو يمثل غواية لهم للانحراف.

أوضح نعيم أن نتائج فساد كل الانظمة من اقتصادية وسياسية وتربوية وثقافية تصب في الأسرة التي تقوم بالتنشئة الاجتماعية الأولى للإنسان، ثم تحدث عن المشكلات اليومية التي تواجهها الأسرة المصرية من مواصلات وإسكان وغذاء وملبس وتعليم وصحة وتلوث وضوضاء وفوضى واضطراب وتسيب وفساد وحصار إعلامي ودعائي..الخ[٢١].

انتهى سمير نعيم من كل ذلك إلى القول بأن كل هذه الظروف أدت إلى ظهور الجماعات الإسلامية التي انضم إليها الشباب لمواجهة هذا الفساد وهذا الخلل في النظم الاجتماعية وأن هذه الجماعات قد سارعت لملء الفراغ الثقافي الذي تسبب عن فساد الثقافة والإعلام بطبع كتب وصحف ومجلات وأشرطة وفيديو كاسيت بحجم ضخم، واعترف نعيم كذلك بزيادة حجم الاقبال على هذا المنتج. كما أشار إلى دور هذه الجماعات في بيع ملابس المحجبات والكتب والدروس الخصوصية بأسعار رمزية زهيدة وأنها قامت بخدمات إنسانية اجتماعية عبر المساجد كالعلاج الصحي في المستوصفات والدروس المجانية للطلاب أو

المساعدات الاجتماعية ودور الحضانة..الخ.[٢٢]

تؤكد الشهادة السابقة لعضيبات وسمير نعيم هذا الدور الإيجابي والبناء للجماعات الإسلامية في موجهة الخلل والفساد الذي حل بالنظم الاجتماعية وأصابها في الصميم ومع ذلك يصر رجال الاجتماع على مهاجمة هذه الجماعات ومناصبتها العداء لا لشيء إلا لأن ماركسيتهم تعادي الدين وكل ما يرتبط به من حركات ورموز.

ومع كل هذا فإن الصحوة الإسلامية لم تظهر بسبب تدهور البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع وإنما جاءت كما يقول الأستاذ محمد قطب: (في موعدها المقدور من الله) ونأتي هنا إلى اعترافات البعض الآخر من الماركسيين العرب من رجال الاجتماع بخطأ الربط بين ظهور الصحوة الإسلامية وتدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية.

يرى علي الكنز أن ربط انتشار الدين بالانحطاط أو التطور الاقتصادي والاجتماعي منزلق وقع فيه رجال الاجتماع، واستدل الكنز لإثبات ذلك بالماضي الأوربي ذاته الذي ظهرت فيه الرأسمالية في الأصل في وقت عرفت فيه البلدان الاوربية إصلاحات دينية وربطت التنمية بانتشار الايديولوجية الدينية كما حدث في كل من بريطانيا وأمريكا الشمالية وهولندا.

استدل الكنز أيضا باليابان في الحاضر المعاصر التي تربعت على عرش الاقتصاد العالمي مقابلة بالصين فاليابان ربطت الدين بالمجتمع والدولة ربطا عضوياً وفعلت الصين المستحيل لمنع ذلك.[٢٣]

ويشير الكنز في مثال آخر إلى الكاثوليكية التي أثارت العمال والشعب البولوني لمحاربة الطبقة الحاكمة وإلى الإيرلنديين ومناهضتهم للبروتستانت الانجليز ويوجز الكنز ملاحظاته هذه معترفاً بقوله: (وبإمكاننا تعداد هذا النوع من الملاحظات اللامنتهية، وتوضح اليوم كما في الأمس بأن البعد الديني قد

ساهم دوما بشكل أو بآخر في تبلور الهوية الجماعية وبأن انتشاره لم يرتبط في كل زمان ومكان بفترات الانحطاط أو التطور الاقتصادي الاجتماعي.(٢٤)

ويعطي فرحان الديك مثالاً آخرمن الواقع العربي على خطأ هذا الربط فيقول: (..فظهور مثل هذه الحركات لا يمكن رده كما يفعل البعض إلى تردي الوضع الاقتصادي وربط ظاهرة الصحوة الدينية بالأزمة الاقتصادية لأن ما يسمى بالمد الديني ظهر وتطور في الفترة الزمنية نفسها التي تميزت أيضاً بالطفرة أو الفورة الاقتصادية التي عرفتها ولكن بدرجات متفاوتة بالطبع كل المجتمعات العربية.(٢٥)

إلا أن المثير للدهشة والعجب أن يدعى رجال الاجتماع بعد كل اعترافاتهم بفشل تحليلاتهم أن التيارات الوطنية والليبيرالية واليسارية والقومية هي المحاصرة في بلادنا وأن هناك تضييقاً على دعاتها وتنظيماتها وأنه لهذا السبب فإن الساحة ستظل شبه خالية أمام الحركات الدينية الاجتماعية وسيملأ فكرها وتنظيماتها الفراغ القائم.(٢٦)

لا أحد يشك في عدم صحة هذا الادعاء ولا أحد ينكر أن التنظيمات الإسلامية هي المحاصرة من الداخل والخارج وأن هناك تضييقا على دعاتها وأن الساحة ليست خالية تماماً أمامها ولا يرد هذا الادعاء إلا اعترافاتهم أنفسهم بفشل تحليلاتهم وتفسيراتهم وافتراضاتهم وعلى رأسها نظرية الصراع الطبقي.

جاءت هذه الاعترافات للماركسيين العرب من رجال الاجتماع إثر دروس قاسية تعلموها من الصحوة الإسلامية كان أقسى هذه الدروس عليهم أن تاريخ الوطن العربي ليس هو إعادة ولا تكرار لتاريخ أوربا في القرن العشرين، عبر الماركسيون عن ذلك بمرارة في قولهم (وبكل قساوة تمكن الفكر العربي العقلاني اليوم من اكتشاف هذا الدرس الجدلي)(٢٧) أما الفكر العقلاني ذاته فقد أصيب كما أوضحنا سابقاً بأزمة عميقة أجبرت أصحابه على ضرورة التفكير في

نقده نقداً جذرياً مع الاعتراف بان هذا الفكر العقلاني مأخوذ من الثقافة الغربية بطريقة سيئة جداً بنص عباراتهم.

علمتهم الصحوة الإسلامية أن عليهم التخلي عن الوضعية التي غلفت لهم بغطاءات ماركسية متدنية ورديئة بنص عباراتهم أيضاً، وأن الجماعات الإسلامية ليست بطبقات اجتماعية وأن عليهم أن يلاحظوا هذه الصحوة بكل رصانة وبكل سكينة -بنص عباراتهم كذلك - على أساس أن هذا هو أول شرط للتحليل العقلاني الذي أجبرته هذه الصحوة على أن يعيد النظر في افتراضاته ومنطلقاته النظرية وحتى اشكالياته ومنهجياته على أمل زائف من أن يتمكنوا من ضبط ما يسمونه بالواقع التاريخي.

الصحوة الإسلامية عند الماركسيين العرب من رجال الاجتماع (تحديد سالب لكيان اجتماعي يستعيد حيويته ويتبلور في حركة سياسية)[٢٨] تصور رجال الاجتماع أنه لا زال بإمكان الفكر العقلاني مواجهة هذه الصحوة إذا نوع مجالات بحثه وانفتح على هذه الصحوة واعترف بها كواقع وأن يتخلى عن منهجيته القائمة على أساس عالم متخيل. إلا أنهم رغم ذلك يرون أن الصحوة الإسلامية هي انحراف للوطن العربي عن مساره الطبيعي وتجميد لتطوره ذلك لأن هذه الصحوة رفضت رفضاً كلياً الحداثة والعلمانية والليبيرالية والتقدمية ولهذا رموها بالانحراف والجمود.

اعترف رجال الاجتماع بأن فشل التجارب التنموية والوطنية تسبب في ثغرة أدت إلى ما أطلقوا عليه بالهجمة الواسعة للتوجه الديني الذي غاص في هذه الثغرة وحقق نجاحاً لامعاً وسريعاً.

تعلم الماركسيون العرب من الصحوة الإسلامية درسا قاسياً آخر هو أن الدين يمكن أن ينوب عن رمزيتهم العقلانية والعلموية التي تشهد - كما يقولون - أزمة عميقة. تعلموا أيضاً أن الإسلام بصفة خاصة يمكن أن يستفيد بشدة من

الاضطراب الذي تسبب عن التقنية الغربية وأزمة الأنظمة السياسية الغربية.[٢٩]

تعلموا ايضاً أن الإسلام لا العقلانية هو المطابق للوسط الثقافي المحلي وللمرجع التاريخي والحضاري للشعوب وأخلاقياتها أما الإسلام السياسي - كما يسمونه - فهو كالحوت في البحر بنص عباراتهم[٣٠] وأنه يتميز باستراتيجية وبتكتيك وبتقنيات الخطابة والدعاية وأنه يستمد سلطته من الجماهير.[٣١]

علمتهم الصحوة الإسلامية أن الدين يمكن أن يتغلب على غيره في كل الفترات سواء أكانت فترات صعود نحو العلمانية والعقلانية أو فترات انحطاط وتدهور كما يتصورون.

ودرس آخر شديد القسوة تعلموه من الصحوة الإسلامية هو قدرة الإسلام على الانتشار الواسع المحلي والوطني وقدرته على إفشال الأحزاب والحركات السياسية العلمانية التي تأسست في خضم حركات التحرر والتشييد الوطني وقدرته على التحول بسرعة خاطفة إلى أحزاب جماهيرية تستطيع توجيه أسلحتها الثقيلة حسب عباراتهم نحو مسألة شرعية السلطة السياسية وأنظمتها القائمة على الوطنية والتنموية،[٣٢] يقول علي الكنز:

(لقد بنيت الأنظمة العربية اليوم على أسس الوطنية والتنموية ونراها اليوم تنحسر وتنهار بوطنيتها وتنميتها في الوقت ذاته).

الهوامش:

١- محمد قطب، واقعنا المعاصر، مؤسسة المدينة، جدة ١٩٨٩ ص ٣٦٤

٢- علي الكنز، الإسلام والهوية، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٩٠ ص ٩٧ ٣- تابع ص ١٠٠ ٤- تابع ص ١٠٨

٥- انظر تعريف العقلانية، الحلقة الأولى، حاشية رقم ٩

٦- علي الكنز ص ٩٩

٧- أول من استخدم مصطلح الوضعية هو سان سيمون ليشير به إلى منهج علمي يمتد ليشمل الفلسفة أيضاً ثم تبناه بعد ذلك أوجست كونت ليؤسس به حركة فلسفية كبيرة انتشرت بقوة في كل بلاد العالم

الغربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين. تقوم الوضعية على مبدأ أن العلم هو المصدر الصادق والوحيد للمعرفة والحقائق. وتتخذ الوضعية موقفاً عدائياً من الدين ولهذا فهي تنكر كل جوهر يذهب وراء حقائق وقوانين العلم وترفض أي نوع من الميتافيزيقيا واستبدلت الدين المعروف بدين وضعي كما وضعت أخلاقاً وسياسة وضعية.

انظر: ***Nicola Abbagnano, Posivitism, The Encyclopedia of Philosophy, Macmillan Publishing N.Y.Q London p 414***

هذا وأطلق الشيخ مصطفى صبري على هذه الفلسفة بالفلسفة الوضعية (الاثباتية) الالحادية، وعاب على علماء الأزهر انخداعهم بها وعدم إدراكهم لإلحادها انظر: مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج١ ص ١٤٨-١٤٩ ويعتبر الشيخ فريد وجدي من أبرز العلماء في الأزهر الذين خدعتهم هذه الفلسفة إلى درجة أنه أكد توافقها مع الإسلام وكتب عنها قائلاً (..هذا هو رأي الفلسفة الوضعية التي أساسها الدليل المحسوس الذي لا ينقض في أي عهد من العهود المستقبلة وهو يعتبر أساس الحكمة الإسلامية **﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾**. انظر: محمد فريد وجدي، السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة مجلة الأزهر ج٣ ربيع الأول ١٩٤٥/١٣٦٤ مجلد ١٦ ص ١٠٠

٨- العلموية أو النزعة التعالمية مصطلح يعني أن العلم يستطيع أن يزود الجنس البشري بفلسفة شاملة في الحياة ويحل لجميع المشكلات وينظر إليه كايديولوجية تشتمل على أرفع القيم وأرقاها. انظر: محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ص ٤٠٣

٩-١٨ علي الكنز ص ٩٩-١٠٢

١٩ عاطف العقلة عضيبات، الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي، الدين والمجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ص ١٥٥

٢٠- تابع ص ١٥٧

٢١ سمير نعيم أحمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني، الدين والمجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ص ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٣٧

٢٢- تابع ص ٢٣٤

٢٣- علي الكنز ص ١٠٥

٢٤- تابع ١٠٥-١٠٦

٢٥- فرحان الديلك، الأساس الديني في الشخصية العربية، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ص ١١٨

٢٦- عضيبات ص ١٦٠

٢٧-٣٣ علي الكنز ص ١٠٠-١٠٩

* يتبع *

منهج أهل السنة

في

النقد والحكم على الآخرين (٢)

هشام بن اسماعيل

العدل في وصف الآخرين

وهي جزء من القاعدة السابقة، ولكن لأهميتها أفردت لوحدها. والأصل في هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿ولا تبخسوا الناس أشيائهم﴾ [هود ٨٥]

والمقصود بالعدل في وصف الآخرين؛ هو العدل في ذكر المساوئ والمحاسن، والموازنة بينهما.

وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[1]

فلا أحد يسلم من الخطأ، فلا ينبغي أن تدفن محاسن المرء لخطأ، كما أن الماء إذا

١- أخرجه أحمد (١٩٨/٣) والترمذي (٦٥٩/٤) وابن ماجة (١٤٢٠/٢) وانظر صحيح الجامع برقم (٤٥١٥).

بلغ القلتين لم يحمل الخبث.[٢]

ولذلك ينبغي للمسلم إذا وصف غيره ألا يغفل المحاسن لوجود بعض المساوئ، كما لا ينبغي أن يدفن المحاسن ويذكر المساوئ لوجود عداوة أو بغضاء بينه وبين من يصفه، فالله عز وجل قد أدبنا بأحسن ادب وأكمله، فقال سبحانه: **﴿ولا تبخسوا الناس أشيائهم﴾** وإنك لتجد كثيراً ممن يذم غيره بذكر مساوئه، ويغض الطرف عن محاسنه، بسبب الحسد والبغضاء، أو لتنافس مذموم بينهما.

ولكن المنصفون هم الذين يذكرون المرء بما فيه من خير أو شر ولا يبخسونه حقه، ولو كان الموصوف مخالفاً لهم في الدين والاعتقاد، أو في المذهب والانتماء.

ومن العلماء الذين برز إنصافهم لغيرهم، الحافظ الذهبي رحمه الله. فمن خلال كتابه القيم «سير أعلام النبلاء» والذي ترجم فيه لعدد من العلماء الأجلاء، وكذلك لعدد ممن اشتهر بين الناس وكان من أهل البدع أو الفسق أو الإلحاد، تجده لم يبخسهم ما لهم من صفات جيدة، بل أنصفهم بذكر ما لهم وما عليهم.

وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، منها:

١- قال عن عبد الوارث بن سعيد: (وكان عالماً مجوداً، ومن أهل الدين والورع، إلا أنه قدري مبتدع) السير (٣٠١/٨)

٢- وقال عن الحكم بن هشام: (وكان من جبابرة الملوك وفساقهم، ومتمرديهم، وكان فارساً شجاعاً، فاتكا ذا دهاء وعتو وظلم، تملك سبعاً وعشرين سنة) السير (٢٥٤/٨).

٣- وقال عن الواقدي: (والواقدي وإن كان لا نزاع في ضعفه فهو صادق

٢- هو لفظ حديث أخرجه الدارمي (٧٣٧-٧٣٨) والدارقطني (٢١/١-٢٢) وغيرهما، وقد أفاض ابن القيم في دراسته في تعليقه على سنن أبي داود، انظر عون المعبود (١٠٦/١-١٢٥)، وانظر إرواء الغليل (٦٠/١)

اللسان كبير القدر) السير (١٤٢/٧).

٤- وقال عن المأمون الذي تبنى فتنة القول بخلق القرآن وامتحن علماء أهل السنة بذلك: (وكان من رجال بني العباس حزما وعزما، ورأيا، وعقلاً، وهيبة، وحلماً، ومحاسنه كثيرة في الجملة) السير (٢٧٣/١٠)

٥- وقال في ترجمة الجاحظ الأديب المعتزلي: (العلامة المتبحر ذو الفنون..وكان أحد الأذكياء..وكان ماجنا قليل الدين، له نوادر) السير (٢٥٦/١١).

٦- وقال عن قرة بن ثابت: (الصابئ الشقي، الحراني، فيلسوف عصره..وكان يتوقد ذكاء) السير (١٣/ ٢٨٥).

٧- وقال في ترجمة الخياط المعتزلي: (شيخ المعتزلة البغداديين، له ذكاء مفرط، والتصانيف المهذبة..وكان من بحور العلم، له جلالة عجيبة عند المعتزلة) السير (٢٢٠/١٤).

وهناك أمثلة كثيرة غير هذه، ومن أراد الاستزادة فعليه بمراجعة سيرأعلام النبلاء، يجد بغيته إن شاء الله.

ومنهج الذهبي في العدل في وصف الآخرين، منهج علمي دقيق وهو منهج أهل السنة والجماعة في أحكامهم على غيرهم، وهو نابع من قوله تعالى: **﴿ولا تبخسوا الناس أشيائهم﴾** والآيات المشابهة لها.

ولذلك ينبغي لكل من رام الإنصاف أن لا يحيد عن هذا المنهج السوي، وأن يتقي الله عز وجل في وصف غيره، ويتكلم بعدل وإنصاف.

العبرة بكثرة الفضائل:

فإن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث، فمن غلبت فضائله هفواته، اغتفر له ذلك.

يقول ابن رجب الحنبلي: (والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه)

وكلمة ابن رجب بمثابة منهج صحيح في الحكم على الشخص الواحد، لأن كل إنسان لا يسلم من الخطأ، ومن قل خطأه وكثر صوابه، فهو على خير كثير.

ومنهج السلف هو اعتبار الغالب على المرء من الصواب أو الخطأ، والنظر إليه بعين الإنصاف.

يقول الحافظ الذهبي: (ونحب السنة وأهلها، ونحب العالم على ما فيه من الاتباع والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن)[١]

وقال الذهبي في ترجمة ابن حزم: (وصنف في ذلك - نفي القياس - كتباً كثيرة، وناظر عليه، وبسط لسانه وقلمه، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجج العبارة، وسب وجدع، فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة، وهجروها ونفروا منها، وأحرقت في وقت، واعتنى بها آخرون من العلماء، وفتشوها انتقادا واستفادة، وأخذا ومؤاخذة، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجاً في الرصف بالخرز المهين، فتارة يطربون، ومرة يعجبون، ومن تفرده يهزؤون، وفي الجملة فالكمال عزيز، وكل يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ينهض بعلوم جمة، ويجيد النقل، ويحسن النظم والنثر، وفيه دين وخير، ومقاصد جميلة، ومصنفاته مفيدة، وقد زهد في الرئاسة، ولزم منزله مكباً على العلم، فلا نغلو فيه، ولا نجفو عنه، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار)[٢]

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلمة لطيفة ولكن كثير من الناس من يرى المثالب، ويعمى عن المناقب وفي ذلك يقول الشعبي رحمه الله: (والله لو أصبت تسعا وتسعين مرة، وأخطأت مرة لأعدوا علي تلك الواحدة)[٣]

١- انظر سير أعلام النبلاء (٤٦/٢٠).
٢- نفس المرجع (١٨٦/١٨-١٨٧).
٣- نفس المصدر (٣٠٨/٤).

وقد قيل كفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه.

يمكن أن تعتبر قاعدة مهمة في هذا الباب، يقول فيها: (العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية)[1]

ومن نفيس كلامه في هذا الباب قوله: (وإنه كثيراً ما يجتمع في الفعل الواحد، أو في الشخص الواحد الأمران: فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، كما يتوجه المدح والأمر والثواب إلى ما تضمنه أحدهما، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية الفجورية، لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل بعض الحسنات السنية البرية، فهذه طريق الموازنة والمعادلة، ومن سلكه كان قائماً بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب والميزان).[2]

(ولا منافاة بين أن يكون الشخص الواحد يرحم من وجه، ويعذب ويبغض ومن وجه آخر)[3]

(ومن سلك طريق الاعتدال، عظم من يستحق التعظيم، واحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب ويحب من وجه ويبغض من وجه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج، والمعتزلة، ومن وافقهم).[4]

١- انظر منهاج السنة النبوية (٤١٢/٨).

٢- الفتاوى (٣٦٦/١٠).

٣- الفتاوى (٢٩٤/١٥).

٤- منهاج السنة النبوية (٥٤٣/٤).

عبث المجهول والمعلوم

محمد عبد الله آل شاكر

كل عمل علمي صورة عن صاحبه، وهو الذي يتحمل مسؤولية ما فيه من خطأ، وينسب إليه الفضل فيما أجاد فيه، كما يتحمل اللوم إن كان ملوماً في عمله أو مقصرًا..وهذا يعني أن صاحب العمل ينبغي أن يكون معروفاً غير مجهول، إذ لا يؤخذ العلم عن المجاهيل والنَّكرات، كما أن لأصحاب السمعة الحميدة في العلم والدين مكانة في النفوس، تحمل القارئ على الاطمئنان لما يقولون ولما يصدر عنهم، – عندئذ – منزلة لا تعدلها منزلة آخرين.

وكما يصح هذا القول هنا، يصح أيضاً في التحقيق العلمي للتراث الإسلامي، إذ ينبغي أن ينسب كل تحقيق لمن قام به ويكون معروفاً بمؤهلاته التي تؤهله للقيام بهذا العمل. ولكن هذه القاعدة لا يلتزم بها بعض المحققين، فتجد على بعض الكتب والرسائل الصغيرة أمثال هذه العبارات: «حققه بعض طلبة العلم»، «جماعة من المحققين» أو «فئة من الجامعيين» وعلى بعضها أمثال: «كتبها أحد طلبة الشيخ»، «جمعها أحد طلبة الشيخ». (وما أدراك ما طلبة الشيخ!)

ويبحث القارئ حتى يتعرف على هذا «البعض» أو «بعضه»، أو على هذه «الفئة» مَنْ هم؟ وما هي مؤهلاتهم ومكانتهم وتجربتهم التي خولتهم القيام بتحقيق تراثنا، وما مدى التزامهم بما ينبغي أن يلتزموا به..؟ تبحث، فلا تجد شيئاً، لأنك أمام مجهول، وحُقَّ للناس أن يخافوا دائماً من «المجهول».

وحتى لا أطيل على القارئ، أجتزئ بمثالين اثنين:

الأول: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لأبي محمد، عبد الحق بن عطية الأندلسي وهو كتاب نال ثناء العلماء حتى قال أبو حيان الغرناطي: «هو أجلّ من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه مع التحرير».

ويصدر الكتاب عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب العربي (ووصل في علمي إلى المجلد الثالث عشر)، وعلى غلافه عبارة: «تحقيق المجلس العلمي بفاس». فحسب.

وقد يكون أعضاء المجلس العلمي الموقرون معروفين بأسمائهم وأعيانهم وعضويتهم في المجلس نفسه، ولكن لم لا ينسب العلم والجهد لأهله، فيعرف مَنْ منهم شارك في التحقيق والجهد؟ (وإن كان هذا التحقيق برمته يحتاج إلى إعادة نظر وتحقيق)

ثم طبع ثمانية أجزاء من الكتاب في «قَطَر» بتحقيق وتعليق: الرحالي الفاروقي (رئيس المجمع العلمي بمراكش)، وعبد الله إبراهيم الأنصاري (مدير الشؤون الدينية في قطر) والسيد عبد العال إبراهيم، وسيد الشافعي صادق. فكان ذلك - فيما يبدو - سبباً لاستخراج مجهول في الطبعة المغربية (وإن كان التحقيق الجديد أيضاً لم يُغْنِ شيئاً عن القديم).

المثال الثاني: «تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» تأليف العلامة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (رحمه الله). وهو مطبوع أكثر من طبعة ثم طبع عام ١٣٩٤ وعام ١٤٠٥ هـ وعلى جلده وصفحة عنوانه الداخلية تحت اسم الكتاب والمؤلف هذه العبارة: «راجعه وحقق أحاديثه طائفة من الجامعيين».

من هم هؤلاء الجامعيون؟ أهم طلبة مبتدئون في الجامعة، أم هم خريجوها؟ أو لعلهم أساتذة جامعيون، فكل هؤلاء يصدق عليهم أنهم جامعيون. وفي أي جامعة وبأي كلية جامعية هم؟ أهي كلية الشريعة وأصول الدين؟ مثلاً؟ أم كلية الهندسة

بفروعها، أو كلية فنون جميلة؟ عِلْم ذلك كله عند الله تعالى (ثم عند من يعرفهم).

وهذا المثال الأخير، يُسْلمنا إلى ملاحظة أخرى عن التحقيق الذي أصبح بمفهوم بعضهم مرادفاً للعبث والتلاعب بالنصوص (المسكينة): حذفاً وإضافةً وتصرفاً. وفي هذه خيانة للأمانة وعدوان على التراث العلمي لسلفنا الصالح وافتئات على المؤلفين، وهو داخل ضمن الكذب والزور[1]، ومجانب للصواب في عملية التحقيق التي تعني: «تقديم النص كما يريده المؤلف» دون أي تحسين أو تعديل أو تصويب.[2]

ونأخذ أمثلة على ذلك من «تهذيب موعظة المؤمنين» أولاً، ثم من غيره ثانياً.

قالت الطائفة من الجامعيين تحت عنوان: «عملنا في هذا الكتاب»:

«لقد اعتمدنا هذا المختصر في دراستنا وتحقيقنا، (وهنا إضافة جديدة وهي الدراسة) وهو مع علوّ شان مختصره، احتوى على العديد من الأحاديث غير الصحيحة، فحذفناها على الغالب لعدم الفائدة من ذكر الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ولو بالتعليق عليها، خشية من بلبلة المبتدئين، وحققنا الصحيح من هذه الأحاديث كما هو واجب على كل باحث..واستدركنا على الحافظ العراقي في الأحاديث التي اكتفى بعزوها إلى كتب «السنن» فقط، مع أن فيها العديد من الأحاديث غير الصحيحة».

وليت شعري! هل أصبح حذف الأحاديث غير الصحيحة من الكتاب لعدم الفائدة منها، هل أصبح داخلاً في حدود عملهم الذي قالوا عنه أولاً «المراجعة وتحقيق الأحاديث» ؟ أو أنه من مقتضيات التحقيق؟ وكيف يحققها وقد حذفها

١- اقرأ ما كتبه الشيخ الصافي في كتابه «أخطار على المراجع العلمية» ص ٥٧-٥٩، طبع دار الفاروق بالطائف.

٢- راجع على سبيل المثال «محاضرات في تحقيق النصوص» للدكتور أحمد الخراط، ص ٨

من الكتاب! ولو كان عملهم الاختصار أو التهذيب أو الحذف، لكان هناك من يُسوِّغ لهم هذا ويفتي به، أما وإن الكتاب مطبوع باسمه الذي وضعه المؤلف، فلا يجوز بعد ذلك هذا التصرف فيه.

وإننا نحمد - صادقين - للمحققين غيرتهم على المبتدئين، وخشيتهم من «بلبلتهم»، وأما «الصحيح من هذه الأحاديث» التي حققوها فهو جد متطوع بعد صحتها (كما قلتم)، فإذا كانت صحيحة فما داعي تحقيق صحتها؟

وأما استدراككم على الحافظ العراقي - رحمه الله - فليتكم ضربتم مثلاً واحداً له، ولست أدري ما أقول في هذا؟ ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه. وغفر الله لي ولكم.

ثم تقول فئة الجامعيين:

«٢- وكذلك حذفنا العثرات التي أشار إليها ابن الجوزي، وقد ذكرنا كلامه في أول هذه المقدمة، مع أنه أبقى بعضها في «مختصره» !»

ومرة ثانية: حذف العثرات (ونسأل الله أن يتجاوز عن عثراتنا) ليس داخلاً في جُبّة التحقيق ولا في عمامته، ولا في ثوبه ولا في كُمِّ الثوب، لا في التحقيق ولا المراجعة. ولا يجيز ذلك أيضاً اضطراركم «للقيام بهذا المشروع نصرة للإسلام، وتسهيلاً لمهمة الخطباء والمدرسين، ورغبة في إرشاد المسلمين، وسعياً لتثقيف أنفسهم بأنفسهم» (وقلتم إن الكتاب للمبتدئين الذين تخشون من بلبلتهم بالعثرات، فكيف لا تخشون عليهم من تثقيف أنفسهم بأنفسهم؟، أليسوا بحاجة إلى من يعلمهم ويثقفهم ويربيهم، أم أن الكتاب بعد جهدكم فيه، أصبح فيه غَناء لهم؟).

«٣- وحذفنا أيضاً من كتاب «موعظة المؤمنين» المسائل المتعلقة بأحكام فقهية عن الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج، كما حذف أكثرها الإمام ابن الجوزي أو المقدسي، لأنها مستفيضة في كتب مخصصة لها، وهي موضع خلاف

بين المذاهب».

عجب لا ينقضي من هذه المراجعة والتحقيق، فإن هذا الذي حذفه الجامعيون من مسائل الكتاب مما لا ينبغي أن يجهله المسلم، لأنه متعلق بأركان الإسلام، فمن أول ما ينبغي معرفته بعد الشهادتين والإقرار بها، الطهارة والصلاة..حتى يؤدي ذلك كله عن علم وفقه.

وهو أيضاً خارج عن طبيعة عمل التحقيق - كما سبق - وإن كان ابن الجوزي أو المقدسي حذف أكثرها فلأن ذلك يتسق مع منهجه وعمله وهو الاختصار والتهذيب، ولا يتسق مع منهجكم الذي زعمتموه. فهذا يختلف عن ذاك. ولئن كان ابن الجوزي قد حذف أكثرها، لقد أبقى على أقلّها لفائدةٍ تحرمون القراء منها.

وأما التعليل لهذا التصرف فهو عليل، لأن استفاضة هذه المسائل في الكتب المخصصة لا تبيح لكم حذفها، وإن كان فليكن تطبيق القاعدة عاماً، ويحذف من الكتاب كل ما هو مسطور في كتب مخصصة من غير هذه الأحكام.

وما أظن - ولا أي عاقل يظن - أن كل ما هو «موضع خلاف بين المذاهب» ينبغي حذفه من الكتب عند التحقيق، بل إن التحقيق يقتضي اثباته وتحرير محل النزاع فيه وبيان الصواب مثلاً مع الأدلة - إن اقتضى الأمر - ولعلكم تعرفون أن الخلاف في الأمور الفقهية واقع منذ عهد الصحابة ومَنْ بعدهم. وكتب الحديث، والمصنفات بخاصة، كلها آثار تبين ذلك ويظهر فيها الخلاف، فهل تحذف أيضاً عند التحقيق ؟

ثم يأتي البند رقم (٤) في مقدمة المحققين إقراراً آخر بافتئاتهم على المؤلف، بإثبات وإضافة ما هو مفيد - برأيهم - في صلب الكتاب، وكان بإمكانهم أن يضيفوا ما يرونه مفيداً في حاشية الكتاب، قالوا:

«٤- وأثبتنا بعض مباحث وأحاديث وأشعار رأيناها مفيدة، وقد حذفها الشيخ القاسمي».

فماذا لو رأى غيركم من المحققين أن هذا الذي أثبتموه غير مفيد ؟ هل يعيد حذفه ثانية كما فعل أولاً الشيخ القاسمي؟ وهو قد فعل ذلك، لأن عمله تهذيب للكتاب وليس تحقيقاً له وللأحاديث كما زعمتم.

ثم تتابع الطائفة من الجامعيين (بالطبع هي غير الفئة الباغية) فتقول:

«٥- ومن أهم ما قمنا به، أننا ذكرنا بحثاً في الجهاد، ليأتي الكتاب كاملاً، فإن الإمام الغزالي لم يتطرق إلى موضوعه على الرغم من خطورته وعظمته...».

وبالتأكيد ليس هذا هو كل ما أضافه «المحققون» إلى الكتاب «المفترى عليه» حتى يكون كاملاً، وإنما هذا الذي نبهو عليه في مقدمة التحقيق. فقد أضافوا في ص (١٨٦-٢٠٨) بحثاً عن شمائله صلى الله عليه وسلم.

وأهمية الجهاد مما لا يخالف فيها مسلم قط، لا تبيح إضافته إلى كتاب المؤلف (لئلا تختلط جهود العلماء والمحققين فيضيع النسب، وتهدر الحقوق)، فيمكن المحققين أن يكتبوا كتاباً عن الجهاد وينشروه باسمهم - ويأخذوا أتعابه -، ويبقى الكتاب كاملاً كما وضعه مؤلفه، لا كما أراد حضرات المحققين الماسخين للكتب.

فإذا جاوزنا المقدمة التحقيقية هذه إلى الصفحة الثالثة من الكتاب (مقدمة القاسمي رحمه الله) نجد تعليقات وتحقيقات غريبة تدعو إلى الاستفهام عن هوية الجامعيين - كما سبق - ففي متن الكتاب ص ٣ جاءت هذه العبارة: «..ويكون وافياً بحاجاتهم(٢)، آتياً على جميع كمالياتهم..» وقد وضع رقم الإحالة (٢) فوق كلمة «بحاجاتهم» وفي أسفل الصفحة التعليق التالي: «٢- في الأصل: حاجياتهم» (!)

وهذا الذي جعلوه في المتن هو الخطأ بعينه، والصواب هو ما حذفوه أو أنزلوه مكاناً ومكانةً إلى الحاشية؛ فإن «الحاجيات» نسبة إلى «الحاجّي» لا إلى «الحاجة» وهي متسقة مع السياق بدليل ما بعدها وهو قول القاسمي «آتياً على جميع كمالياتهم». ولكن جزى الله العجلة والتبجح كلَّ شرٍّ.

وفي الصفحة التي تليها، بعد صفحة فارغة، جاء في الكتاب: «..وأما الأخبار؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يراد (هكذا، وهو خطأ مطبعي صوابه: يُرِدْ) الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده» مع إحالة رقم (١) ثم يقول في الحاشية:

«١- ولفظ الحديث كما في البخاري ومسلم: «من يرد الله به خيراً يفقه (كذا) في الدين» دون زيادة «ويلهمه رشده». ومعنى يفقهه في الدين: أي يعلمه القرآن والسنة».

دع عنك كثرة الأخطاء المطبعية التي تدل على مبلغ اهتمامهم وتحقيقهم للكتاب، فأمرها قد يكون سهلاً، ولكن عد إلى التخريج للحديث، حيث تكرمت اللجنة بتخريج لفظ لم يذكره المؤلف، وتركت ما نصّ عليه، ولم تشر إلى الزيادة أين هي في غير الصحيحين ؟ إذ فيهما أصل الحديث فحسب دون الزيادة. وهل هناك من رواها بهذا السياق؟

(وللفائدة فحسب، وعلى عجل، قال العراقي في «تخريج أحاديث الأحياء» (٢١/١) طبعة دار العاصمة بالرياض: «وأما قوله: ويلهمه رشده، فعند الطبراني في الكبير». وقال الزبيدي: «ورواه مع هذه الزيادة أيضاً: أبو نعيم في الحلية، عن ابن مسعود، وسنده حسن. وفي «الصحيحين» و«مسند أحمد» بعد قوله «في الدين» زيادة: إنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله..». (المصدر نفسه).

فكيف بعد هذا، لو قلبنا بعض الصفحات لنتعرف على قيمة ما فيه من تعليقات وتحقيقات، ولا يفوتنك أيضاً: أنه قد يأتي ناشر آخر فيحذف مقدمة المحققين – كما يفعله كثير منهم اليوم وسيأتي أمثلة على هذا – وعندئذ لا يمكن تمييز أصل الكتاب الذي طالته يد التحقيق والمراجعة والدراسة المزعومة.

وإذا كان ذلك مثالاً على عبث المجهولين، فإن أمثلة أخرى تتمثل في تغيير

بعض العبارات في النصوص المحققة، قام بها بعض أبناء هذا التراث، ولم يكن عندهم ما يمنع من ذكر أسمائهم (إذ الحقوق محفوظة لأصحابها).

فأحدهم يبيح لنفسه حذف بعض الكلمات مثل صيغة الدعاء والترحم والترضي عن بعض العلماء، بسبب مخالفة فقهية، أو بسبب عداوة أو غباوة، وكأنه لا يجيز أن يدعو بالرحمة للإمام الشافعي مثلاً أو لأبي حنيفة - رحمهما الله تعالى - لأنه يخالفهم في شيء من الرأي. وأظن أن التصريح هنا باسم من يفعل ذلك ليس فيه شيء من المصلحة الآن، فلندع له بالهداية.

وقد يحذف نص من كتاب مثلاً في باب معين لضعف رأي أو خطئه، فمثلاً في طبعة الرياض لكتاب «الأذكار» للإمام النووي - تحقيق الشيخ الأرناؤوط - حذفت حكاية العتبي في الأعرابي الذي جاء إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ودعا. وهي حكاية بلا إسناد، ويرويها البيهقي في «الشُّعب» بإسناد مظلم، وهي موجودة في سائر طبعات «الأذكار» وفي كتب الفقه «كالمغني» وغيره، فليس لأحد الحق في حذفها بحجة التحقيق أو لأنها حكاية ضعيفة، وإنما يعلّق عليها في الحاشية ويبين الصواب والحق.

ثم قد علمت أن إسقاط هذه القصة إنما كان تصرفاً من مراقبة المطبوعات في دار الإفتاء بالرياض، وليس من المحقق نفسه. وهذه أعجب !

وسبقت الإشارة أيضاً إلى تصرف الأستاذ أحمد عطا، واجتهاداته الشخصية في تغيير نص كتاب «العقل» للحارث بن أسد. وهذا كله يتنافى مع الأمانة العلمية، ومع الدقة التي يتصف بها علماؤنا في آداب تصحيح النص واحترامه حتى قال العلموي: «إنه لا يجوز أن يصلح كتاب غيره بغير إذن صاحبه» ويعجب من عمل يشبه عمل محققينا الذين سبقت الاشارة إليهم فيقول: «وقد تجاسر بعضهم فغيَّر ما الصواب إبقاؤه».[1]

١- انظر: مناهج البحث عند علماء المسلمين، تأليف روزنثال ص ٦٠ وما بعدها.

من واقع الحضارة الغربية

أبو البراء عبد العزيز بن محمد

(١) السفر إلى المشرق

(سوزان ليليث) طفلة أمريكية في الثانية عشرة من العمر، تقول: إنني لا أرى والدي كثيراً، وهو مرهق باستمرار، وكذلك أمي، عندما أبلغ الثامنة عشرة أريد أن أهاجر وحيدة إلى الهند..،المدرسة قالت لي إن البيوت هناك كثيرة، وإن الناس يجلسون في الطرقات ويتحادثون، المدرسة قالت لي أيضاً: إن الهند يقدسون البقرة، وأنا لم أر بقرة في حياتي إلا على شاشة التلفزيون أو في الكتب..،لا أريد أن أبق هنا..،لا أريد أن يتجعد وجهي مثل أمي، إنني أنوي السفر إلى المشرق.

(٢) الوحدة القاتلة

(بيتو لاهايت) عجوز في الخامسة والسبعين من أصل إرلندي وتعيش منذ خمسين عاماً في مدينة (أوتاوا) الكندية تقول:

"إنني أعيش وحيدة..أولادي وأحفادي يعيشون في مونتريال، أتلق منهم الرسائل بانتظام، وأشعر أن عملية تناول الرسائل باتت (ميكانيكية)، لأنها

خالية من الود الحقيقي، هذا ليس ذنبهم..، أعود ستين عاماً إلى الوراء، عندما كانت حياتنا أشبه بالمهرجان الدائم، الآن تبدّل كل شيء، ويبدو أن الناس كلهم يسيرون في جنازة هم الأموات فيها»

(٣) العائلة والموت

[«أنقذوا العائلة من الموت» هذا النداء (الدراماتيكي) أطلقه العالم الاجتماعي الفرنسي (برنارد أوديل) وهو النداء الثالث الذي يطلقه خلال الثلاثين سنة الماضية.

كان الأول: «أنقذوا العائلة من الاستلاب» .

وكان الثاني: «أنقذوا العائلة من التفتت»

وهو يطلق النداء الثالث، لأن المعطيات التي توفرت لديه حول وضع العائلة في الغرب تثبت جميعها أنه قد حان الوقت لكي تقرع أجراس الإنذار في كل بيت من نصف الكرة الغربي]

(٤) القرآن أقوى من فرنسا

[في ذكرى مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر، وقف الحاكم الفرنسي في الجزائر يقول: «يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم..ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم»

وبعد ذلك بسنوات قلائل:

قامت فرنسا - من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر - بتجربة عملية فتم انتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، ولقنتهن الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تماماً.

وبعد أحد عشر عاماً من الجهود، هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون..

ولما ابتدأت الحفلة، فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري..

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية، وتساءلت: «ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاماً ؟!

أجاب «لاكوست» وزير المستعمرات الفرنسي:

«ماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا ؟»]

خواطر في الدعوة

من سنن الاجتماع والجماعات

عندما يبرز عالم أو داعية أو زعيم، ويشتهر أمره، تحوطه عادة جموع كثيرة من الناس: منهم المخلصون وهمهم طلب العلم أو المشورة أو المساعدة في أمر الدعوة، ومنهم المتملقون بالتقرب منه والذين يتظاهرون بالسؤال وحب الدعوة، ومنهم الفضوليون الذين يحبون الشهرة بالسير في ركاب هذا أو ذاك، وأخلاط من الناس تستمع ولكن الفائدة المرجوة قليلة، وفي غمرة حرص الداعية أو القائد على نشر هذا الخير وتكثير سواد المسلمين قد يبتعد عن المقربين المخلصين من غير تعمد منه لذلك، وهذا مما يكسر خواطرهم، ويضعف الفائدة المرجوة من التجمع والتناصر، وفي العادة فإن المخلصين يبتعدون عن التزلف ويتحاشون القرب الدائم، فإذا غلبهم العامة أو المتملقون فقد وقعت المصيبة، وقد كان الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف مدركاً لهذه الناحية عارفاً بأمور الناس والزعامة، عندما نصح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بألا يتكلم في (منى) أثناء الحج عن أمور تخص الخلافة

والاستخلاف، وكان عمر رضي الله عنه قد سمع قولة قائل: «لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً» يظن أن البيعة بهذه السهولة، يبايع من يشاء دون مشورة لأهل الحل والعقد، وكأنه ظن أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه كانت هكذا، فغضب عمر ثم قال: «إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم، قال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكناً» واستجاب عمر رضي الله عنه لنصيحة عبد الرحمن بن عوف وقام هذا المقام في المدينة.

ونقول للدعاة الذين يشار إليهم بالبنان: لا يجوز أن يغلب المتملقون والمتطفلون على أوقاتكم، ويجب أن يقرب المخلصون من تلامذتكم، وهذا من آداب القيادة وسنن الاجتماع كما قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ يقول الشيخ رشيد رضا في تفسير هذه الآية: «هذا مبني على سنن الاجتماع في الزعامة والعصبية وتأليف الجماعات، وكون ثباتها وظفرها رهناً بإيمان الجماعة التي تألفت لأجله، وولاية بعضهم لبعض بصفة يكون فيها الزعيم خير قدوة للأفراد بتفضيله أدنى المؤمنين فيهم على أعظم الكبراء من خصومهم»[1] فهل يعي هذه النصيحة الذين يتصدون للناس ولا ينسون الدعاة الصادقين الذين لا يتزلفون للزعيم.



١- المنار ١٢/٢٤١

حديث عن المنهج

د.طارق عبد الحليم

الحديث «حول» منهج أهل السنة والجماعة حديث تطمئن إليه قلوب المؤمنين وتنشرح له صدورهم. فهذا المنهج هو طريقهم السوي إلى بر الأمان في خضم تلك البدع والأهواء والفتن المتلاطمة التي يجر بعضها بعضاً للقضاء على زمرة أهل الحق.

لكن الحديث «حول» المنهج أمر، والحديث «عن» المنهج أمر آخر ...

فالحديث حول المنهج، الذي اطمأنت به نفوس المؤمنين في السنوات الماضية قام على الدعوة للرجوع إلى هذا المنهج القديم وتحبيب الناس فيه، والتركيز على أنه لا منهج سوي سواه، ولا منجى مما يحيق من فتن إلا به..فهو المنهج الذي أسسه محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي سار عليه أعلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا، ما انحرف عنه أحد إلا دخلته بدعة وفارقته سنة وبعد عن القصد وقرب مما ليس فيه مصلحة.

أما الحديث «عن» المنهج فهو يعني بيان أسس ذلك المنهج..تقعيد قواعده وتفريع فروعه..بيان مبادئه وتفصيلاته وشرح كلياته وجزئياته..وهو ما يحتاجه مسلمو اليوم ممن اطمأنوا إلى ضرورة اتباع هذا المنهج والسير على خطاه..

إن «منهج» أهل السنة والجماعة ليس هو «فتاوى» أهل السنة والجماعة أو «مذهب» أهل السنة والجماعة الفقهي أو الحركي..إنه «أسلوب» في النظر إلى

الأمور الثلاثة التي تشكل مسار الدنيا، والتي يختلف عليها الناس في كل آن ومكان: الأفكار، والأشخاص، والأحداث.

المنهج هو «طريقة» في البحث والتحري عن الحقيقة – أو بالأحرى عن الحق – تضيّق نطاق الخلاف حول تلك الأمور الثلاثة التي ما فتىء الخلاف حولها يهدد كيان المسلمين ويزعزع بنيانهم، وأهم من ذلك أنه الوسيلة التي تجعل النية والقول والعمل موافقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. أو قل إن شئت: «هو تلك الأسس والقواعد الشرعية والعقلية التي يدرب عليها عقل المسلم فتكون قالباً تصاغ من خلاله حركاته وسكناته..أقواله وأفعاله..إقدامه وإحجامه في كافة شؤون حياته».

إذن، ما هو ذلك المنهج أو الأسلوب أو الطريقة التي ما زلنا نتحدث عنها وندعو إليها ؟

سؤال يحتاج أن تتجرد له عزائم الرجال، وتتفرغ له أوقاتهم، وتشحذ عقولهم لوضع تفاصيل ذلك المنهج وحدّ حدوده ورسم معالمه.

أنواع المناهج

نوعان من المناهج يتبعها الباحثون في المجالات العلمية أو النظرية، تجدر الإشارة إليها كأحد المعالم الهادية إلى تحديد نوعية المنهج المراد؛ وهما:

أولا: تلك المناهج التي توضع تفصيلاتها وتحدد معالمها قبل البحث المقصود إليه أو المراد إنشاؤه، ويطلق عليها «أسلوب البحث». إن تعلقت بمبحث علمي، أو «خطة البحث» إن تعلقت بأمر عمليّ فيزيقي أو «خطوات البحث» إن تعلقت بأمر عمليّ في مجال الأعمال والتجارة وغيرها. هذه المناهج غالبا ما تكون مقصورة على البحث الذي وضعت لأجله.

ثانيا: تلك المناهج التي تستشف معالمها وتستنبط مبادئها من واقع حالٍ

وظروف قائمة وأحداث واقعة - سواء في الماضي أو الحاضر - لتكون هيكلاً في البحث وطريقة في النظر تتبع فيما يستحدث من وقائع أو ظروف أو أحداث في المستقبل، وهو ما نرمي إليه في الحديث عن منهج أهل السنة والجماعة. وأقرب ما وجدناه من معنى يعبر عن ذلك في معجم المباحث الغربية هو كلمة SCEME.

هذا النوع من المناهج هو ما استعمله «ديكارت» في كتيبه الشهير الموسوم بـ «مقال في المنهج» وهو الذي نبتت أفكاره من بذور الفكر الذي ساد تلك الحقبة من الزمن، والذي قامت على أساس هدم الفكر الديني الكاثوليكي، وفصل الدين عن السياسة، والوقوف في وجه طغيان الكنيسة وسيطرتها على مصائر الناس، مما أشاع فكر «التحرر» وضرورة «الشك» في المسلمات السائدة. ذلك المنهج الديكارتي هو الذي سيطر فيما بعد على مجالات الفكر النظري والعملي الغربي وأنشأ قواعد الفكر الغربي الحديث.

بين المنهج والقانون

ومما يجب أن نلفت إليه النظر هو ضرورة التفريق بين القانون أو النظرية وبين المنهج، إذ أن الخلط بينهما يؤدي إلى أخطاء كثيرة في البحث والتطبيق جميعاً.

فالقانون أو النظرية مع اختلافهما في درجة التوثيق هما قالب تفسر فيه أحداث واقعة، سواء في الماضي أو الحاضر، تحت ظروف محددة خاصة، وتنطبق أوصافها وتتحقق نتائجها كل مرة تتحقق فيها تلك الظروف أو الشروط كما في النظريات والقوانين العلمية بشكل عام.

فهي قوالب كلية استنبطت من جزئياتها[1] من جهة، ثم فسرت بها الجزئيات المستحدثة بعد ذلك من جهة أخرى.

١- ونعني بالجزئيات: الوقائع والأحداث التفصيلية التي تشكل بمجموعها قانوناً عاماً أو كلية كما يعبر عنها في أصول الفقه.

أما المنهج فهو وإن كان قالباً أو هيكلاً للبحث يقوم على أحداث ووقائع كما ذكرنا، إلا أنه أسبق في الوجود الذهني وأعلى في الدرجة من الكليات والقوانين؛ إذ على أساس منه وفي حدوده ومن خلاله تستنبط تلك الكليات والقوانين التي تفسر من خلالها الوقائع وتقدم الحلول والنتائج، أو الأحكام الشرعية والفتاوى في التعبير الشرعي.

فهو إذن مصدر الكليات والقوانين، لا بأعيانها وذواتها وإنما بذلك التحديد الذي تضعه فرضياته ومبادئه لتحكم به مسار الفكر واتجاه البحث الموصل إلى تلك القوانين والكليات.

ولنضرب مثالاً على ما نقول:

فإن القاعدة الكلية – أو القانون إن شئت – «رفع الضرر» قد استنبطت من جزئيات عديدة تكررت في مواضع عديدة من الشريعة مؤدية لذلك المعنى.

فقد قال تعالى **﴿لا تضار والدة بولدها﴾** وقال: **﴿ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا﴾** وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث: «الجار أولى بالشفعة» أي أن الشريك أو الجار أولى بالشراء من الغريب عند رغبة البيع حتى لا يأتي من يضر المالك في ملكه أو جواره.

كذلك الرد بالعيب في البيوع، وحكم الحجر على السفيه، وشرع القصاص فإن فيه رفع الضرر عن العباد بكف أذى المعتدين. كذلك جاء في الحديث «لا ضرر ولا ضرار» وهو مروي في الموطأ مرسلاً، كذلك أخرجه الحاكم في المستدرك والبيهقي والدارقطني من حديث أبي سعيد الخدري وابن ماجة من حديث ابن عباس، وهو وإن كان ضعيفاً إلا أن معناه صحيح مقرر في أماكن عديدة من الشريعة.

كل ما سبق هي جزئيات أدت إلى استنباط قانون عام كلّي هو «رفع الضرر».

والمنهج الذي أدى إلى استنباط تلك القاعدة من جزئياتها ففرضياته المتعلقة بها عديدة، منها العقلية ومنها الشرعية نذكر منها:

فرضية عقلية: أن الوقائع المتكررة في معنى واحد تؤكد ذلك المعنى وتقرره.

فرضية شرعية: • أن الأحكام الشرعية إنما قصد بها جلب مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم.

• أن مقصود الشرع هو تحقيق «أفضل» الحلول الممكنة حسب الواقع لا الخيال.

• تساوي الناس في حق تحصيل المنفعة ودفع المضرة.

وماذا بعد ؟

في إطار ما قدمنا يحق للقارئ أن يتساءل: إذن ما هي مصادر منهج أهل السنة والجماعة، ما هي معالمه ومبادئه وما هي حدوده ؟ ثم ما هي قواعده وتفاصيله ؟ أيطابق منهج أهل السنة في النظر والاستدلال منهجهم الحركي أم يغايره في بعض تفصيلاته ؟ إلى آخر تلك التساؤلات التي آن لها أن تجد أذناً صاغية وعقولاً واعية.

ولأن الغرض الأساسي من حديثنا هذا عن المنهج هو إلى شحذ الفكر وطرح السؤال أكثر منه إلى إملاء الفروض وتقرير الجواب فإننا نكتفي بهذا القدر، وندعو إلى المشاركة في وضع تلك المعالم والتفصيلات. فقد آن لنا ذلك، والمسلمون بحاجة شديدة إلى مثل هذا العمل، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

التعليم في أفريقيا

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

انتشرت الصحوة الإسلامية بفضل الله تعالى في أقطار عديدة من الأرض شرقاً وغرباً، وشمل هذا الانتشار قارة إفريقيا السوداء..إلا أنَّ حظها من هذه الصحوة لم يكن كغيرها لظروف فكرية واجتماعية وبيئية تعيشها هذه القارة، لكن العقد الأخير أظهر انتشاراً سريعاً للوعي الإسلامي فيها مما يبشر بخير كثير إن شاء الله..وإن من أبرز مجالات الدعوة الإسلامية في تلك القارة مدارس التعليم الإسلامي بمراحلها الابتدائية والاعدادية والثانوية..إذ أن الجمعيات الإسلامية اهتمت بهذا الجانب أكثر من غيره لأسباب كثيرة، من أهمها: انتشار الجهل الشديد في تلك القارة وكانت بداية تلك المدارس رد فعل للمدارس التنصيرية أو العلمانية التي تسعى لمسخ الهوية الإسلامية في نفوس الناس.

وقد نجحت بعض المدارس الإسلامية في حماية بعض شباب الأمة من الوقوع في براثن التغريب والتنصير.

وقد قمت بزيارة لمدارس عديدة في دولتي السنغال وجمهورية غامبيا في الغرب الإفريقي، ووجدت أن المدارس الإسلامية الجادة قليلة جداً، ومع ذلك فهي لا تخلو من عيوب كبيرة، ولمست بعض العوائق التي تؤثر سلباً على مسيرة التعليم في تلك المدارس، ومن أهمها:

أولا: المناهج الدراسية:

تعتمد المدارس الإسلامية - في أغلب الأحوال - على المناهج المقررة في الدول العربية، وخاصة مقررات المملكة العربية السعودية..ومن هنا تبدأ المشكلة، إذ أن تلك المناهج ألفت لتتناسب مع العقلية العربية، والخلفية الفكرية الاجتماعية للطلاب، وصيغت بأسلوب يتلاءم مع أناس يعرفون العربية قراءة وفهماً..ومن ثم فإن نقل هذه الكتب إلى بيئة اجتماعية وفكرية مختلفة تماماً سوف يؤثر حتماً على مستوى التعليم خاصة أن بعض تلك الكتب ألفت لمناقشة بعض الأوضاع التي تناسب المكان المقرر فيه..ومن الطريف أنني دخلت أحد الفصول الدراسية للمرحلة الإعدادية ورأيت المدرس يشرح لتلاميذه تضاريس دولة الإمارات العربية..!

وفي فصل آخر رأيت أحد المدرسين يُعلِّم تلاميذه مسألة التعصيب في علم المواريث من كتاب مقرر في المعاهد العلمية السعودية..مع أني أجزم بأنّ كثيراً من الطلاب لم يتعلم في تلك المرحلة أساسيات العبادات والمعاملات..!

وأحياناً تجد في المدرسة الواحدة بل في الفصل الواحد منهجاً من وزارة المعارف السعودية، ومنهجاً آخر من مناهج المعاهد العلمية، وثالثاً من الأزهر، ورابعا من الكويت..وهكذا لينتج خليطا غير متجانس من المقررات المبعثرة التي قد لا يربطها رابط..مع أن بعض المدارس قد تعتمد بعض الكتب المنهجية التي لا تخلو من انحرافات عقدية بدعية لأنها هي المتوفرة لديهم !! هذا إذا توفرت النسخ للطلاب، حيث تعاني معظم المدارس الإسلامية من ندرة الكتب المقررة التي لا توجد إلا في يد المدرس، ومعه عدد قليل من الطلاب وأذكر أني رأيت في إحدى المدارس السنغالية كتاب التفسير في يد أحد المعلمين من مقررات وزارة المعارف السعودية المطبوعة في عام ١٣٨٤هـ !

وهذا التشتت في المناهج المتعلقة بالعلوم الإسلامية واللغة العربية، ولو انتقلنا إلى العلوم التجريبية

والتكنولوجية لوجدنا الكثير من المضحكات والمبكيات، إذ أن كثيراً من المدارس الإسلامية لا تهتم بتدريس مواد العلوم والرياضيات، وإن درست فهي تدرس بشكل بدائي لا يكاد يؤثر تأثيراً بيناً في المستوى العلمي للطلاب..ولهذا فالغالب أن المدارس الإسلامية غير معترف بها حكومياً. بمعنى أن المتخرج من المدارس الاعدادية الإسلامية لا يستطيع أن يلتحق بالمدارس الحكومية الثانوية، وعلى ذلك فقس في بقية المراحل. بل إن المتخرج من المدارس الإسلامية لا يُقبل للعمل في القطاعات الحكومية المختلفة، لأنه لم يدرس اللغة الرسمية للبلد ولم يتعلم الثقافة العصرية، فأصبح الأطباء والمهندسون والإعلاميون والاقتصاديون من غير المسلمين، أو ممن تربى في المدارس العلمانية أو التنصيرية.

وهذا الأمر أوجد هوّة واسعة بين تلك المدارس وبين القطاعات الرسمية، مما جعل المسلمين المتميزين بعيدين تماماً عن قيادة المجتمع من الناحيتين الفكرية والإدارية. من أجل ذلك أصبحت المدارس الإسلامية في أغلب الأحوال وقفاً على الفقراء والمساكين الذين لا يملكون قيمة الرسوم في المدارس الحكومية، فيلتحقون بالمدارس الإسلامية لأن الرسوم منخفضة ميسورة. أو يلتحق بهذه المدارس الطلاب الذين لم يستطيعوا الاستمرار في المدارس الحكومية لضعف مستواهم العلمي.

وهكذا يدور الطلاب في حلقة مفرغة، يأتي الطالب من الحقل أو المرعى ليدرس، ثم يتخرج، ليعود مرة أخرى للحقل أو المرعى..وإن يسَّر الله له منحة إلى بلد عربي، وأخذ الشهادة الجامعية رجع لمدرسته - إن استطاع - ليدرِّس فيها جيلاً آخر، أو عاد كغيره للحقل أو السوق ليعمل في التجارة الخفيفة.

وهذه المشكلة دفعت بعض الجمعيات الإسلامية إلى افتتاح معاهد للتدريب المهني، لتدريب الشباب على النجارة والحدادة وأعمال الكهرباء..وهذا أمر جيد بلا

شك، لكنه يبقي المسلمين بعيداً عن معترك القيادة والتوجيه للمجتمع، فلا أظن أنَّ المقصود فقط هو تأمين لقمة العيش فحسب - وإن كان ذلك مطلوباً - بل المقصود: قيادة المجتمع وتوجيهه الوجهة الإسلامية المتكاملة.

ثانياً: المدرسون:

تعاني المدارس الإسلامية في إفريقيا من قلة المدرسين الأكفاء تربوياً وعلمياً..ولابد أن يظهر أثر هذا الضعف على مستوى الطلاب. فبضع المدارس الإسلامية تعتمد على مدرسين يحملون الشهادة الإعدادية لتدريس الطلاب في المرحلة الابتدائية، ومدرسين يحملون الشهادة الثانوية للتدريس في المرحلة الإعدادية..وهم يفعلون ذلك لقلة المدرسين المتخصصين، ولأن أولئك أقل تكلفة من الناحية المالية وعلى أحسن الأحوال فهم يعتمدون على خريجي الجامعات العربية لتدريس جميع المواد لجميع المراحل حتى إن بعض المدرسين المتخرجين من الجامعات الشرعية قد يكلفون بتدريس مادتي الرياضيات والعلوم.

ونتيجة لضعف المستوى العلمي للمدرسين أصبحوا يهتمون بتحفيظ الطلاب تحفيظا مجرداً ولا يهتمون بتاتا بالمحتوى العلمي الشرعي أو التجريبي..وإذا قرنت بين مشكلة المناهج الدراسية وعجز المدرسين عن توصيل تلك المناهج على ما فيها من العيوب..فلك أن تتصور مدى الضعف العلمي والتردي الفكري الذي يصيب الطلاب على وجه العموم.

ويتبع ذلك القصور الإداري والتنظيمي في كثير من تلك المدارس، فكثير منها يفتقد التخطيط والدراسة والتنظيم.

ثالثاً: التميُّز:

التميز في المدارس الإسلامية ظاهر والحمد لله إذا قورنت بنظيراتها من المدارس الحكومية أو التنصيرية، لكن يظهر هناك قصور في عدة جوانب، أذكر منها:

١- الاختلاط: الاختلاط في الدول الافريقية سمة طبيعية لتلك المجتمعات، بسبب الخلفية الاجتماعية والظروف الاستعمارية والتغريبية التي مرت عليها. والعجيب أنَّ معظم المدارس الاسلامية - إن لم تكن كلها - لم تسلم من ذلك الداء، ولا أعني المدارس الصوفية أو غيرها..بل أعني المدارس ذات الاتجاهات الفكرية الجيدة..صحيح أن بعض المدارس تلزم الطالبات بما يسمى بالحجاب الإسلامي..وصحيح أن الطالبات يوضعن في طرف والطلاب في طرف آخر. إلا أن الاختلاط متحقق قطعاً..وتكمن الخطورة في المرحلة الاعدادية والثانوية.

وقد لمست من حيث الجملة قلة اهتمام من الطالبات بالحجاب، وضعف متابعة من المدرسين لهذه القضية. وقد يحتج القائمين على تلك بحجج منها:

ا- أنهم لا يستطيعون بناء مدارس مستقلة للنساء لضيق ذات اليد.

ب - حتى لو تم بناء مدارس خاصة للنساء فيصعب عليهم توفير معلمات قديرات، ولهذا قد يضطرون إلى الاستعانة بالرجال..وهذه أشد.

والقائمون على تلك المدارس يعلمون جيداً أنهم قادرون على تجاوز هذه العقبات لو كانوا جادين في طرح المشكلة والاهتمام بها.

٢- تعتمد المدارس الإسلامية على النظام الحكومي في بداية وانتهاء العلم الرسمي..وبسبب الخلفية الاستعمارية اعتمدت الدولة يومي السبت والأحد عطلة رسمية، وتبعتها على ذلك المدارس الإسلامية في السنغال، مع أنها غير ملزمة إدارياً بذلك..ولا أظن أن هذه المسألة هينة فيما قد يبدو، حيث إن في ذلك تذويباً لقضية الولاء والبراء، وتهاوناً في مخالفة النصارى.

ومع تلك الملاحظات إلا أن المدارس الإسلامية تقدم جهداً مباركاً في توعية الناس وتعليمهم أمور دينهم، وتحميهم من حبائل المنصرين وشراكهم. ولتجاوز تلك

العقبات أطرح هذه التوصيات:

أولاً: إعداد مناهج جديدة للعلوم الشرعية وتعليم اللغة العربية، تتناسب مع خلفيات بلادهم الفكرية والاجتماعية، لتعالج المشكلات الإسلامية والحياتية التي يعاني منها أهل تلك المنطقة، وتحتاج هذه المناهج إلى دراسات واعية ومتعددة تخضع لتجارب ميدانية متزنة، وبذلك نضمن نشر اللغة العربية وتعميق الوعي الشرعي بين الطلاب، بالإضافة إلى تحصينهم من شبهات النصارى والقاديانيين.

وأقترح أن تكون هذه المناهج من المراحل الأولى، ثم ينتقل بالطلاب تدريجيا من مرحلة إلى أخرى، مع التقويم المستمر لكل مرحلة تربوياً وعلمياً ولغوياً.

ثانياً: اعتماد المناهج الحكومية الأخرى في الرياضيات والعلوم وغيرها، وتدرس باللغة الرسمية للبلد، وبذلك نضمن التواصل بين المدارس الإسلامية والمجتمع من حولهم وبهذا نيسِّر للطلاب المسلمين المتميزين الدخول في الجامعات التكنولوجية، ليكون لهم دور في الطب والهندسة، وغيرها من المجالات التي توجه البلد وتدير دفته.

ثالثاً: محاولة تشجيع وتبني الطلاب المسلمين المتميزين الذين تيسَّر لهم الدخول في جامعة دكار لدراسة العلوم التجريبية الحديثة، وتثقيفهم بالثقافة الإسلامية اللازمة، وتعليمهم اللغة العربية قراءة وكتابة.

رابعاً: إعداد دورات مستمرة لتدريب المعلمين وتثقيفهم في شتى مجالات المعرفة العلمية والتربوية القادرة على الانتاج البناء في هذا المجال.

ويتبع ذلك إعداد دورات مستمرة للإداريين لنضمن حسن الإدارة والتنسيق والتنظيم.

عقيــدة

من لهذه الوثنية المتعددة

الشيخ/ اسماعيل بن سعد بن عتيق

«من المعلوم من الدين بالضرورة أن تحقيق كلمة التوحيد لا يتم بمجرد الإيمان بالله..بل لا بد مع ذلك من الكفر بالطواغيت والتبرؤ منها..

وهذا المقال يعالج جانباً مما يقع فيه كثير من المسلمين اليوم مما يناقض هذه البديهية..والبيان وهي تفسح المجال للكشف عن هذا الجانب انطلاقاً من منهجها لتتطلع الى علماء هذه الأمة ومن نفس المنطلق أن يكشفوا زيف الطواغيت الأخرى التي غرق الناس في عبادتها..كمن يشرع ويحكم بخلاف حكم الله ويطيعه الناس في ذلك..وكمن يحلل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله وكالأهواء والأفكار التي سادت أذهان النّاس واتخذوها موجها ودليلاً لتصوراتهم عن الكون والحياة والإنسان..والحسن والقبيح والحلال والحرام..وغير ذلك من أمثال هذه القضايا الخطيرة التي تهز العقيدة من أساسها».(البيــان)

كتب الله لي أن أزور كثيراً من عواصم العالم الإسلامي ورأيت في كل صقع من أصقاعه من يتهافت على تلك الأوثان حباً وتعظيماً وخشية وإنابة وتضرعاً وافتقاراً ولا حرج في التمثيل وذكر بعض أمثلة لتلك الدول التي تبنت الاسلام شعاراً لا عقيدة ومع الأسف فهي محسوبة على الإسلام !! والله المستعان.

وأترك أسماء المدن لفطنة القارئ ليستنتج مواقع هذه الأوثان ومواطنها.

١- قبر مزعوم للحسين يحج له الناس ويتقربون إليه بالنذر والقربات وتجاوز ذلك إلى الطواف به والاستشفاء وطلب قضاء الحاجات عند الملمات.

٢- السيد البدوي له مواسم في السنة أشبه بالحج الأكبر يقصده الناس من خارج البلاد وداخلها، وسنة وشيعة وهذان نموذجان في دولة واحدة من أقدم الدول العربية والإسلامية في التعليم النظامي وفيها أكبر مؤسسة تعليمية نظامية منذ القرن الثالث الهجري والتي كان لدعاتها وعلمائها الأثر الطيب في نشر الإسلام والدعوة إليه ولكن كما قيل:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

٣- جلال الدين الرومي الذي كتب على قبره ومزاره: صالح للأديان الثلاثة المسلمين واليهود والنصارى ويدعى هذا الوثن بالقطب الأعظم وفعلاً كان قطباً تدور عليه أفلاك أرباب المصالح الدنيوية طلاب الشرف باسم الدين المزور وقد لقي كل تشجيع وتقديس من الأيدي الخفية لإبقاء شعلة الوثنية وقّادة في العالم الإسلامي، فقبر جلال الدين الرومي في دولة ضمت الإسلام ثمانية قرون على أيدي السلاطين المسلمين، ليسوا بالعرب ولا العرب منهم، ولكنهم المسلمون الذين تنبأت الرسالة المحمدية بظهورهم فكان في ظهورهم دلالة من دلائل النبوة وغير جلال الدين الرومي كثير وكثير في هذه الدولة التي أضحت دولة علمانية تحارب كل ما هو إسلامي حتى أصبح الإسلام غريباً في بحور المادة.

٤- محي الدين بن عربي صاحب «فصوص الحكم» والمعتقد بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وزعيم الفلاسفة القائلين بهذه البدعة المكفرة، أقول: إن مزاره وثن يعبد ويقدس في عاصمة دولة كانت عاصمة الخلافة الأموية ولا يزال في أهلها الخير إن شاء الله، غير أن الفتنة بهذا الوثن تزداد يوماً بعد يوم، وقفت على باب القبة لأرى وأعتبر وكنت أحمل حذاءً في يدي فأنكروا علي بالإجماع: كيف تقرب من المقام وفي يدك حذاؤك احتراماً وتقديساً للولي؟! إنها لعبرة وعظة

لأهل التوحيد والإيمان وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٥- داتا صاحب (مقبرة علي هجويري) في المشرق الإسلامي يتنابها الزوار في كل صباح ومساء ومن عجيب ما شاهدته أن له يوماً في العام تراق عليه الألبان حتى لا نجد في الأسواق لبناً يباع ويشترى، وله يوم في العام يغسل بماء الورد والطيب أسوة بالكعبة المشرفة يتشرف بتغسيله الساسة والقادة في البلاد وليتك ترى ما يصنع حول هذه المقبرة من منكرات أخلاقية فضلاً عن العقيدية وحولها الرقص والدف والاختلاط والتبرك بسدنة هذه المقبرة يفعل ما لا يجوز ذكره، وفي هذه الدولة حزب سياسي يزعم أنه إسلامي قد فتح باب الخرافة والبدع على مصراعيه، ويحكى أن وزير أوقاف هذه الدولة شكى لرئيس الدولة عجز الميزانية في وزارته فاتفق الرأي على إيجاد باب الجنة يتفتح دخوله الأعيان والرؤساء ثم تباع التذاكر للسواد الأعظم من جهلة المسلمين على أن من دخل هذا الباب فقد دخل الجنة وبهذا زال العجز المالي بفضل هذه التذاكر وصكوك الغفران! ولعل القارئ يتساءل كيف يحصل هذا في دولة نالت استقلالها لتقيم حكم الشريعة في دولة إسلامية مثالية في المشرق الإسلامي كيف يحصل هذا في دولة ضحت بالكثير في سبيل الاستقلال ومحاولة تطبيق الشريعة الإسلامية ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن نسبة أهل البدع والخرافة تزيد على (٨٠٪) ما بين متصوف وقبوري وأصحاب نحل تنتمي إلى الإسلام كالقاديانية والبهائية والاسماعيلية الباطنية: أما وثنية القبور فكثيرة ومنها مدينة تعرف بمدينة القبور والتمور والفقر والإفلاس أعاذنا الله وإياكم من خسارة الدين والدنيا ولا أريد أن أستطرد، فهذا مثال للعبرة والفطنة لنقول: من لهذه الأوثان المتعددة، ثم انتقل بك إلى قطاع آخر في عالمنا الإسلامي.

٦- مقبرة أحمد التيجاني زعيم طائفته ورائد التضليل الذي شرع للناس بمشورة الفرنسيين الطريقة المنسوبة إليه والقائل: إن جوهرة الكمال أفضل من القرآن الكريم سبعمائة مرة وكذا صلاة الفاتح وهما وردان ترددهما الطائفة

التيجانية صباحاً مساءً ويكتفون بقراءتها وتلاوتها عن القرآن الكريم. مقبرة زعيمهم أحمد التيجاني وثن يعبد من دون الله ويحج له الناس تعبداً لنيل البركات.

٧- مقبرة عثمان فيدو الذي صمم على قبره بناية أشبه بالكعبة وكسيت بالحرير الأسود وحينما سئل أحد أحفاد هذا المصلح قال: وضعت هذا أسوة بقبر أحمد التيجاني ومع أن الإمام عثمان فيدو كان ممن أقام به الله الدين وتبنى دعوة الإصلاح أشبه بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلا أن طريقته قادرية ثم تحول اتباعه إلى الطريقة التيجانية..

وبعد فهذه سبع نماذج من المشرق الإسلامي ومغربه وأوسطه تعطي أمثلة من اتجاه العالم الإسلامي وعقيدة الإسلام الصحيحة ولا ننكر أن هناك منظمات وجمعيات وأحزاباً كلها تدعو إلى الإسلام ولكن أي إسلام هو؟ اتجهت طائفة إلى محاولة إيجاد الدولة الإسلامية لتنفيذ التشريع والأحكام وكانت أخرى تتبنى السلوكيات والتعبد من غير دخول في السياسة ولا شعابها الملتوية وهاتان الطائفتان فشلتا في تطبيق شمولية الإسلام والإيمان بقاعدته التوحيد - والعالم ينتظر منطلق الدعوة المحمدية المبنية على توحيد الله وطاعته واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في كل دق وجل. والدولة الإسلامية المنفذة لأحكام الله وشرعه على أساس من التوحيد والتصديق والتجرد من كل شائبة بدعة أو شرك.

أقول مرة أخرى: من لهذه الوثنية المتعددة؟ ونرجو أن يكون هذا المقال فاتحة خير ونافذة أمل في العمل على إبطال الوثنية في العالم كله، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مدخل إلى وحدة العمل الإسلامي

تأليف: جمال سلطان
عرض وتلخيص: د. حسن حسن إبراهيم

اختلاف الفكر حقيقة ثابتة..فكما أنه لكل إنسان بصمة أصبع كذلك لكل إنسان أيضاً بصمة فكرية من صفاتها أنها «متحولة». فقد تعرض على الكافر كافة البراهين التي تدفعه للإيمان إلا أنه يحجم ثم يأتي لحظة تقلب موقفه الفكري رأساً على عقب فيقرر الإيمان.

فقه الخلاف في الجيل الراشد:

في هذا الجيل تم توظيف ظاهرة الاختلاف توظيفاً بناءاً لم يحدث في أي جيل آخر. وكان ذلك ثمرة تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته ونتيجة لتمسكهم بهديه. فعندما أرسل صلى الله عليه وسلم معاذاً وأبا موسى إلى اليمن قال لهما «تطاوعا ولا تختلفا»[1] أي لا يصر كل منكما على رأيه واجتهاده ويصعد الخلاف حوله وإنما يتساهل فيه ليقدم وحدة العمل على اختلاف الاجتهادات

١- متفق عليه

والآراء.

وجاء في بيعة الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم «وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن نرى كفراً بواحاً لنا فيه من الله برهان»[1] فهذا النص يبين مبلغ حرصه صلى الله عليه وسلم على وحدة الأمة حتى أنه لم يعد ينقضها إلا نقض الإسلام ذاته. وعندما خرج النبي صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وقد تماروا في آية من القرآن حتى ارتفعت أصواتهم فأخذ يرميهم بالتراب وقد احمر وجهه صلى الله عليه وسلم ويقول: «مهلاً يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً بل يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه»[2] والنبي صلى الله عليه وسلم لم يعرض لقضية: الصواب والخطأ في اختلافهم وإنما عرض لحسم مادة الشقاق برفع الخلاف والانشغال عنه بغيره.

والخلاف في الإسلام نوعان:

- **الخلاف التخصيبي**: هو ذلك الاجتهاد الجاد التي يبحث ويتفحص لكي يخرج برأي يزيد الآخرين تبصراً بابعاد الموقف ويزيدهم فهماً للقضية محل النظر دون إملاء هذا الرأي على الآخرين كحل نهائي لا يجوز خلافه، وهذا خلاف محمود.

- **الخلاف التفريقي**: وهو ذلك الخلاف في الرأي الاجتهادي الذي يتعدى الموقف الفكري ليتشخص في موقف عملي يلزم الآخرين باتباعه ويؤسس على ذلك سلوكاً يشكل خطراً على وحدة الأمة المسلمة. وهذا خلاف مذموم.

الخلاف في واقعنا الإسلامي المعاصر:

هو خلاف تفريقي مذموم متجه إلى شق الصفوف وتفريقها وأسبابه هي:

١- متفق عليه.

٢- رواه أحمد.

١- ضعف المحصلة العلمية: وهذا يؤدي إلى تعظيم الصغائر وتصغير العظائم كمن تنازعوا قديماً في دم البعوضة واستباحوا دم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكهؤلاء الذين عندهم استعداد لتدمير الحركة كلها من أجل خلاف فقهي بسيط.

٢- عدم فهم مقاصد الشريعة: فيؤدي ذلك إلى عدم فقه ترتيب الفروض وهو فقه غزير لا سيما الآن حيث يصعب أن تقيم فريضة إلا على حساب أخرى وأن تحقق مقصداً شرعياً إلا بتفويت آخر.

٣- الهوى والاستبداد: ويتمثل ذلك في تقديم الولاء للحركة على الولاء للإسلام مما يؤدي إلى إقامة حاجز بين أفراد هذه الحركة وبين غيرهم من المسلمين.

٤- عقم العقل المبدع: الذي يبحث عن الأفكار الجديدة ويولد القضايا العملية الجادة التي تشغل العقل بدلاً من أن ينشغل بالجدل وبما لا يجدي من قضايا كما هو حادث الآن فيؤدي هذا إلى انشطار الصف.

٥- غياب المشروع الحركي المتكامل: أو ما يطلق عليه «استراتيجية الحركة» فالكثير من الفصائل الإسلامية يتحرك بعشوائية وحسب الظروف فتكون عرضة للاختراق والتدمير من الداخل والتورط والانزلاق والغرق أحياناً.

٦- أوهام الورع التي تصل بالبعض إلى حد الوسوسة فيصير بذرة للفتنة خاصة عندما يبدأ في إعلان انتقاداته للسلوكيات المخالفة للمستحب، فيرسب ذلك حزازات في النفوس تنبه روح التمرد.

٧-العجز عن إدراك طبيعة حركة الفكر وقوانينها: ومن أهم هذه القوانين قانون الحرية فلا فكر بلا حرية والمفكر اليوم عليه مراجعة نفسه ألف مرة قبل إطلاق فكرته لأنه سوف يهتم بالتبديع والتجهيل والتضليل ثم الاتهام بالعمالة. وقانون آخر يهمل وهو قانون تراكم

الخبرة المعرفية وتلاقح الأفكار. فالفكرة الآن ترفض دون أن تنقض أو تهذب أو يضاف إليها.

العلاج:

لن يكون إلا بطريقة تربوية شاملة تراعي التوجيه الخفي الذي يلفت ولا يصدم وينصح ولا يجرح، ومن ذلك:

١- تربية العاملين على التجرد لقضايا الإسلام العامة وأن حفظ الإسلام أقدس من حفظ الحركة.

٢- توظيف الطاقات في ضبط الرؤية الفكرية وفي ضبط منهج العمل.

٣- إحياء وممارسة أدب الاختلاف في الإسلام فالسلفية ليست مجرد ثراء فقهي ولكنها في المقام الأول تأسٍ تربوي وأخلاقي وسلوكي بما كان عليه سلفنا الصالح. ونحن في حاجة أولاً إلى «فقه الخلاف» بتحليل ظواهره والكشف عن أسبابه ثم نفهم التناول الشرعي له وبعد ذلك يأتي «أدب الاختلاف».

٤- ترسيخ قاعدة الشورى في العمل الإسلامي حتى يدرك كل مسلم رأيه محترم وله دوره وفعاليته وأحياناً قد يحسم المسألة.

٥- إحياء وتوسيع أبحاث «فقه السيرة» خاصة فقه السيرة في الخلاف وكيف عالجته السيرة.

٦- تعميق الفهم في أبعاد ظاهرة الخلاف وكيفية التعامل مع كل بعد.

٧- تربية الأفراد على ضبط قواعد الحوار واحترامها وفي مقدمة هذه القواعد: السماع الجيد للرأي الآخر وتجريد عرض الفكرة بعيداً عن المزايدات وتحديد نقطة الخلاف بدقة.

٨- الاهتمام بالنقد الإيجابي البناء الذي يعطي البديل لما يرفض لا الذي يقف عند حد الرفض المجرد.

تحزيب القرآن وهدي السلف في ذلك

محمد عبد الله الدويش

إن القلوب تصدأ وتقسو، والنفس تضعف وتهبط بها دواعي الشهوات وهواتف الدنيا والإنسان يعيش في هذه الدار في معركة مع النفس والهوى والشيطان. ولئن كان المقاتل يحتاج للسلاح المعنوي والمادي. فالذي يخوض معركة المصير أولى بأن يعتني بإصلاح نفسه.

والذي يحمل لواء الدعوة وراية الإصلاح أولى الناس بأن يهتم بنفسه وتربيتها، وصلتها بالله عز وجل. وأولاهم بأن يأخذ الزاد في سفره إلى الله والدار الآخرة.

وما تقرب إلى الله بأفضل من تلاوة كتابه والوقوف عند معانيه وحدوده فحري بنا أن نضرب من ذلك بسهم وافر. ومن رحمة الله بعباده وفضله عليهم أن شرع لهم ما يتعبدون به إليه سبحانه.

ولما كان تحزيب القرآن من السنن المهجورة بل المجهولة عند كثير من طلاب العلم فضلاً عن عامة الناس. في حين كان الأمر متواتراً ومعلوماً عند السلف، فقلما تقرأ في ترجمة

أحدهم إلا ونجد أنه كان يختم القرآن في كذا وكذا. لذا رأيت أن أجمع بعض ما ورد في ذلك لعل الله عز وجل ينفع به.

تمهيد: قال ابن فارس (٥٥/٢) «الحاء والزاي والباء أصل واحد وهو تجمع الشيء»، فمن ذلك الحزب وهو الجماعة من الناس قال تعالى ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾. والطائفة من كل شيء حزب. يقال قرأ حزبه من القرآن»

وقال في النهاية (٣٧٦/١) «الحزب ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة كالورد، والحزب النوبة في ورد الماء. ومنه حديث أوس بن حذيفة: سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن».

ومعنى ذلك أن يجعل الإنسان لنفسه نصيباً يوميا يقرؤه ويتعاهد نفسه عليه، بحيث يختمَ القرآن في كل شهر، أو عشرين، أو خمسة عشر، أو عشر، أو سبع أو غير ذلك.

١- وقد ورد في السنة النبوية استعمال ذلك المصطلح في قوله صلى الله عليه وسلم (من نام عن حزبه) وقوله (إنه طرأ على حزبي من القرآن).

وقد بوب غير واحد من الأئمة بتحزيب القرآن. وقال عقبة بن عامر: ما تركت حزب سورة من القرآن. وقال نافع لا تقل ما أحزبه. وسوف يأتي تخريج هذه النصوص إن شاء الله عز وجل.

٢- واستعمل عند السلف بلفظ الجزء فقد ورد في كلامه صلى الله عليه وسلم (قرأت جزءاً من القرآن) وقال عبد الله بن عمرو: هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة وعن عائشة: إني لأقرأ جزئي، وعن ابن عباس وابن عمر أنهما كانا يقرآن أجزاءهما بعدما يخرجان من الخلاء.

٣- واستعمل بلفظ الورد، فعن ابن عمر قال: كنت في قضاء وردي، وعن الحسن أنه كان يقرأ ورده من أول الليل.

٤٩٦

المسألة الأولى: بعض فضائل تلاوة القرآن

إن النصوص الدالة على فضل القرآن أشهر من ان تورد، إنما نورد هنا بعض فضائل تلاوته.

قال تعالى ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور * ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾ وقال عز وجل ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك من الصالحين * وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾

أما من السنة فالأدلة على فضله كثيرة، ومن فضائله:

١- أن الماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يتتعتع فيه له أجران كما في حديث عائشة عند الشيخين والترمذي وأبي داود.

٢- أنه يقال له يوم القيامة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا كما أخرجه أحمد وأهل السنن إلا النسائي من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً.

٣- أن له بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها كما أخرجه الترمذي والدارمي من حديث ابن مسعود.

٤- أن الآية منه خير من الخلفة السمينة كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة.

٥- أن مثل المؤمن الذي يقرؤه مثل الأترجة كما رواه الستة إلا ابن ماجة عن أبي موسى الاشعري.

٦- أنه يأتي شفيعاً لأصحابه يوم القيامة كما رواه مسلم عن أبي أمامة.

٧- تنزل السكينة لقراءته كما رواه الشيخان من حديث البراء.

٨- أنه يقود قارئه يوم القيامة لتاج الكرامة ورضى الله عز وجل كما أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة.

المسألة الثانية: مشروعية تحزيب القرآن

١- حديث عبد الله بن عمرو وهو حديث طويل مشهور رواه جمع من الأئمة منهم الأئمة الستة. ولفظه عند مسلم: «كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة، قال فإما ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإما أرسل لي فأتيته فقال: «ألم اخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟» فقلت بلى يا نبي الله ولم أرد إلا الخير، قال: «فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام...»،ثم قال: «واقرأ القرآن في كل شهر» قال قلت يانبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال: «فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً» قال: فشددت فشدد علي، قال وقال لي النبي صلى الله عليه وسلم «لعلك يطول بك العمر» فصرت إلى الذي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كبرت وددت أني قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم».

٢- حديث من نام عن حزبه وقد أخرجه مسلم (٧٤٧) وأبو داود (١٣١٣) والنسائي (١٧٩٠) والترمذي (٥٨١) وابن ماجة (١٣٤٣) ومالك في الموطأ (١/ ٢٠٠) وابو عبيد في فضائل القرآن (٢٨٥) وعبد الرزاق في مصنفه (٤٧٤٧) وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٢٦٣٤).

ولفظه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل».

٣- ما رواه أبو داود (١٣٩٦) والمرزوي في قيام الليل كما في المختصر (١٥٧) عن ابن الهاد قال: سألني نافع بن جبير بن مطعم فقال لي: في

كم تقرأ القرآن، فقلت ما أحزبه، فقال لي نافع: لا تقل ما أحزبه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قرأت جزءا من القرآن» وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٢٤١).

٤- حديث أوس بن حذيفة الثقفي ولفظه «قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد ثقيف فنزّلوا الأحلاف على المغيرة بن شعبة، وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بني مالك في قبة له، فكان يأتينا كل ليلة بعد العشاء فيحدثنا قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه، واكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قريش ويقول: «ولا سواء كنا مستضعفين مستذلين فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا» فلما كان ذات ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلت يا رسول الله لقد أبطأت علينا الليلة قال: «إنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أتمه» قال أوس: فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل»[1]

والحديث قال فيه أحمد شاكر فيما نقله في تهذيب السنن (١١٣/٢) عن ابن عبد البر أن ابن معين قال: «حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم في تحزيب القرآن ليس بالقائم. وضعفه الألباني في دفاع عن الحديث، كما في ضعيف ابن ماجة (٢٨٣). لكن حسنه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٢٧٦/١) والحافظ ابن حجر كما في الفتوحات لابن علان (٢٢٩/٣). وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره محتجاً به على أن المفصل يبتدئ من سورة ق. واحتج به شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن التحزيب بالسور والأجزاء كما سيأتي.

وقد تواتر ذلك عن السلف رضوان الله عليهم فعندما تقرأ في ترجمة أحدهم تجد أنه كان يختم القرآن في كذا وكذا وسيأتي بعض هذه الآثار.

المسألة الثالثة: هدي السلف في تحزيب القرآن

أولا: ذكر من روي عنه الختم في سبع:

أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن (٢٩١) بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت إني لأقرأ جزئي - أو قالت سبعي - وأنا جالسة على فراشي أو على سريري.

وأخرج الطبراني كما في المجمع (٢/٢٦٩) وقال رجاله ثقات عن الأحوص قال قال عبد الله «لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث، اقرأوه في سبع ويحافظ الرجل على حزبه» وكذا أخرجه ابن أبي شيبة (٢/٥٠٢) دون قوله وليحافظ..

وأخرج أبو عبيد في فضائل القرآن (٢٦٣) والبيهقي في السنن (٢/٢٩٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يختم في غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة.

وقال الحافظ أخرج ابن أبي داود عن عثمان وابن مسعود وتميم الداري أنهم كانوا يختمون في سبع بأسانيد صحيحة.

وأخرج ابو عبيد (٢٦٦) عن إبراهيم أنه كان يقرأ القرآن في كل سبع وكذا رواه ابن أبي شيبة (٢/٥٠١).

وأخرج ابن أبي شيبة (٢/٥٠١) والفريابي (١٣٨) عن هشام بن عروة قال كان عروة يقرأ القرآن في كل سبع.

وأخرج أيضاً (٢/٥٠١) عن أبي مجلز أنه كان يؤم الحي في رمضان وكان يختم في سبع.

وأخرج ابن أبي شيبة بإسناده (٢/٥٠١) عن إبراهيم قال كان عبد الرحمن بن يزيد يقرأ القرآن في كل سبع وكان علقمة والأسود يقرؤه أحدهما في خمس والآخر في ست وكان إبراهيم يقرأه في سبع.

وأخرج أيضاً (٢/٥٠١) عن أبي مجلز أنه كان يوم الحي في رمضان وكان يختم في سبع.

وأخرج ابن أبي شيبة بإسناده (٢/٥٠١) عن إبراهيم قال كان عبد الرحمن بن يزيد يقرأ القرآن في كل سبع وكان علقمة والأسود يقرؤه أحدهما في خمس والآخر في ست وكان إبراهيم يقرأه في سبع.

وقال ابن قدامة في المغني (٢/٦١١) «قال عبد الله بن أحمد كان أبي يختم القرآن في النهار في كل سبعة يقرأ كل يوم سبعاً، لا يكاد يتركه نظراً، وقال حنبل كان أبو عبد الله يختم من الجمعة إلى الجمعة». وقال إسحاق بن هانئ في مسائله (٥٠٦) وسئل في كم يقرأ القرآن قال أقل ما يقرأ في سبع.

ثانيا: ذكر من روي عنه الختم من الثلاث إلى السبع:

سبق عن علقمة والأسود أنهما يقرآن في خمس وست:

قال ابن علان (٣/٢٣٠) قال الحافظ أخرج ابن أبي داود من طريق مغيث بن سمي قال كان أبو الدرداء يقرأ القرآن في كل أربع ومن طريق بلال بن يحيى لقد كنت أقرأ بهم ربع القرآن في كل ليلة فإذا أصبحت قال بعضهم لقد خففت بنا الليلة.

ثالثا: ذكر من روي عنه الختم في أقل من ثلاث:

وذكر ابن علان (٢/٢٣١) عن ابن أبي داود أنه روى عن الأسود بن يزيد أنه كان يختم القرآن في رمضان كل ليلتين وقال سنده صحيح، وأخرج الحافظ من طريق الدارمي عن سعيد بن جبير أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين قال وأخرجه ابن أبي داود، قال وأخرج ابن سعد عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنه كان يفعل ذلك ومن طريق واصل بن سليمان قال صحبت عطاء بن السائب فكان يختم القرآن في كل ليلتين.

* يتبع *

إمـــارة أبي صـــالح

د. مصطفى السيد

﴿قال: ما مكنّي فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما، آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطرا * فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال: هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاّء وكان وعد ربي حقا﴾

أطبق أبو صالح المصحف على كره، فهو لا يتذكر منذ أمد بعيد أنّه لم يستكمل تلاوة سورة الكهف يوم الجمعة.

– ما بال هؤلاء الزوار الدائمين قد استعجلوا الحضور إليّ ؟

ربما أكون أنا الذي أخّرت موعد التلاوة، أيا كان المسؤول ليس مهما، المهم والمطلوب أن أقوّم هذا اللقاء نفسه والذي بات شبه يومي، هل يعقل أن يستمر على نفس الوتيرة، وعواصف التغيير أشبه بإعصار يضرب كل شيء بعنف حولنا محاولا استئصالنا من الجذور؟

– وعليكم السلام ورحمة الله. ادخلوا، يسترجع آية الكهف في سره ثم

– أبو صالح اليوم على غير مألوفه إنه يغرق وجهه في بحر لجي من الصمت، لكأنما طرقات الباب قد أصابت منه لوحة التفكير بعطب شديد.

– لم أع ما قلت يا دكتور خالد، ما ذا تقول؟ لم أكن معكم، إن أحدنا يوشك أن يتهم سمعه وعقله، بعد هذه الحرب الضروس في منطقة الخليج، إن ما يجري في المنطقة يجعلنا مشدوهين، مأخوذين، عاجزين عن التفسير.

– سيأتي يوم تستطيع فيه معرفة الأمور على حقيقتها.

– عجبا لك يا دكتور خالد، كثيراً ما كنا في هذا المجلس نذُمُّ انصرافك إلى قراءات نعتقد خطرها عليك أو على الأقل عدم فائدتها لك. ولكن الآن نتهم مقروءنا، لأنه لم يسعفنا في النوائب ونجد في مقروئك تأويل غربتنا وتعبير عزلتنا.

– أما وقد اعترفتم بأن ثقافة مجلسكم تعاني خللاً بنيويا ومفصلياً أو باصطلاحكم ليست (جامعة مانعة) وأصبحتم بالتالي تتقبلون رأيي، وهذه إحدى فوائد حرب الخليج فاعلموا – هداكم الله – أننا لن نحصل على كل شيء بالقراءة وحدها.

– إن أبا صالح لم يؤخذ فقط بما سمع من الدكتور خالد، بل هو فيما يبدو قد ذهل عن نفسه وعن عاداته، فلأول مرة منذ خمس عشرة سنة يقدم الشاي مُرّاً قبل القهوة المحلاّة.

– إنك يا محمد تقيس حياتك ارتفاعاً وعمقاً بالشاي والقهوة بل لا ترى لك وجوداً خارجها أو في غيابها.

- لقد رأيت ثقافة الشاي والقهوة، واسمحوا لي أن أضيف إليهما علم الذبائح وطبقات فاره السيارات وشاهق العمارات وجدت مثل هذه الثقافات تضمن لأهلها حياة مأمونة وعيشة راضية. ومن وجهة نظركم تُعدّ سجنا، لا بأس ولكنها سجن مريح، يجعلك في الفعل والحضور والحجر سواء، (وحسبك من غنى شبع وريّ) إن هذا المذهب لم يكن شأني وديدني فحسب، بل هو أمر معروف عند كثير من الناس الذين يرون فوائد هذا المذهب.

- فوائد؟! لا حول ولا قوة إلا بالله، أول مرة في حياتي أسمع إنساناً يُفلسف عبوديته، ويفتخر بتحرره من مسؤوليته ورجولته.

- هوّن عليك يا أبا صالح، فأنا مسجون قبل أن أولد، (وسجيني في دمي كيف الفرار ؟)

آلة الفكر تعطلت تماماً، كأن تيار التشغيل لم يتصل بدارة الحياة، وكان جدي بين أفراد القبيلة كلها أحد أوثق الرواة وأوعاهم وأجمعهم لتجربة القبيلة، كان ديوانها مكتوباً على جبينه، مخطوطا في سلوكه، ولم يكد يمر يوم في حياتنا، دون أن يقرأ علينا شيئاً من فلسفة هذا المذهب تنشئة لنا على مناقبه وتأسياً لجيلنا على فضائله.

وكان مما حفظتُ من الوالد فيما وعاه من فم الجد:

[إن الحياة لا تستحق من مغامرة كبيرة، ولا تستدعي أن يتجاوز حضورنا فضيلة الصمت أو تشغيل العقول، فنحن كفينا بعقول من سبقونا، ولم لا يعلن عن حراج لبيع العقول أو تأجيرها تحت عنوان (عقول مفروشة للإيجار، مؤسسة تتّجرُ بثقافة الاحتضار ومعلبات الأفكار).

لم يُستنكر هذا العرض، ما دامت الجهات الأربع قد قُنبِلَتْ بدساتير

الممنوعات (لم يعد الأصل الإباحة) ولُغِّمت بنظم المحرّمات، وأصبحت الخرائط بلا عالم (والناس في المدن الكبرى عدد) إننا بأمس الحاجة إلى لغة شديدة الاختصار، لأن لغتنا باتت فضفاضة مترهلة، أوسع من أمنياتنا، وأوفر من حاجاتنا انظروا إلى جبال الكتب وجيوش الكتّاب التي تسد الأفق أو تكاد، وتوشك الحيلولة بين نور الشمس والعباد، انظروا إليها وقد غدت معارض للغة الخاوية، وكان والدي كجدي من أولئك الرجال القادمين من المستقبل إلى الماضي، يعتقد أن مسيرة الحياة قد انتهت، وكل إبداع آت ليس إلا ابتداعاً، إنه بحفاري القبور أشبه، وأفكاره أقرب إلى أن تكون أكفاناً نواري فيها عزائم التجديد بعد وأدها.

- لم لا تخرج أفكار الوالد هذه بحاشية جديدة يحشى بها كتابه.

- أرجوك يا دكتور خالد لا تقاطعني، دعني أكمل ولعلك تقوم بهذه المهمة ما دمت قد وقفت على أصول المخطوطة، وكان الوالد رحمه الله يرى أن فلسفة التاريخ تتمثل بحركة دائرية تنتهي من حيث ابتدأت، فهو يدور حول نفسه، أو حول عقولنا وفي كل دورة تاريخية تتوسع أمداء السجن وفضاؤه، وتعلو جدرانه علواً يُلْغِبُ المتسوِّرين، كان يرفض تناسخ الأرواح ولكن يعتقد بتناسخ الأفكار.

كانت لغته مسكونة بالماضي، مصادرة في أبهائه وأطلاله، يتغنى:

لهفي على الزمن القصير — بين الخورنق و السدير

جادك الغيث إذا الغيث هما — يا زمان الوصل بالأندلس

الفعل الماضي المسند إلى واو الجماعة يشكل معجمه اللغوي، كانوا عاشوا الإشارات المتلهفة، أولئك كان يتقن استحضار الماضي دون أن يستشعر أي دور مستقبلي كيما يكون نقطة توصيل أو جسر تواصل بين الماضي والحاضر.

إنها أكثر من شجاعة، لأن الإنسان عندما يعي سجنه يكون أكثر وعياً من إنسان يقتات حرية زائفة.

- عجباً لك يا دكتور خالد، كيف تستطيع أن ترى بقعة خضراء وسط هذه الظلمات المتكاثفة، وفي مثل هذه البانوراما الكالحة التي عرضها الأخ محمد على مسامعنا.

- لا ضير أن أصارحكم بأننا بيننا وبين هذه القبيلة أعظم من وشيجة الرحم وأكثر من صلة القربى.

- يا أبا صالح هذا ليس شعورك وحدك، بل يخامرنا جميعاً مثل هذا الإحساس، إن طبيباً يشخصّ أمراضنا بحق لا يقارن بطبيب يسوق في مسامعنا جملاً مستهلكة، مثل هذا الطبيب الثاني يعجز عن مواجهة مشكلة في مبتدئها، ليجعلنا عما قليل في مواجهتها وقد صارت معضلة يتعسّر حلها، بعد أن أنضجها الزمن الذي يسعفه جهل المعالجين أو تجاهلهم المسنود إلى جهل المعالَجين المفقود، وحضورهم المختزل إلى أبعد الحدود، في طريقه إلى المسجد أنشأ أبو صالح يثني على الله عز وجل، أن يتجاوز مجلسه ما غرقت فيه كثير من المجالس من كونها باتت ملتقى لتبديد الوقت، وبث اليأس، وتصنيع الفراغ تمهيداً لتسويقه - في سوق العجز - تحت أسماء مختلفة، وشرع يدعو ربه تضرعاً وخيفة أن يجعل من هذا المجلس مثابة للحائرين، وأن يضاعف الله في قطرات الأمل التي أخذت تتلألأ على تلكم الوجوه من رواد المجلس، وردد بفرح غامر وبهجة متنامية:

﴿إعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها، قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾
[الحديد ١٧]

آه كم كنت أظن أن المقبرة هي الوصف الأليق بمجلسنا، ليت كل مسلم

يعرف أن لديه ما يعطيه، وعنده ما يقدمه ليبزُغ في الكون فجر جديد.

آه ليت تجربة هذا المجلس تطير إلى كل أرجاء المعمورة، وتابع أبو صالح محدثاً نفسه:

لكم تألمت عندما كان الدكتور خالد يحدثنا عما يجري في العالم من أحداث مهمة ولها تأثير في عالمنا الإسلامي.

إني إذا تذكرت ذلك الآن انتفضت من الأعماق واسترجعت قول رسولنا صلى الله عليه وسلم: «وليس وراء ذلك مثقال ذرة من إيمان» ولعل هذا الحديث يعيد الحياة إلى دستور اللاءات الإسلامية المعطل، لعلّ...

لم يعد لقاء الجمعة في قهوة أبي صالح مجرد فرصة للتفنن في الهروب من أعباء الحياة الجادة ومسؤوليات العقيدة الحية، بل أخذ المجلس يُحدِّد روّاده ويتحدد بهم، وجعل المترددون والمتشردون يشعرون ألا مقام مطمئنا لهم إلا في جنباته، وصار الحوار الذي يدور بين جدرانه الأربعة يتردد في جهات البلاد الأربع، تهاوت الجدر، وأخذت الحياة تولد من جديد، والشمس تشرق على البطاح النائمة، لتوقظها برفق جاعلة من كل يوم ميلاداً جديداً، اكتست الأشجار خضرة جديدة، وباتت الطرق تنتهي بالمرتادين إلى أهداف محددة، اتصلت الخطوط المقطوعة بأرجاء الكون الفسيح، وحضر المقهورون الغائبون الذين كُتِّمت أصواتهم وتقطعت بهم الأسباب من المسلمين، حضروا مجلس أبي صالح وتقدم الحديث عنهم القضايا التقليدية التي قتلت درساً، واستهلكت الأعمار بلا منتوج ولا مردود.

ابن تيمية بعث حياً، أخرج من سجن الغربة والاختزال، أعيدت قراءته عبر مجاهر جديدة، وطرح مشروعه الإسلامي المتجدد، لم يعد ذكره ينتزع مجرد دعاء

له بالرحمة، وحوقلة العجز، واسترجاع اليأس، بل بات فكره دليل العمل وبوصلة تحدد للمجلس اتجاهه.

لقد سقط الذين التمسوا في ابن تيمية أدلة تعاجزهم، فلم يروا منه إلا ما سمحت به مصالحهم وأباحه لهم هواهم.

كما سقط يا دكتور خالد أولئك الذين ظنوا أن كتب الرجل وفكره مجرد زينة وتنويع في إيقاع معزوفة الفكر المخملي.

- الفضل لله ثم لهذا المجلس الذي أحيا الله به فكر ابن تيمية هذا المجلس الذي يحلو للبعض أن يسميه حقاً: إمارة أبي صالح.

- غفر الله لك يا دكتور خالد وهل نحن النموذج الوحيد لذلك؟

- لم أقصد سوءاً يا أبا صالح، ولكن قصدت أن مجلسك يمثل نظرة واقعية للأمور، فالمعروف أن الكثيرين لا يسهمون في الخير، أو لا يساهمون في البناء إلا إذا رأوا كل شيء ممهداً وميسراً أمامهم، وهذا مقتل من مقاتل البذل، إما كل شيء أو لا شيء، نكون أو لا نكون، إن جيلنا يؤدي خدمة عظيمة إذا تمكن من طرح المشروع الإسلامي بوعي وعمق، ويسدي يداً لا تنسى إذا هيأ الأرض الإسلامية للاستنبات وطهرها من عقابيل العقم واللامبالاة.

- مالي أراك واجماً يا أستاذ محمد ؟

يا أبا صالح إن الدكتور خالد لم يترك لمتردد مكاناً يأوي إليه، ولا فكراً يعتمد عليه.

- أين بات مخطوطك الطويل عن السجن ومرافعتك العصماء عنه؟

- يا أبا صالح في طريقي إلى هذا المجلس في الأيام الأخيرة أخذ يلازمني شعور غريب، وبدأت أدرك أن العالم يتغير، وأن إرادته أكبر من سجني، كنت أول الأمر عاجزاً عن الفهم، صرت أرى في وجوه روّاد المجلس ما لم أكن أرى من قبل، لغتهم تغيّرت ونظراتهم، وفي بيوتهم أخذت الحدائق تطارد اليبوسة والعبوس، الماء يسمع خريره؛ الكتب تزاحم الأثاث، هطل المطر بغزارة هذا العام، كنت لا أفكّر إلا سهواً، ولا أناقش إلا غفلة، أشعر أن كوابيس السجن تتهاوى، الحياة تفتح ذراعيها ابتهاجاً بالعائدين، ليمارسوا حضورهم بأنفسهم لا بغيرهم، وبذواتهم لا بمسترقيهم ومصادري آرائهم، بهموم عصرهم لا بتراكمات العقد ومشاكل الآخرين. أن تكون على الحق هو النصر الكبير، أن تكون على بينة من ربك هو الفوز العظيم.

﴿هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً﴾

لم تدعني يا أبا صالح أكمل سفر مولدي.

- ابتهاجي بخروجك من الضيق الذي كنت فيه أنساني حديثك أن أذكره.

دمعة على شهيد

خالد بن سليمان القوسي

لم يكن ذلك الصمت، وذلك النور ليوهب إلا للصادقين أمثال مصعب العوشن، لله درُّك يا مصعب ما أفصح صمتك، وما أبلغ هدوءك لم تكن تريد الشهرة [في زمن الاستماتة لنيل الشهرة]، ولم تكن لتنالها لولا استشهادك، فلله درك كتبت أحرفك بدمك، وأن يكتب الإنسان تاريخه بدمه فذلك قمة المجد، في الدنيا..والآخرة.

خطبوا فجادوا بالبيان وأطنبوا ... فأبنت أنك بالمواضي أخطبُ

ما كل من ركب البيان يسوسه ... عجُمت قوافيهم وأنت المُغرِبُ

«يا مصعبُ» أوّاه كم نطقتْ بها ... شفتاي..قلبي..أدمعي «يا مصعبُ»

إيهٍ نديَّ الصوت أنشدتَ الربى ... شعراً فروحاً للمعالي تدأبُ

طاب القعود لنا فأما أنتمُ ... فرأيتم أن الشهادة أطيب

عذبت لنا الدنيا وأما أنتم ... فرأيتمُ أن القَضيَّةَ أعذبُ

بسمتْ لنا الدنيا ضحىً وازَّيَّنتْ ... ما كنتَ تنعمُ والجنان تثوِّبُ

نُعمى الحياة سحابةٌ صيفيَّةٌ ... والباقيات سحابهُنَّ الصيِّبُ

بعتَ الحياة رخيصة لما عشقـ ... ـتَ الباقيات وعشقهنَّ المكسبُ

مـن ذا يـقـود المرء مـن نـعـمائـه ... مـن ذا يـشـوّقـه لـكـي يـتـغـرَّبُ

من ذا يقود الناس نحو حتوفهم ... راح الصبيُّ وراح قَبْلُ الأشيبُ

عجبٌ - وربِّك - بذلُهم لنفوسهم ... لـكـنَّ مـا يـرجـون منـهـا أعـجـبُ

في ليلة يخشى الأبيُّ مصابها ... لم تـثـنـه أغـوالهـا والأذؤب

لـقي المنون مشمراً متفانياً ... في ساعة منها العقول تغيب

بـيـمـيـنـه قـرآنـه، وسـلاحـه ... بـشـمـاله وفـؤاده مـتـوثـب

يتلو كتاب الله يكسوه التق ... ويلفه الصمت «الشتاء» الغيهب

عينان لا يصلاهما حرُّ اللظى ... عين بكت لله دمعاً تسكب

وحسيبة جفت المراقد تمتطي ... شم الجبال وللعدا تترقب

تخذ البسالة منهلاً لحياته ... أكرمْ به من منهلٍ لا يجدب

كفكف دموعك يا محبُّ فإنه ... لو قيل ماذا تشتهي يا مصعب ؟

لوجدته يهوى الشهادة مرةً ... أخرى فبحر يقينه لا ينضب

ستراه بين جنانه فدع البكا ... ما مات من نحو الجنان سيذهب

دكاكين جديدة

يمتد الشارع الإسلامي الثقافي السياسي وعلى جانبيه تفتح الدكاكين أبوابها تعرض بضاعتها وتقدمها للزائرين..كان هذا الشارع مجهولاً وكان زواره ومرتادوه قلة قليلة فيما كانت الشوارع الأخرى تلق رواداً وزواراً وتلق بضاعتهم رواجاً..كالشارع القومي، والشارع الشيوعي والذي يتفرع منه الشارع الاشتراكي وأزقته التقدمية والثورية والناصرية..الخ وهناك أيضا الشارع الليبرالي التحرري..، أما الآن فقد قل الزوار والمرتادون وأغلقت بعض الدكاكين وارتحل روادها والبعض ظل في دكانه القديم ولكنه فتح فرعاً له في الشارع الإسلامي الذي يشهد افتتاح أعداد كبيرة من الدكاكين وارتفعت لوحات الإعلانات الكبيرة المضاءة..واشتدت المنافسة بين الجميع لا على مستوى الدكاكين فقط بل مستوى بعض المؤسسات والشركات الأهلية، وقبل ذلك على مستوى الدوائر الحكومية كالبلدية ووزارة الأوقاف..الخ.

فالبلدية على استعداد لرصف الشارع والقيام بأعمال النظافة – والنظافة من الإيمان – فالبلدية إذن مشهود لها بالإيمان؟ أما وزارة الأوقاف فهي على استعداد لإقامة السرادقات الطويلة للاحتفال بالمولد النبوي؟ مقابل الاحتفال بمولد الزعيم والثورة؟ أما وزارة الخارجية فهي على استعداد لإقامة مؤتمرات على حسابها الخاص ولكن على أصحاب الشارع تأييد مواقف الوزارة وتمجيدها، ووزارة الزراعة ستقوم بتشجير الشارع وستكتب على كل جذع شجرة اسم الحاكم واسم الوزارة ؟! وهكذا.

أما عن الشركات والمؤسسات الأهلية فقد أقامت المشاريع التجارية في الشارع

الإسلامي تحت شعار: (إسلامي) فهناك دور أزياء للمحجبات فقط وتسريحات شعر إسلامية، وهناك شركات تأمين إسلامية وهناك موسيق وغناء إسلامي.

أما الدكاكين فبضاعتها متنوعة ومتعددة المصادر وكلها تحت لافتة (إسلامي) وتحت هذه اللافتة تروج تلك البضائع والسلع الكاسدة كسلعة (القومية) و(العلمانية) وربما (الباطنية) على أن أكثر السلع رواجاً في السوق هي سلعة (الديمقراطية) وهناك سلعة (الإنسانية) وسلعة (العقلانية).

وقد قرر بعضهم إقامة سوق مركزي (سوبرماركت) مفتوح يعرض فيه جميع أنواع البضائع والسلع رغم اختلافها وتباينها وسيحمل السوق اسم (حوار الثقافات).

وهناك مشروع وهو إيجاد قاعة للمؤتمرات..تضم طاولة مستديرة وكراسي..يناقش فريق الشارع الإسلامي مع الضيوف الكرام القادمين من إحدى الشوارع (الصديقة) وسيكون اسم القاعة (الحوار والرأي الآخر) حيث الاستماع إلى الآراء والأطروحات من كلا الطرفين وحول الطاولة المستديرة وعلى الكراسي الوثيرة مناقشات حول تطبيق الشريعة وإمكانية ذلك..وحكم الإسلام في الديمقراطية..والضيوف الكرام يمطرون الفريق المضيف بوابل من التهم والأسئلة الحرجة. ليقع الفريق المضيف في الفخ..ليقدم التنازلات..تلو التنازلات..تلو التنازلات يتراجع الفريق المضيف خطوة ويتقدم الفريق الآخر خطوة ونصف الخطوة وفي آخر الشارع هناك دكان منزوٍ بعيداً عن الكثير من الجمهور..حيث تجارته مع الله لا يريد جزاءً ولا شكورا من الناس. يقدم ما لديه يريد سلعة الله الغالية على نهج سليم وصراط مستقيم..إنها طائفة الظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم. وبين هذا الدكان وتلك الدكاكين يوم الجنائز ؟



- مأزق الجزائر
- موقف الصحافة الدولية من أحداث الجزائر
- هجرة اليهود إلى فلسطين
  حشود بشرية بانتظار الجولة المقبلة
- ماذا يدبر للمسلمين في ارتيريا
- أخبار الدعوة الإسلامية في الفلبين

مأزق الجزائر

الذين يتابعون أخبار الجزائر، يتابعونها وأيديهم على قلوبهم، فهم محبون لهذا البلد المجاهد، ولهذا الشعب الذي يمتلئ حمية إسلامية، وهم خائفون عليه من المأزق الذي وقع فيه، فالحكومة كانت تريدها نصف ديمقراطية مفصلة على مقاس معين، فلما اختار الشعب الإسلام بدأت الضغوط العلنية والخفية، الخارجية والداخلية، لمنع وصول الإسلام إلى موقع القرار. فتأجلت الانتخابات ثم تأجلت مرة ثانية والحكومة لا تريد الصدام، كما أن الإسلاميين لا يريدونه، فكلا الطرفين ليس من مصلحته الوصول إلى الطريق المسدود.

إن من ينادي بالحرية والديمقراطية لا يجوز له أن يحتال على الانتخابات كي يمنع الآخرين من الوصول، وإذا كانت الحكومة تعلن، وكذلك الغرب الذي يحرض على الإسلاميين إذا كانوا يؤمنون بحق الشعوب في الاختيار فلماذا لا يدعون الانتخابات تسير حسب الأصول المتفق عليها[١]

وإذا كانوا يخافون من الأصوليين كما يسمونهم وإذا كانوا قد اتفقوا على (مواجهة الأصوليين) في مؤتمراتهم المغلقة، فهل يستطيعون مواجهة الإسلام؟ فالمارد الذي خرج لا يستطيعون إرجاعه إلى القمقم، وكان الأولى بهم توفير دماء شعوبهم إن كانوا يحبون أوطانهم ويقال لهم كما قالت قريش لعثمان بن الحويرث عندما أراد أن يتملك عليهم بمساعدة قيصر الروم، قالوا له: «إن مكة حي لقاح لا تدين للملك»[٢] فيقال لهم إن هذه الشعوب اختارت الإسلام، وليس هناك رجوع إلى الوراء.

وعلى الإسلاميين تجنب هذا المأزق بالطرق الصحيحة التي لا تنازل فيها ولا استدراج إلى حلبة الصراع، والقضية أولاً وأخيراً هي قضية الشعب الجزائري.

١- استعمالنا كلمة الديمقراطية لا يعني إيماننا بها؛ ولكننا نخاطبهم بمنطقهم.

٢- جواد علي: تاريخ العرب في الإسلام ص ٧٠

موقف الصحافة الدولية من أحداث الجزائر

رمضان بوشلوي

إن الموقف الذي وقفته الصحافة العربية من أحداث الجزائر كان موقفاً مخزياً للغاية، وخاصة إذا قورن بموقف الصحافة الغربية، هذه الأخيرة التي ما كنا ننتظر أن تكون موضوعية في تحليلاتها وأمينة إلى حد ما في نقل الأخبار، وهذا ليس مدحاً لها وإنما حقيقة تفرض نفسها.

وسأذكر بعض ما جاء في بعض هذه الصحف من تحاليل وأخبار وتعاليق:

كتبت صحيفة **(Le Monde)** الفرنسية في الصفحة الأولى من عددها الصادر في ٩١/٦/١٠ مقالاً تحت عنوان «فوز كبير للإسلاميين الجزائريين» ثم أردفته بمقال آخر على الصفحة الخامسة من نفس العدد تحت عنوان «الفوز الهام للإسلاميين الجزائريين». وكان مضمون المقال سرداً للأحداث، واعترافاً بفوز الإسلاميين مع وصف الشيخين علي بلحاج وعباسي مدني بأنهما يتمتعان باستراتيجية قوية ورؤية عميقة للأوضاع.

ونحن نعرف تاريخ هذه الجريدة وحقدها الدفين على المسلمين، ولا

يفوتني هنا أن أشير إلى أن جُلّ المسؤولين في الجزائر يقرؤون هذه الجريدة يومياً، وقد أثرت عليهم تأثيراً بالغاً حتى أصبحت تحدد تفكيرهم واتجاهاتهم وأصبحت عندهم من العدول الذين لا يقبلون الجرح.

ونفس العنوان تقريباً عنونت به جريدة (The Times) البريطانية مقالاً لها بعد الأحداث؛ ومن الطريف كذلك ما ذكره مبعوث جريدة (Independent)[1] البريطانية بالجزائر في وصفه للذين استشهدوا خلال الأحداث فيقول: «*they died smiling*» أي «ماتوا مبتسمين».

وهذا قليل من كثير وإن كانت لهجة الصحافة الأجنبية قد تغيرت بعد فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالانتخابات البلدية والولائية في شهر حزيران ١٩٩٠ ولعلها ترى أنه ليس من المصلحة الاستراتيجية التعرض بلهجة طائشة لحزب قوي في الجزائر.

وأما الصحافة العربية «كعادتها» فقد حاولت منذ بداية الإضراب وصفه بأنه فاشل وأن الشعب لم يستجب لنداء الجبهة الإسلامية بينما كان العكس هو الحاصل، فقد ذكرت مجلة الوطن العربي (التي أطلقت صدام حسين) في عددها ٢٢٠ الصادر في ٩١/٦/٧ أن الإضراب قد فشل فشلاً ذريعاً وأن عباسي مدني يقود الإسلاميين إلى الانتحار السياسي، وألقت بالمدح على الرئيس الشاذلي بن جديد ووصفته بأنه انتهج خطة طويلة النفس هزمت الإسلاميين!!

وهذا الكلام جاء ليؤكد حقد القوميين والعلمانيين وغيرهم من أذناب الغرب على الإسلام والمسلمين.

وأكبر دليل على تهافت هذا الادعاء نزول الجيش إلى الشوارع ليفض الإضراب بقوة السلاح وحل الوزارة، ووعود الدولة التي أطلقتها من أجل ضبط الأمر وعدم خروجها

من أيديها.

وإن كان تشكيل الحكومة الجديدة هو تأجيل والاستعداد لجولة اخرى.

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن هذا القانون (قانون الانتخابات الجديد) كان لفرنسا يد فيه (هذا للذين يقولون إن الجزائر بلد مستقل) وأذهب إلى أبعد من ذلك فأقول أنه استُعمل علم الإحصاء (**Statistics**) وعلم الكمبيوتر لإعداد هذا القانون وذلك من خلال نتائج الانتخابات السابقة.

وخلاصة ما جاء في الصحافة العربية وخاصة الجرائد اليومية منها هو تجاهل للحقائق، وتحريف للواقع وتحريض سافر مرة ومبطن مرات للدولة من أجل ضرب جبهة الإنقاذ الإسلامية وتشويه سمعتها بوصفها بأنها تهدد الأمن والاستقرار، وأنها تهدد الديمقراطية، وأنه يجب ألا نقبل بديكتاتورية باسم الدين. وبمحاولة خلق أكاذيب ونشر بعض الشائعات مفادها أن هناك خلافات داخل مجلس الشورى للجبهة، ووصف الشيخ علي بلحاج بأنه متشدد ومتطرف وأن الشيخ عباسي مدني معتدل وذلك عملاً بسياسة فرق تسد.

وأخطر تهمة هي ما جاء في جريدة الحياة نقلاً عن وكالة الأنباء الجزائرية بأن الفرنسيين اللذين اعتقلا حيث وجد في حوزتهما أسلحة وخرائط، الخ.. كانت لهما علاقة بالشيخين علي بلحاج وعباسي مدني وأنهما أتيا للجزائر ليدافعا عن إخوانهما حيث أن أحدهما أعلن إسلامه !!

هجرة اليهود إلى فلسطين
حشود بشرية بانتظار الجولة المقبلة

مازن عبد الله

لقد حاربت إسرائيل العرب وتحدت المسلمين طوال الفترة الماضية وبقلة بشرية قليلة، كانت تعتمد فيها على تفوقها الاستراتيجي الذي استطاعت به أن تعوض عن نقطة ضعفها بشرياً وجغرافياً في محيط بشري وجغرافي عربي كبير، فكانت كلما خاضت حرباً ربحتها، وكانت معنويات العرب حينذاك مرتفعة..أما الآن فإن الأجواء قاتمة، وإذا سارت الأمور على ما هي عليه، وبقي العرب يتخبطون في حالتهم الراهنة، فإن ذلك نذير خطر ماحق ومخيف، وستجري الرياح بما لا تشتهي سفن العرب والمسلمين، فحالة العرب اليوم مؤسفة، ووضعهم مخزٍ، والتآمر عليهم من كل جانب بينما تتزاحم الدول على خطوبة ود إسرائيل، فتُغلق الأبواب بوجههم وتُفتح بوجه إسرائيل، تُنزع الأسلحة من أيديهم وتُعقد صفقات الأسلحة المتطورة مع إسرائيل، تجهض كل حركة للخروج بالعرب مما هم فيه ويضرب الإسلام في بلاده، ويقدم الدعم وتعطى الحرية لإسرائيل وتتدفق موجات الهجرة عليها...

في عام ١٨٣٥ كانت الطائفة اليهودية في فلسطين تقدر بحوالي عشرة آلاف

شخص (وفقاً لتقديرات نيفل ماندل)[1]. وكانت هجرة اليهود إلى فلسطين وقتئذ ضئيلة جداً، ولم تزد بل ولم تبدأ بشكلها المنظم والمدروس إلا بعد قيام الصهيونية على يد تيودور هرتزل. الذي أخذ على نفسه العهد بأن يكافح ضد الاندماج اليهودي في المجتمعات التي يعيشون فيها، ويدافع بحماس عن هذه الفكرة، وطالب بفصلهم ليكونوا دولة خاصة بهم. لقد بذل هرتزل كل ما بوسعه لتحقيق هدفه هذا، فاتصل بكل المسؤولين الفاعلين في لندن عاصمة الدولة العظمى وقتئذ، وأقنعهم بضرورة المساعدة على تحقيق هذا الهدف الذي يريح اليهود ويريحهم. ولقد تحدث لنفس الغرض مع وزير خارجية ألمانيا «فون بولوف» ومع غليوم الثاني، واتصل بالقيصر الروسي نيقولا الثاني وبوزير داخليته «بلهف» الذي كتب له رسالة جاء فيها: «إن الصهيونية التي تشجع اليهود على الهجرة في روسيا ستلقى الترحيب، ولكن شريطة ألا يشجع ذلك على قيام قومية أجنبية في روسيا..».

لقد كان للاضطهادات التي حلت باليهود في أوربا في روسيا ورومانيا وبولندة ومن ثم في ألمانيا فائدتها وأثرها الطيب عند تيودور هرتزل، كما أن حركة «معاداة السامية» كما يسمونها وموجات العداء التي انتشرت في تلك المجتمعات ضد اليهود، ومن ثم الدعوة للانتقال للقتال لإنقاذ الإيمان اليهودي والثقافة اليهودية ورسالتها..كان لكل تلك العوامل مردودها الطيب عند هرتزل حيث أنها ساعدته كثيراً في تشجيع وإقناع اليهود بضرورة بناء وطن قومي ومستقل لهم وبضرورة الهجرة إلى فلسطين.

وفي سنة ١٨٩٧ استطاع هرتزل أن يجمع غالبية القوى والحركات اليهودية في مؤتمر (بال) بسويسرا وتم على أثر هذا المؤتمر وضع مخطط عملي وحددت الخطوط العريضة التي يتعين على كل المشاركين في هذا المؤتمر العمل على تنفيذها وبدقة من أجل الوصول إلى

---

١ - كتاب «المسألة اليهودية» لثيلان هاليڤي، باريس ١٩٨١ ص ١٧٠.

إقامة الدولة اليهودية. وقد كان هدف الوكالة اليهودية الأساسي حينذاك؛ العمل على إنشاء «الوطن القومي اليهودي» في فلسطين وتنظيم الهجرة إليها. وأخذت على عاتقها مهمة تحقيق هذا الحلم، وبدأت فعلاً بتجنيد كل ما تملك من طاقات من أجلها، فكانت حلقة الوصل بين يهود فلسطين وحكومة الانتداب، وبينهم والعرب وبينهم ويهود العالم..

في أواخر القرن التاسع عشر كان هناك أقل من ٥٠٠٠٠ يهودي في فلسطين. وفي الفترة ما بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٣٢ وفد إلى فلسطين حوالي ١١٨٣٠٠ يهودياً جاءوا بمحض إرادتهم، ولكن طبعاً بفضل الدعاية الصهيونية وتشجيع الحاخامات المستمر وفي عام ١٩١٠ بعثت الوكالة اليهودية إلى اليمن واعظا صهيونياً ادعى الاشتراكية، اسمه وارشفسكي، ولقد أطلقوا عليه لقب الحاخام..لقد بذل هذا الواعظ جهوداً كبيرة في اليمن أسفرت في النهاية عن إتمام عملية استيراد لليهود اليمنيين في عام ١٩٤٨، العملية التي أطلق عليها اسم «بساط الريح» والتي نفذت على مرحلتين. الأولى في ديسمبر ١٩٤٨ إلى مارس ١٩٤٩ والثانية في يوليو ١٩٤٩ إلى سبتمبر ١٩٥٠ تكلفت ٥,٥ مليون دولار.

فلقد أنشأت المخابرات الإسرائيلية أول جسر جوي بين عدن وتل أبيب، تم بواسطته نقل حوالي ٦٠,٠٠٠ يهودي يمني إلى إسرائيل. ولقد استغلت إسرائيل وقتئذ فترة انشغال العالم الذي كان خارجاً من الحرب العالمية الثانية لتمرر هذه الصفقة وبصمت وسرية تامة لم يفطن إليها أحد.

لقد تم الجزء الأول من عملية «بساط الريح» بنجاح تام. ولكن بالرغم من هذا، فإن حركة الهجرة إلى إسرائيل كانت مازالت ضعيفة نسبياً، الأمر الذي أزعج زعماء الصهيونية، فجاء خطاب بن غوريون في ١٨٤٩/٨/٣١ وفي حفل استقباله لمجموعة من اليهود الأمريكيين حيث قال: «رغم أننا حققنا حلمنا بإقامة دولة يهودية، فإننا ما زلنا في بدء العملية، وليس في إسرائيل اليوم سوى ٩٠٠,٠٠٠ يهودي، في حين

تتواجد أغلبية الشعب اليهودي خارج إسرائيل يجب أن نجلب جميع اليهود إلى إسرائيل».

لقد بدأت وعلى أثر كلمة بن غوريون هذه عمليات تنشيط مفتعلة في كل المناطق التي يوجد فيها اليهود سواء كانت شرقية أم غربية. وبدأت الدعاوي والنداءات من قبل كبار الصهاينة والحاخامات المسؤولين عن تلك المناطق، لتشجيع أليهود على الهجرة إلى إسرائيل، مستعملين كل الأساليب الترغيبية والترهيبية من أجل الإسراع بتلك العملية. وهكذا كان فلم تمض عدة أشهر حتى استطاعت الوكالة اليهودية من استكمال عمليتها التي بدأتها في ديسمبر ١٩٤٨ حيث نقلت حوالي ٢٠,٠٠٠ يهودي يمني من عدن إلى تل أبيب، وكان ذلك في عام ١٩٥٠

في عام ١٩٤٨، كان عدد الطائفة اليهودية في العراق حوالي ١١٠,٠٠٠ شخص. وكانت جذور هؤلاء في العراق مغرقة في القدم، وكانوا يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها العرب. ففي عام ١٩٥٠، ولما رفض حاخام العراق وقتئذ، خدوري ساسون، الانصياع لمطالب بن غوريون ودعاوي الصهاينة، بدأت أعمال الإرهاب ضد يهود العراق؛ فنظمت المخابرات الإسرائيلية خلايا سرية كلفتها بمهاجمة اليهود هناك وإلقاء القنابل عليهم واغتيالهم مما أدى إلى نشوء حالة من الذعر والخوف بين صفوف اليهود الذين ظنوا بأن العرب هم وراء أعمال العنف هذه، فاندفعوا تحت تأثير هذا الرعب ليهاجروا إلى إسرائيل، لقد تولت الوكالة اليهودية عملية نقل يهود العراق إلى إسرائيل، العملية التي أطلق عليها اسم عملية «علي بابا» والتي تم فيها نقل حوالي ١٠٠,٠٠٠ يهودي عراقي عبر جسر جوي تم فتحه خصيصاً بين بغداد وتل أبيب.

في عام ١٩٥٦، وبناء على موافقة ملك المغرب على هجرة يهود بلاده، تم نقل ٦٧,٠٠٠ يهودي مغربي إلى إسرائيل. وتجدر الإشارة هنا بأن أكبر التجمعات اليهودية في البلاد العربية كان موجوداً في المغرب، ولقد استطاع العديد منهم الوصول إلى مناصب

حكومية بارزة، وكانت تربط بينهم وبين حاكم البلاد علاقات طيبة، فهم يكنون احتراماً كبيراً للملك محمد الخامس، والد الحسن الثاني، بسبب رفضه تسليم اليهود المغاربة للنازيين أثناء الحرب العالمية الثانية..

وبالإضافة إلى موجات الهجرة الرئيسية هذه، كانت هناك عدة هجرات أخرى لليهود من البلاد العربية، ولكنها كانت تتم بأساليب أقرب إلى الشكل الفردي منها إلى الشكل المنظم والجماعي...أما على صعيد دول أوروبا، فلقد تمت عدة هجرات مماثلة، ولكنها كانت ضعيفة نسبياً ولم تكن بالشكل المطلوب. فإنه وبالرغم من الجهود التي بذلتها الحركة الصهيونية في تلك المناطق لتشجيع الهجرة، لم تستطع هذه الجهود أن تحقق سوى القليل مما خططت وتعمل عليه. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أكبر التجمعات اليهودية في أوروبا موجودة في فرنسا وبريطانيا؛ فيوجد حوالي ٤٥٠,٠٠٠ يهودي في بريطانيا، وحوالي ٥٥٠,٠٠٠ يهودي في فرنسا، ثلثهم من يهود شمال أفريقيا الذين هاجروا إليها من الجزائر والمغرب وتونس وليبيا منذ عدة سنوات.

لقد انتبه زعماء الصهيونية لتلك المشكلة، فراحوا يطلقون الصيحات والتصريحات، مطالبين إخوانهم المشتتين بالعودة إلى وطنهم «أرض الميعاد» لمؤازرة إخوانهم هناك والعمل معهم من أجل الوصول إلى ما «وعدوا به»..ففي تصريح لبن غوريون، نشرته مجلة نيويورك تايمز في ٢ شباط ١٩٥٩، قال: ***«ان انتصار إسرائيل النهائي سيتحقق عن طريق الهجرة المكثفة، وان بقاء إسرائيل يعتمد فقط على توفر عامل هام هو الهجرة الواسعة إلى إسرائيل»***.

لقد ساهم بن غوريون كثيراً في دفع حركة الهجرة إلى إسرائيل وخاصة بعد الإعلان عن قيام الدولة اليهودية. ومع المجهود الكبير الذي قام به رفاقه من الصهاينة وكبار الحاخامات الذين انتشروا في كل بقعة علموا أن فيها بعضاً من يهود الشتات، تدفق اليهود وبكميات هائلة إلى إسرائيل، وفي خلال ثلاث سنوات فقط ارتفع عدد السكان اليهود في فلسطين إلى الضعف. فعند قيام دولة إسرائيل، كان عدد

سكانها اليهود حوالي ٦٥٠ ألف فقط، أضافت إليهم الهجرات الكبرى هذه حوالي ٧٥٠ ألف يهودي، هاجر معظمهم من أوروبا إبان الحرب العالمية الثانية وفي آسيا والدول العربية، ولقد ساعد في دفع عمليات الهجرة هذه أيضاً؛ قانون العودة الذي صدر في ١٥ يوليو ١٩٥٠ والذي أضفى على عمليات الهجرة الصفة الدينية وذلك عندما سمى الهجرة إلى إسرائيل «العودة إلى بلادهم» وعندما أطلق في مادته الثانية، على موجة الهجرة لفظ «عليا» أي الحج والصعود إلى أرض الميعاد، ويعطي هذا القانون الحق لكل يهودي في أن يهاجر إلى إسرائيل، ولأغراض هذا القانون اعتُبر يهودياً كل شخص أمه يهودية أو اعتنقت الدين اليهودي، أو حتى لو تحول هو إلى اليهودية بشرط أن يكون تحوله هذا بموافقة حاخام من الأصوليين.

لقد لعبت الصهيونية إذن بكل الأوراق المتاحة لديها، فكانت تغري اليهود بالمال وبالمستقبل المشرق الذي ينتظرهم في إسرائيل تارة، وتثير المشاعر الدينية والقومية لديهم تارة أخرى.

وكانت تنظم الخلايا السرية لضرب اليهود الذي يجتمعون في بلاد تسمح لهم بالهجرة ويرفضون مغادرتها، وينظمون الحملات الإعلامية عن «محاسن أرض الميعاد» لجذب اليهود، وعن تعذيب اليهود لكسب تأييد الشعوب وتعاطفهم وموافقتهم على هجرة اليهود الذين يتجمعون في تلك البلاد التي لا توافق على الهجرات الواسعة أو تضيق عليها..وفي جميع الأحوال، عرف هؤلاء كيف يستغلون كل التطورات والتغييرات المحلية والإقليمية والدولية من أجل تنشيط عمليات الهجرة وتحقيق أهدافهم؛ فبعد انتصار إسرائيل في حرب ١٩٦٧ لعبت الدعاية الصهيونية دوراً كبيراً في إبراز إسرائيل كقوة جبارة لا تقهر الأمر الذي جذب آلاف الشباب المتحمسين الذين هاجروا إلى إسرائيل وبأعداد ضخمة بعد فترة الحرب. ولقد قال أبا إيبان وقتئذ: «*لو كنا أربعة ملايين يهودي في إسرائيل اليوم لكان لمطالبنا في الصراع القائم وزن أكبر، وان تنشيط الهجرة اليهودية من شأنه أن يعزز مكاسبنا في الحرب،* ***فاحتلال الأراضي وحده ليس كافياً، فنحن بحاجة إلى استيطان هذه***

الأراضي».

في ١٩٧٠/١١/٦ نشرت صحيفة دافار الإسرائيلية تصريحاً لغولدا مائير تقول فيه: «ما نحتاج إليه في الوقت الحاضر أكثر من أي شيء آخر هو الهجرة. توجد أمور كثيرة نحلم بشأنها، ولكن لقلة الرجال وبسبب الحروب المفروضة علينا لا نستطيع أن ننجزها إلا إذا أتى المزيد من الرجال». لقد كان لندائنا هذا الأثر الكبير في دفع عملية الهجرة إلى الأمام؛ فلقد هاجر إلى إسرائيل في الفترة ما بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٣ أي خلال ثلاث سنوات فقط، ما يقارب ١٨٩,٠٠٠ يهودي.

في ١٩٧٧/١١/٩ أعلن أنور السادات وفي مجلس الشعب المصري عن رغبته زيارة القدس المحتلة «وغزو العدو في عقر داره» في ١٩٧٧/١١/٢١ غزا السادات القدس والتقى بمناحيم بيغن رئيس الوزراء آنذاك وفي ١٩٧٨/٩/١٧ تم توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل..

لقد استغلت الدعاية الصهيونية هذا الحدث «التاريخي» وبذكاء لتلعب دوراً آخر بإعلانها عن انتهاء الصراع العربي الإسرائيلي وذهاب شبح الحرب، وتبشر بازدهار اقتصادي وتجاري لإسرائيل بعد تحقيق الأمن والاستقرار. ولقد كان لهذه الدعاية أثر كبير في جذب الكثيرين من اليهود وخاصة أصحاب رؤوس الأموال من الأوربيين فبلغ عدد المهاجرين من اليهود في الفترة ما بين ١٩٧٧ و ١٩٧٩ حوالي ٨٠,٠٠٠ هاجروا إلى إسرائيل. وكانوا عوناً لها وسنداً في كثير من المجالات فساعدوا في إنمائها وإعمارها وساهموا في تقدمها اقتصادياً وسياحياً وحضارياً.

* يتبع *

في الحلقة القادمة

هجرة اليهود السوفييت واليهود الفلاشا

ماذا يدبر للمسلمين في ارتيريا

الأحداث الأخيرة التي وقعت في الحبشة والموقف في ارتيريا، وما الذي سيكون بين النظام الجديد والجبهة الشعبية التي تحاول فرض نفسها كممثل وحيد للشعب الارتيري، هذه الأحداث بحاجة إلى وقفة طويلة، فهذا الشرق الإفريقي ليس بعيداً عن الأحداث الساخنة في المنطقة العربية الإسلامية، وليس بعيداً عن البحر الأحمر والدول المحيطة به، وهذا من أسباب اهتمام الغرب ومجلس الكنائس العالمي بهذه المنطقة، حتى أنهم كلفوا الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر بمهمة الاتصال والإشراف على المباحثات بين الجبهة الشعبية والحكم في الحبشة، ومن خلال هذا الاهتمام الغربي برزت هذه الجبهة التي يقودها نصراني (أسياسي أفورقي) رغم أن المسلمين هم الذين بدأوا القتال للاستقلال عن الحبشة منذ ثلاثين سنة.

لماذا الاهتمام بالحبشة:

الحبشة من الدول النصرانية العريقة في إفريقيا رغم أن نسبة المسلمين فيها أكثر من ٥٠٪ وأصبحت أخيراً مصدراً بشرياً لإسرائيل، فعملية نقل الفلاشا مستمرة وكان آخرها عملية (سليمان) التي كلفت أمريكا ٥٠ مليون دولار، وهناك دول غربية أخرى تساعد على نقل اليهود منها فرنسا، وهكذا ترضي أمريكا اليهود وتظهر هي والغرب أمام العالم أنهم دائماً مع الأقليات التي يريد أن يبتلعها المحيط العربي الإسلامي.

إن رحيل الطاغية منغستو أمر لا

يؤسف له ولكن الغرب يأخذ الاحتياطات مسبقاً حتى لا يفاجأ بشيء لم يعد له، فهو يساعد حركات جديدة حين يرى النظام السابق آخذاً في الضعف، وهكذا دب النشاط في جبهة القوى الثورية الديمقراطية، وساهم ضباط اسرائيليون في تدريب جماعة (التيغراي) كما كانت صلة السفير الإسرائيلي قوية بكبار المسؤولين المحيطين بمنغستو كل هذا يدل على الخطة الموضوعة وهي أن لا تنفرد دول عربية بالبحر الأحمر، فارتيريا إذا استقلت وكان توجهها عربياً إسلامياً فإنها تطل على البحر الأحمر لمسافة (١٠٠٠) كم وإسرائيل ويساعدها الغرب تريد منفذاً إلى إفريقيا عن طريق البحر الأحمر، وإحاطة العرب بدول عميلة وهي الآن موجودة في جزيرة دهلك المقابلة لساحل ارتيريا واليمن. (**مجلة الأسبوع العربي ٩١/٦/١٧**).

وبعد أحداث الحبشة، ماهو المتوقع؟ هل تطالب الجبهة الشعبية بالاستقلال الذاتي أو الاستقلال الكلي أو يطلب منها الاتحاد الكونفدرالي مع الحبشة؟ كل هذا مطروح الآن، وما إبراز (أسياسي أفورقي) إلا ليكون ليناً مع الأحداث المستقبلية، أما أن ترجع ارتيريا عربية مسلمة فهذا بحاجة إلى دعم حركة الجهاد الإسلامي هناك، حتى تستمر في تعبئة الشعب وتوعيته ومقاومة الطغيان، والطريق طويل.

أخبار الدعوة الإسلامية في الفلبين

بجانب العمليات الجهادية التي تقوم بها الجبهة المخصصة للدعوة إلى الله بعمليات الدعوة المكثفة لدى القبائل الوثنية أو اللادينية والقبائل النصرانية أيضا، وقد اعتنق الإسلام خلال هذا الشهر (شوال ١٤١١هـ) عدد كبير من تلك القبائل المذكورة، وفيما يلي بعض التفاصيل.

في يوم السبت ١٣ شوال ١٤١١هـ أشهر أكثر من مائتي شخص إسلامهم في مديرية كالامانسيج بمحافظة سلطان قدرات على يد الداعية الدكتور محمد كاناكان وهو أحد دعاة جبهة تحرير مورو الإسلامية، ويضم هؤلاء خمسين عائلة وثنية أو اللادينية، والدكتور المذكور هو أحد دعاة الجبهة الناجحين في كسب النصارى والوثنيين وذلك بفضل من الله تعالى ثم بفضل إلمامه بلغتهم وثقافتهم.

وفي محافظة بوكيدنون حيث معظم سكانها من الوثنيين أسلم أيضاً خلال هذا الشهر عدد كبير من هؤلاء الوثنيين على أيدي دعاة جبهة تحرير مورو الإسلامية العاملين هناك، وكذلك في كل من محافظة دابا والشرقية ومحافظة زامبوانجا الشمالية أسلم أيضا عدد كبير من الوثنيين والنصارى في المحافظتين خلال هذا الشهر والأمل كبير جداً إن شاء الله تعالى في كسب عدد كبير من النصارى والوثنيين في المنطقة إلى الإسلام.

الخيرية

بين الحسبة والضبط الإداري

أحمد بن صالح السيف

تعد ولاية الحسبة في الدولة الإسلامية الأداة التي من خلالها تحقق دورها المنشود لتأدية رسالتها إلى البشرية جميعاً.

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ [البقرة ١٤٢]

وهي القناة المؤدية إلى امتثال الغرض المحتم عليها، وتحصيل الخيرية والقيمة المرجوة منها والتي أخرجت لتكون في الطليعة بين الأمم. **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** [آل عمران ١١٠]

فالحسبة قد وردت بعدة تعاريف ومفاهيم من قبل العلماء المتقدمين والمتأخرين الجامع بينها :

«أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله يقوم به والٍ مختص من قبل الدولة»[1]

١- انظر مجمل التعاريف في (الأحكام السلطانية) لأبي الحسن الماوردي الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ، ص ٢٤٠

- (الأحكام السلطانية) لمحمد بن الحسن الفراء، الطبعة الثانية، ص ٥٨٤
- احياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ط دار المعرفة للطباعة بيروت ص ١٥
- الحسبة في الإسلام لابن تيمية، دار الكاتب العربي ص ٩

وبهذا فالقائم بأمر الله لابد له من سلطة يأمر وينهى من خلالها «سلطة تقوم على الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر، سلطة تجمع وحداتها وترتبط بحبل الله وحبل الأخوة في الله، سلطة تقوم على هاتين الركيزتين مجتمعتين لتحقيق منهج الله في حياة البشر، وتحقيق هذا المنهج يقتضي «دعوة» إلى الخير يعرف منها الناس حقيقة هذا المنهج، وتقتضي سلطة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قائمة على التعاون بين أفراد الأمة والمسؤولين ولا يتخلف أحد عن واجبه لأن ذلك أشد نفعاً وتأثيراً، إذ أنه لا مكلف إلا ويجب عليه هذه الشعيرة إما بيده أو لسانه أو بقلبه وعلى كل أحد دفع الضرر عن نفسه.

ولما كان هذا الأمر الملقى على عاتق الأمة لتحقيق خيرتها وأداء دورها ليس بالأمر اليسير لكونه صدعاً بالحق في وجوه بعض النفوس المريضة في المجتمع الباغية إشباع شهواتها ونزواتها وحباً منها في أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا مما لا يجدي معهم الحكمة والموعظة الحسنة ولا ينفع معهم إلا الردع والقسر كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) وروي عن عمر رضي الله عنه مثله: (واعلم أنه لا قيمة لحق لا نفاذ له)[1] لذا وجدها أعداء هذه الأمة فرصة سانحة لإقصاء الأمر الإلهي بدعوى الحضارة والرقي إلى مصاف الدول المتقدمة - بزعمهم - وجعلوا اللحوق بركبهم ضداً لا يجتمع مع الشريعة الإسلامية أي النداء إلى علمنة هذا التشريع السماوي، حيث إنه بزعمهم جامد لا يتحرك ولا يواكب التطور وها هو «كرومر» ينفث في روع المستغربين «إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين ولكنّه فشل كنظام اجتماعي»[2]

فلابد من فصل الدين عن الدولة والحكم بغير ما أنزل الله في مثل أغراض

١- انظر في ظلال القرآن سيد قطب ج١ ص ٤٤٤ دار الشروق
وصفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، الشيخ عبد الرحمن الدوسري، المجلد الرابع الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ص ٢٧٠- ٢٧٦

٢- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، مكتبة الآداب الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ ص ٢٤٠

الحسبة وتقديم الدين عقيدة ونسك بدون سلوك دنيوي.

فما كان من هذه النفوس المريضة إلا أن انساقت خلف هذه الشعارات والمقولات البرّاقة، واستبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير، باسم النهوض بالأمة والتقدم بها. **﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾** [المائدة ٥٠] ليعيشوا بعد هذا في ضعف مزر وفرقة، واستعباد وسيطرة من الأعداء عسكرياً وسياسياً وفكرياً؛ فجاء إقصاء أعداء الله لشرعه بصورة مهذبة من خلال ما ينعتونه بالضبط الإداري بديلاً عن الأمر الإلهي **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾** [آل عمران ١٠٤]

سرقوه من زادنا الثّر ثم شوهوه ودسوا فيه سمهم الزعاف، وما أدراك ما الضبط المزعوم في نظرهم، وهل له من اسمه نصيب.

فالضبط الإداري جاء عند القانونيين بعدة تعاريف الجامع منها أنه «حق الإدارة في أن تفرض على الأفراد قيوداً تحد بها من حرياتهم بقصد حماية النظام العام بالعناصر الثلاثة؛ الأمن العام، والصحة العامة والسكينة العامة»[1]

ويمارس هذا الضبط التشريعي من خلال قوانين ولوائح وقرارات تستهدف بزعمهم حماية النظام العام وصيانة استقراره وتقدمه.

فالسلطة التشريعية واسعة النطاق حيث يجوز لها أن تنظم أي نشاط تقدر أن من المصلحة تنظيمه بواسطة الضبط التشريعي، وأن تسند القيام به إلى أي جهة

١- انظر في تعاريف الضبط الإداري:

- الوجيز في الحقوق الإدارية، د.عدنان العجلاني، مطبعة دمشق ١٣٨٥ هـ ص ١٦٨
- مبادئ القانون الإداري، د.سليمان الطحاوي، ص ٦٢٠
- القانون الإداري، ماجد راغب الحلو، دار الكتب للطباعة والنشر الكويت ص ٧٣

تراها.[1]

وذلك بتشريع بشري ناقص نابع من الهوى والميل لتحقيق مبتغاهم وإشباع نزواتهم ولم يعلموا أن هذا تمرد على حق الله تعالى في التشريع فهو المشرع الأول العالم بالخير بما يصلح أحوالهم. **﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم﴾** [يوسف ٤٠]

وإذا استعرضنا واقعهم لنرى هذا الادعاء المزعوم من أن تشريع هذا الضبط بصورته الطاغوتية يكفل المحافظة على الآداب والسكينة والأمن والاستقرار. فنجده الانفلات الأخلاقي ظاهراً للعيان وانتشار الجريمة بشتى صورها وشيوع القمع الناجم عن ممارسات الإرهاب.

وهكذا عندما استجابت الأمة لتلك الدعاوى الملفّقة وأصابها ما أصابها من هزيمة نفسية ونكوص على عقبيها ها هي اليوم تعايش ما يعايشه أعداؤها من نتيجة للحكم بغير ما أنزل الله من واقع مزر متفكك وفقد للخيرية والتمكين **﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾** [الأحزاب ٦٢]

فالأمر من جلله حدى بالعلامة ابن خلدون إلى عقد فصل في مقدمته: «فصل في أن العرب لا يحصل لهم ملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة».[2]

١- انظر في ذلك دروس في القانون الإداري، د.عبد الفتاح حسن، معهد الإدارة العامة ص ٣١٤

٢- انظر مقدمة ابن خلدون ص ١٣٦ ط دار الشعب.

رسالة إلى الدعاة

عبد الله الراشد

بين يدي هذه الملاحظات أقدم قول الشيخ عبد الرزاق عفيفي حفظه الله وهو يتحدث عن بعض الأخطاء الفقهية «إن الذين لديهم ذكاء حاد لا يقبلون الصواب إلا إذا كان من عند أنفسهم وذلك أن الله أعطاهم قدرات وطاقات عالية وفقوا بسببها إلى كثير من الصواب الذي أخطأ فيه الناس ولذلك فلديهم من الثقة بآرائهم ما يصعب على الناس إقناعهم بغيرها»

لهذا أتمنى على من يقرأ هذه الملاحظات من أصحاب الذكاء الحاد أن يتفكر فيها بنفسه دون أن يطيل النظر في العبارة أو الأسلوب. والله الموفق لكل خير.

أولا: في مجال التربية والإعداد الجهادي:

إن ساحة أفغانستان مدرسة تربوية عظيمة لا يقدرها حق قدرها إلا من عاش فيها فترة من الزمن إذ «ليس الخبر كالمعاينة» وهو ميدان تبرز فيه الطاقات الكامنة في الأفراد.

إن معظم من يسيرون في طريق الدعوة إلى الله بحاجة ماسة إلى العيش فترة من حياتهم في هذا الجو الجهادي حتى تستقيم نفوسهم على الطاعة والعبادة. ويكفي في مجال التربية شعور الداعية بدنو أجله وكتابة وصيته حتى تطهر نفسه من أخطائها وأدرانها وأمراضها. ويكفي في مجال التربية الشعور بالأخوة في الله في أعلى صورها.

ويكفي في مجال التربية والإعداد الجهادي والتدريب على مختلف الأسلحة مما يصقل الداعية ويطرد عنه عقدة الخوف المبتلى بها كثير من الناس اليوم.

لكن بقي أن نقول أن هناك طائفت بارزة من الدعاة قد لا يكونون بحاجة ماسة إلى هذا الجو نظراً لما حباهم الله من طاقات وقدرات عالية إذ لديهم الاستعداد للمواجهة والتضحية في سبيل الله والصدع بكلمة الحق مهما كانت آثارها عليهم، لكن لنتذكر جيداً أن هذه الفئة قليلة وقليلة جداً بالنسبة لعموم السالكين لدرب الدعوة ويجب عليهم أن يعلموا أن معظم الدعاة ليسوا على نفس المستوى الذي هم عليه.

وإن نظرة شاملة إلى حالة الدعاة في مختلف القطاعات سواء في التعليم أو في المؤسسات أو في مواقع العمل المختلفة يتبين لنا منها ما تتعرض له النفوس من الأسن والتقهقر.

وفي ظني أن العيش في جو الجهاد كفيل بإزالة الصدأ المتراكم وكفيل بدفع الداعية إلى النماء والعطاء والبذل والتضحية.

ثم إن المسلم الداعية الذي لم يعرض نفسه للجهاد لا يدري عن مقدار إيمانه الذي بين جنبيه إذ أن الجهاد فضح للمنافق حيث قال المصطفى عليه الصلاة والسلام: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من شعب النفاق».

والله جل وعلا يقول: **﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾** ويقول سبحانه: **﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل قوما غيركم...الآية﴾**.

فهل كل القاعدين عن الجهاد من الدعاة سالمين من مقتضى هذه الآيات.

ومن العجيب أن بلاداً مثل سويسرا (وهي الدولة المحاطة بالأمن من جميع الجهات) يفرض على الفرد الذي يتراوح عمره بين الخامسة عشرة والخامسة

والأربعين الالتحاق بدورة تدريبية عسكرية مدتها قرابة الثلاثة أسابيع يعيدها سنوياً وبشكل مستمر. بحيث يستطيعون خلال ساعتين «وعددهم لا يتجاوز الستة ملايين» تحضير جيش مسلح قوامه ستمائة ألف مقاتل). أليس الدعاة أحق منهم بهذا الإعداد ؟

ومن الخطأ الشائع ما ذكره لي أحد العلماء الأفاضل من أن الإعداد العسكري يمكن أن يتم في حالة نشوب الحرب وأنه حيثما كانت الحرب وجدت معسكرات التدريب والإعداد وأقول لشيخنا الفاضل الحبيب ترى لماذا لم يفكر السويسريون بهذا المنطق.

إن الإعداد العسكري للجهاد في وقت قصير من السنة لن يؤثر مطلقاً على سير الدعوة وطلب العلم الشرعي بل ولا على الأعمال والوظائف.

كما أن الإعداد المستمر للجهاد لا يقتضي مطلقاً الحماس غير المنضبط والذي يؤدي إلى النكسات المتوالية للدعوات.

ثانيا: علاقتنا بالتيار الجهادي:

١- التيار الجهادي متكون من الشباب المتحمس الراغب في بذل نفسه لله. ينقصه العلم الشرعي ولكنه قابل تماماً للتوجيه والإرشاد والتعليم فمن الواجب علينا أن نستفيد من هذه الطاقات الهائلة ونوجهها التوجيه الصحيح. لقد رأيت أحد الشباب يستمع إلى شريط لأحد المشايخ ويقول لي: هذه رابع مرة أستمع فيها إلى هذا الشريط فقلت في نفسي ترى لو كان الشيخ بينهم كم سيكون تأثيره فيهم؟

٢- هذا التيار الجهادي يشعر بالنفور ممن يثبطون عن الجهاد في أفغانستان ولهذا سيعرض عن الإقبال على الأفكار والمحاضرات الدعوية لأن أصحابها لا

يحثون على الجهاد وبهذا نكون قد وضعنا عوائق بيننا وبين هذا التيار.

٣- إن الإعراض عن الشباب المجاهد القاصر في علمه الشرعي يؤدي إلى أن تتلقفه الأفكار المبتدعة ومناهج الخوارج فتتقاذفه ذات اليمين وذات الشمال وإذا تبنى هذا الشباب المتحمس مثل هذه الأفكار وتلك المناهج فلا تسأل عما يحدث بعدها من الفساد.

كلمة أخيرة :

هذه الملاحظات المكتوبة ممن يعرف قدر نفسه إنما نشأت من قلب محب يشهد بفضل من وجهت لهم وسبقهم في البر والتقوى.

وإن لهم على الأمة فضلاً لا ينكره إلا الجاحدون فهي ليست إلا من قبيل قول القائل:

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

بريد القراء

الأخ **علي أحمد الحلب** - الرياض -

أرسل عاتباً على **البيان** عدم فتحها صفحة للتعارف حتى يتعرف المسلم على إخوان له في أنحاء العالم الإسلامي.

البيان: نشكر للأخ حرصه على الخير وتمسكه به ولكن المجلات الفكرية لا يكون فيها عادة مثل هذه الأبواب، وطرق التعرف على الدعاة والأخوة في أنحاء العالم الإسلامي متوفرة والحمد لله.

الأخ **سامي محمد المطلق** - عيون الحمراء -

أرسل لنا كلمة قصيرة يحذر فيها من الاغترار بالدنيا، ويشكر البيان على إصدار البيان الصغير.

الأخ **أبو مصعب** - الرياض -

إرسل إلينا كلمة بعنوان «ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً» أوضح فيها بداية يقظة الشعوب الإسلامية وما يدبر لها من مكائد، وكيف يحاول الأجنبي سلب حقوقها ويختم كلمته بأننا بدين الله متمسكون ولن نتخلى عن الجهاد والله غالب على أمره.

الأخ **محمد الخضير** - الرياض -

أرسل ناصحاً ومنتقداً المقال: «هل تضرب إسرائيل المفاعل النووي الباكستاني» من ناحية الصياغة ومقال «الأزمة الحالية في يوغوسلافيا» حيث لم يتعرض الكاتب لشؤون المسلمين فيها.

تجربة شخصية مع شريط

حسن القارئ

ذكر صديق لي يوماً تجربة مرت به فقال: «توقفت يوماً أستمع لشريط حول أزمة الخليج..والقضية هنا ليست الأزمة..وإنما تجربتي مع الشريط..لقد علمت أن المتكلم من اتجاه إسلامي آخر..ولكن لم يؤثر ذلك فيَّ كثيراً وإن كان حماسي لم يعد كما كان في البدء قبل معرفتي لانتماء المحاضر.. (وهي ظاهرة ينبغي للمسلم مجاهدة نفسه على الحق فيها، لأن الحكمة ضالة المؤمن أنّى سمعها أخذها واستفاد منها)..إلا أنني استمعت إلى الشريط..وكانت تدور في نفسي أمور عجبت لها..لقد كنت أستمع بذهن متحفز ناقد أكثر من ذهن مهيأ للتلقي والاستفادة..فكنت كلما ذكر أمراً..قلت في نفسي..هذا أمر ليس فيه جديد! وذاك أمر كان ينبغي أن لا يقوله بتلك العبارة ..والحديث الذي ذكره في الموضع الفلاني حديث أظنه ليس بصحيح..وهكذا انتهى الشريط وخرجت بانطباع أن ما قاله لم يكن صالحاً بالدرجة الكافية لتبنيه ونشر الآراء التي وردت فيه.. ولأهمية الأمر سأضرب مثالاً تفصيليا ورد في الشريط وكان لصاحبنا جولات ذهنية ونفسية معه..أورد المحاضر بعض التصريحات والتحليلات جزم صاحبنا حينها أنه قرأها في مجلة إسلامية صدرت قبل تاريخ كلامه.. يقول صاحبنا: «فقلت مشمئزا..لم ينسب هذه التحليلات إلى أصحابها..إن هذا الفعل ليس من الأمانة مطلقاً» (وكانت المجلة التي يظن صاحبنا أن المحاضر أخذ منها التصريحات والتحليلات مجلة تمثل اتجاهاً ينتمي إليه أو يتعاطف معه).. وزاد الأمر سوءاً حينما سمعه وهو يردد – عقب ذلك – رأياً لأحد المثقفين غير الإسلاميين، ومن ثم ينسب المقالة إليه باسمه بل ويضيف أنه أحد المثقفين اليساريين الذين لديهم تمكن في المتابعات والتحليلات السياسية..

هناك احتمال أن المحاضر قد لا يكون كما ظن صاحبنا،.. لكنه لو ثبت أنه تجاهل ذكر المجلة الإسلامية لأنها تمثل اتجاهاً آخر، ونوه بذكر رأي اليساري بنسبته إلى صاحبه فقد وقع في ظلم عجيب.



العدد الثاني والأربعون
صفر ١٤١٢ هـ
٨ / ١٩٩١ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن
المنتدى الإسلامي
لنـدن

رئيـس التحـرير
محمد العبـدة

العنـوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K

Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 736 4255

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى

المسلمون في العالم ٥٨

ولا تهنوا ولا تحزنوا..

ليس أضر على الدعوات من أن يتسرب اليأس الى أفرادها، أو يصيبهم الوهن والضعف بسبب محنة أو ابتلاء. فهذا مرض قاتل حذر الله المسلمين منه بعد غزوة أحد فخاطبهم قائلاً ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ فإن من سنة الله في الدعوات أن تنتصر وتنهزم ، وتبتلى بالمصائب ونقص الأموال والأنفس. لتكون دروساً قاسية يتعلم فيها المسلم أشياء لم يكن ليتعلمها بالوعظ والكلام.

لقد ابتليت الدعوات في هذه الأيام بتسلط الظالين المفسدين يؤزهم من ورائهم شياطين الإنس من كل ملة ودولة. بل إن المتتبع لما يجري على الساحة في أنحاء العالم الإسلامي ليجد تصميماً عجيباً على إقصاء الإسلام وإبعاده عن الفعل والتأثير. ويقابل ذلك دعوات مخلصة ولكن مع تفرق في الصف الإسلامي وضعف في الأخذ بالسياسة الشرعية المناسبة لكل حدث ومعرفة سنن الله في التغيير.

وقد علمتنا دروس التاريخ القديم والحديث أنه بعد الفتن والمحن يخرج أصناف من الناس إذا عرفنا توجهاتهم فلعلنا نخرج بأقل الخسائر.

هناك صنف من الناس سيصاب بإحباط شديد وبصدمة عنيفة. فهو لم يتوقع أبداً ما يحدث ولم يعد للأمر عدته. ولم يتعود إلا على سماع الأخبار التي يحبها. ذلك لأنه عاطفي خيالي. فهو يرى أن دولة الإسلام قاب قوسين أو

أذنى لما يرى من كثرة المقبلين على هذا الدين، ولما سمع من أن الإسلام قادم (وهو قادم بإذن الله)، هذا الصنف لا ينقصه الإخلاص ولكن تنقصه التجربة والوعي العميق بتاريخ الدعوة وتاريخ الدول، وأسباب النجاح والفشل.

وسيخرج صنف يفكر تفكيراً معوجّاً، سيقول: لا فائدة من الدعوة والعمل والكلام...ولا يحل المشكلة إلا القوة، فهذا في الظاهر شجاع ولكن في الحقيقة يقوم بعملية هروب، ولكنه هروب الى الأمام، وهو صنف لا يملك في الغالب الفقه العلمي والعملي، وتاريخنا الإسلامي في القديم والحديث يعلمنا أنه قد نبتت نابتة مثل هذه عقب الفتن وعدم وضوح المنهج أو عندما لا تدرأ الفتن بالسنن الربانية.

وصنف ثالث مخالف تماماً للصنف السابق، إنه في الطرف الآخر، فهو يرى أنه لا داعي الى التضحيات والعمل الدعوي والتعاون مع إخوانه في سبيل الحق، فالقضية تحتاج الى نفس طويل، وعودة الى الكتب والقراءة من جديد والفكر، والحوار، وعدم العنف (والجهاد عند هؤلاء عنف) وهذا الكلام ظاهره فيه شيء من الحق وباطنه الهروب من الاستمرار والمواجهة.

إن العودة للنقد الذاتي والتعمق في فهم أخطاء الماضي شيء طيب، ولكن هذا الصنف مثل المرجئة، إنما يريد الهدوء وراحة البال.

وسيظهر صنف رابع هو من أخطر هؤلاء، هذا الصنف كان يكتم حب الظهور والرئاسة لأن الوقت غير مناسب أو كان مندساً بين الصفوف، وقد لاحت الآن الفرصة ليتقرب من أصحاب الشأن، ويقدموا له فتات الموائد، وإن من فوائد المحن وحكم الابتلاء ظهور مثل هذا الصنف حتى تتمحص الصفوف ويعرف الكاذب الدعيّ من الصادق المخلص.

سيبقى أعداد كثيرة بإذن الله على الحق سائرون لا يضرهم ضعف أو تخاذل أو إظهار الشماتة والحقد، ونقول للذين تسرب اليأس الى قلوبهم: إن هذا

الأمر لا يتم إلا بالصبر والمصابرة والرجاء بنصر الله ووعده الأكيد، ومن أكبر أسباب الظفر ذكر الله والثقة به، قال تعالى ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ قال المفسرون: «وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلباً، وأكثر ما يكون هماً وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك» ومن أكبر أسباب الظفر معرفة سنن الله في التغيير، وقد وعد الله المؤمنين بالنصر لأن أعداءهم لا يفقهون ﴿إن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾ وهذا يعني أنه من المفروض على المسلمين فقه أسباب النصر والاستعداد له من الناحية المعنوية والمادية، وقد جاء في القرآن على لسان موسى عليه السلام عندما أراد أن ينقذ قومه من بطش فرعون: ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ فهذه الأرض لله وليست رهن تصرف الظالمين وأنها تدوم لهم بل سنة الله أن يسلبها منهم عندما يتقي المؤمن أسباب الضعف والهلاك، واليأس من روح الله ويتقي التخاذل والتنازع، ويعمل بضدها من الأخلاق الإسلامية من الاستعانة بالله والصبر على المكاره، ويتفقه بسنن الله في التغيير وتأثير العقيدة والاجتماع للتمكين في الأرض.

علمـــاء الاجتماع
والعـداء للديـــن
وللصحوة الإسلامية (٣)

المتدينون والمرض النفسي

د.أحمد ابراهيم خضر

عرضنا في الحلقة الماضية للاعترافات الصريحة لعلماء الاجتماع في بلادنا عن فشل وإخفاق التحليلات والتفسيرات الماركسية عن الصحوة الإسلامية كقولهم بارتباط الدين بالتراجع والتقهقر، وارتباط العقلانية بالصعود والتطور، وقولهم بزوال ما يسمونه برجل الدين بسبب القدوم المظفر والمنتصر لرجل التقنية، وقولهم بأن الصحوة الإسلامية نتجت عن عدم نضوج التركيبة الطبقية العربية ثم اعترافهم بأن نظرية الصراع الطبقي مسؤولة عن الدمار الذي يتخبطون فيه، واعترافهم كذلك بعدم ارتباط ظهور الجماعات الإسلامية بانحطاط وتدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية أو تطورها.

ونتناول في هذه الحلقة قضية اتهام رجال الاجتماع لشباب الجماعات الإسلامية بأنهم مرضى عقليون ويمثلون شخصيات مريضة.

لرجال الاجتماع في بلادنا مقولات تثير الدهشة والاستغراب منها ما يدل على دهاء ومكر شديدين كقول (عضيبات) الذي أشرنا إليه في الحلقة الماضية بأن التيارات الوطنية والليبيرالية واليسارية والقومية محاصرة في مجتمعاتنا، وأن هناك تضييقاً على دعاتها وتنظيماتها، وأن الساحة شبه خالية أمام الحركات الدينية التي سيملأ فكرها وتنظيماتها الفراغ القائم.[١]

ومنها ما يدل على سطحية وسذاجة تفوق الحد يقول سمير نعيم (أستاذ الاجتماع بجامعة عين شمس بالقاهرة بأن الجماعات الإسلامية جزء من مخطط

امبريالي صهيوني تسانده قوى إقليمية ومحلية تهدف إلى ضرب التماسك الاجتماعي وتفسيخ المجتمع من جهة وتكريس تخلفه تدعيماً لتبعيته من جهة أخرى.[٢] رغم أن أبسط الحقائق تقول أنه لا خطر أشد على الامبريالية والصهيونية والقوى الإقليمية والمحلية من الصحوة الإسلامية وحركاتها وجماعاتها.

وحقيقة الأمر أن الموقف العدائي لرجال الاجتماع في بلادنا من الصحوة الإسلامية يرتبط ارتباطاً لا ينفصم بموقفهم العدائي من الدين.

الدين كما يراه رجال الاجتماع في بلادنا (وهم) و (خيبة أمل الزمن الراهن) و(رد فعل سلبي للضمير الجمعي) و (عصاب نفسي) و (مأوى لموت بطيء).[٣]

طالب رجال الاجتماع في بلادنا علناً وبلا حياء ترك الاعتقاد بالدين. يقول علي الكنز أستاذ الاجتماع بجامعة الجزائر: (قبل كل شيء علينا ترك الاعتقاد بالدين لأنه لم يبرهن على أن الدين أصبح بمثابة رؤية للعالم أو فهو وظيفة عكسية للتطور التاريخي والاجتماعي)[٤]. أما هؤلاء الذين يدخلون في دين الله من خارج مجتمعاتنا في الوقت الذي يخرج رجال الاجتماع منه فهم في نظرهم أفراد منعزلون ولهذا فالإسلام عندهم لم يظفر بمسلمين جدد والصحوة الإسلامية بناء على هذا التصور نوع من التراكم المكثف للتجربة الإسلامية شأنها شأن تراكم رأس المال[٥]. وكما أشرنا من قبل فإن أحد الأسباب الرئيسية لكراهية رجال الاجتماع في بلادنا للصحوة الإسلامية هو رفض هذه الصحوة المفاهيم الجديدة إجمالاً كمنظومة الحداثة ورفضها للعقلانية كنمط للتفكير وكمشروع مجتمعي كما أشار إلى ذلك (الهرماسي) أستاذ الاجتماع بالجامعة التونسية الذي اعترف بفشل هذه المفاهيم في قوله: (..لا لسبب إلا لأنها فشلت في بعض الميادين)[٦].

هؤلاء الذين يقولون أن لجماعات الإسلامية جزء من مخطط امبريالي صهيوني ورموا هذه الجماعات بالتطرف اشتقوا تعريفاتهم للتطرف من كتاب يهود كتبوها

في قواميس ودوائر المعارف الفلسفية وأضفوا عليها الطابع العلمي، ولهذا كان التمسك والالتزام بالدين أو العودة إليه كما اعتبره رجال الاجتماع العرب نقلاً من كتاب يهود مثل (روزنتال ويادين) جموداً عقائدياً وانغلاقاً عقلياً. وهذا هو التطرف عندهم الذي اعتقدوا أنه جوهر الفكر الذي تتمحور حوله كل الجماعات الإسلامية التي هي الآن وبناء على هذا التصور جماعات متطرفة.(٧)

وطبقاً لتعريفات الكتاب اليهود عن التطرف فإن رجال الاجتماع في بلادنا يرون أن الشاب الذي لا يقبل معتقداً غير الإسلام والذي يعتقد أن الإسلام صادق صدقاً مطلقاً وأبدياً وأنه صالح لكل زمان ومكان وأنه لا مجال لمناقشته والبحث عن أدلة تؤكده أو تنفيه، هذا الشاب الذي يرى أن المعرفة كلها بمختلف قضايا الكون لا تستمد إلا من عقيدة الإسلام والذي يدين كل عقيدة تخالف عقيدة الإسلام هو (شاب متطرف). ومن ثم كان الالتزام بالإسلام وتعاليمه تطرفاً لأنه كما يرى – سمير نعيم – حنين إلى الماضي وعودة إلى الوراء ومنحى رجعياً يجر العلاقات الاجتماعية إلى أوضاع بالية لا تتناسب مع تقدم العصر. هذا هو الإسلام في نظر رجال الاجتماع.(٨)

أما الحجاب (الذي شرعه الله تعالى) والنقاب واللحى والجلابيب القصيرة (التي في بعضها اتقاء للفتنة والتزام بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) وكذلك منع الاختلاط والمناظرات بين الإسلام والنصرانية فهي عند – سمير نعيم – مظاهر سلوكية تعبر عن التطرف(٩). لكن التبرج وحلق اللحية وارتداء الأزياء الاوربية بمختلف تقاليعها والاختلاط بين الرجال والنساء وسيادة النصرانية وعبادة الصليب والتثليث على الإسلام فهي عين الاعتدال عنده.

أما أشد مقولات رجال الاجتماع إثارة للدهشة والاستغراب فهي وصفهم لشباب الجماعات الإسلامية بأنهم يمثلون شخصيات مريضة وأنهم مرضى عقليون يعانون من الجنون الدوري أو جنون الاضطهاد والعظمة على حد تعبيرات سمير

نعيم.[١٠]

وتمسك هذا الشباب المتدين بتعاليم الإسلام المتعلقة بالمرأة عند – سمير نعيم – مرض عقلي يعاني أصحابه من أوهام حيوانية الرجل وشهوانيته تجاه المرأة وأنهم – أي هذا الشباب – يشكون في أنفسهم وفي الآخرين، وأن نظرتهم إلى المرأة تسقط ما في أنفسهم من مشاعر شهوانية مكبوتة ومشاعر دونية وعدم ثقة بالنفس.[١١] بهذه الأوصاف الحادة والعنيفة ذات الطابع الفرويدي شن – سمير نعيم – هجومه الضاري على شباب الجماعات الإسلامية الذين يريدون أن يحفظوا للمجتمع نقاءه وطهارته، وأن يقفوا في وجه تيارات خطف واغتصاب النساء وفساد العلاقات بين الجنسين واعتبار المرأة سلعة للعرض والمشاهدة وإثارة المتعة على كافة الأصعدة من المنزل إلى الشارع إلى الإعلام إلى المجتمع.

إذن ما هو البديل عند رجال الاجتماع في بلادنا إذا لم ينضم الشباب إلى الجماعات الإسلامية ؟

هذه هي اعترافات – سمير نعيم – ذاته عن هذا البديل. يقول سمير نعيم:–

من ملاحظة الواقع الاجتماعي وما تنشره الصحف اليومية يتضح ما يأتي:

١– يلجأ البعض إلى الهجرة إلى الخارج هروباً من الضغوط الاقتصادية والمشكلات الاجتماعية التي يعانونها، وهي بالطبع حلول فردية، ولكن من الثابت أنها غير متاحة لجميع قطاعات الشباب، فالفقراء منهم عاجزون حتى عن ذلك الحل الذي يتطلب اتصالات وعلاقات للحصول على عقد عمل في أحد الاقطار العربية ونفقات سفر لا تتوافر للجميع، والبعض الآخر يظل يحلم بالهجرة كأمل زائف لمواجهة مشكلاته.

٢– يلجأ البعض الآخر إلى ممارسة أعمال غير مشروعة كالاتجار في المخدرات

أو في العملة والرشوة والتهريب..الخ

٣- يلجأ فريق آخر إلى الجريمة التقليدية أو غير التقليدية حيث تنتشر سرقات المساكن والسيارات والمحلات التجارية والنصب والاحتيال والاغتصاب والاعتداء على الأراضي الزراعية وعلى أملاك الغير والدولة..الخ.

٤- يتجه آخرون إلى إدمان المخدرات كحل هروبي انسحابي للمشكلات التي يعانونها.

٥- يصاب البعض عندما يعجز عن كل من الحلول المشروعة وغير المشروعة نظراً إلى ما يتمتع به من قيم ايجابية قوية بالاضطراب النفسي والعقلي وبالتالي فإن المجتمع المصري يشهد تزايداً في هذه الأمراض.[١٢]

تعنى السطور السابقة باعتراف - سمير نعيم - أن البديل لانضمام الشباب إلى الجماعات الإسلامية هو الهجرة أو التفكير فيها أو ممارسة الاعمال غير المشروعة كالاتجار في المخدرات أو العملة أو الرشوة والتهريب أو ممارسة الجريمة التقليدية أو غير التقليدية أو إدمان للمخدرات.

ونقف قليلاً عند النقطة الخامسة التي تعتبر أيضاً من المقولات المثيرة للدهشة والعجب، وهي القول بأن القيم الإيجابية القوية التي يتمتع بها الشباب يمكن أن تؤدي بهم إلى الإصابة بالاضطراب النفسي والعقلي حيث يريد سمير نعيم هنا أن يثبت أن شباب الجماعات الإسلامية الذي لم يلجأ إلى السلوكيات اللاسوية ولجأ إلى الدين مصاب باضطرابات نفسية وعقلية بسبب هذه القيم الإيجابية التي يتمسك بها لأن رغبة هذا الشباب في العودة إلى نموذج المجتمع الفاضل باللجوء إلى الدين ما هي إلا هروب من الواقع ورفض له وتعلق بأمل كاذب في الخلاص من المشكلات التي يواجهها.[١٣]

الخطأ الفادح الذي وقع فيه سمير نعيم هنا - وهو ربطه بين التمسك بالقيم الإيجابية والإصابة بالاضطرابات النفسية والعقلية طعناً في شباب الجماعات الإسلامية - كشف وشهد به عن أن معلوماته في علم 'النفس' وتشخيص الاختلالات العقلية وقفت عند حدود الخمسينيات. لم يطلع سمير نعيم على جهود جمعية الطب النفسي الأمريكية (APA) التي بدأت منذ عام ١٩٨٣ في محاولة طموحة مثيرة الجدل للإسراع بتطوير علوم وتشخيصات الأمراض العقلية لإعادة تنقيح كتيبها عن هذه الأمراض، وقد أثمرت هذه الجهود بإصدار كتيب جديد في عام ١٩٨٠ شارك في إعداده المئات من العلماء والمهنيين في ميدان الصحة العقلية. ويعرف هذا الكتيب (بالوجيز التشخيصي والإحصائي للأمراض العقلية - الطبعة الثالثة) ويشار إليه اختصاراً DSM-111. ويعتبر هذا الكتيب تطوراً عظيماً في حقل التصنيف والوصف العلمي لهذه الأمراض، وكان له أكبر الأثر في علاج مختلف أنواع الاختلالات العقلية. الذي يهمنا في شأن هذا الكتيب الذي لم يتابع - سمير نعيم - مراحل تطوره فاتهم شباب الجماعات الإسلامية بالتطرف وبالاختلال العقلي هو هذا الإسهام الذي اعتبره المختصون في هذا الميدان من أعظم أكتشافاتهم وهو (الفصل بين الأمراض العقلية والسلوكيات) تلك التي جدد منها الكتيب مباشرة وبوضوح (سلوكيات التطرف) التي يرى الكتيب أنها مشتقة من المعايير المجتمعية وليست ناتجة بالضرورة عن الأمراض العقلية.(١٤) فماذا عسى أن يقول سمير نعيم بعد ذلك ؟

نسجل بعد ذلك على سمير نعيم شهادته واعترافه بأصالة القيم التي يحملها شباب الجماعات الإسلامية، واعترافه أيضاً بأن التجاء هذا الشباب إلى الدين حماه من الدمار الشامل الذي أصيب به غيره من الشباب.

أولاً: يعترف سمير نعيم بأنه بالرغم من أن شباب الجماعات اللسلامية يعيش في مناطق تعاني من التخلف والفقر والحرمان من إشباع الحاجات الأساسية،

وبالرغم من انسداد طرق الهجرة أمامهم لصغر سنهم وقلة خبرتهم وعجزهم عن توفير مصاريف السفر وعدم الحاجة إليهم في البلاد النفطية، وبالرغم من صعوبة إمكانية حدوث أي تغيير في أوضاعهم وأوضاع أسرهم وقراهم، وبالرغم من أنهم يخبرون الفقر والمعاناة طوال سني حياتهم مع مشاهدتهم للتفاوت الهائل في حظوظ البشر في مصر واختلال توزيع الثروة بها لصالح الأغلبية الميسورة، بالرغم من كل ذلك فإن القيم التي يتمتع بها هذا الشباب منعته من الانخراط في الأعمال الإجرامية وغير المشروعة واللاأخلاقية[١٥]

هذا ويحاول - سمير نعيم - جاهداً أن يربط بين انضمام الشباب إلى الجماعات الإسلامية وبين حالة الفقر والحرمان والمعاناة التي يواجهونها، ولما وجد أن افتراضاته ستسقط بوجود شباب ينتمي إلى أسر ميسورة الحال من بين شباب الجماعات اللسلامية فسر ذلك بقوله: (..وفي رأينا أن هؤلاء جميعاً مهما ارتفعت دخولهم فهم يعتبرون من ذوي الدخل المحدود (موظفي حكومة) ويعانون أيضاً الإحباط بفعل التضخم وارتفاع الأسعار والتطلعات الطبقية والاستهلاكية والتفاوت الاجتماعي الحاد) أي أنه أرجع انضمام هذا الشباب إلى الجماعات الإسلامية إلى تدهور الظروف الإقتصادية والاجتماعية، وهذا ما أبطلناه في الحلقة الماضية. لكنه اعترف هنا مؤكداً أصالة القيم التي يتمتع بها هذا الشباب فقال: (..وامتناعهم عن مسايرة دروب الفساد المختلفة كالرشوة والاختلاس..الخ استناداً إلى ما يتمتعون به من قيم أصيلة).[١٦]

ثانيا: اعترف سمير نعيم بأن الالتجاء إلى الدين كأسلوب لمواجهة المشكلات الشخصية والمجتمعية دون غيره من الأساليب اللاسوية التي أشار إليها هو حماية من الدمار الشامل..يقول سمير نعيم: (إن اللجوء إلى هذا الأسلوب لمواجهة المشكلات الشخصية والمجتمعية دون غيره من الأساليب السابق ذكرها إنما هو في رأينا وسيلة دفاعية لحماية الذات من الدمار الشامل وذلك باللجوء إلى

لمخدرات أو الجريمة أو الجنون أو الفساد).[17]

إلا أن عداء - سمير نعيم - للدين جعله يصور التسلح بالتعاليم الدينية مصيدة دمار للشباب وللمجتمع[18] وجعله يرى أن المساجد تقوم بأدوار تضليلية.[19]

هذا وقد كشف رجال الاجتماع عن خشيتهم من أن يتسبب نمو وتعاظم التيار الإسلامي في مصر إلى أن تتحول مصر إلى مجتمع يسوده الطابع الإسلامي، خاصة بعد أن لاحظوا تأثر العاملين المصريين وأبنائهم في السعودية بهذا الطابع الإسلامي الذي يحملونه معهم إلى مصر بعد عودتهم. هذا وعبر رجال الاجتماع عن عدائهم الصارخ لهذا الطابع الإسلامي على النحو التالي، يقول سمير نعيم:

(ومن اللافت للنظر حقاً المقابلة بين اتجاه حركة التيار الإسلامي المتطرف أو حتى المعتدل في الفترتين، ففي الفترة الأولى تحركت هذه الجماعات وتلك الاتجاهات إلى خارج مصر فهرب أعضاؤها أو لجأوا إلى أقطار عربية وبخاصة السعودية فاتسمت تلك المرحلة بطرد هذه التيارات. وفي الفترة الثانية تحركت هذه التيارات والجماعات من الخارج إلى الداخل فجاءت ومعها (أكثر التيارات رجعية وتطرفاً من تلك المناطق العربية) إلى داخل مصر فاتسمت هذه المرحلة بالغزو والتغلغل والجاذبية الداخلية).[20]

ويعتبر رجال الاجتماع أن الطابع الإسلامي طابع غريب عن المجتمع المصري وليس أصيلاً فيه، ولهذا فهم يخشون من تأثير الطابع الإسلامي الذي يحمله العائدون المصريون وأبنائهم منها على الأسر والأبناء الذين لم يذهبوا أصلاً إلى السعودية، فينتقل إليهم هذا الطابع عبر التداخل الأسري وتقديم النماذج السلوكية.

يقول سمير نعيم: (ومما لا شك فيه أن الآباء أنفسهم الذين يذهبون إلى

الأقطار العربية يعودون وقد تشبعوا هم أنفسهم باتجاهات دينية كانت غريبة عنهم وعلى المجتمع المصري بما يتبع ذلك من نماذج سلوكية جديدة ولا تنعكس تأثيرات ذلك على أسر المهاجرين وحدهم بل تمتد لتشمل أسر غير المهاجرين أيضاً. ومن خلال ما يعقده أفراد الأسر الأخيرة من مقارنات بينهم وبين أفراد الأسر المهاجرة وما يقدم أعضاؤها من نماذج اتفاقية وسلوكية من جهة ومن خلال التداخل الأسري من جهة أخرى.[٢١]

يتبع

المصادر:

١ - عاطف العقلة عضيبات. الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة بيروت ١٩٩٠. ص ١٥٥

٢- سمير نعيم أحمد. المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني، الدين في المجتمع العربي. مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٩٠ ص ٩٨

٣- علي الكنز. الإسلام والهوية. الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٩٠ ص ٩٨

٤- تابع ص ١٠٥

٥- تابع ص ٩١

٦- عبد الباقي الهرماسي. علم الاجتماع الديني. المجال والمكاسب والتساؤلات. الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٩٠ ص ٣٠-٣١

٧- سمير نعيم تابع ص ٢١٧

(٨)-(١٣) تابع ص ٢١٨-٢٢٩

١٤- *Josef Julian and William Kamblum Social Problems, Pretice Hell Inc, New Jersey 1982 P 48*

١٥- سمير نعيم تابع ص ٢٢٩

(١٦)-(٢١) تابع ص ٢٣٠- ٢٣٧

إلى
الحبيبة الغائبة

مصطفى بكري السيد

— ١ —

حبيبتي مشغولة بالحب والمحَار
حاضرة بوجهها المُعار
منفيّة عن يومها وفجرها الجديد
مقهورة بوأدها في عشها البعيد

٢

وكلما تدانت البروق والرعود
وأثقلت بغيمها وخصبها الموعود
وأوشك العشاق أن يجاوزوا الحدود
تسارعت معاول الظلام والوغود
وأذبلت أحلامهم تذابل الورود.

-٣-

حبيبتي تنافس الجمال والربيع
وترتدي لعرسها وحلمها البديع
ملابس القيان والإماء
وتترك الحرير والفراء
معلقاً بمشجب الزمان

-٤-

حبيبك المولّه المحزون
يواجه الشكوك والظنون
تتابعت من عمره القرون
يعايش الهموم والصعاب
ويرقب النجوم والسحاب
ويرتجي من رحلة الغياب
أن يحتفي بعرسه وحلمه القديم
فوق تخوم المجد والهضاب

-٥-

حبيبك لن يسأم الوعود
حبيبك لن يهجر الوجود
سيقهر الوشاة والأسود
وينثر الزهور والورود
لعرشك وعزك الموعود

وقطعن أيديهن..*

يقرر المتخصصون في علوم الأحياء والسلوك ووظائف الأعضاء، أنه وفي كثير من الأحياء يفوق الاحساس بالألم جميع الأحاسيس الأخرى، مثل الإحساس بالجوع والعطش والمتطلبات العضوية الأخرى.

بمعنى آخر، أن هذه الأحياء قد يوقفها الألم عن طلب ما تسد به جوعها وعطشها حتى عند الضرورة، يقررون ذلك بناء على عدد كبير من التجارب على حيوانات مختلفة وحتى الإنسان. وعادة ما تتم هذه التجارب بوضع حاجز يسبب ألما شديداً للكائن الحي عند محاولة اجتيازها للوصول إلى الطعام والشراب. فقد لوحظ أن كثيراً من هذه الأحياء تتردد كثيراً قبل اجتياز هذه الحواجز، وقسم كبير منها أدى به الجوع والعطش إلى محاولة هجر المكان تخلصا من هذا الضغط العضوي، وعند الفشل بمغادرة المكان، قد يقرر الكائن الحي اجتياز الحاجز وتحمل الألم في سبيل سد هذه الحاجة العضوية المهمة. في حين أن هناك قسماً من الأحياء تصل به عدم القدرة على تحمل الألم إلى الموت.

نفهم من هذا السلوك أمراً مهماً هو أن أي مطلب أو حالة عضوية تؤدي بالكائن الحي إلى تجاهل أو تحمل الإحساس بالألم فلابد وأن يكون ذلك المطلب أو تلك الحالة العضوية من القوة بحيث تعطل، ولو مؤقتاً، أو تقلل، على أفضل تقدير، إحساس الكائن الحي بالألم.

وفي تجربة شخصية على عدد من من الأحياء البحرية، وجد أنها تتوقف تماماً

عن تناول الغذاء في حالة حصول عطب شديد أو لا عادي في الظروف المحيطة بالاحياء. وقد يتوقف الكائن الحي عن القيام بعدد غير قليل من الوظائف العضوية تؤدي به إلى الموت التدريجي إذا زاد العطب والفساد في المحيط من حوله.

ونظرة تفكر فيما تقدم وفي قوله تعالى يصف حالاً مشابهاً لحال الأحياء التي تتجاوز مرحلة الإحساس بالألم للحصول على شيء أكثر أهمية، أو قل أكثر إلحاحاً، هو قوله عز من قائل: **﴿فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديدهن﴾** إذ تشير الآية إلى واقع حال تجاوز فيه الإحساس بمطلب معين (وهو هنا الانبهار برؤية النبي يوسف عليه الصلاة والسلام) الاحساس بألم قطع اليد، هذا الألم الذي يعرف الجميع ضرورة شدته بسبب تركز خلايا الحس في هذا الجزء من الجسم. إذاً فقد أدى ذلك المؤثر إلى تعطيل إحساس النسوة بألم قطع السكين ولو جزئياً.

والواقعة كما هي معروفة من القرآن في سورة يوسف تخبر عن مراودة امرأة العزيز لفتاها المملوك عن نفسه. تلك المراودة التي خطط لها أحسن تخطيط وتحرز لها كل الحرز على أن تتم بدون علم بشر **﴿وغلقت الأبواب وقالت هيت لك﴾**. ولكن خبر المراودة والمحاولة انكشف بإرادة الله واطلع عليه من اطلع داخل البيت وخارجه. فطار الخبر للخارج، من غير جهة يوسف عليه السلام بسرعة حتى أن نساء المدينة أصبحن يلكن وينقلن الخبر في كل مكان ومجلس **﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً﴾**. حتى رجع الخبر إلى مصدره الأصلي الذي بهت فيما يبدو من عظم ما يحاك من مكر في الخارج **﴿فلما سمعت بمكرهن﴾**، وكأن حال لسان نسوة المدينة يقول أننا لا نجد لها عذراً، فهي من هي مركزاً ومقاماً وجاهاً، وأنه لابد وأن يكون قد أصابها شيء إذ تفعل ذلك **﴿إنا لنراها في ضلالٍ مبين﴾**، أي أننا لنستقبح منها ذلك الفعل، فما كان من امرأة العزيز إلا أن صممت أن تجرب بهن نفس السلاح الذي عطل عندها أو أفقدها الإحساس بكل القيم العليا. وفيما يبدو من سياق الآيات الكريمة أن امرأة العزيز لم تزل قادرة على مراودة يوسف عليه السلام

والخلوة به مع علم زوجها، الذي كان قليل الغيرة أو عديمها، ولهذا لما اطلع على مراودتها أول مرة قال **﴿يوسف أعرض عن هذا، واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾** فلم يعاقبها ولم يفرق بينهما، وهو كان له دور في تيسير دعوة يوسف للفاحشة من قبل نسوة المدينة. وكان ان كانت نتيجة التجربة أنهن قطعن أيديهن بسبب الرغبة الجنسية التي فاقت إحساسهن بالألم، تلك الرغبة الجماعية منهن جميعاً والتي بينها يوسف عليه السلام في قوله تعالى **﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن﴾** وقوله **﴿ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم﴾** فهن قد راودنه عن نفسه لأنفسهن ولامرأة العزيز.

سبحان الله، إن رؤية الرجل الحسن مؤثر عظيم القوة عطل لدى المرأة الإحساس بالطهر والعفاف وكل معايير إكرام المثوى وحسن الضيافة وحفظ الزوج وحقوقه. هل يبقى شك بعد هذه الآيات بخطورة الاختلاط وعدم غض البصر؟ هل يبقى بعد هذا تساؤل عن المقصود من قوله تعالى **﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾** أو قوله **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾** أو قوله عز من قائل عليم **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾**.

ومن فوائد هذه الآيات من سورة يوسف أن الله تعالى يروي للأمة تفاصيل قصة حصلت في السر أو هكذا خطط لها بصورة فردية أعقبها فتنة عظيمة على مستوى نساء المدينة وبصورة علنية وعامة. وقد بلغت السرية كمالها عند إغلاق الأبواب والتي كانت سبعة أبواب (القرطبي) حيث الإرادة أن يتم المنكر معها وحدها، لكن إرادة الله شاءت أن يطلع على ذلك الشهود وزوجها ونساء المدينة وكأنه تعالى أراد لهذا الدرس عنوانا آخر هو أن من يهتك الستر الذي بينه وبين الله يهتك الله الستر الذي بينه وبين الناس وأن من يتق الله يجعل له مخرجاً.

هذا ليعلم أن الفتنة والمكر قد يبدأ بصورة فردية أو حالة سرية هنا وأخرى

هناك أو تساهل في مسألة ومسامحة في أخرى، ولكن شر الفتنة لابد أن يعمّ المجتمع جله أما بصورته المباشرة، كما هو في كثير من المجتمعات متمثلة بانتشار الأمراض التي يعم شرها الصالح والطالح، ذلك إذا لم يؤخذ على يد الفتنة والمكر من أوله وحال حدوثه، والضابط في ذلك كله الشرع الإسلامي.

ومن الفوائد الأخرى ملاحظة خطورة إهمال البيوت والمجتمعات مما يجلبه الاختلاط والسفور والتبرج من فتن يمكن أن تعصف بالمجتمعات المسلمة، فإنه من باب تشابه الميول والطبع بين النساء كما فطرهن الخالق كذلك، فإن ترك باب الاختلاط والفتنة مفتوحاً على مصراعيه وإهمال الضوابط الشرعية في ذلك سيكون له، كما كان الحال مع امرأة العزيز، ردود فعل قد لا يسلم منها كثير من نساء ورجال المجتمع المسلم مما يودي إلى انتشار ما لا يحمد عقباه من أمور تضيع الدين وتخل ببنيان وحدات بناء المجتمع.

وكطباع الصالحين الذين وقاهم الله السيئات، فإن يوسف عليه السلام عندما تعرض للفتنة، فإنه اندفع ليهجر مكان الفتنة لينجو بدينه وعفته. ونستفيد ذلك درساً عظيماً هو أن هجر المكان الذي يشاع ويظهر فيه الفساد، خصوصاً عند عدم القدرة على ردها أو اصلاحها أو إنكارها عملياً، قد يكون واجباً بحق الكثير منا. على أن هجر المنكر وداره ليس دائماً مستطاعاً للجميع. فإن الطواغيت غالباً ما تلجأ إلى سد المنافذ **﴿قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾**.

أليس هذا ما يعمله طواغيت اليوم بالصالحين من سد منافذ الهجرة وفتح أبواب السجون وسد الأفواه والعيون بالأموال والآمال. وأما من لم يستبق الباب وهو قادر على ذلك ورضي أن يكون في مكان السوء والفحشاء واطمئن من غير أن يحرك ساكناً وهو قادر على ذلك فأخشى أن يكون ممن قال فيهم خالقهم **﴿إن الذين توفهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم**

وساءت مصيرا﴾. ولكن حسبنا الله، فحتى من يملك القوة على الهجرة قد سد الطغاة في الأماكن الأخرى أبواب أرض الله الواسعة فسقط في أيدي الكثير من الصالحين والله المستعان.

ثم إن أساليب الطغاة تتجدد ولا تتبدل. فإن نبي الله يوسف عليه السلام لما أنجاه الله من الفتنة الأولى وأظهر طهره وبراءته نصبوا له فخاً آخر أشد قوة ومعه التهديد بأن يكون من الصاغرين، فما كان منه عليه السلام إلا أن قدم نفسه للسجن ﴿رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾. وكانت له المكافأة هناك في السجن حيث قيض الله تعالى له جواً مناسباً للدعوة وإيصال دين الله لمن لم يمكن له لولا السجن، طريقاً للوصول إليه. ذلك ليعلم طواغيت اليوم أن تكميم أفواه الدعاة أمر مستحيل حتى داخل الزنزانات والحديد. ولنا في أئمة الإسلام بعد رسل الله أسوة حسنة.

وعودة إلى نبي الله يوسف نلاحظ أنه عليه الصلاة والسلام قد حقق كل مراحل الهجرة، فقد هجر الكفر ﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾ وهجر الكبائر ﴿قالَ معاذَ الله إنه ربِّي أحسن مثواي إنه لا يفلح القوم الظالمون﴾ وهجر الصغائر ﴿قالَ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾.

وفائدة عظيمة أخرى أن وعد الله متحقق بأن يجعل لمن يتقيه رزقاً من حيث لا يحتسب. فهذه براءة يوسف عليه السلام تأتي من عدة وجوه وطرق. فيشهد له خالقه أولاً أنه من عباده المخلصين وأنه صرف عنه السوء، ويشهد شاهد من أهلها، وتشهد نسوة المدينة، ويشهد الملك فيما بعد وفيما قبل، ثم هي تشهد ببراءة ونزاهة نبي الله. فقد سخر الله هذه الجنود لتقدم دليلاً تلو الآخر على حفظ الله لنبيه وعباده الصالحين عموماً ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ ذلك إذا علم الله منهم صدق القلوب ثم كان التمكين في الأرض لدين الله وعباده وهي الجائزة التي يرجوها كل من يشري مرضاة الله.

أثر العقيدة في توجيه السلوك والأخلاق

محمد الناصر

إن الإيمان الصادق يصنع الأعاجيب، فمتى استقر في القلب ظهرت آثاره واضحة في المعاملة والسلوك.

«والإسلام عقيدة متحركة لا تطيق السلبية، إذ أنها بمجرد تحققها في عالم الشعور، تتحرك لتحقق مدلولها في الخارج وتترجم نفسها إلى حركة وإلى عمل في عالم الواقع».(1)

والمسلم إذا تمكنت العقيدة من نفسه تبرأ من المشركين وما هم عليه من عقائد وأفعال وسلوك، وإذ تخرّج على التربية الإيمانية نموذج فريد من الرعيل الأول، كانوا قمماً شامخة؛ ارتفعوا فوق جواذب الجاهلية ومفاتن الدنيا وما فيها من مغريات.

وسارت الأجيال المسلمة تنهل من التربية المثلى التي غرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ومن الأخلاق الفاضلة التي لم تتغير من فرد إلى فرد، ولا من مجتمع إلى آخر بل هي قيم ثابتة تزداد ثباتاً كلما مرت الإنسانية في تجاربها خلال هذه الحياة.

١- في ظلال القرآن: ٢٥٢٥/٤

وهي أخلاق متكاملة تحتضن جميع الفضائل والأعمال الخيرة لصالح الفرد والمجتمع وفي جميع الميادين.[1]

وقد يتساءل البعض قائلاً:

ما علاقة العقيدة بالأخلاق ؟ ألا يمكن أن يكون للناس أخلاق طيبة بلا عقيدة ؟! نعم قد يوجد أخلاق عالية مثلى كانت عند عرب الجاهلية وعند المجتمعات غير المسلمة أحياناً ولكن هذا سببه أن النفس تحتجز رصيدها الخلق بحكم العادة والتقليد أمداً طويلاً، بعد أن تكون قد فقدت الإيمان كجزء من العقيدة؛..وقد تحتجزه فترة على وعي منفصلاً عن العقيدة، على أنه شيء ينبغي في ذاته أن يقوم.

ولكن النتيجة الحتمية واحدة في النهاية..

إنه ما دامت العقيدة قد انحرفت فلا بد أن تنحرف الأخلاق أخيراً وما دامت الأخلاق قد انفصلت عن العقيدة فلا بد أن تموت. وإن هؤلاء المخدوعين حسبوا بتأثير الجاهلية أن التصورات قد تنحرف ثم يستقيم السلوك.

إنَّ هذا وهم من أوهام الجاهلية، لأن هؤلاء الناس قد ضُلّلوا عن حقيقة الشر الذي يعيشون فيه..وأن الحياة البشرية ذاتها مهددة بالدمار من ضخامة هذا الشر وعنفوانه ومن ضخامة تمكنه من الحياة الواقعية للناس.[2]

وغاية المسلم الأساسية في أخلاقه، أن يحقق مرضاة ربه، ذلك أن هدف المؤمن الأول من أعماله كلها هو ابتغاء وجه الله جل وعلا..فقد أمره سبحانه وتعالى بذلك، وعده بالجزاء الأوفى على أعماله الخيرة يوم القيامة.

قال تعالى: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً**

١- انظر كتاب: التربية الأخلاقية الإسلامية د.مقداد يالجن ص ٨٨-٩٠

٢- جاهلية القرن العشرين: الأستاذ محمد قطب ص ٩٤-٩٥ وما بعدها

يره﴾ [الزلزلة ٧-٨].

كما أن المسلم يحقق سعادته في الدنيا يقول تعالى: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾** [النور ٥٥]

فالسرور ثمرة عملية لمن يتحلى بالأخلاق الفاضلة، والطمأنينة القلبية والشعور بخيرية الذات وخيرية المصير من ثمرات الانسجام بين الإيمان والأخلاق وذلك نتيجة طبيعية، لأن الإنسان عندما يتصرف بمقتضى عقيدته. فيؤدي الواجبات كما ينبغي أداؤها ويتجنب المحرمات..يشعر بأنه إنسان خيِّر قوي الإرادة.

ومن يقرأ للملاحدة والكتاب الوجوديين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، يعلم مدى ما يعانون من الاضطراب النفسي والقلق والحيرة في أعماق قلوبهم..

ذلك أنّ في طبيعة الحياة الإنسانية جانباً لا يُملأ إلا بالإيمان..وكثيراً ما يدفع القلق هؤلاء الحيارى إلى محاولات الانتحار.[١]

وإذا تفحصنا العلاقات الاجتماعية في حياتنا المعاصرة نجد أن الاضطراب في السلوك هو الظاهرة السائدة، وأنَّ الابتعاد عن الاستقامة مما تعج به أكثر المجتمعات الحديثة، وهذا دليل واضح ومؤشر قوي على ابتعاد الناس حتى كثير من المسلمين عن صفاء عقيدتهم المؤثرة والتزامهم المنضبط بتوجيهاتها.

سوء الخلق دليل على ضعف الإيمان:

ربط الإسلام بين الإيمان والسلوك ربطاً قوياً، ونلاحظ ذلك في نصوص كثيرة مثبتة في الكتاب والسنة.

١- انظر الاتجاه الأخلاقي في الإسلام: د.مقداد يالجن (الصفحات: ٧٩، ١٢١، ٣٢٨).

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[1]

وقوله صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً».[2]

إن قرن الإيمان بحسن الخلق، والسلوك الرفيع أمر يلفت النظر إلا أن كثيراً من المسلمين يهملون هذا الجانب أيامنا هذه مع الأسف الشديد.

فبينما كان المسلمون الأوائل إذا سمعوا آية فيها تكليف سارعوا إلى تطبيقه، وإذا نزل تحريم لأمر انتهوا عند ذلك من صدق الإيمان وصلابة العقيدة..

وقد عرفنا من كتب السيرة في قضية تحريم الخمر، كيف أسرع المؤمنون إلى إراقة الخمور في شوارع المدينة المنورة.

وهنا سؤال هام يطرح نفسه: وهو إذا كان للعقيدة هذا الدور الفعال في توجيه السلوك. فلماذا لا نرى ذلك الأثر في واقع المسلمين الآن ؟!

إننا نجد البون شاسعاً بين ما يدّعون من عقيدة وبين ما يسلكون ويتصرفون به. في المعاملات والسلوك.

والحقيقة: أن الدعوى شيء والإيمان الحقيقي شيء آخر إذ أن الإيمان حقيقة وكل حقيقة لها علامة، وعلامة الإيمان العمل به، وإذا دخل الإيمان القلوب، واستقر فيها نبضت بالحيوية، ودفعت النفوس إلى العمل بموجبها..

وهؤلاء ممن ﴿**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**﴾ [آل عمران ١٦٧]. لأن معيار صدق الإيمان هو العمل الصالح، والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، والاعتقاد الصحيح يدفع إلى السلوك الطيب.[3]

١- هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البخاري: ١٥٥/٢

٢- صحيح: المستدرك للحاكم النيسابوري ٥٣/١

٣- التربية الأخلاقية الإسلامية: ص ١٨٤-١٨٥

إن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان، أو فقدانه، فالرجل المعوج السلوك، الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد[1] يصف الرسول صلى الله عليه وسلم حاله بأنه بعيد عن الإيمان بعيد عن الحياء يقول عليه الصلاة والسلام: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه»[2] ويقول صلى الله عليه وسلم تقريراً لهذه المبادئ الواضحة في صلة الإيمان بالخلق القويم: «ثلاث من كنّ فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال: إني مسلم. إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» رواه مسلم.

لقد أصبحت الشكوى مريرة لما أصاب الناس في العصور المتأخرة من انهيار في الأخلاق، واضطراب في الموازين، فالجار يشكو جاره، والأمانة ضاعت بين الناس، والمراوغة راجت سوقها، والتعلق بمتاع الدنيا فاق كل القيم عند كثير من البشر، وإنه لخطر عظيم ينذر بالشرور والفوضى، وإن ذلك لدلالة واضحة على فساد التصور وضعف الإيمان، فظهر بسبب ذلك انفصام نكد وازدواجية بين مفهوم الإيمان ومقتضياته.

ومن هنا يلزم الدعاة والمربين أن يتنبهوا لهذا الخطر، وأن يبينوا للناس حقيقة ما هم فيه، وأنّ الإيمان الصادق لا يعني حفظ بعض المتون في العقيدة أو حتى تعلمها إذا لم يتمثل المرء أخلاقياتها..

لا بد من تمثل العقيدة وتشربها، وأن تتحول إلى واقع عملي في الحياة والتعامل بين الأنام..تأسياً بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين تحولوا إلى نماذج فريدة سلوكاً وإخلاصاً وطهراً.

١- انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١٤-١٨

٢- رواه البخاري

من لهذه المنابر ؟

رغم الأهمية البالغة لخطبة الجمعة والتي يحضرها المسلمون أسبوعياً، في أعداد لا تجتمع في غير هذه المناسبة، بل يتمنى أعداء الإسلام جمع عشر مثل هذا العدد لينفثوا أباطيلهم، رغم هذا فإنها لم تعط العناية الكافية من الدعاة: ماهو الأسلوب الأمثل في مخاطبة الناس؟ ما هي المواضيع المناسبة ؟ وكيف نرقى بالناس إلى فهم دينهم فهماً واعياً؟ كيف نقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً؟ كيف نعالج مشكلات حياتهم؟ كل هذا يجب أن يبحث ويكتب فيه، فإن غالب الخطباء إما أن يتكلم بعواطف فائرة دون تبليغ فكرة أو معالجة مشكلة معينة، أو تكون خطبة هادئة جداً تصل إلى درجة البرود، ومع ذلك فإن هذا الصنف يفتقر غالباً إلى المادة العلمية القوية.

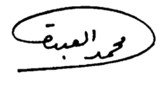
ومن الظواهر الجلية في الدعوة الإسلامية في هذا العصر أن الخطباء الذين يملكون الحنجرة القوية والكلمات الطنانة الفضفاضة، استطاعوا صياغة شخصيات كثير من أصحاب النوايا الطيبة في

العمل للإسلام، وكثير من الشباب المتحمس للدعوة. فأصبحت جموع كثيرة لا تحب التفكير الهادئ المتزن ولا تحب التعمق في فهم المشاكل والصعوبات، ويكفيها أن تعيش على أحلام الخطب الحماسية التي تشبع رغبتها.

نحن لا ننقص من قدر العاطفة وأهمية حشد الجماهير، فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان يخطب وكأنه منذر جيش يقول: صبحكم مسّاكم، ولكننا نريد الجمع بين هذه الحماسة وبين تقديم العلم النافع والفكرة الصحيحة، حتى يجتمع لنا رأي عام بين صفوف المسلمين يؤيد الدعوة ويحبها ويدافع عنها، نريد الخطيب المفكر والخطيب المؤثر، نريد الذي يجتمع عنده أصناف الناس من متعلم وعال وعامي، والكل يرجع وقد استفاد من موعظة قلبية أو فكرة هادفة.

أليس عجيباً أنك إذا زرت مدينة عربية لا تجد في كل المدينة إلا الخطيب أو الخطيبين، ممن يجتمع عليه الناس، وتجمع خطبه بين العلم والعاطفة والتأثير القوي؟

هلّا اعتبرنا بقول أحد زعماء الأحزاب التي تحارب الإسلام في بلادنا: «آه لو عندي مثل هذه المنابر» ؟!



تعددت الأساليب..
والعبث واحد !

محمد عبد الله آل شاكر

— ١ —

لا يزال الكلام موصولاً بما سبق في العددين السابقين عن بعض ألوان العبث بتراثنا. وإن مما يتصل بالتصرف في النصوص المحققة ونشرها، أن تجد ذلك مقروناً بخيانة الأمانة وسرقة جهود الناشرين والمحققين السابقين، حيث يقوم ناشر جديد فيطبع بعض الكتب القديمة بطريقة التصوير عن الطبعة الأصلية ويحذف من الصورة اسم الناشر الأول أو المحقق أو اسم كليهما، وقد بذل كل منهما جهداً كبيراً في الحصول على الأصول الخطية التي طبع عنها الكتاب، ثم قام بمقابلة مخطوطاته وضبط الكتاب وتفصيله.

وهذه الطريقة تضيع حقوق الآخرين وتنكر جهدهم، فينسى فضلهم الذي سرقه المتاجرون بكتب العلم، الذين يأكلون حقوق الناس ظلماً فيجعلونه باباً من أبواب الرزق الحرام، ولكن الأثر يكون أكثر أهمية بالنسبة لتوثيق النصوص عند الباحثين والمعنيين بحركة النشر ومتابعتها..

وأنت واجد أمثلة كثيرة لهذا اللون من التزوير؛ فقد كان الأستاذ حسام الدين القدسي رحمه الله وقف جهده وعلمه ومكتبته، التي أنشأها في القاهرة بعد هجرته من بلاد الشام، على تحقيق وطباعة كثير من الكتب الأمهات، في الحديث وعلومه، وفي اللغة والتاريخ والتراجم.. وتوفي القدسي، ثم جاء تجار الكتب في بيروت ليعيدوا طباعة كتبه سرقةً، وظنّوا على صاحب الجهد الأول باثبات اسمه أو

اسم مكتبته على الكتاب، فأصبحت تجد «مجمع الزوائد» للهيثمي، بأجزائه العشرة، وتحت عنوانه: «منشورات دار الكتاب العربي -بيروت جميع الحقوق محفوظة...».

وبالطبع الحقوق محفوظة لغير أصحابها، أي للسارقين! دون اي إشارة إلى عمل القدسي حتى المقدمة التي قدم بها للكتاب، وفيها وصف المخطوطة ليس فيها اسمه.

والحال نفسه بالنسبة لكتاب « شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن عماد الحنبلي، الذي طبعه القدسي أيضاً، وسرقته «دار إحياء الكتاب العربي في بيروت» بطبعات متوالية، ولم تكن «دار الكتب العلمية» أقلَّ حظاً من غيرها في التزوير والادّعاء، فهي تعيد طبع الكتاب وعلى صفحته الداخلية، تحت العنوان تجد هذه العبارة من الطبعة السابقة وفيها إيهام للقارئ، تقول مثلاً: «عن نسخة دار الكتب المصرية العامرة، مع إتمامها ومقابلة بعضها بنسخة كوبريلي محمد باشا بالأستانة» وهو ما تجده في كتاب «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» لابن عبد البر الذي نشره القدسي سابقاً. فتظن أن دار الكتب العلمية أو صاحبها أو لجنة التحقيق فيها، قد قامت بجمع النسخ ومقابلتها حتى أخرجت الكتاب مقابلاً مصحّحاً ومفهرساً أيضاً!

وهكذا الحال أيضاً مع كتب الخانجي والحلبي والساسي المغربي، التي طبعت أولاً في مصر ثم عثر عليها الآخرون من الناشرين الجدد !

-٢-

وإن كان بعض الناشرين (السارقين) يبقون على اسم المحقق، لصعوبة إخفائه، نظراً لطبيعة العمل الذي فيه وعدم تصديق أحدٍ أن الناشر الجديد يمكن أن يقوم بما ليس من شأنه = فإنهم يحذفون اسم الناشر الأول أو اسم المطبعة فحسب، وأشرت إلى أن هذا له أثره في عملية التوثيق؛ فقد أخرج المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية كتباً كثيرة منها «موطأ الإمام مالك، رواية محمد بن الحسن» تعليق وتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف. ثم أعادت طبعه بالتصوير المكتبة العلمية، مع

حذف اسم المجلس فأصبح الكتاب يعرف بطبعة «المكتبة العلمية».

وبهذا الأسلوب نفسه طبع «تفسير الطبري» بتحقيق محمود شاكر وتخريج أحمد شاكر، الذي أخرجته دار المعارف بالقاهرة، وصدر الجزء الأول منه عام ١٣٧٤ هـ، وتوقف المشروع عند المجلد الخامس عشر «هذا الكتاب نشرته منذ عامين في القاهرة نفسها (على عينك يا تاجر !) مكتبة «ابن تيمية» (رحمة الله على ابن تيمية) مع حذف اسم الدار وإضافة عبارة «الناشر: مكتبة ابن تيمية» وبذلك انتهى دَوْر دار المعارف مشكورة غير مأزورة..

وليس هذا كل ما تجده من أمثلة، ولكن حسبنا هذه الإشارة التي تغني عن الإطالة، وإلا فإن الأمر تجاوز الحد وعجزنا عن الحصر. لنأخذ لوناً آخر من العبث الذي لا يجوز السكوت عليه بحال.



يزداد الضرر أكثر عندما يقوم ناشر جديد، أو محقق تاجر، على طبع كتاب قديم بنصه وفصه، مع حذف مقدمة التحقيق السابقة والإبقاء على الكتاب كما نشره المحقق الأول. كما تجد في كتاب «إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع» للمقريزي - الجزء الأول - الذي صححه وشرحه الشيخ أحمد شاكر، ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، وفي صدره مقدمة للشيخ شاكر ثم كلمة لرئيس لجنة النشر.

هذا الكتاب أعيد تصويره على نفقة إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر. وعلى غلافه عبارة: عني بنشره وطبعه: خادم العلم عبد الله إبراهيم الأنصاري. واستبدل مقدمته بمقدمة الشيخ شاكر. - وليته لم يفعل - فأضاع على القارئ والباحث فائدة كبرى، يجنيها من معرفة أصل الكتاب والقسم الموجود فيه وطريقة عمل المحقق وجهده وما نبّه عليه في مقدمته. وإن كان له فضل يشكر عليه في إشاعة الكتاب رحمه الله.

وقد يتجاوز بعضهم كثيراً، فيسرق الكتاب مع حذف اسم المحقق والناشر والإبقاء على تعليقات وشرح الكتاب بنصها؛ فقد طبع الشيخ منير الدمشقي كتاب «تجريد التوحيد المفيد» للمقريزي وعلّق عليه الشيخ طه الزيني، وأعادت طبعه مكتبة القاهرة، حتى جاءت «مكتبة السلام» فأعادت طبع الكتاب مع جلِّ التعليقات والتخريجات وحذفت اسم «طه الزيني» مما يوهم أن العمل في الكتاب: تعليقاً وشرحاً، إنما هو للناشر الجديد.

-٤-

وقد يلجأ بعضهم إلى طريقة أخرى، يتظاهر فيها بالظرافة (فإن اللص الظريف لا تقطع يده، كما يقولون) فيعمدون إلى إعادة تنضيد حروف الكتاب المحقّق دون الحواشي أو الشروح، فراراً من المساءلة والملاحقة، لأن الحقوق محفوظة. وعندئذ يقع في أخطاء كثيرة فاحشة، تفسد المعنى وتغير الأحكام. إذْ يحتاج الكتاب إلى تصحيح دقيق من صاحبه أو من لجنة تصحيح، وهذه الكتب المسروقة - وخاصة المراجع الكبيرة - من ذا الذي يقوم ويجاهد في تصحيحها؟!

فلو سقط حرف نفي مثلاً من العبارة أخلّ بالمعنى وجعل الحلال حراماً، فمثلاً «ولا يجوز بيع مطعوم، مكيل أو موزون، بجنسه إلا مثلاً بمثل» فسقط حرف النفي أو أداة الاستثناء..هل تجد الكلام مستقيماً من الناحية الشرعية ؟

وتعظم هذه المصيبة عندما ينتشر الكتاب بين أيدي الطلبة والمتفقهين الذين يتلقون علمهم عن الأوراق دون معلم، ويقتنون هذه الكتب بأخطائها. وتجد أمثلة على هذا في كتاب «الكافي» لابن عبد البر، وفي «منار السبيل» الذي طبعته مكتبة المعارف بالرياض بأخطاء كثيرة، وفي كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير، أو «تفسير القرطبي» الذي لم يصوّر عن طبعة دار الكتب وإنما أعيد طبعه بشكل جديد في بيروت.

ويتشبّع بعضهم بما لا يملك، فيلبس أثواباً من زور، وينسب لنفسه محمدةً ليست له، صراحة أو ضمناً، ويندرج عمله تحت عموم قوله تعالى: **﴿ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب﴾**.

للحافظ ابن الجوزي كتاب «القواعد في الفقه الإسلامي» عني فيه بجمع القواعد الفقهية العامة، وما بني عليها من الفروع الفقهية وهوكتاب قيّم نفيس. وحتى يتم الانتفاع به بسهولة ينبغي وضع فهرس له يجمع مسائله مرتبة مبوَّبة وقد فعل ذلك الشيخ« جلال الدين نصر الله الحنبلي البغدادي» فصنع له فهرساً جمع فيه مسائل الكتاب مرتباً لها على أبواب الفقه، حسب تشاكل المسائل ومناسبة بعضها لبعض، لا على ترتيب المؤلف، فصار الكتاب أداة طيبة تكشف للباحث سريعاً عما يريد. (انظر: الأموال ونظرية العقد. د.محمد يوسف موسى ص ٥٨)

وقد طبع الكتاب بمصر طبعة جديدة عام ١٣٩٢ هـ مكتبة الكليات الأزهرية ومكتوب على جلده: «راجعه وقدم له وعلّق عليه: طه عبد الرؤوف سعد. - ولا يعنينا الآن التعليقات المزعومة -! وهذا الأمر يوحي بأن المحقق المعلق المراجع هو الذي صنع الفهرست الذي أُلحق بآخر الكتاب، كما اعتاده المحققون والمعلقون، ولكن كل من عرف الشيخ طه وعمله في كتبه الأخرى أدرك الحقيقة وعرفها.

وأما الطريقة الظريفة أكثر فهي: أن يأتي أحدهم لكتاب محقق فيقرن اسمه مع اسم المحقق ثم يزاحمه حتى ينفرد وحده بالكتاب - اسماً - تحقيقاً ونشراً.

منذ عشر سنوات في ١٤٠١ هـ قرأت إعلاناً نشرته «مكتبة النهضة الحديثة بمكة» على بعض كتبها، تقول فيه: ترقبوا صدور (المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح) تاليف الحافظ الدمياطي (توفي سنة ٦١٣هـ)، كتاب قيّم مفيد، يطبع لأول مرة عن نسخة مكتبة الأزهر المخطوطة. حققه وأشرف على طبعه جماعة من العلماء» انتهى الإعلان.

وكان الشيخ رضوان محمد رضوان قد طبع الكتاب هذا في القاهرة منذ حوالي

نصف قرن (وكان وكيلاً للجنة احياء المعارف النعمانية بمصر، ويقيم في حي السيدة زينب بالقاهرة، وقد اهتديت إلى منزل إقامته منذ سنوات وعلمت بوفاته رحمه الله)، وصدر الكتاب عن مكتبة النهضة عام ١٤٠٣ هـ بمجلد ضخم، وعلى جلده عبارة: «قرأه وأمر بطبعه عبد الملك بن دهيش - ابتغاء مرضاة الله» دون اسم رضوان محمد رضوان، إلا أنه نسي أن يحذفه من آخر صفحة في الكتاب ففيها: «بلغ مقابلة على نسخة رواق الأتراك بالأزهر الشريف..» ثم تحتها «رضوان». (وهذا فسَّر جماعة من العلماء..وبقي دليلاً على الصدق..)

ولم تنته القصة بعدُ، فإليك تمامها:

صدر الكتاب بطبعة تالية مكتوب عليها: «نسخه وضبطه وقابله: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ورضوان محمد رضوان - من علماء الأزهر الشريف» (سبحان من يحيي الأموات! يبدو أن رضوان قد أعاده الله تعالى حتى ينسخ ويحقق مع الشيخ من علماء الأزهر ! - وكلمة «يحقق» هذه من عندنا).

وتحمل الأيام لنا طبعة أخرى أيضاً من الكتاب نفسه بشكله السابق - تصويراً أنيقاً - وعليه هذه العبارة: «تحقيق عبد الملك بن دهيش - ومحمد رضوان» (يبدو أن رضوان لم يحسن عمله فاستعان الشيخ بأبيه محمد)، وتحت ذلك: «مكتبة النهضة..» وفي الداخل: «الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ، طبعة منقحة وتمتاز بزيادات مفيدة، وفيها مقدمة، في صفحة واحدة، كتبها «الفقير إلى عفو ربه عبد الملك بن عبد الله بن دهيش» وعلى الغلاف: «الناشر عبد الملك بن دهيش».

هذه خطوات متدرجة على طريقة سياسة الخطوة خطوة ﴿**ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾، فما أدري ما دلالة هذا التصرف بهذا الترتيب وهذه المراحل المتدرجة في العبث ؟ وهل يثير ذلك في ذهن القارئ شيئاً !

وعلى كل حال: ليست هذه آخر الملاحظات، فلا يزال هناك أمور أكثر خطورة، والله المستعان.

الإنسان بين العبادة والحضارة

د.نعمان عبد الرزاق السامرائي

حضرت ندوة حول «المشاكل التربوية» في عالمنا المعاصر، وقد وجدت الانقسام واضحاً، فهذا يركز على الفرد، وذاك على المدرسة، وثالث على الإعلام، ورابع على الوضع السياسي، وخامس على الاستعمار، وسادس على الشيطان...

كما وجدت البعض يقول بأن الحل معرفة العلوم الشرعية، وينادي آخر بتعلم كافة العلوم وهكذا.

وأريد أن أطرح سؤالاً ثم أنطلق منه، إذ من المعروف أن الإنسان «مخلوق ثقافي غائي»، فهو منذ نعومة أظفاره يتساءل لماذا نفضل كذا ؟ لماذا نترك كذا ؟

والسؤال: لماذا خلق الإنسان ؟؟

١- هل صحيح ما قاله «ماركس» أن المبدأ الذي يحكم جميع العلاقات بين البشر هو إنتاج الوسائل التي يحدون حياتهم، وبعد ذلك يأتي تبادل ما أنتجوا، وأن الإنسان يعيش أولاً ثم يفكر بعد ذلك. والذي أريده «تحديداً» هل هذه النظرية كاشفة لواقع أم مقررة لحقيقة ابتداء؟؟

بمعنى آخر: هل نظر ماركس للإنسان في الغرب فوجده كذلك، أم هي حقيقة توصل إليها عن طريق البحث والاستقصاء؟

والأمر الآخر: لنفرض أن الإنسان إذا جاع أو عطش استبد به ذلك بحيث

صار كل همه أن يصل إلى الطعام أو الشراب، ولكن بعد أن يأكل أويشرب ماذا يفعل؟

هل يبحث عن قضايا واهتمامات جديدة أم يبقى محصوراً في دائرة «الإنتاج وتبادل ما أنتج» ؟

في العالم الرأسمالي الذي رآه -«ماركس» وعايشه، كان الإنسان والدولة والمجتمع إلى حد كبير مشغولاً بالانتاج وتوزيعه، حتى قال نيتشه: (اجمع اجمع ذلكم هو الشريعة والقانون) أي اجمع المال فذلكم هو الهدف، من هنا صار «رأس المال» ديناً جديداً، حتى قال برناردشو الفيلسوف الساخر: إن الشعب البريطاني يعبد الله يوماً في الأسبوع ويعبد «بنك باركليز» ستة أيام.

ومن هنا جاءت قناعة «ماركس»، فهي مأخوذة من الواقع متأثرة به، ولكن تلاميذ «بني التلمود» ينكرون ذلك ويعطون أفكار الرجل الشمولية، علماً بأن ماركس يرى أن الواقع ينطبع في ذهن الإنسان فتتحول الفكرة إلى مجرد صدى للواقع ليس إلا، وهكذا كانت أفكار ماركس صدى لما رآه وعاشه من تكالب استعماري وتطاحن حول ثروات الشعوب ونهبها.

٢- هل نذهب مع سارتر فيلسوف الوجودية في عبثيته إذ يقول : (إنهم يكتشفون في وقت واحد، أن كل الأفعال الإنسانية سواء - وأنها بحتمية مبدئية - محكوم عليها بالفشل...وهكذا يستوي آخر الأمر أن أثمل بالشراب في وحدتي أو أن أقود الشعوب).

أما صاحبته «سيمون دوبوفوار» فتشرح هذه الفكرة بقولها: أفعل ما ينبغي لك وليكن ما يكون.

فهل الحياة مسرح لتمثيلية «عبثية» لا يعرف الكاتب ولا المشاهد الهدف منها؟

٣- هل نقول بأن الإنسان حيوان قد سبق «إخوانه» وهو لم يبتعد كثيراً عن

الحيوانية في أهدافه وغاياته، فهو يأكل ويتناسل ثم يموت ولا شيء بعد ذلك ولا فوق ذلك؟

إن الإنسان مخلوق غائي، خلق لتحقيق أهداف كبرى يمكن ردها إلى:

١- عبادة الله تعالى كما أمر دون شرك، والعبادة - كما هو معلوم - تطلق بإطلاقين:

فمن يشتغل في بحث علمي أو رياضي أو أي عمل دنيوي يقصد به وجه الله فهو في سبيل الله.

٢- العبادة بمعناها الخاص من صلاة وصيام وزكاة، وهذه أساسها النص الصريح، وهي غير قابلة للتصرف بالزيادة أو النقص، أو التوجه لغير وجه الله تعالى.

- عمارة الأرض: فقد ذكر الله تعالى في سورة هود **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾** فعمارة الأرض - كما يسميها ابن خلدون - هي إقامة الحضارة، وهي من مهمات الإنسان الأساسية الكبرى، وقد قام بها الإنسان جيلاً بعد جيل، وأمة بعد أمة، وكلما تعبت أمة تلقت الراية أمة فتية، وقد تظافرت جهود الأمم، وراح اللاحق يبني على جهود سلفه ويزيد ويطور.

فمن أراد العمران فعليه أن يتعلم علوم عصره كلها، حتى قال علماؤنا في «فروض الكفاية» أن الأمة كلها تصير آثمة إذا وجدت صنعة أو علم وليس في الأمة من يعرفه أو يمارسه.

أما العبادة - بالمعنى الخاص - فعلى صاحبها تحري النص الصحيح والاتباع والبعد عن الغلو والابتداع، فإن فعل ذلك فقد حقق الأهداف التي من أجلها خلق وفاز في الدنيا والآخرة وذلك هو الفوز العظيم.

وللشهيد سيد قطب كلمة يقول فيها[1] (...لقد غابت الأمة المسلمة عن الوجود وعن الشهود دهراً طويلاً، وقد تولت قيادة البشرية أفكار وأمم أخرى وتصورات أخرى، وأوضاع أخرى فترة طويلة، وقد أبدعت العبقرية الأوربية في هذه الفترة رصيداً ضخماً من العلم والثقافة والأنظمة والإنتاج المادي، وهو رصيد ضخم تقف البشرية على ، ولا تفرط فيه ولا فيمن يمثله بسهولة، وبخاصة أن العالم الإسلامي يكاد يكون عاطلاً من كل هذه الزينة...إن هذه الأمة لا تملك الآن وليس مطلوباً منها - أن تقدم للبشرية تفوقاً خارقاً في الإبداع المادي، تحنى له الرقاب، ويفرض قيادتها العالمية من هذه الزاوية فالعبقرية الأوربية قد سبقته في هذا المضمار سبقاً واسعاً، وليس من المنتظر خلال قرون على الأقل التفوق المادي عليها، فلابد من مؤهل آخر، المؤهل الذي تفقده هذه الحضارة.

إن هذا لا يعني أن نهمل الإبداع المادي، فمن واجبنا أن نحاول فيه جهدنا ولكن لا بوصفه المؤهل الذي نتقدم به لقيادة البشرية في المرحلة الراهنة، وإنما بوصفه «ضرورة ذاتية» لوجودنا كذلك .بوصفه واجباً يفرضه علينا «التصور الإسلامي» الذي ينوط بالإنسان خلافة الأرض ويجعلها تحت شروط خاصة عبادة لله وتحقيقا لغاية الوجود الإنساني، لابد إذن من مؤهل آخر لقيادة البشرية غير الإبداع المادي ولن يكون هذا المؤهل سوى «العقيدة» والمنهج الذي يسمح للبشرية أن تحتفظ بنتاج العبقرية المادية، تحت إشراف العقيدة والمنهج في تجمع إنساني، أي في مجتمع مسلم..).

ربما كان هذا الطرح المتوازن للقضية هو خير الطروحات، فلا نأخذ الحضارة الغربية ومفرزاتها كلها كما دعا بعض الأتراك وطه حسين ولانرفضها كلها ونستغني عنها ولكن نأخذ بقدر ونطرح بقدر عارفين ما نحتاج وما لا نحتاج.

١- معالم الطريق ص ٨ طبعة ١٠

نحن وهذه الأهداف:

لقد مررنا بعدة مواقف من هذين الهدفين «العبادة والعمارة» يمكن تفصيلها على الوجه التالي:

١- في الجاهلية لم نكن نعبد الله ولا نساهم في الحضارة باستثناء ما قدمه أهل اليمن ومصر والعراق من مساهمات معمارية.

٢- في الإسلام عبدنا الله حق العبادة ثم رحنا نساهم في بناء الحضارة حتى حملنا الراية بجد وجدارة، وراح العالم يقتبس منا وينقل عنا وقد شكا قسس ورهبان مر الشكوى من تعلم أبنائهم في الغرب لغتنا وعلومنا.

٣- بعد قرون اكتفينا بالعبادة وأهملنا الحضارة، وساهم التصوف والنكبات السياسية وغيرها في هذا التوجه، ثم مع الأيام دخل العبادة الكثير من الدخن، حتى لا نجد مسجداً كبيراً يخلو من قبور، وشاعت زيارة القبور والتبرك بها ودعوة أصحابها وطلب شفاعتهم، وهكذا صرنا مبتدعين في العبادة مقلدين في الحضارة، وكان المطلوب العكس (الاتباع في العبادة والإبداع في الحضارة).

٤- لقد أهملنا الحضارة حتى لم تعد من بين همومنا ولا من تطلعاتنا، وضاقت دائرة العلم وراحت معاهدنا تضيق يوماً بعد يوم من العلوم المفيدة، والتي خلت من الإبداع، تخلو من الجدة وتبعد عن الحياة.

٥- أعقب ذلك مرحلة أهملنا حتى العبادة، فصار الفرد منا بعيداً عن معانيها (الواسعة والضيقة) ويكتفي أن يقال عنه إنه مسلم دون أن يتكلف شيئاً، وساعد على ذلك رواج فكر (المرجئة) حتى صار جمهور الأمة منها دون أن يدعوه أحد، فكل مسلم يدعى أنه عامر القلب بالإيمان، وهذا في نظره يكفي، وقد يفلسف الأمر فيدعى طهارة القلب وعفة اللسان، وإنه أفضل من كثير ممن يمارس العبادة.

إن الأمة إذا كانت قوية تطلعت إلى الأمور الكبيرة، فإذا ضعفت تحاول فلسفة

ضعفها وهزائمها، لذا كانت أفكار «المرجئة» والمتصوفة أفضل فلسفة تناسب هذه المرحلة.

٦- أخيراً وبعد الصحوة الإسلامية رجعنا للعبادة مرة ثانية، ولكن مازال جمهور الأمة غائبا عن الاهتمام بأمر الحضارة.

فليس من الحضارة أن تركب سيارة لا تعرف عنها سوى القيادة، وليس من الحضارة أن تأكل فواكه أمريكا وأوربا، ولكن أن تساهم في علوم العالم وصناعته، وعلى رأس كل ذلك أن تساهم في تقديم فكر متميز لا يكون عالة على أحد ولا تبعاً لأحد.

يرى الكاتب مالك بن نبي رحمه الله[١] أن لكل حضارة منتجاتها، فهي متولدة عنها، ولكن لا يمكن صنع حضارة بمجرد تبني منتجاتها، فشراء ما تنتجه الحضارة الغربية من كل كافة دول العالم لم يجعلها تكسب حضارة، فشراء المنتجات هو كسب وتحصيل للهيكل والجسد وليس للروح، والحضارة ليست تكديس منتجات بل هي فكر ومثل وقيم لابد من كسبها أو انتاجها.

والأنكى من ذلك أن أمراض الحضارة يمكن أن تضرب أولئك الذين يتعاملون معها في الأخذ والاقتباس، فتطحنهم أمراضها قبل أن تصلهم خيراتها. ومن لا يصدق ذلك فما عليه الا أن يزور افريقيا ليرى مصداق ذلك في أمراض الجنس وتعاطي الخمور والمخدرات، وعدم وصول شيء من حضارة الغرب إليهم.

٧- قد يقول البعض انه يريد الآخرة، ويكفيه في ذلك العقيدة الصحيحة والعبادة السليمة.

والجواب: نعم قد يصل المسلم الجنة عن هذا الطريق، لكنه لن يكون له

١- شروط النهضة ص ٤٢

نصيب في الدنيا ولا في الحضارة، أو نصيب هامشي لا قيمة له وبالمثل فإن الإنسان في الغرب يشكل الوجه الثاني (للعملة) فهو لا يعرف الله تعالى وإن عرفه فهو يفصل بينه وبين الحياة فالإنسان في الغرب جعل دينه (الحضارة) كما جعلها كل شيء في حياته، وقد قفز بها قفزات كبيرة، ولن يستطيع أحد تجاوز ذلك، أو جحوده، ولن تفرط البشرية في منجزاتها الحضارية، وأن حضارة اليوم تطلق قوى كالذرة قد تكون سبباً في دمار الحضارة والقضاء عليها، وما تلوث البيئة، والخراب الذي لحق بمفاعل (شارنوبيل) وانتشار الأمراض إلا ثمرة من ثمار هذه الحضارة إلى جانب المنجزات الكثيرة.

٨- تبقى ألوف الملايين من البشر تدب على هذه الأرض لا تعرف الله تعالى ولا تعبده، ولا تساهم في الحضارة من قريب أو من بعيد، وفيهم وفي أمثالهم يصدق قول الله تعالى **﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾** وأقبح من الكل تلك الملايين من البشر التي تعجز حتى عن إطعام نفسها، وتطالب الآخرين أن يطعموها ويداووها ويبنوا لها المساكن.

في العالم اليوم ملايين من الكسالى ليس لديهم الاستعداد لعمل شيء، حتى الخبز تريده مبلولا وربما مدهونا وعليه سكر. والأمة الإسلامية مدعوة بكل جد وقوة لعبادة الله كما أمر، وعدم الشرك مهما صغر، وكذلك المساهمة في الحضارة دون أن تفلسف كسلها وعجزها وتخلفها.

إن العالم يموج بالأقوياء، ومن لا يكون قوياً بفكره واستقلاله فإنه يعيش على الهامش، كما تعيش بعض القوارض، وستظل الدنيا محكومة بالأقوى فكراً وإنتاجاً وتحضراً، ولن يكون فيه مكان للكسالى المتواكلين، ولن يجدوا «خبزاً مبلولاً» ولا سكناً جاهزا ولا قبراً جاهزا.

درس من يوغوسلافيا

كان دعاة القومية العلمانية في أوائل هذا القرن يضغطون باتجاه إقامة نظام الدولة على أساس تجاهل النزعة الدينية، متخذين من ضعف الدولة العثمانية وفساد مؤسساتها أدلة على وجوب تنحية الدين أن يكون عاملاً له أهميته في بناء الدول وحياة الأمم.

ومن أبرز دعاة هذا الاتجاه ساطع الحصري الذي يشكل مجموع آرائه مرجعاً لدعاة القومية والعلمانية، وعلى الرغم من صيرورة معظم هذه الآراء موضع شك من خلال التطبيق؛ إلا أن القيمين الذين ورثوا آراء الحصري لا زالوا في ضلالهم القديم، ولم تفدهم الحوادث ووقائع التاريخ الحديث عبرة، وهذا «مركز دراسات الوحدة العربية» يشرف على إعادة طباعة مؤلفات ساطع الحصري تحت عنوان: «سلسلة التراث القومي».

وهذا المركز – على الرغم من أنه يعلن من جملة أهدافه أنه: «يهدف إلى إيصال نداء الوحدة للجماهير العربية والأوساط الفكرية على تعدد اتجاهاتها» – إلا أنه يتبنى الوجهة القومية والعلمانية التي كان يؤمن بها ساطع الحصري بحذافيرها، ولم نجد له ما يناقض ذلك سوى إحساس باهت بفشل كثير مما طرحه أنصار تلك

الأفكار. ولذلك فإنه تبنى إقامة عدة ندوات اشترك فيها أصحاب الاتجاه القومي والعلماني ومن انتقاهم ممن يتحدثون عن الإسلام وبالإسلام. ولكن المراجع لهذه المناقشات يكتشف بسهولة ويسر أين يقف هذا المركز وما هي الأفكار التي يروِّج لها.

وقد يظن ظان أننا ضد شيء يسمى الوحدة العربية، وهذا وهم يؤمن به من يجهل الحقيقة، أو من يقصد تشويه السمعة والتلاعب بالعواطف. فإذا كان هناك فريق يرى الاتحاد ونبذ الفرقة أصلاً من أصول العقيدة لا مبدأ ثبت بالتجربة البشرية فائدته فقط فهم المسلمون، ولكن الخلاف هو حول الأساس والرابطة التي تجتمع عليها هذه الشعوب التي توالت على حكمها جهات مختلفة. فبينما يذكر القوميون عناصر اختاروها ليؤكدوا على أهميتها، ويتجاهلون الدين كعامل أساسي في هذا المجال. بحجة أن الدين يفرق والقومية تجمع. وهذا القول يقصد به إهمال دين الأغلبية. وتحييده أن يلعب دوره الطبيعي في الحياة، وإلا فإن كثيراً من هؤلاء - مع إعلانهم وتوكيدهم هذه المزاعم - لا يهملون أديان الأقلية، بل يولونها كل التقدير والاحترام ويعطونها مالها وما ليس لها من التجلة والتبجيل، بل إن الهجوم القولي والعملي على دين الاغلبية يصب في مصلحتها وينعكس امتيازات وتقوية مراكز لأتباعها.

واللوم لا يتوجه إلى أتباع أي دين أن ينصروا أهل دينهم، ويقفوا إلى جانبهم في السراء والضراء - فهذا شيء طبيعي - ولكنه يتوجه إلى من يتنصل من دينه وينخلع منه إرضاءً لمن يبق في قرارة نفسه وفياً لمبادئه ينصرها بالحق والباطل - إن هذا الضرب من الناس يتحول إلى عدو شرس يذيق أبناء جلدته المر، ويسومهم أنواع النكال ولا يشفي غليله إلا أن يصبحوا مثله في إهمال دينهم والحملة عليه، وكل ذلك من أجل إرضاء (إخوانه في الوطنية!) فيغيظ الألوف المؤلفة ويقطع أواصره معهم من أجل حفنة يحرص على رضاها والحصول على

ثقتها، وليس بقادر على ذلك مهما فعل. هذا هو منطق القوميين الأعوج الذي يتجاهل التاريخ، ويناقض الفطرة البشرية.

إن القوميين - في غلوائهم لإثبات آرائهم - يدوسون الحقائق، ويغمضون أعينهم عن الوقائع الناطقة التي قد تخرس تكلفاً لا طبعاً، إن الإنسان ناطق بطبعه، وقد يعرض له ما يعقل لسانه فيمنعه من الكلام، فهو في هذه الحالة أبكم لمن يراه، ولكن الناظرين إليه يتمايزون فئتين:

فئة ترى أنه أبكم طبعاً.

وفئة ترى أنه كذلك لعارض عرض له.

وهذا هو مثل يوغوسلافيا. فقد رأى القوميون فيها نموذجاً يحتذى لإقامة الدول على أساس قومي، يقول ساطع الحصري: «إن هذه الدولة الجديدة اصطدمت في بادئ الأمر بمشاكل داخلية كبيرة لأن اختلاف التربية والتقاليد الإدارية والثقافية التي سادت المقاطعات المذكورة منذ قرون عديدة انضم إلى اختلاف الثقافة فأوجد نزعات إقليمية عرضت كيان الدولة إلى مخاطر جدية.

إن الكروات والسلوفن كانوا أرقى من الصرب من وجهة العلم والثقافة. ولكن الصرب كانوا أرقى من هؤلاء من حيث التشكيلات الحكومية والتنظيمات العسكرية.

فكان من الطبيعي أن يحدث تنافس وتنازع بين هذين العنصرين لتولي الحكم وكان من الطبيعي أن تتعرض الدولة التي تتكون منهما لأزمات خطيرة، ولكن الشعور بالوحدة القومية كان كفيلاً بالتغلب على هذه المشاكل كلها وبالقضاء على النزعات الإقليمية بأجمعها.

وهذا ما حدث فعلاً: بعد زوال أزمات الحكم الأولى، وتلاشي نزعات الإقليمية المختلفة، رأى القوم أن يتركوا الإسم المركب الأول، وأن يسموا الدولة باسم

مختصر يكون أكثر دلالة على الوحدة القومية من الإسم الأول واختاروا لذلك اسم (يوغوسلافيا) بالنسبة إلى اللغة التي تربط جميع العناصر بعضها ببعض، والدولة اليوغوسلافية التي تأسست بهذه الصورة وبعد اجتياز مرحلة الولادة العسيرة أصبحت متحدة ومتماسكة بكل معنى الكلمة.

ومن المعلوم أن شدة هذا التماسك والاتحاد بهرت الأنظار وأدهشت الأذهان خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها»[1]

ونحن نرى هذا التحليل التاريخي الاجتماعي لقيام يوغوسلافيا قاصراً ولا يجيب على أسئلة تنبع من سياقه، وهو تحليل أحادي وليس شاملاً، وقد صيغ بلغة تبشيرية[2] فهو يشير إلى اختلاف المذاهب، وهذا يعني الاختلاف بين الصرب الأرثوذوكس وبين الكروات والسلوفين الكاثوليك، لكن ماذا عن الإسلام الموجود في يوغوسلافيا ؟

وهو يقول: «ولكن الشعور بالوحدة القومية كان كفيلاً بالتغلب على هذه المشاكل كلها، وبالقضاء على النزعات الإقليمية بأجمعها». هل صحيح أن المشاكل كلها؛ والنزعات الإقليمية بأجمعها قد زالت من يوغوسلافيا بعد أن سميت بهذا الإسم المختصر؟

وكذلك القول: إن الدولة اليوغوسلافية «أصبحت متحدة ومتماسكة بكل معنى الكلمة. ومن المعلوم أن شدة هذا التماسك والاتحاد بهرت الأنظار وأدهشت الأذهان خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها».

فادعاء التماسك والاتحاد بكل معنى الكلمة يأتي الواقع العملي اليوم ليكشف ما فيه من المجازفة

١- ساطع الحصري محاضرات في نشوء الفكرة القومية ص ٨٤

٢- كل ما كتبه ساطع الحصري متأثر بهذه اللغة التبشيرية، ونعني بها اللغة التي تدعو الناس إلى اعتناق شيء من خلال إظهار محاسنه والحماسة في الحديث حوله، مقابل الإهمال والتجاهل والاشمئزاز مما يراد لهم إهماله وتجاهله.

والإصرار على الأوهام، فحال يوغوسلافيا لا تنبئ بذلك بل بعكسه «بكل معنى الكلمة» وتكاد الأزمة الحالية تنجلي عن استحالة أن تعود أجزاء يوغوسلافيا إلى الالتئام ثانية.

وكذلك الاعتماد على ما حدث في يوغوسلافيا خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها كدليل على ثبات هذا الاتحاد.

فقد يتعاون الأعداء وأصحاب المصالح المتعارضة من أجل دفع عدو آخر، وهذا ما حدث عند الاحتلال النازي والفاشي ليوغوسلافيا، تناسى هؤلاء اليوغوسلاف إحنهم الداخلية المتأصلة لإخراج الغزاة من أرضهم، لأنهم لا يمكنهم ذلك إلا بهذه الطريقة، وهذا يذكرنا بحالة التحالف بين دول مختلفة لإخراج العراقيين من الكويت، فلا أحد يدعي أن قوة ذلك التحالف هي نتيجة لوجود وحدة قومية بين أعضائه في الماضي أو في الحاضر أو في المستقبل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن وجود شخصية مهيمنة مثل «تيتو» قد غطى على هذه المشكلة - وإن ظن الكثير من المخدوعين وأصحاب الأفكار الآنية أنه حلها إلى الأبد - وهذا الأمر له دلالة ثانية، فالكبت والقهر لا يقتلع المشاكل، وإن بدت غائبة عن الأنظار بل يجمدها أو يجعلها تتوارى تحت السطح مثل الهوامِّ وخشاش الأرض في مرحلة البيات الشتوي، حتى إذا جاء «سعد الخبايا» وزالت العوائق خرجت الخبايا من الأرض لتتمتع بالدفء وتحيا حياتها الطبيعية من جديد.

إن الهدوء الذي كان يخيّم على يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية، وخلال الحكم الشيوعي في عهد تيتو لم يكن نهاية المطاف، وإنما هو بَكَمٌ عارض وصمت مصطنع فرضته عوامل وقتية، وقد زال بزوالها.

تحزيب القرآن

(٢)

محمد بن عبد الله الدويش

وروى أبو عبيد (٢٧٧) وابن أبي شيبة (٥٠٢/٢) عن السائب بن يزيد أن رجلاً سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمي عن صلاة طلحة بن عبد الله فقال إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان قال نعم قل قلت لأغلبن الليلة على الحجر – يعني المقام – فقمت فلما قمت إذا أنا برجل متقمع يزحمني فنظرت فإذا عثمان بن عفان فتأخرت عنه فصلى فإذا هو سجد سجود القرآن حتى إذا قلت هذه هوادي الفجر أوتر بركعة لم يصل غيرها ثم انطلق، ولابن أبي شيبة (٥٠٣/٢) فتنحيت وتقدم فقرأ القرآن كله في ركعة ثم انصرف. وصححه ابن كثير في فضائل القرآن (٥٠).

وأخرج أبو عبيد (٢٧٨) وابن أبي شيبة (٣٦٧/١، ٥٠٣/٢) عن نائلة بنت الفرافصة الكلبية حين دخلوا على عثمان ليقتلوه فقالت: «إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيي الليل بركعة يجمع فيها القرآن» وحسنه ابن كثير في فضائل القرآن(٥٠).

وأخرج أبو عبيد أيضاً (٢٧٩) وابن أبي شيبة (٥٠٢/٢) عن تميم الداري أنه قرأ القرآن في ركعة. وكذا أخرجا عن سعيد بن جبير أن قرأ القرآن في ركعة في البيت وصححها ابن كثير (٥٠).

وأخرج أبو عبيد (٢٨١) والفريابي (١٤٠) عن علقمة أنه قرأ القرآن في ليلة طاف بالبيت أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى عنده بالمئين، ثم طاف أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى عنده بالمئين، ثم طاف أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن. وصححه ابن كثير (٥٠) ورواه ابن أبي شيبة (٥٠٣/٢) مختصراً بلفظ أنه

قرأ القرآن في ليلة بمكة.

وأخرج أبو عبيد (٢٨٢) وابن أبي شيبة (٥٠٣/٢) عن سليم بن عتر التجيبي أنه كان أنه كان يختم القرآن في الليلة ثلاث مرات. ونقل النووي في التبيان والأذكار جملة من ذلك فقال في التبيان (٤٦) «ومن الذين كانوا يختمون ثلاث ختمات سليم بن عمر رضي الله عنه قاضي مصر في خلافة معاوية رضي الله عنه. وروى أبو بكر بن أبي داود أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات. قال الشيخ الصالح أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه: «سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول: كان ابن الكاتب رضي الله عنه يختم بالنهار أربع ختمات، وهذا أكثر ما بلغنا من اليوم والليلة. وروى السيد الجليل أحمد الدروقي بإسناده عن منصور بن زادان من عباد التابعين رضي الله عنه أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر ويختمه أيضاً فيما بين المغرب والعشاء في رمضان ختمتين، وكانوا يأخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل، وروى أبو داود بإسناده الصحيح أن مجاهداً كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء وعن منصور قال كان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان، وعن إبراهيم بن سعد قال كان أبي يحتبي فيما يحل حبوته حتى يختم القرآن، وأما الذي يختم في ركعة فلا يحصون لكثرتهم...»[1]

المسألة الخامسة: أقل ما يختم فيه القرآن

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث». أخرجه أبو داود (١٣٩٤) والترمذي (٢٩٥٠) والنسائي وابن ماجه (١٣٤٧) وأحمد (١٦٤/٢، ١٦٥) وأبو عبيد وقال الترمذي حسن صحيح. وصححه النووي في التبيان (ص

١- لا شك أن في ذلك مبالغة وتساهل في التصحيح لعلّة منطلق من باب التساهل في تصحيح أو تحسين الأحاديث في فضائل الأعمال وفي الترغيب والترهيب وراجع التعليلات بعد ذلك.

.(٤٨

وأخرج أبو عبيد وابن أبي شيبة والمروزي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه كان يكره «أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث» وصححه الحافظ ابن كثير.

وأخرج ابن أبي شيبة (٥٠٢/٢) عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «اقرأوا القرآن في سبع ولا تقرأوه في ثلاث» وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي داود – كما في الفتوحات (٢٣١/٣) – عنه رضي الله عنه أنه قال: «لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث».

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو عبيد والطبراني في الكبير كما في المجمع ٢٦٩/٠٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز».

وقال أبو عبيد: «إلا أن الذي اختار من ذلك أن لا نقرأ القرآن في أقل من ثلاث للأحاديث التي ذكرناها عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الكراهة لذلك».

وقال النووي في التبيان (ص ٤٨): (وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة، ويدل عليه الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» وقال الحافظ ابن كثير: «وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث» كما هو مذهب أبي عبيدة وإسحاق بن راهوية وغيرهما من الخلف أيضاً»

وقال شيخ الإسلام: «فالصحيح عندهم أنه أمره – عبد الله بن عمرو – ابتداء بقرائته في الشهر. فجعل الحد ما بين الشهر إلى الأسبوع..ولا يلزم إذا شرع فعل ذلك أحياناً – التثليث – لبعض الناس أن تكون المداومة على ذلك

مستحبة، ولهذا لم يعلم من الصحابة على عهده من دوام على ذلك أعني على قراءته دائماً فيما دون السبع، ولهذا كان الإمام أحمد رحمه الله يقرؤه في كل سبع»

أما ما نقل عن السلف مما ذكرنا طرفاً منه فقد اختلفت مسالك العلماء في الإجابة عليه، فمنهم من حمل ذلك على أنه لم يبلغهم النهي ومنهم من رأى أنهم لم يحملوا الحديث على المنع من ذلك، ومنهم من رأى أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص.

وهاهنا أمور لعل بها يتضح وجه المسألة:

أولا: أن ورود ذلك عن السلف والصحابة بوجه أخص لا يعني المداومة عليه. خاصة أن الكثير ممن روي عنه ذلك، كعثمان وتميم وغيرهم روي عنه أنه كان يختم في سبع، بل قد نفى ذلك شيخ الإسلام رحمه الله وهو من أعلم الناس في مثل ذلك فقال: «ولهذا لم يعلم في الصحابة على عهده من دوام على ذلك أعني قراءته دائماً فيما دون السبع».

ثانيا: علّل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بعلتين الأولى عدم الفقه، والثانية قوله لعبد الله فإن لزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً. فالرجل عليه مسؤولية تجاه أسرته ومنزله وضيفه وكذلك عليه الرفق بنفسه. وختم القرآن في أقل من ثلاث على حساب ذلك غالباً.

ثالثاً: يجب أن يربط ذلك بالنصوص الأخرى التي تحث على القصد والمقاربة (إن هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة واعلموا أنه لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله). وفي رواية الإمام أحمد لحديث عبد الله بن عمرو (٦٤٧٧) (فإن كل عابد شرّه ولكل شرّة فترة، فإما إلى سنة وإما إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك).

رابعاً: أن خير الهدي هديه صلى الله عليه وسلم وهو أعبد الناس وأخشاهم لله وقد غضب على الذين تقالّوا عبادته، وفي رواية أحمد لحديث عبد الله بن عمرو أنه قال له (لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام، وأمس النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) وروى مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت ولا أعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة، ولا صلى ليلة إلى الصبح، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان)ونحن متعبدون باتباع سنته وهديه. مع ما نكنه في نفوسنا من تقدير وإكبار وإجلال لسلف الأمة. ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها – لّما قيل لها إن رجالاً يقوم أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثا– «قرأوا أو لم يقرأوا كنت أقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا ورغب ولا بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ» والحديث ذكره في الفتوحات (٢٣١/٢) ونسب للحافظ أنه قال والحديث حسن أخرجه ابن أبي داود وأخرج أحمد المرفوع منه فقط».

خامساً: هناك وظائف شرعية كالجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله وإصلاح الناس، والتي هي من فروض الكفاية ومن أفضل الأعمال الصالحة والأمة لا تستغني عن جهود أبنائها في ذلك. في التفرغ لتلاوة القرآن على هذا النحو تعطيل لهذه الوظائف خاصة في هذا العصر، وقد أشار النووي رحمه الله إلى شيء من ذلك حين قال في التبيان (ص ٤٨) وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له».

سادساً: في مقابل هؤلاء الذين نقل عنهم الإكثار من ختم القرآن نقل عن غيرهم بل أكثر السلف التسبيع. فَلِمَ يكون رأي أولئك أولى بالقبول من هؤلاء وهم أكثر وفعلهم يتأيد بالسنة الصحيحة عنه صلى الله عليه وسلم.

المسألة السادسة: هل يكون التحزيب بالسور أو الأجزاء.

عقد شيخ الإسلام ابن تيمية لهذه المسألة فصلاً في الجزء الثالث عشر من مجموع الفتاوى ورأى أن التحزيب المشروع هو أن يكون بالسور للأمور الآتية:

١- أن المنقول عن الصحابة هو التحزيب بالسور لا بالأجزاء وذكر حديث أوس بن حذيفة، وقد سبق في أول البحث.

٢- أن الأجزاء والأحزاب محدثة وفيه حديث أوس أنهم حزبوه بالسور، وهذا معلوم بالتواتر فإنه قد علم أن أول ما جزئ القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين، وثلاثين، وستين هذه الأجزاء التي تكون في أثناء السورة، وأثناء القصة ونحو ذلك كان في زمن الحجاج وما بعده وروي أن الحجاج أمر بذلك. ومن العراق فشا ذلك ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك» (٤٠٩/١٣)

٣- أن هذه التحزيبات تتضمن دائماً الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده حتى يتضمن الوقوف على المعطوف دون المعطوف عليه، فيحصل القارئ في اليوم الثاني مبتدئاً بمعطوف كقوله تعالى ﴿**والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم**﴾ وقوله ﴿**ومن يقنت منكن لله ورسوله**﴾ وأمثال ذلك، ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض – حتى كلام المتخاطبين – حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب كقوله تعالى ﴿**قال: ألم أقل لك إنك لا تستطيع معي صبراً**﴾ ومثل هذا الوقوف لا يسوغ في المجلس الواحد إذا طال الفصل بينهما بأجنبي، ولهذا لو ألحق بالكلام عطف أو استثناء. أو شرط ونحو ذلك بعد طول الفصل بأجنبي لم يسغ ذلك بلا نزاع».

٤- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عادته الغالبة وعادة أصحابه أن يقرأ في الصلاة بسورة كـ (ق) ونحوها وكما كان عمر رضي الله عنه يقرأ بـ يونس ويوسف والنحل..وأما القراءة بأواخر السور وأواسطها فلم يكن غالباً عليهم..»

وقال: «وإذا كان تحزيبه بالحروف إنما هو تقريب لا تحديد، كان ذلك من جنس تجزئته بالسور هو أيضاً تقريب، فإن بعض الأسباع قد يكون أكثر من بعض في الحروف وفي ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض، والافتتاح بما فتح الله به السورة، والاختتام بما ختم به، وتكميل المقصود من كل سورة ما ليس في ذلك التحزيب. وفيه أيضاً من زوال المفاسد الذي في ذلك التحزيب ما تقدم التنبيه على بعضها»

وبعد هذه الوقفات السريعة أرى أنه لا يليق بشاب مسلم طالب للعلم، يحمل بين كاهليه هم الإصلاح والتغيير ودعوة الناس، لا يليق به أن لا يكون له حزب من كتاب الله قل أو كثر. ومهما ادعى الإنسان المشاغل فهذه الدعوى تحتاج للبينة ولو أعطي الناس بدعواهم لادعى أقوام دماء أناس وأموالهم. وهذا دليل على قلة اهتمامه، ومتى كانت تلاوة كتاب الله وإصلاح النفس وعبادة الله عز وجل، مما لا يفعل إلا في وقت الفراغ.

ففي التحزيب تأس بالسلف رضوان الله عليهم، وفيه علاوة على ذلك تحقيق لهديه صلى الله عليه وسلم في المداومة على العمل الصالح فقد كان عمله ديمه، وكان يقول إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل. وفيه أن الإنسان يكتب له حزبه إذا شغله عنه مرض أو سفر.

وفيه أيضاً تعاهد القرآن كما أمر بذلك صلى الله عليه وسلم، فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها)

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت»

قراءة في وجه امرأةٍ شوهاء

د. عبد الرحمن العشماوي

بدت بوجهٍ قبيح اللون محروقِ   وقد علت فيه أصواتُ المساحيقِ

وقد جرتْ فيه للأصباغ معركةٌ   عنيفة واعتلى صوتُ «البطاريق»

لها فمٌ واسع الشدقين تملؤهُ   أسنانُ غولٍ فلا تسألْ عن الرِّيقِ

ولا تسلْ عن جبينٍ بارزٍ رسمتْ   فيه الخيانةُ تكذيبَ المواثيقِ

ولا تسلْ عن لسانٍ ساءَ منطقُه   إذا تحدَّث ألغى صَرخَة البوقِ

فصوتها غُنَّةٌ شَوْهاءُ مؤذيةٌ   كأنَّها قد أصيبتْ بالخوانيقِ

رَنَتْ بعينينِ كالثقبين قد مُلِئَا   غَدْراً، وقد عانتا من شدّةِ الضّيقِ

كأنما رُبطتْ أطرافُها، فبدتْ   كعينِ إبليسَ في جفنٍ وفي موق

أهدابُها كغُصون الشوكِ أظهرها   فَصْلُ الخريف بلا رَيْنٍ وتزويق

بيضاءُ، لكنَّها سوداءُ قاتمةٌ   لمن يراها بعينٍ ذاتِ تدقيقِ

تمشي فتحسب أنَّ الخُبْثَ في جسدٍ   يمشي أمامك مفتوحَ المغاليق

حديثُها كذبٌ محضٌ، حقيقتُه   مأخوذةٌ من أباطيل الغرانيق

تُباع في كلِّ سوقٍ للضلالِ، فلا   تسأل عن التاجر الكذّاب والسوق

ولا تَسَلْ عن دنانيرٍ مزوَّرةٍ   وعن عقودٍ جرت من غير توثيق

وعن سماسرة باعوا ضمائرَهم   وذوَّبوا العقل في نار الأباريق

لها على منهج التضليل هَيْلَمَةٌ   وهَيْلَمَانٌ، وقولٌ غيرُ موثوقِ

خبيرةٌ في ادّعاءِ العدل جاهدةٌ   في وَصْفِ آثاره من غير تطبيقِ

تُبدي خصالاً من الإيمان كاذبةً   وفي مشاعرها إحساسُ زنديقِ

سمعتُ عنها حديث العاشقين لها   فاستفت عن عاشقٍ لاهٍ ومعشوقِ

أتيتها فإذا همِّي يحاصرني   كأنني طائرٌ في بطن صندوق

يا همُّ، قاسمتَني ليلي سلكتَ إلى   أعماق نفسي طريقاً غيرَ مطروقِ

مَنْ دَلَّ ركبَك، من أعطاكَ تذكرةً   على «خطوطِ» الأسى القاسي لتطويقِ

من هذه المرأة الشَّوْهاءُ، أحسبُها   وقد تراءتْ أمامي، شرَّ مخلوقِ

بدتْ أمامي بسَمْتٍ لا نظيرَ له   الوجه مستحدثٌ والعقل إغريقي

أجابني ساخراً مني: أتجهلُها   هذي العظيمةُ ذاتُ الخيل والنُّوقِ

هذي التي تتغنَّى بالسلام ولا   يهزُّها أن ترى مليونَ مسحوقِ

وتدَّعي أنَّها ترعى العبادَ، وكم   مُجنْدَلٍ بين رجليها ومخنوقِ

هذي التي يعرِض الإعلامُ صورتَها   فثوبُها أسودُ الأكمام والزِّيقِ

وبيتها أبيض الجدران، كم عقدت   فيه اللقاءات نقضاً للمواثيق

لها جواسيسُها في كل ناحيةٍ   فلا تسلْ عن إشاراتٍ وتحديقِ

ولا تسل عن سؤالاتٍ موجَّهةٍ   إلى الضحايا وأوراقٍ وتحقيقِ

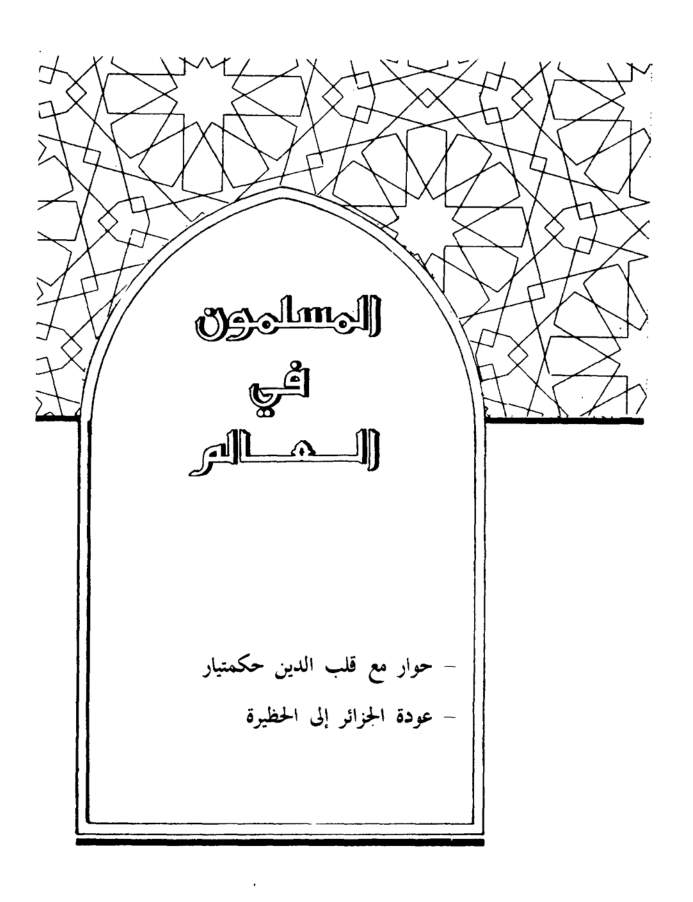
تغزو الفضاءَ غروراً، لا تريد به   إلا التسابقَ في مَلْءِ الصناديقِ

هذي العظيمة - يا هذا - فألجَمَني   صمتي، وجفَّ لما أدركتُه ريقي

برئْتُ منها «ولنْ ترضى...»* تؤكِّد لي   أنَّ البراءةَ منها، فِعْلُ صدِّيقِ

---

* انظر سورة البقرة آية ١٢٠



- حوار مع قلب الدين حكمتيار
- عودة الجزائر إلى الحظيرة

مع زعيم الحزب الإسلامي في أفغانستان
قلب الدين حكمتيار

أجرى الحوار: أحمد موفق زيدان

* الحكومة الائتلافية تضم بعض المنسوبين للجهاد والفارين إلى أوربا والحزب الشيوعي.
* الخيار العسكري هو الحل الذي نراه.
* إنهم لا يتركون الشعب الأفغاني يقرر مصيره ويختار حكومته دون ضغط خارجي.
* على الحركات الإسلامية التنبه لمزلق الاعتماد على المساعدات الخارجية.

قال السيد قلب الدين حكمتيار زعيم الحزب الإسلامي الأفغاني بأن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تتركز على إنشاء قوى حقيقية لحماية الخطة التي تعمل لها من أجل تشكيل حكومة ائتلافية بين المعتدلين ونجيب الله ويكون على رأسها الملك المخلوع ظاهر شاه وأضاف الزعيم الأفغاني الذي كان يتحدث في حديث خاص وشامل لـ البيان من مقر إقامته في بيشاور بأن هذه القوى قد بدأت في الظهور فعلياً وحقيقياً المتمثلة في تشكيل مجلس للقادة الميدانيين عندما سحبوهم من منظماتهم وكذلك مجالس القبائل بغية حماية الحكومة الائتلافية التي يعدون لها.

ولنترك القارئ الكريم مع حصيلة الحوار الذي دار معه واستغرق أكثر من ساعة.

البيان: في ضوء التحركات السياسية المتعددة والظروف المتغيرة في أفغانستان إلى أين يتجه الجهاد الأفغاني وخاصة في الجانب السياسي منه؟

حكمتيار: أعتقد أنه بعد انتصارات المجاهدين الأخيرة في الشمال والجنوب قد أصبح بحوزة المجاهدين خطة للهجوم على كابل وأن وضع الحكومة ضعيف للغاية ولا تستطيع الصمود أمام المجاهدين، كل هذه العوامل دفعت للتحرك السياسي من قبل دول لا ترغب في انتصار المجاهدين عسكرياً، وبعض هذه الدول تريد تكوين حكومة ائتلافية بين مجموعات المجاهدين المعتدلين والفارين إلى أوربا وأمريكا والحزب الشيوعي في أفغانستان وذلك بتكوين جبهة ائتلافية يعقبها حكومة ائتلافية ولكن هذا غير عملي، وتكوين حكومة ائتلافية أمر مستحيل. ولا أحد يستطيع قبول نجيب كطرف أو الحزب الشيوعي كطرف في الحكومة أو في أي انتخابات عامة، وهذا أيضاً غير عملي ولا يمكن تنفيذه. ولا أحد يستطيع ويجرؤ من المجاهدين أن يتحدث بهذا أمام الشعب.

وحتى الذين التقوا مع نجيب لا يعلنون هذا أمام الشعب خوفاً، ومع أن بعض الدول ترغب في تكوين حكومة مؤقتة بدلاً من حكومة نجيب وموقفهم أن يستقيل نجيب لوحده ويبقى الحزب الشيوعي.

أما الأمريكان والروس فأرى أنهم يريدون تكوين حكومة ائتلافية، وتريدها أمريكا تحت قيادة ظاهر شاه وكذلك الروس، ولكنه أيضاً غير عملي، ولا يمكن فرض حكومة كهذه على الشعب الأفغاني وكما تعرفون أن أمريكا حاولت في السنتين الماضيتين بكل إمكانياتها تهيئة الظروف لهذه الحكومة وكانت تعتبر المنظمات الجهادية عقبة في تنفيذ هذه الخطة، وأخذت على عاتقها إضعاف هذه المنظمات وضربها من الداخل وتكوين قوة للدفاع عن حكومة كهذه، مثل تكوين مجالس شورى القبائل والقادة الميدانيين وإبعاد هؤلاء القادة عن منظماتهم، وبذلك

تكون هذه المجالس القومية وراء دعم هذه الحكومة ولكن لم تستطع تحقيق هذا.

البيان: ليس من السهولة أن يتخلى الروس عن دولة تجاوره وتشاطره أكثر من ألف وخمسمائة ميل عبر التفاوض السياسي خاصة وأن الوضع الداخلي الروسي ينذر بالتشرذم والتفتت فكيف إذاوصلت حكومة إسلامية تشاطر عقيدة وتاريخ ولغة الجمهوريات الإسلامية الستة الواقعة في روسيا، في ظل هذا الوضع كيف ترون السبيل للوصول لأهدافكم؟

حكمتيار: الحل العملي لهذه القضية هو الخيار العسكري، ووضع الحكومة في كابل سيء جداً، وحتى الآن لا نرى حلاً آخر سوى التركيز على الحل العسكري، وأعتقد أن موسكو لا تستطيع الاستمرار في دعم حكومة كابل ولا يقدرون على مواصلة دعمها. ولو وجدنا أنهم يتركون للشعب الأفغاني أن يقرر مصيره ويكون دولته بدون تدخل أو ضغط خارجي لما لمسنا ضرورة التركيز على الحل العسكري، ولكننا نرى أنهم ليسوا على استعداد لترك الشعب الأفغاني يقرر مصيره بنفسه في ضوء عقيدته ليكون دولته الإسلامية التي يريدها، ولكنهم يسعون ويريدون فرض حكومة مقبولة لهم على الشعب الأفغاني عن طريق المؤامرات، ولهذا فليس لدينا خيار آخر إلا الاستمرار بالجهاد وهم يريدون تكوين حكومة ائتلافية، وعقد مجلس (لوياجركا)[1] لهذه الحكومة لتكون حكومة دائمة. لأنهم يعرفون أن الشعب مع المجاهدين ولو جرت الانتخابات لن تكون في صالحهم، ولو جرى إسقاط حكومة نجيب وتحل محلّها حكومة مؤقتة يقبل أعضاءها الشعب مثلما حدث في بنغلاديش عندما أعلن رئيسها الجنرال محمد إرشاد استقالته وطلب من المعارضة أن تتفق فيما بينها على شخصية فاتفقوا على قاضي ثم جرت الانتخابات، ولو حدث هذا لكان سهل أن يوافق عليه المجاهدون.

البيان: لو حصل تشكيل الحكومة الائتلافية، وغدت أمراً واقعاً ماذا سيكون ردكم عليها؟

حكمتيار: لا يمكن فرضها،وتكوينها غير عملي وسنستمر في الجهاد وليس أمامنا خيار سوى المقاومة.

١- البرلمان

البيان: العديد من المتابعين يرون أن الحزب الإسلامي تعرّض لخضات بعد خروج بعض أعضاء اللجنة التنفيذية من القيادة وبقائهم كأفراد، إضافة إلى تعرض الحزب لبعض التصفيات في داخل أفغانستان كيف يرى حكمتيار هذا الوضع؟

حكمتيار: الحزب الإسلامي في أحسن وضع منذ تأسيسه، ومع جميع هذه الضغوط على الحزب الإسلامي لم يخرج أحد منهم حيث يقوم على مبدأ الشورى والقرارات بالأغلبية وليس لأحد الحق في الاعتراض على مواقف الحزب إلا في مكانه ولو يقوم أي رجل بالدعاية السيئة ضد الحزب بعد اتخاذ القرار فهذا دليل على إخراجه من الحزب وقد اتفقنا في لوائح الحزب بأنه لا يحق لأي شخص مسؤول أن يعارض سياسة الحزب خارج مجلس الشورى أو اللجنة التنفيذية بعد أن اتفق عليها بالأغلبية.

البيان: يتحدث حكمتيار كل مرة هجوم كبير على كابل. متى سيحصل هذا الهجوم وهل اتفقت الأحزاب الأخرى على هذا الهجوم وماذا لو لم تشترك هذه الأحزاب هل تستطيعون تحقيق شيء؟

حكمتيار: الهجوم على كابل قريب إن شاء الله ونأمل أن يوافق القادة الميدانيون على الاشتراك وإن شاء الله سيحقق الحزب شيئاً كما حقق في الماضي، وأقول بأن الانتصارات التي حصلت بعد الشتاء كانت بسبب العمليات التي حصلت من قبل الحزب أثناء الشتاء عندما سيطر الحزب على ٦٠ موقع عسكري للنظام حول كابل.

البيان: الحركة الإسلامية في أفغانستان أصبحت لديها تجربة في مسألة تلقي المساعدات الخارجية، ما رأيكم بموضوع تلقي المساعدات من الدول بشكل عام؟ وخاصة من الدول الكبرى الذين هم أعداء الإسلام.

حكمتيار: من الخطأ أن نعتمد على المساعدات الخارجية، وعلى جميع الحركات الإسلامية التنبه لهذا.

البيان: مرة أخرى بحسب تجربتكم هل ترى أن العامل العسكري لدى الحركات الإسلامية يطغى على العامل الاقتصادي مما يجبرها أن تبقى أسيرة سياسات دول وأطراف أخرى؟

حكمتيار: لا أعتقد أن أي حركة إسلامية تهمل الجانب الاقتصادي، والذي رأيناه بأن الحركات الإسلامية تهمل الجانب العسكري، والحقيقة أن أول تجربة عسكرية رأيناها كانت في أفغانستان، وأعتبرها تجربة ناجحة، ولو نستفيد من هذه التجربة ونصحح الأخطاء فأرى أننا أهملنا الجانب العسكري وركزنا على الجانب الثقافي ونرى أن معظم الحركات الإسلامية تتضامن مع عدوها وتفاوضه وعندما يستفيد منها يتحيّن الفرصة لضربها وأظن أن هذا هو سبب الهزيمة.

البيان: هل تدعو لإنشاء تحالف بين الأحزاب الإسلامية المستقلة في أفغانستان؟

حكمتيار: اعتقد لو ركزنا على الجانب العسكري أكثر وأكثر، وتركنا مسألة تكوين الحكومة، ويكون التحالف عبارة عن تنسيق بين هذه المنظمات، ثم تشكل حكومة بعد إسقاط نجيب وتعقد الانتخابات ونأمل أن نتفق على مثل هذا.

البيان: كيف يستشرف حكمتيار دور أفغانستان في منطقة آسيا مستقبلاً؟

حكمتيار: إن جميع الشعوب الإسلامية تشعر بحاجة للتنسيق والتعاون لمواجهة الأعداء، ولو استطعنا تكوين حكومة إسلامية فلعلنا نقوم بدور في ترسيخ هذه الوحدة.

البيان: السؤال الأخير كيف ترون السياسة الباكستانية حيال أفغانستان بعد استقبال المسؤولين فيها ولأول مرة بشكل علني مندوبين عن ظاهر شاه؟

حكمتيار: باكستان واقعة تحت الضغوط الأمريكية ولكن لها مواقف استراتيجية لا يمكنها التخلي عنها، وصعب عليها أن تقبل بشيء يرفضه المجاهدون، ومن الصعب بقاء حكومة شيوعية مجاورة أو حكومة تضم المعتدلين وظاهر شاه وتضغط أمريكا على باكستان بأن تتخذ خطوة لا يرغب بها الشعب الأفغاني.

عودة الجزائر إلى الحظيــرة

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ ومن منطلق هذه الإخوة الإيمانية فإنه يسوءنا ويسوء كل مسلم أن يزج بالأعداد الكبيرة من المسلمين في المعتقلات ويعتدى على حقهم في الحرية والتعبير عما يؤمنون به، وتكال لهم التهم من كل جانب ولا يسمح لهم أن يدافعوا عن أنفسهم علنا كما يشتمون ويتهمون علناً.

لقد تكررت المحن ضد العاملين للإسلام في العصر الحديث، وكادت تصبح عملا روتينياً من أعمال الذين يطاردونهم، ويتعسفون في استعمال السلطة التي يتمتعون بها. حتى أصبحت صنوف المحن التي تجري على أيدي خصوم العاملين في الصف الإسلامي لا تثير أحداً، ولا تحرك شعوراً. وكثير من المسلمين المخلصين أصبح يستمرئ هذا الروتين ويتقبله بسلبية وتسليم يساء تطبيقه وتفسيره. فأن يصبر المسلم على قدر الله شيء، وأن يرضى بالدُّون والهوان يصب على رأسه وعلى رأس من يشاركه في العقيدة شيء آخر.

وإننا من خلال متابعة الأحداث وتطورها في الجزائر لاحظنا بقلوب يملؤها الاسى كيف تُجر «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» جراً إلى ما آل إليه أمرها، وكيف تجتمع خيوط الخطة في الداخل والخارج لتشكل مسار الأحداث التي أفضت إلى اعتقال قادتها ومئات بل آلاف من أنصارها.

إن هذا الأسلوب في دفع الأحداث، وهذا النوع من «الديمقراطية» يجعل المراقب الحيادي يعجب من جرأة أصحاب الفكر الاحادي على اختلاق التهم، ولا يثق – من

جهة أخرى - بأي وعد يقطعه مثل هؤلاء للناس بالعيش الكريم في ظل سلطة تحترم الرأي المخالف وتحنو على المعارضين مثل حنوها على الموافقين.

إن المسلمين يستحقون أن يعيشوا كبشر، وان يتمتعوا بما يتميز به البشر. أعني حرية الرأي وأن يكون لهم رأي فيمن يحكمهم وفي الأسلوب الذي يحكمون به. وهذه أول ضمانة وأهم ضمانة لمخلوقات يطلب منها أن تبني أوطاناً وتساهم في الحضارة. وإذا لم تتوفر هذه الضمانة لأي شعب فاقرأ عليه وعلى بلاده ومن يحكمونها السلام.

لم تكن المحنة التي حلت بالجبهة الإسلامية للإنقاذ مفاجئة لمن يراقب الأمور بعمق ولمن يقرأ التاريخ بعقل واع. بل كانت المفاجأة التصريح بادئ ذي بدء للجبهة بالعمل السياسي العلني، وقد أصابت هذه المفاجأة العاملين في حقل الدعوة الإسلامية وخصومهم على السواء.

أما العاملون في حقل الدعوة الإسلامية فعندهم من قراءاتهم واطلاعهم وتجاربهم ما يجعلهم لا يغيرون قناعاتهم أن «سعداً أخو سُعيد» فما عدا مما بدا ؟!

لابد أن في الامر شيئاً ! وهذا الامر لا يتم. وستعلمن نبأه بعد حين !

وأما خصوم الدعوة الإسلامية فهم أيضاً وقعوا بين الشك واليقين. فمنهم غير المصدق لما يسمع : الجزائر. ذات التاريخ النضالي العريق! بلد جميلة بوحيرد وجبهة التحرير وبن بلة وبومدين. والنضال صد وضد. ومعلمة التقدمية... «تخرج عن مدارها»وتزري بها الأيام حتى تسمح لهؤلاء الظلاميين بالحركة وفتح الفم؟! ياويلاه! إنها لإحدى الكبر!

ومنهم من رأى أن الأمر جد. ولا وقت للبكاء وفغر الفم. فلنعمل على إنقاذ ما يمكن إنقاذه. متعلقين ببارقة أمل وهي أن المعقل الأخير لم يخرج من اليد بعد. ومراهنين على سلبيات الإسلاميين من جهة. وعلى أسلوب «بطرس الراهب» في الاستنفار والتهويل في الدوائر الغربية.

وهكذا كان ...عاد الكوكب إلى مداره. وعادت الجزائر إلى حظيرة أخواتها! والآن - بعد هذا العرض الذي قدم فيه كل طرف ما يحسنه - فقد وصل المسلمون

إلى منعطف يجب أن يتساءلوا فيما بينهم ويسألوا أنفسهم عما ينبغي فعله.

على العاملين في صفوف الجبهة الإسلامية للإنقاذ وغيرهم ممن يشاركونهم المبادئ والأهداف أن لا يتركوا للمفاجأة وقسوة المحنة أن تثنيهم عما يريدون، فلابد من التحضير لمثل هذه الأوقات وذلك بإظهار التصميم والإصرار يقابل الإصرار من الطرف المقابل على التصفية، وإشعاره أن القضية ليست قضية بضعة أفراد مشاغبين أخلوا بالأمن، فتصرف معهم أهل القانون بما أعاد الأمن إلى نصابه، لا، إن القضية هي قضية تيار كاسح له الحق الشرعي «والوطني» أن يكون ممثلاً أصدق تمثيل في المشاركة في بحث مشاكل وطنه.

* التركيز وبوضوح لا غموض فيه - على نبذ الإرهاب واستخدام السلاح واللجوء إلى العنف (وهذا ما كانت تؤكد عليه الجبهة الإسلامية للإنقاذ).

* التأكيد على مطلب حرية التعبير الذي هو حق لكل إنسان كرمه الله.

* وعلى حرية أن يتمسك المسلم بعقيدته، وأن يرجع إلى من يوثق به في تفسيرها وتوضيحها، لا من تشتريه الدول ليكون لساناً لها يشوه العقيدة ويضلل الناس.

إن وثيقة حقوق الإنسان ضمنت هذا الحق لكل العقائد: الفاسد منها وغير الفاسد. والمسلمون يجب أن يؤكدوا على حقهم في هذا المجال، ويطلبون من خصومهم الوقوف عنده، لا أكثر من ذلك.

* وعلى حقهم في المشاركة السياسية، دون وصاية أو خضوع، فهم ليسوا طارئين على هذا المجتمع، كما أنهم ليسوا «حركيين»، وحقهم هذا لا يقبل التشكيك أو المساومة.

وليعلم المسلم أنه مبتلى، وأن حياته سلسلة من الابتلاءات والمواجهات، هذا ما تقتضيه سنة الله في الصراع الدائم والمدافعة المستمرة بين الحق وبين الباطل، **﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾** [البقرة ٢٥١]

فرنسا ما بعد ديغول
تدفن
أسطورة مساندتها للعرب

تحليل مترجم عن (الجارديان ويكلي)

إن شبح الجنرال شارل ديغول الذي أرسى مبدأ مساندة العرب، ونغمة معارضة أمريكا في سياسة فرنسا الخارجية في الستينيات قد ووري التراب وإلى الأبد في جزيرة مارتنيك خلال القمة الأمريكية الفرنسية في ١٩٩١/٣/١٤، وقد اختار الرئيس ميتران بشكل يدعو للاستغراب إقليماً فرنسياً ليعلن خضوع بلده للقوة العظمى الوحيدة (أمريكا) وليدفن أسطورة مساعدة فرنسا لنضال العرب ضد إسرائيل. وكل من بوش وميتران في مؤتمرهما الصحفي الذي عقد بعد ٩٠ دقيقة محادثات؛ قد عبرا عن تصميمهما على الاستمرار بالوفاق الذي ظهر بين واشنطن وباريس خلال حرب الخليج. لقد كان دور فرنسا ثانوياً لكنه بالغ الأهمية في مساندة الهجوم الذي قادته الولايات المتحدة ضد العراق. لكن حكمة الوفاق قد تعني التغطية على الخلافات، وقد ذهب ميتران إلى أبعد من ذلك عندما قال: إن بلاده مستعدة لتأييد موقف أمريكا في سياستها اتجاه الشرق الأوسَط.

وقد ذكرت صحيفة الهيرالد تريبيون أنه بدلاً من التأكيد على وجهة نظر فرنسا السابقة وهي أن ترعى منظمة الأمم المتحدة مؤتمراً دولياً للسلام في الشرق الأوسط كخطوة أولى؛ فإن ميتران أيد بوش في اتخاذ موقف عملي واستطلاعي بدون تحديد مسبق.

وقد حيت الصحافة الفرنسية تراجع ميتران هذا واعتبرته صفحة جديدة في العلاقات بين أمريكا وفرنسا. فقد قالت جريدة لوموند: لقد تبنت فرنسا بلا شك مسؤولية تحمد عليها وهي موقفها الجديد من واشنطن.

وأضافت الصحيفة إن الرئيس ميتران قد اقتنص كل فرصة سانحة ليزيل تحامل الرأي العام الفرنسي على الولايات المتحدة.

وقد مهد وزير الخارجية الفرنسي رولان دوما الطريق أمام إعلان ميتران الرسمي التحالف مع الولايات المتحدة، وذلك خلال المقابلة الطويلة مع جريدة «لوموند» في ١٩٩١/٣/١١ حيث قال: إن باريس ستقف إلى جانب الجهود الأمريكية في العمل على حسم النزاع العربي الإسرائيلي. وقد انتقد سياسة فرنسا الخارجية خلال حكم الجنرال ديغول ووصفها بأنها كانت سلسلة من الأوهام. وقد كان أهم عنصر في تلك السياسة تجنب التعاون المفتوح العلني مع الولايات المتحدة، وبناء عناصر تأثير ديبلوماسية في العواصم العربية.

لقد التزمت الحكومات الفرنسية المتعاقبة سياسة ديغول هذه التي واءمت بين إرضاء أمريكا سراً، وإرضاء العرب في العلن. ولعل رولان دوما هو أول مسؤول فرنسي ينتقد هذا الأسلوب علناً. فقد أعلن أن فرنسا ليست مقيدة إلى الأبد بفكرة المؤتمر الدولي تحت إشراف مجلس الأمن من أجل بحث المسألة الفلسطينية.

لقد دعت فرنسا مراراً خلال أزمة الخليج لانعقاد هذا المؤتمر من أجل تهدئة غضب المسلمين من سكانها، وإرضاءً للحكومات العربية.

وحيث انتصرت أمريكا انتصاراً ساحقاً في هذه الحرب، وحيث اشترك في هذه الحرب عدد لابأس به من الحكومات العربية؛ فقد وجدت فرنسا في الانضواء تحت إرادة أمريكا فوائد أكبر من تأييدها للأهداف الفلسطينية.

ومعلوم أن الولايات المتحدة على تعاقب إداراتها تفضل سياسة الاقتراب

خطوة خطوة لانعقاد المؤتمر الدولي، هذا المؤتمر الذي يمكن أن يعطي الاتحاد السوفييتي دوراً ما في الشرق الأوسط، الأمر الذي لا توافق عليه واشنطن.

لم يكن ديغول صديقاً مخلصاً للعرب أو للمسلمين، فيما يخص هذا الأمر، وقد كان موقفه ذاك مجرد تلاعب بالألفاظ لإظهار باريس قوة دولية مستقلة عن الولايات المتحدة التي تهيمن على المؤسسات الغربية بما فيها منظمة حلف الأطلسي. والجنرال الذي تخلى عن حلف الأطلسي لهذا السبب؛ أعلن تأييده الكاذب للهدف الفلسطيني بعد الهزيمة المنكرة التي لحقت بالجيوش العربية في حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، ولم تحقق باريس من تعاطفها كله ذاك إلا الوهم الذي سمته استقلالاً في سياستها الخارجية، وسرقة ملايين الدولارات من الدول العربية دفعت مقابل أسلحة ومعدات، لا يمكنها هزيمة ترسانة الأسلحة الإسرائيلية. والنتيجة الوحيدة المحسوسة لسياسة فرنسا المساندة للعرب كانت في إقناعها لدول السوق الاوربية المشتركة إصدار إعلان البندقية عام ١٩٨٠ مع أن ذلك الإعلان ظل حبراً على ورق منذ إعلانه لأنه لا فرنسا ولا غيرها من دول المجموعة الأوربية كانت مستعدة لتحدي الولايات المتحدة في تعهدها بتمويل وتسليح الدولة الصهيونية، وبدون ضغط دولي مؤثر على الولايات المتحدة لوقف مساندتها لإسرائيل، فإن هذه لا ترى حاجة للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية.

وعلى أي حال فإن الاتجاه الدولي قد تحول لمصلحة الولايات المتحدة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي كقوة عظمى. وبعد تطلع أمريكا المقنع للهيمنة كقوة وحيدة.

وقد اعترفت كل من فرنسا والاتحاد السوفييتي بهذه الهيمنة باتباعهم الخط الأمريكي في الحرب على الرغم من محاولتهما معاً تقديم خطط سلام اللحظة الأخيرة قبل الهجوم على العراق، وقد كانت جهودهما الديبلوماسية غير الجدية

لإنقاذ العراق للحفاظ فقط على صورتهما كقوتين عظميين ذواتي تأثير في العواصم العربية. إن حرص فرنسا للتعاون مع واشنطن يعكس هذه الحقيقة الدولية الجديدة.

تغير آخر في موازين القوى في أوربا وهو (إعادة توحيد ألمانيا) قد بعث الخوف الفرنسي من أن تكون بون هي القوة الجديدة المهيمنة في أوربا بدلاً من فرنسا.

إن ألمانيا الموحدة في وضعها الجديد تحاول أن تجد مكاناً بين الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن التي لها حق النقض، وأي مراجعة لدور مجلس الأمن لإحلال ألمانيا فيه سوف يؤثر بالتالي على فرنسا.

وفي مقابلة دوما مع لوموند كان واثقاً من أن مساعدة فرنسا للولايات المتحدة في حرب الخليج ثم مساندة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط يحمل أمريكا على معارضة أية جهود ألمانية لدخول العضوية الدائمة، سوف يجعل أمريكا توافق على جهود ألمانيا لإطفاء دور فرنسا في مجلس الأمن. فألمانيا لم ترسل قوات لتحارب في الخليج.

وقد أشار دوما إلى أن الانشقاقات في العالم العربي التي أسفرت عنها حرب الخليج كانت الأساس لمراجعة سياسة فرنسا في الشرق الأوسط. إن الوحدة العربية التي بنيت عليها فكرة سياسة ديغول المؤيدة للعرب أظهرتها هذه الحرب كخرافة، وفي الحقيقة فإن سياسة الجنرال كانت مزدوجة.

إن الحديث عن شيء اسمه «عرب» هو أسطورة كما يقول دوما، والحديث عن شيء اسمه سياسة عربية موحدة أسطورة أخرى، وسياسة ديغول العربية كانت سلسلة من الأوهام، بالرغم من ذلك فقد ظل السياسيون متشبثين بها رغم خرافتها.

وهناك دلالة أخرى لتقارب فرنسا مع الولايات المتحدة وهي قرار فرنسا في

١٥ آذار الماضي الانضمام إلى مجموعة دراسة ومراجعة وتجديد استراتيجية الحلفاء فيما يحصل بعد الحرب الباردة. وقد تألفت هذه المجموعة بعد قمة لندن لحلف الأطلسي في تموز ١٩٩٠

ولم تنتخب باريس لتشارك في جدول الأعمال الذي كان مقصوراً على الأمور العسكرية. ومع هذا فسوف تظل فرنسا تدعو إلى الأمن والاستقرار والسلام في الشرق الاوسط من أجل العواطف العربية للحصول على عقود إعادة البناء في الكويت والعراق ولبيعهم السلاح، ولكن دعوتها هذه سوف تظل غير مسموعة لأن واشنطن في وضع يجعلها تمنع أي عقد بين فرنسا من جهة وبين حلفاء أمريكا في المنطقة.

ولعل أكبر مفارقة ساخرة قامت بها فرنسا هي دخولها في حرب ضد حليفها القديم الذي ساعدت على تسليحه خلال علاقتها المميزة معه في الخمس عشرة سنة الأخيرة؛ فقد احتكر الفرنسيون العقود المدنية والعسكرية في العراق، وربحوا من ذلك بلايين الدولارات، هذه العلاقة بين فرنسا والعراق بدأت عام ١٩٧٤ على زمن رئيس الوزراء جاك شيراك؛ لكن قدرة العراق على الدفع مقابل الأسلحة والمعدات الفرنسية تناقصت بشدة خلال سنوات الحرب مع إيران التي استهلكت إنتاج العراق من البترول، ونتيجة لذلك أصبحت بغداد مدينة لباريس بحوالي ٢,٥ بليون جنيه استرليني بالإضافة إلى بليون جنيه استرليني فوائد، وهكذا لم يعد العراق زبوناً جذاباً كغيره في هذه الظروف.

عن الغارديان ويكلي
١٩٩١/٤/١٥

بعد عملية سليمان
أي فلاشا جدد بعد الفلاشا الاثيوبيين؟

رئيس وكالة الهجرة اليهودية في اسرائيل. سيمحا دينيتز وهو الذي أشرف على تنظيم «عملية سليمان» لنقل اليهود الاثيوبيين من أديس ابابا إلى تل أبيب. أوضح في باريس أن الولايات المتحدة وفرنسا ودولاً أخرى تساعد على نقل اليهود من سورية واليمن والعراق.

وكشف أن عملية سليمان كلفت ٥٠ مليون دولار. وقال: «في سورية ٣ آلاف يهودي. وفي العراق ألفان. وفي اليمن مئات عدة وفي إيران ٣٠ ألفاً ونريد نقلهم جميعاً».

الأسبوع العربي ١٠/٦/١٩٩١

الكوماندوس حاول تخريب كاهوتا...

هل تصل يد التخريب الإسرائيلية إلى مفاعل «كاهوتا» وهو المنشأة النووية الباكستانية الرئيسية؟

المعلومات الوثيقة تفيد بأن القتيل الإسرائيلي الذي سقط في ولاية كشمير الهندية، كان من ضمن مجموعة كومندوس، مؤلفة من ٧ سياح كلفوا بمهمة

تخريب مفاعل كاهوتا الذي لا يبعد أكثر من ٢٠ كيلومتراً من الحدود مع كشمير الهندية.

وتردد أن الاستخبارات الهندية نسقت مع الموساد من أجل نسف كاهوتا حيث الخطة لتصنيع قنبلة ذرية قطعت شوطاً بعيداً. ولهذا السبب قالت الخارجية الباكستانية: «نحن قلقون لهذا الوضع، ويصعب تصديق أن هذا العدد من الأجانب كان هنا لمجرد الاستمتاع بالمنظر انطبيعي للوادي، في ظل الوضع الحالي».

الأسبوع العربي ١٩٩١/٧/٨

وزير إسرائيلي في أذربيجان بناء على طلب من رئيسها

بدأ وزير العلوم والتكنولوجيا الاسرائيلي يوفال نعمان زيارة إلى الاتحاد السوفياتي بدعوة من أكاديمية العلوم. وعقد في العاصمة الأذربيجانية باكو أمس اجتماعاً مع رئيس الجمهورية اياز مطلبوف الذي دعاه شخصياً إلى لقاء. وأعلن مطلبوف بعد الاجتماع عن قرب افتتاح خط جوي مباشر بين باكو وتل أبيب. وذكرت وكالة «أنترفاكس» المستقلة أمس أن مطلبوف أكد أن هناك «آفاقاً واسعة» للتعاون الاقتصادي بين أذربيجان وإسرائيل. وأشار نعمان إلى أنه «ذهل» للاهتمام الذي تبديه القيادة الاذربيجانية بحل مشاكل الطائفة اليهودية المحلية.

جريدة الحياة ١٩٩١/٥/٢٩

الإسلام في تركيا

بعد إبطال المادة ١٦٣ من القانون التركي التي كانت عائقاً كبيراً أمام أي نشاط إسلامي استطاع المسلمون في تركيا كسب مواقع جديدة، فترجمت كتب لم يكن يسمح أن تترجم أو ترى النور، مثل كتب ابن تيمية وابن القيم وابن كثير، ومن ناحية أخرى بدأت أصوات ترتفع منادية برفع القانون الذي يحمي الأتاتوركية، وظهرت الوثائق التي تكشف التزوير والتضليل الذي مارسته الأتاتوركية خلال السنين السابقة وفي مدينة أزمير التركية أقيم مهرجان خطابي في يوم ٩١/٥/٢٩ حول فتح القسطنطينية (استامبول) على يد القائد المسلم محمد الفاتح وكانت الكلمات تتحدث عن سيرة الفاتح وأخلاقه وبطولاته ودعوة للشباب للاقتداء بهذا البطل والتمسك بالإسلام، وقد حضرت هذا المهرجان وفود من أوزبكستان وطاجكستان وتركستان من الاتحاد السوفييتي، ومن البوسنة والهرسك بيوغوسلافيا كما حضرت وفود من أفريقيا وآسيا.

عبد المنان جولحة

تعقيب على مقال:
«وقفة مع عمل المرأة المسلمة»

أم عبد الله

اطلعت على مقال «وقفة مع عمل المرأة المسلمة» شاكرة للأخت «أم عبد الرحمن» حماسها الطيب ومحبتها للخير ورغبتها في تعميمه والدعوة إليه..مثنية بالشكر على مجلتنا «**البيان**» لاهتمامها بقضايا الأمة دقيقها وجليلها، سدد الله على الدرب خطاها.

ثم أما بعد..فهذا تعقيب على مقال الأخت كتبته من باب التجربة ومعايشة الواقع الحي ولا ألزم أحداً في قبوله ﴿**إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت**﴾

وسأجمل القول في النقاط التالية:

أولاً: نحن كمسلمين ملتزمين بأمر الشرع «تعترضنا قضايا لا يبدو فيها الحكم واضحاً ليس من حيث الحل والحرمة ولكن من باب خير الخيرين !

وهنا المرجع إلى القواعد الكلية للشريعة السمحة تلك الضوابط التي من أتقنها اتضحت السبل أمامه وأبصر سبيله..ومن فقدها تعثر..بل ربما هلك وهو يحسب أنه يحسن صنعاً !

وفي هذه القضية عمل المرأة وبالأخص مشاركة المرأة الملتزمة في الدعوة إلى الله واستغلالها مجال التدريس لهذا الهدف لعل الناظر إليه بروية وأمل واستقراء

لقواعد الشرع يرى أن الأمر فيه تفصيل.

١- فإن كانت المرأة عازبة..أرملة أو مطلقة ولديها من العلم والتق والمنهج السليم نصيب فبها ونعمت! تدعو إلى الله تأمر وتنهى..وترشد وتنصح بعلمها وسلوكها وشخصيتها المتميزة ونيتها المتجردة فيعظم النفع ويضاعف الأجر ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**﴾ [فصلت ٣٣] وهي في هذا مستشعرة واجب الدعوة «بلغوا عني ولو آية»[1] واضعة نصب عينيها «اغتنم فراغك قبل شغلك»[2]

فحياها الله أخت مباركة أينما كانت وتقبل عملها وبارك فيه وزادها من هداه ﴿**والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم**﴾ [محمد ١٧]

٢- فإن تزوجت ولم ترزق أطفالاً فكذلك تستطيع بعون الله التوفيق بين عملها ورعيتها بحسن تنظيم الوقت والاستعانة بالله تعالى.

٣- فإن رزقت أطفالاً فالحال تختلف تماماً! أولئك أمانات استودعت إياهم والله سائلها أحفظت أم ضيعت..سائلها عنهم قبل شؤون الدعوة المتشدق بها في هذه الحالة فلتفقه المرأة الداعية هذا ولتلزم بيتها ولتحفظ رعيتها موقنة بأنها تربي الجيل المسلم..وتعده وأنها تشارك الأمة في عملية البناء وهي في مملكتها..وهي مرابطة على ثغرها!!

مستشعرة عظم العبء الذي تنوء به كأم مربية داعية وأفلحت إن شعرت!

إنه ليؤسفنا أن تنظر الأخت الملتزمة إلى «البيت» هذه النظرة الرائجة..وكأنه

---

١ من حديث رواه الحاكم في المستدرك ٤ ٣٠٦ عن ابن عباس وصححه ووافقه الذهبي.
٢ - جزء من حديث «اغتنم خمسا قبل خمس...» صحيح الجامع ٣٥٥/١ رقم ١٠٨٨

آخر ما تفكر فيه فما هذا عهدنا بذوات الخدور القانتات الحافظات للغيب !

﴿وقرن في بيوتكن﴾ عبودية يحبها الله فأحبيها..وأحيي شرع الله يحي الله قلبك بالإيمان.

وهنا سؤال قد يطرحه البعض:

ماذا أربي في طفل وليد أو لم يبلغ سنة أو سنتين هل أنقطع من أجله ؟!

وهنا نحيلها على كلام الأستاذ محمد قطب «شبهات حول الإسلام» فصل الإسلام والمرأة ١٣٨– ط الشروق ١٣٩؛ «منهج التربية في الإسلام» محمد قطب ٢/١٠٨–١٠٩ ط الشروق.

إن الأمومة رسالة لا تقبل المزاحمة بعمل آخر يمتصها معظم النهار في أنظمة علمانية تعامل المرأة كالرجل «حيث تبدأ دوامها من الساعة السابعة صباحاً حتى الثانية ظهراً، بل قد تبدأ المصلحة من السادسة والنصف؟

فبربكم أين يترك الأبناء ؟! إنها خيارات مرة فما الملجئ لها ؟!

أعند الخادمات وهذا هو الملاحظ عند كثير من الأخوات الملتزمات حيث يرين أنفسهن داعيات للحق ومريدات للخير..لا يردن أن يتركن المكان شاغراً لأهل الباطل..تراهن قد وقعن في استقدام الخادمات من شتى البلدان..وحكم ذلك الاستقدام لا يجهله مبتدئ في العلم والدعوة..بل مسلم من العوام يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تسافر المرأة مسيرة يوم وليلة إلا ومعها ذو محرم»

أم يترك عند الجدات اللاتي آن الأوان لبرهن وإكرامهن!

أفمن الإحسان إليهن وقد بلغن من العمر عتياً أن يبدأن رسالة جديدة هي حضانة الأحفاد ؟!

أين الالتزام ﴿وبالوالدين إحسانا﴾. لقد انقضت أعمارهن في كدح وشقاء وشظف عيش..أفلم يأن لهن أن يتفرغن لذكر الله والتقرب إليه!

لقد أدين رسالتهن وكفى!

شكر الله لهن ورزقهن الشكر لهن ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾

أو في الحضانات..وأحيلها كذلك على المرجع السابق «شبهات حول الإسلام»

ثانيا: وفي هذه الحالة وهي التفرغ لتربية الأطفال وهي في حد ذاتها عبودية..فلن تفتر الدعوة كما ذكرت الأخت «أم عبد الرحمن» أو تنقطع بل أراها ستوجه وجهة أخرى تناسب الحال..

يقول ابن القيم رحمه الله: «لله سبحانه على كل أحد عبودية بحسب رتبته. سوى العبودية العامة التي سوى بين عباده فيها فعلى العالم من عبودية نشر السنة والعلم الذي بعث الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس على الجاهل..وعليه عبودية الصبر على ذلك ما ليس على غيره وعلى الحاكم من عبودية إقامة الحق وتنفيذه وإلزامه والصبر على ذلك والجهاد عليه ما ليس على المفتي، وعلى الغني من عبودية أداء الحقوق التي في ماله ما ليس على الفقير. وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز فيهما..»[١] والشاهد هنا أن على الأخت المتفرغة ما ليس على المنشغلة بأمومة وزوجية ورعية بيت!!

١- اعلام الموقعين ٢/١٥٧-١٥٨

ولكن أيضاً «عبودية الدعوة إلى الله» تقوم بها «الأخت الأم» حين توجه المسار! فلا تزال على الدرب وإن شُغلت، وبين رعاية الحقوق مع الضر ورعايتها مع العافية بُون بعيد[1].

فأين الأخت الملتزمة الداعية من اجتماعات النساء بأنواعها من أعراس وولائم وزيارات ولقاءات لم لا تحييها بالكلمة الطيبة؟!

أين الأخت الملتزمة من الاجتماعات العائلية لم لا تحولها إلى رياض من رياض الجنة تتخللها بالكلمة الهادفة ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ [الشعراء ٢١٤]

أين هي من الجارات بل من الحي بأكمله إن كانت مارست التدريس وغرست فيه؟ لم لا تجعل له درساً دورياً مستشعرة أن أعظم الإحسان إلى الخلق الإحسان إليه بالعلم والهدى مستعينة بالكتاب الإسلامي والشريط الإسلامي وكل ما يخدم الدعوة وييسرها. لقد جُرب هذا فأثمر..

ثالثاً: إن التدريس كوظيفة لها التزاماتها..ويعرف هذا كل من مارس التعليم الحكومي «الكثير من الأخوات لم يتركن التدريس كمجال للدعوة إلا بعد أن عانين الأمرّين من ارتباك حياتهن الأسرية تحت ضغط أنظمة وقوانين لا تعامل المرأة كمرأة! فكأن لسان حالهن يقول: «ما خرجنا إلا لله وما قعدنا إلا لله».

ومعاناة أخرى تعانيها الأم المدرسة الداعية فكيف ستكون سكنا للزوج الداعية المرهق؟

إنها أمور جُربت وخُبرت..ومن ذاق عرف!

فإذا كانت الدعوة عبودية فالزوجية كذلك..والامومة كذلك فلتوزن الأمور

١- **الفوائد** لابن القيم (حكم وعظات)

بموازينها وليعط كل ذي حق حقه..ولنسر على الدرب بخطى مدروسة لا نقبل أنصاف الحلول ولا نعالج الخطأ بالخطأ مستضيئين بقواعد هذا الشرع.

أما أن نترك بيوتنا وأطفالنا ورعايانا لنزاحم أهل الباطل في مواقعهم..هكذا بلا تفصيل فلا يقول به إلا من جهل الواقع.. أو تجاهل؟! ومن تناسى الفطرة والتبس عليه الخيرين.

إن ترجيح الفاضل على المفضول قد يفوت بالحماس اللامنضبط بضوابط الشرع، وذلك أمر يقع فيه الكثير إما لقصر النظر أو سطحيته أو استعجال النتائج بغض النظر عن العواقب البعيدة!

وإن الزج بكل طيبة لمجال التدريس لتدعو إلى الله بصرف النظر عن حالها (أمّاً كانت أم لا) فيه نظر..فليست القضية يا أختي «شؤون بيت» يساعد فيها الزوج ويحتسب! فذلك أمر تقوم فيه الآلة بدور ولله الحمد..ولكن القضية المعمى عليها «قضية الأبناء» فهل نفقه؟!

إن الأبناء والعناية بهم أعظم مجال تنصرف إليه المرأة وأشرف ما صرفت فيه الجهد. وقضت فيه الوقت ولا يعادله أي مجال آخر، وهذا ما اعترف به العقلاء والمنصفون في المجتمعات الغربية التي استاهنت بهذا الدور فحرمت السكينة.

فلتقم الأم بدورها متعبدة لله بذلك ولتقم الأخت الآنسة بدورها ولتدعُ كل منهما بما يناسب حالها فذاك الذي يرضي ربها **﴿والذي قدر فهدى﴾** [الأعلى ٣]

وختاماً فليست هذه الكلمات تثبيطاً للهمم بل أحسبها تصحيحاً للمسار ونبراساً **﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾** [الملك ٢].

قبل أن تكوني داعية

اختيار: مريم سعيد

يقول الله عز وجل في كتابه العزيز **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾**.

جزء من آية يعبر عن معنى عظيم مهما حاول الإنسان أن يغوص في أعماقها ليستخرج المعنى المناسب لها لا يستطيع ويبقى وكأنه على السطح أو على الشط لم يتجاوزه. ولنحاول أن نأخذ معنى من هذه المعاني الكبرى التي تحتويها الآية العظيمة: الدعوة إلى الله.

أختاه: أقول لك بعض كلمات أرجو أن تغرسيها في قلبك وأن تزرعيها في عقلك وأرجو أن تجد لها مكانا في قلبك وأن لا يطويها النسيان.

إن المسلم الحقيقي إذا قيل له: ألف أجساداً تتجمع حولك وعيونا تنظر إليك وآذاناً تستمع إليك يقول: لا إنني أريد أن أؤلف قلوبا تتجمع وعقولا تعي وبدا تعمل وتبني. إن هم المسلم الصادق هو كيف يستطيع أن يحول القلب القاسي إلى ينبوع من الحنان يتدفق وإلى شلال من العواطف تنساب أن يمسح عن القلب الغبار الكثيف الذي خلفه ركام الزمن. إن أسعد الناس حالاً في هذه الحياة أولئك الذين منحهم الله نفساً جميلة مادة يحبها الناس وتثق بها النفوس وتأنس لها الأرواح.

يا أختاه إن كثيرات من المسلمات بحاجة إلى قلب وعاطفة ومشاعر فكوني أنت القلب لهم وأحبيهن بعاطفتك ومشاعرك، إن الإنسان الذي يعيش بلا قلب مؤمن حي ولا مشاعر عفيفة صادقة لا يستحق الحياة، إن المؤمنة الصادقة هي التي لا تفقد قلبها الطفل العطوف، وحتى لو أحست من قبل أخواتها بقسوة فتتحمل، وليس هناك شيء ذو قيمة حقة يمكن أن يشترى بلا آلام وأنت تطلبين الجنة.

فإن المسلمة الحقة هي التي تلوم نفسها على التقصير بينها التافهة هي التي تلوم الآخرين، يا أختاه إن في هذه الأمة مناجم من قلوب لا يحجبها عنا إلا غبار الزمن، فامسحي بيدك على هذه القلوب لتتفتح كالزهور وتورق كالياسمين وهذه هي فراسة المؤمن.

إن الإنسان يقاس بقدر المهمة التي يسعى إليها. فكلما ارتفعت ارتفعت قيمته وسمت، إياك أن تكوني سطحية في الحكم وفي التفكير بل غوص في الأعماق لتستخرجي اللؤلؤ وإياك أن تهتمي بالأخطاء الصغيرة وتتوقفي عندها لتحكمي على صاحبتها بالفشل (فالأخطاء كالقش تطفو على وجه الماء) فمن أراد البحث عن اللؤلؤ فليغص في الماء ليستخرجه، فإن الشجرة التي تلامس السماء نمت وترعرعت من أصغر بذرة وكما يقولون (ولولا ظلمة الأخطاء ما أشرق نور الصواب).

لابد أن نسير في طريق الدعوة مهما كانت شائكة، وعلينا أن نقطع الطريق إلى القمة الشاهقة إلى الفردوس الأعلى مهما أدمت أقدامنا الأشواك ومهما جرّح كلام المستهترين القلوب. إنني كم كنت أحزن على ذلك الشباب المستهتر المغرور الذي يظن الحياة لهو ومرح ومرتعا للميوعة والعبث، أكره منهم تلك الأنانية المفرطة التي تطغى على شخصيتهم وذلك الاستعلاء الفارغ الذي يطل من عيونهم، وتحت مظهرهم الارستقراطي الجذاب كنت ألمح نفوساً دنيئة لا يراها أولئك الذين غرتهم الحياة وغرتهم الأموال والشهوات.

إن وجودك يا أختاه متمسكة بأخلاق دينك وبمبادئك معجزة تدب على الأرض إذ كيف تشب هذه الفتاة أو هذا الشاب في واقع تذوب فيه الصخور ويصهر فيه الحديد. وكثير من الناس وا أسفاه ليس لهم من الإنسانية إلا نقاط الالتقاء مع الحيوان أنني أعرف أن كثيراً من الأخوة والأخوات الشباب عقولهم من أذكى العقول، وقلوبهم من أطهر القلوب، يريدون التذكير والدعوة ليصبحوا عاملين. ولو كان شبابنا وشاباتنا من هذا الطراز لطوينا حياة التخلف والانهيار التي نحياها في بلادنا.

فيا أختاه ثقي بنفسك وبإيمانك وبدينك فإن لك لغة مؤثرة لو لامست الصخر الأصم للان واستمع، ولتعلمي أن سلب الأجسام أرواحها ليس بأسهل من سلب النفوس غرائزها وميولها، وإني لأعلم أن في هذا مشقة ولكن قد كتب لهؤلاء العاملين على وجه الأرض في مجال الدعوة أن يعيشوا فيها عيش الأشجار في الصحاري تظلل الناس بوارف ظلها وهي تصطلي حر الشمس.

تنويـه:

في العدد (٤٠) من **البيان** وفي مقابلة الأخت خولة درويش سقط سهواً من السؤال الأخير كلمة (بعض) حيث ظهر السؤال (باعتبارك تشرفين على المدارس الأهلية للبنات...)

والصحيح هو: (باعتبارك تشرفين على **بعض** المدارس الأهلية للبنات...)

أسماء بنت يزيد بن السكن

مزنة محمد

صحابية جليلة وأنصارية وراوية ثقة ومجاهدة صابرة. فمن تكون هذه التي جمعت هذه الصفات النبيلة واختصت بها؟ إنها أسماء بنت يزيد بن السكن الأشهلية، ابنة عمة معاذ بن جبل رضي الله عنهما. أسلمت وبايعت الرسول صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان وروت عنه أحاديث وشهدت معه فتح خيبر. ولقد لقبت بـ رسول النساء إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ولهذا اللقب قصة يحسن بنا أن نذكرها لما فيها من الفائدة لعامة النساء.

روى مسلم بن عبيد أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك وإنا - معشر النساء - محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم - معشر الرجال - فضلتم علينا بالجُمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً. حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفما نشارككم الأجر والثواب ؟!

فالتفت النبي إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسنَ من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أنَ امرأة تهتدي إلى مثل هذا.

فالتفت النبي إليها فقال: إفهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعّل[1] المرأة لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله، فانصرفت المرأة وهي تهلّل»[2]

يالها من رسالة خالدة..ومسؤولية عظيمة..فتنال المرأة أجر الجهاد وهي في مخدعها..وتنال ثواب الجماعة وهي في غرفتها..وتكسب شرف الجراح والاستشهاد في سبيل الله وهي لمّا تغادر بيتها !! فجزاك الله عنا خيراً يا أسماء فقد كنت سبباً في تعليم النساء أقرب الطرق إلى الجنة ومن أقصرها وهو سبيل الطاعة.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أشرف على بيوت بني عبد الأشهل - بيت قومها - يقول: ماذا في هذه الدروس، الخير ! هذه خير دور الأنصار.

شهدت أسماء فتح خيبر مع من خرجن من النسوة لمداواة الجرحى ومناولة السهام وطبخ الطعام وخرجت مع جيش خالد بن الوليد لملاقاة الروم في معركة اليرموك وقتلت بعض جنود الروم بعمود خبائها. فللّه درّك يا أسماء فقد نلت أجر الجهاد مرتين: الأولى وأنت في بيتك والأخرى في ساحة الوغى.

امتدت بها الحياة حتى شهدت انتهاء الخلافة الراشدة وتكوين الدولة الأموية وتوفيت في خلافة معاوية في السنة الرابعة والخمسين للهجرة.

رحم الله أسماء ورضي عنها فقد صدق فيها حديث رسول الله «رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن حياؤهن من التفقه في أمور دينهن»

١- أي حسن مصاحبتها له
٢- أسد الغابة ١٩/٦

كتاب دراسات في أصول المداينات وكتاب دراسات فقهية

تأليف/ ا.د نزيه حماد

مراجعة: عثمان جمعة ضميرية

على كثرة ما تدفع المطابع من الكتب والمطبوعات، قد لا تجد في المائة كتاباً جديراً بالعناية والدراسة، فإذا وقعتَ على دراسة دقيقة عميقة موثَّقة في أي فرع من فروع العلم، فأنت إذن تقبض على كنز ثمين، ينبغي أن لا تفرِّط فيه.

أقول هذا، وقد فرغت من قراءة كتابين جديدين من منشورات دار الفاروق - الطائف وتأليف الأستاذ الدكتور نزيه حمّاد، أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله في كلية الشريعة جامعة أم القرى، وهو المعروف بين إخوانه وطلابه بمحاضراته الجامعية وبحوثه العلمية التي تتسم بالعمق والجديّة، فهو لا يرضى بالسهولة والسطحية في البحث، أو الخطف في الكتابة والتحقيق، وكتبه المحققة والمؤلفة، وإشرافه على الرسائل الجامعية، ومناقشاته، وبحوثه المقدمة للمؤتمرات والمجامع الفقهية، فيها الدليل الصادق لمن أراد.

الكتاب الأول: دراسات في أصول المداينات في الفقه الإسلامي.

وهو مجموعة دراسات فقهية مقارنة في موضوع المداينات في التشريع الإسلامي، كان قد ألقى أصولها محاضرات على طلبة قسم القضاء بكلية الشريعة، عندما عهد إليه بتدريس مادة «الدَّين وطرق ثبوته»، ونشر جل مباحثها في بعض المجلات العلمية والنشرات الجامعية. مما يحصر الإفادة منها بفئة من الباحثين والقراء فكان من الخير أن تجمع في كتابٍ، منظومةً في عقدٍ واحدٍ. نظراً للوحدة الموضوعية التي تؤلف مباحثها وتجمع بين مسائلها وجزئياتها، وبعد أن أعمل فيها يد التحرير والتنقيح، وأضاف إليها إضافات علمية ذات أهمية.

ويضم الكتاب بين دفتيه ستة بحوث:

البحث الأول: حقيقة الدَّين وأسباب ثبوته؛ تناول فيه الكلام بالتفصيل عن حقيقة الدين في اللغة والاصطلاح الفقهي، وحقيقة الذمّة، نظراً لارتكاز فكرة الدين على فكرة الذمة وارتباطها بها، ثم بين أسباب ثبوث الدين في الذمة.

البحث الثاني: توثيق الدَّين في الفقه الإسلامي؛ وهي دراسة من أهم الأمور المتعلقة بمداينات الناس وعقودهم التي تتضمن ثبوت الدين في ذمة أحد المتعاقدين أو تسببه، لأن غرض الشرع ومقصده أن يحفظ لصاحب الدين حقه بأن يمكنه من بلوغه والحصول عليه، وأن يدفع عنه مفسدة هلاكه أو جحوده، أو العجز عن إثباته واستيفائه.

البحث الثالث: التصرف في الدين في الفقه الإسلامي؛ فدرسها دراسة مقارنة، فهي من أهم موضوعات المعاملات المالية، وأكثرها عمقاً ودقة وشمولاً. بل إن مباحثها ومسائلها تعتبر بمنزلة العصب الساري في هيكل العقود

والمعاملات. ومما يزيدها أهمية وشأناً أن كثيراً من صور التعامل المالي المعاصر - كالتحويلات المصرفية، والبريدية، والكمبيالات، والسحب على الحساب الجاري..- إنما يرتكز تخريجها الفقهي، وتبنى أحكامها على أساس فروع وقواعد التصرف في الدين.

البحث الرابع: تغيُّر النقود وأثره على الديون، وهذا البحث يعالج مشكلة اقتصادية معاصرة تمس الفرد والجماعة في أغلب دول العالم اليوم وهي مشكلة التضخم وما يرافقه من تأثير على النقود، كما أن التأثير قد يكون ناتجاً عن تخفيض دولة ما لعملتها النقدية أو قد تلغيها وتستبدلها بغيرها..فلذلك من الأهمية بمكان دراسة ما يتصل بالمعاملات المالية عند تغيّر أحوال النقدوأثر ذلك على الديون في الذمم أيّا كان سببها ومنشؤها.

وهذا الجانب لم يغفله علماؤنا - رحمهم الله - وكان لهم نظرات هامة جديرة بالعناية، وقد جاء هذا البحث ليبين ذلك، فيدرس تغيرات النقود الذهبية والفضية، والنقود الاصطلاحية. وفي هذه الأخيرة فرق بين خمس حالات وهي: الكساد العام للنقد، والكساد الإقليمي للنقد، وانقطاع النقد، وغلاء النقد ورخصه. وحكم كل حال من هذه الحالات، ثم يبحث حالة التضخم والانكماش.

البحث الخامس: بيع الكالئ بالكالئ (بيع الدّين بالدّين)، وحظْر بيع الكالئ بالكالئ من أبرز الأصول الشرعية في المعاملات، فكان لا بد من تحرير القول فيه، وضبط معاقده وبيان أحكامه.

والبحث الأخير: المؤيدات الشرعية لحمل المدين المماطل على الوفاء، وبطلان الحكم بالتعويض المالي عن ضرر المماطلة.

فقد ذهب الأستاذ مصطفى الزرقا في مقال له بمجلة أبحاث الاقتصاد

الإسلامي بجدة عام ١٤٠٥ هـ إلى أنه يجوز الحكم على المدين المليء المماطل بتعويض مالي يدفعه للدائن مقابل ما فوّته عليه من منافع بسبب تأخير الوفاء.

ونظرا لبطلان هذا الرأي شرعاً، لضعف الأساس الذي ارتكز عليه، وفساد الاجتهاد الذي نحا إليه، فقد جاء هذا البحث لتفنيد تلك المقولة وبيان أوجه الغلط فيها لئلا يغترّ بها أحد، مع بيان العلاج الشرعي الصحيح للماطلة، والتعريف بالمؤيدات الشرعية لحمل المدين المماطل على الوفاء بدينه.

أما الكتاب الثاني: دراسات فقهية

وهي مجموعة فقهية منهجية في موضوعات متنوعة تكمل الكتاب الأول. وتضيف جوانب أخرى. قد لا يجمعها مع سابقتها وحدة موضوعية. ولكنها تناقش قضايا فقهية هامة. وانتظم الكتاب ستة بحوث وهي: الصلح في الأموال. اللُّقطة في البلد الحرام. الوَعْد. القبض الحقيق والحكمي للأموال. الهجرة، القنوت.

والكتابان دراسة فقهية مقارنة دقيقة للمسائل. تقوم على منهج علمي دقيق. يحرّر فيه المسألة ومحل الوفاق والخلاف. من خلال عرض المذاهب الفقهية والاستدلال لها. مع المناقشة والترجيح. وقد يترك للقارئ من خلال العرض يختار ما يراه أقوى ومتفقاً مع الدليل ومقاصد الشريعة.

ونلحظ الدقة في عزو الآراء. وتوثيقها بشكل دقيق أمين. وفي خاتمة كل بحث بيان بمراجعه ومصادره. وهي طريقة تربيٍّ في طالب العلم المَلَكة الفقهية. وتعوّده على البحث الدقيق في الدراسات الإسلامية الفقهية.

وللمؤلف خالص الدعوات. و«**للبيان**» خالص الشكر والثناء أنْ فسحت

الأوروبيون و الكيل بمكيالين

جاءني مرة وأنا منذ سنتين في برلين اثنان من سفارتين من سفارات الانكليز الكبرى في أوروبا، يردان أن يباحثاني في المسائل الشرقية، فكان من جملة ما قال لي أحدهما: قل لنا هل تعتقد كون هذه الشعوب الشرقية القائمة كلها بطلب الاستقلال هي أهلاً له. فأجبته: قل لي هل بلاد اليونان منذ قرن والبلغار منذ ٤٠ سنة والجبل الأسود والصرب كانت أرقى مما هي مصر وسورية وتونس الآن؟ فلماذا يطلب لتلك الاستقلال مع مساعدة جميع أوروبا وأثناء تصفيقها وابتهاجها وينكر على هذه بحجة أنها لم تصل إلى درجة الكفاءة..

قال الانكليزي: أفلا تعترف بكوننا أقدر على إدارة مصر من أهلها وإن وجودنا فيها أضمن لمرافقها المادية. قلت له: أفلا تعترف بأن النمسا أقدر على إدارة يوغوسلافيا من الصرب وانها أرقى بدرجات من الصرب ؟ أفلا تعترف بأن النمسا هي التي هذبت ورقت مستوى جميع تلك الأمم التي انسلخت عنها بمساعدتكم؟ أفلا تسلم بكون الرومان الذين كانوا في المجر هم أرقى من رومان نفس رومانيا وأن حكومة بودابست هي أعلى مراراً من حكومة بوخارست؟ أفلا تقر بكون الألمان هم أقدر من البولونيين على إدارة سليزيا العليا؟ وأن مرافق سليزيا العليا تكون تحت إدارة ألمانية مضمونة أكثر مما تكون تحت إدارة بولونية؟ فلماذا إذا سلختم يوغوسلافيا عن اوستريا وترانسيلفانيا عن المجر وقسماً من سليزيا

عن ألمانيا ؟ ربما تقولون لملاحظات أخرى وطنية واعتبارات قومية لابد منها إذ كل أمة لها حق في أن تدير نفسها بنفسها فلماذا هذه الاعتبارات القومية والوطنية تبق مرعية ما دامت في أوروبا فإذا كانت المسألة في الشرق لم يبق هناك من سبب يجب اعتباره سوى حسن الإدارة؟ قلت له: أنا لا أشك في أنه لو استولت ألمانية على استونية أو ليتوانية أو لاتفيا لأدارتها أحسن مما يديرها أهلها اليوم، ولو استوليتم أنتم على البرتغال لكانت حال البرتغال المالية والإدارية أحسن منها في أيدي البرتغاليين وهلم جرا، أفتسمح أوروبا لألمانية بحجة علوية الإدارة أن تستولي على بلاد البلطيك أو لكم بأن تستولوا على البرتغال؟ لا أظن ذلك. فلماذا بحجة أفضلية الإدارة تتمسكون بالبقاء بمصر ولا تنظرون إلى ما هنالك من العوامل القومية والوطنية؟ ولماذا جمهورية اريفان الارمنية تستحق الاستقلال وكرَجستان هي أهل للحرية، ومصر وسورية لا تستحقان الاستقلال ولا الحرية؟ أترى اريفان هذه بل كرجستان أرقى من مصر أوسورية أو العراق أو تونس. كلا. فلماذا تحللونه عاما وتحرمونه عاما. وأغرب من هذا أن آذربيجان التي هي أرقى جداً من اريفان لم نجد دولة من دول أوربا طلبت لها الاستقلال وهن باجمعهن يطلبنه لاريفان. مع أن اذربيجان أربعة ملايين واريفان أربعمائة ألف وأذربيجان متمدنة واريفان بجانبها تعد متوحشة. وكذلك جميع الدول مهتمة بدفع البولشفيك عن اريفان وكرجستان وليس من واحدة تطلب دفعهم عن أذربيجان والطاغستان هل في ذلك سبب الا كون الأولين مسيحيتين والأخريين مسلمتين؟ أفبمثل هذا العدل وهذه المساواة تطمع أوروبا أن يكون بينها وبين الإسلام سلام؟

شكيب أرسلان/ حاضر العالم الإسلامي
٤/٦٧-٦٨

إلى علماء الأمة

سعود بن محمد آل عوشن

إن العلماء في كل زمان ومكان هم مصابيح الأمة وسراجها المنير وقدوتها وقادتها؟.. ويجب أن يتولوا توجيهها إلى سبيل الرشاد غير أن البعض منهم بَعُد عن الميدان وتكاسل مما أدى بدخول من لم يكن أهلاً لذلك. مما دفع الأعداء إلى استغلال هذه الأصناف من البشر يهدمون الإسلام باسم أهله؟ دخلوا الميدان الإعلامي فاستغلوه لنفث سمومهم وترويج مبادئهم وسلعهم وتنشئة أبنائنا عليها؟..فهل أنتم غافلون؟ أم متنصلون من المسؤولية؟ لا شك أنكم مسؤولون عن ذلك أو محاسبون على كتم العلم أو عدم تعليمه وتبليغه للبشرية بصفة عامة؟..فأين تبليغ الإسلام؟ وأين الدعوة إليه؟

بل أين المؤلفات العصرية التي يمكن أن يبلغ الإسلام بها؟ وتبين محاسنه ومبادئه وما يقتضيه من اسعاد للبشرية؟..وأين الكتب المبسطة لمن دخل الإسلام لتعلمه تطبيقه؟ وغير ذلك مما هو شاغر من ميادين الإسلام وأعماله بينما امتلأت المكتبات والأرفف بالقصص الماجنة والخزعبلات الضالة؟..أين أنتم من هذا الخضم في الأسواق من الصحافة الضالة والمؤلفات الكثيرة والأفكار الهدامة وما يسخر في سبيل ذلك من طاقات وجهود وأموال الأمة الإسلامية؟..

سادتي الأفاضل: إنها الغيرة على الإسلام وأهله وعلى الأمة الإسلامية وما تعاني من ويلات ومشاكل؟..وندم على ما نشاهد من تفكك في أهل الخير وتباعدهم، وتضحية عند أهل الباطل لباطلهم وتخاذل وتهاون بين أهل الحق.

إن أموال الأمة تلعب بها كلاب البشر في ملاهيهم وباراتهم ونواديهم وغير ذلك من ألوان الفسق والكفر بينما نرى البعض مُخلدين لحب الدنيا والدرهم لا يسألون إلا عن أنفسهم وأكلهم ومعاشهم وتجارتهم وما يتعلق بهم؟ وكأنهم يعيشون في الوجود وحدهم أو ليسوا مسؤولين عن غيرهم ولا حتى بالمشاركة الوجدانية.

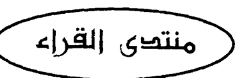
سادتي الأفاضل: هل ادركتم وضعكم وما يجب عليكم وما يحيط بكم وما يحاك لكم وكيف حال أمتكم وإخوانكم في مشارق الأرض ومغاربها؟.. فلماذا لا تعلمون حال أمتكم وتشاركونها وجدانها آلامها وأحزانها تفزعون لمصائبها وتسعدون لسعادتها وتجاهدون في الذوذ عن حياضها.

لماذا نبرئ أنفسنا من مسؤوليات مشاركة إخواننا في الجهاد في آلام الجوع والعري وغيره ونحن نعاني من آلام التخمة الكثير الكثير..

سادتي الأفاضل: أنا لا أعني بخطابي هذا أولئك العلماء الذين سخروا جهودهم في خدمة الأمة الإسلامية في أي ميدان؟ سواء في الدعوة أو التعليم أو التربية أو غير ذلك في مجالات الخدمة العامة إنما أعني بذلك أولئك الذين قبعوا في دورهم؟..أو جمدوا على كراسيهم يعدون الشهر باليوم والليلة حتى يحين موعد المعاش أو العطاء أو الدين أو الربح أو غير ذلك من أهداف الدنيا الفانية غير مبالين بعلمهم وعملهم وحياتهم وإذا عملوا لا يعملون إلا لأنفسهم ويذلونها في سبيل طلب الدنيا فقد يركع البعض منهم لطواغيت الأرض أو يقبل أطرافه بانحناء؟.. تزلفاً إليه وتقرباً منه طمعاً في مادته وعطائه وخشية من سطوته وابعاده.

فيا علمائنا أفيقوا من هذه الغفلة أو الرقدة الطويلة واغتنموا ما بقي من العمر القصير؟ واعلموا أن التاريخ يسجل عليكم كل صغيرة وكبيرة وسينشر صحائفه للملأ في الدنيا وأن القرين يسجل ذلك أيضاً ليوم الحساب والعذاب أو الثواب وسيقدم سجله لملك عادل لا تخفى عليه خافية.

فكفانا غفلة وإهمالاً وكفانا كسلاً وخذلاناً؟..ولنبدأ الحياة من جديد بعمل جاد أكيد نغسل به ما مضى ونستدرك به ما بقي فنقول الحق ونطلب الحق ونسعى لأجل الحق؟ لا نخشى في الله لومة لائم ولانخاف إلا من الله ولا نرجو إلا هو وتؤدى رسالته فنخدم عباده وأمته ونفيض بالعلم والخير عليها ونسخر كل طاقاتنا المادية والمعنوية علمية أو عملية في بناء الأرض وعمارتها بالعمل الصالح؟ فتعود للأمة الإسلامية قوتها وعزتها وللإسلام علوه ومكانته فوق الأديان والأمم وما ذلك على الله بعزيز.



أسباب رفع البلاء أو تخفيفه

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أن المصائب والكربات التي تصيب المؤمنين من عباده هي من عند أنفسهم سواء كانت هذه المصائب فردية أو جماعية، قال عز وجل: **﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾** ومن رحمته سبحانه أنه جعل هذه الكربات أو البلايا التي يصيب بها عباده المؤمنين بمثابة الدواء المر الذي يتجرعه المريض ليشفى من مرضه، وهذا المرض هو الذنوب التي تتراكم في صحائف أعمال العباد فتأتي هذه المصائب لتكفر الذنوب، ولتنبه ذوي القلوب الحية إلى العودة إلى الله بالتوبة إن أراد الله بها خيراً.

وقد يستطيع المؤمن أن يفعل بعض الأسباب التي - بمشيئته - يرفع الله بها بلاءً كتبه عليه أو يخففه عنه بهذه الأسباب..ومن هذه الأسباب وأهمها:

١)- التقوى :

ومعنى التقوى كما هو معروف: هو فعل أوامر الله واجتناب معاصيه الظاهرة والباطنة ومراقبة الله في السر والعلن في كل عمل.

قال سبحانه وتعالى: **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾** [الطلاق ٢].

جاء في تفسير ابن كثير: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: أي ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة. وقال الربيع بن خُثيم: (يجعل له مخرجا): أي من كل شيء ضاق على الناس.

ويأتي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس ليوضح نتيجة هذه التقوى أو أثرها في حياة المؤمن حين قال له: «يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة».

ومعنى احفظ الله: أي احفظ أوامر الله ونواهيه في نفسك.
ومعنى يحفظك: أي يتولاك ويرعاك ويسددك ويكون لك نصيراً في الدنيا والآخرة.

قال سبحانه: **﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾**.

٢) أعمال البر (كالإحسان إلى الخلق بجميع صوره). والدعاء:

ونستدل هنا على ذلك بقصة الثلاثة الذين انسدَّ عليهم الغار بصخرة سقطت من الجبل. فقالوا: (إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم). فكل دعا بصالح عمله فانفرجت الصخرة وخرجوا جميعاً. وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم.

وقد جاء في الحديث من صحيح الجامع الصغير: (صدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء).

وجاء في الدعاء من صحيح الجامع الصغير: (لا يرد القضاء إلا الدعاء. ولا

يزيد في العمر إلا البر).

فليثق بالله كل مؤمن ومؤمنة لها عند الله رصيد من أعمال الخير، فليثق كل منهما أن الله لن يخذل من يفعل الخير خالصاً لوجهه الكريم وأنه سيرعاه ويتولاه. فكما قالت خديجة رضي الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم عندما عاد إليها من غار حراء وهو خائف بعد نزول جبريل عليه السلام، مذكرة له بسجاياه الطيبة، وأعماله الكريمة وأن من تكون هذه سجاياه وأعماله فلن يضيعه الله وسيرعاه ويتولاه بحفظه.

قالت له: (كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك تصل الرحم، وتصدُق الحديث. وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق).

ومن أمثلة أثر الدعاء في رفع البلاء قبل وقوعه: قصة قوم يونس. قال تعالى: ﴿**فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين**﴾. وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية: أنه عندما عاين قوم يونس أسباب العذاب الذي انذرهم به يونس خرجوا يجأرون إلى الله ويستغيثونه. ويتضرعون إليه وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم وسألوا الله أن يرفع عنهم العذاب فرحمهم الله وكشف عنهم العذاب.

وتحدث ابن قيم الجوزية في كتابه (الجواب الكافي) عن الدعاء قائلاً: والدعاء من أنفع الأدوية. وهو عدو البلاء. يدافعه ويعالجه. ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل. وهو سلاح المؤمن. وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء. فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد،

ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منها صاحبه».

وقال أيضاً: «ولما كان الصحابة رضي الله عنهم أعلم الأمة بالله ورسوله، وأفقههم في دينهم، كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم، وكان عمر رضي الله عنه يستنصر به على عدوه وكان يقول للصحابة: لستم تنصرون بكثرة، وإنما تنصرون من السماء».

٣) الإكثار من الإستغفار والذكر:

قال سبحانه: **﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾** [الأنفال ٣٣]. وقد كشف الله الغمة عن يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت لكثرة تسبيحه واستغفاره، قال سبحانه في سورة الصافات: **﴿فالتقمه الحوت وهو مليم * فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾** وكان من استغفاره عليه السلام وهو في بطن الحوت قوله: **﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾**. وقال صلى الله عليه وسلم عن هذا الدعاء: «دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: - لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين - لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له».

وهكذا سيجد المؤمن والمؤمنة بإذن الله أثراً محسوساً في حياتها بهذه الأسباب السالفة الذكر إن فعلاها وبالأخص في وقت الرخاء (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) وأن يراعى فيها إخلاص النية لله، عندئذ تؤتي ثمارها بمشيئة الله وتكون كالرصيد المالي المدَّخر الذي تظهر منفعته وقت الحاجة إليه.

أم عبد الرحمن

بريـــد القـــراء



الأخ **مهدي بن نزال الحربي** أرسل لنا كلمة قصيرة يقول فيها:

«السائر على درب الهدي، نحو باب السعادة المرتقب، محاط بمن يحاول رده وصده عن طريقه.

ما أعجب هؤلاء القوم وما أغرب تصرفاتهم ولكن لا عجب فهم المتمسكون بذلك (الفكر السقيم)، الحق عنده باطل، الباطل عنده صواب.

فيا سائراً نحو إشراقة الغد الجميل لا تبالي بهم وتمسك بالطريق المستقيم.

الأخ **عبد المنعم** – عمان – الأردن

كتب رسالة يعقب فيها على الأستاذ محمد عبد الله آل شاكر لاعتباره الإسلام تراثاً وكذلك الوحي الإلهي..

وجواباً للأخ نقول:

أولاً: شكراً لك على رسالتك وما جاء فيها من آراء.

ثانياً: إن رأي الكاتب لا يختلف عما أوردته من ملاحظات، وللدلالة على أن الكاتب يعتبر التراث شيئاً، والعقيدة والوحي شيئاً آخر هو ما نقلته في رسالتك وهو قوله: «وتسمو مكانة هذا التراث وتعظم أكثر عندما يتصل بعقيدة الأمة

وفكرها الديني ويقوم على الوحي الإلهي مصدراً وغاية. فهذه العبارة صريحة في التفريق بين التراث كمصطلح وبين الإسلام. والكاتب غير غافل عن أن التراث جهد بشري أما لاإسلام كعقيدة وتشريع فهو وحي إلهي.

أما إشارتك إلى من اصطلحوا على تسمية الإسلام بالتراث فهي صحيحة لكن الواقع يكذبهم بادعائهم هذه التسمية وبادعائهم للمحافظة على الاعتزاز

به، فأسس مبادئهم التي يقوم عليهم مجمل سلوكهم تكذب هذا الادعاء.

الأخ **أحمد مصباح** - دبلن - إيرلندة

أرسل رسالة يقول فيها:

«لقد وقع بين يدي عدد من أعداد مجلتكم «البيان»، وقد أعجبني جداً تناولكم لبعض المواضيع، وبعض تحليلاتكم لما اتسمت من موضوعية نفتقرها في غالب الأحيان. لكن وجدت في مجلتكم أيضاً تهجماً على المنادين بالقومية العربية وعلى الفكر القومي العربي وكأنه (أي صاحب هذه الافكار) قد كفر وخرج عن الإسلام.

إنني كشاب عربي مسلم أدين بأن القرآن الكريم هو الشريعة لأي مجتمع مسلم، عربياً كان أم أعجمياً. لا خلاف في ذلك، والقوميون لا ينادون بدولة علمانية لأنهم كما هو الحال معي يؤمنون بأن الدين (الإسلام) عبادة وعمل، وبأن القرآن هو المصدر الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأن هذا الكتاب هو تنزيل من رب العالمين العزيز الحميد.

ونؤمن بأن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، وهو الدين الشامل لكل جوانب الحياة (المادية والمعنوية أي الروحية).

وما دام أهل هذا الكتاب بعيدين عنه فلن يصلح حالهم. إن القرآن الكريم هو زاد كل مسلم، في دنياه، وهو مصدر التشريع.

هذه أمور لا يختلف فيها اثنان من المسلمين، لكنني أريد أن أسألك: ما ضرر قيام الوحدة العربية على الأمة المسلمة؟

وجوابنا على هذه الرسالة:

١-هل قرأت لنا رأياً نشجب فيه قيام وحدة عربية بين الاقطار العربية، ونعتبر ذلك ضرراً على الأمة المسلمة ؟!»

٢- لم يذكر الأخ الكريم رقم العدد من «البيان» والمقال الذي وجد فيه تهجماً على المنادين بالقومية العربية وعلى الفكر القومي العربي.

٣- أما من حيث ما جاء في رسالتك من أفكار أخرى فنحن لا نختلف معك في أكثر ما طرحت وليس لنا ملاحظة إلا على قولك: والقوميون لا ينادون بدولة علمانية لأنهم - كما هو الحال معي يؤمنون بأن الدين (الإسلام) عبادة وعمل، وبأن القرآن هو المصدر الوحيد...

أما أن القوميين لا ينادون بالعلمانية فهذا خلاف الواقع المرئي والمعاش فدعاة العلمانية هم الذين يرفعون لواء القومية العربية. ولا يرون الدين (الإسلام بشكل خاص) إلا علاقة شخصية بين الإنسان وربه ويمارس في المسجد فقط - وبحدود يحددونها هم أيضاً - ولا علاقة له بتنظيم المجتمع أو التشريع ومن يخرج على هذا القول إما أن يقتل أو يسجن أو ينفى، أو يهمل ويبعد عن مواطن التأثير.

نعم: القومية العربية إذا أريد لها أن تكون بديلاً عن دين الإسلام **فهي** جديرة بأكثر مما قرأت لنا فيها. وهي من يوم رفعت كشعار ليجتمع العرب عليها وإلى

الآن لا زالت شعاراً وهمياً كاذباً سواءً في سلوك أصحابه؛ أو في النتائج التي أوصلونا إليها. لانهم أرادوا أن يبنوا للعرب كياناً على انقاض العزة الإيمانية والإخوة الإسلامية التي تربطهم.

من الأخت **أم الخنساء** - الرياض - جاءتنا رسالة تقول فيها:

اطلعت على اقتراح الأخت أم زياد المالكي الذي نشر في العدد **٣٤/ص ٩٣** في بريد القراء بخصوص «تخصيص صفحة لمناقشة أمر الداعيات إلى الله»..

والواقع أضم صوتي إلى صوتها وأرجو منكم الاستجابة لما طلبنا منكم لمسيس الحاجة إليه وأيضاً لنشارك فيه بما نستطيع.

من الأخت **مسلمة** - الرياض - جامعة الملك سعود جاءتنا الرسالة التالية:

«بالنسبة لركن الأسرة، فإني لا أحب هذه التسمية أنتم تعنون المرأة فهل يعني ذلك أن بقية الصفحات في المجلة ليست للمرأة، مع أن ما يكتب في هذا الركن يعجبني وإذا كنتم تقبلون أقلاماً نسائية واعية فلماذا في ذاك الركن المحصور كما أن كثيراً من مواضيع الدعوة تهم المرأة والرجل فلماذا التخصيص الذي لا داعي له إلا إن كان هناك وضع خاص بالمرأة.

كما أتمنى أى توجد زاوية تكنولوجية تطلعني على **ماستحدث** في عالم التكنولوجيا. وفقكم الله لكل خير.

البيان: نشكر الأخت الفاضلة (مسلمة) على حرصها واهتمامها ومشاركتها لنا هموم التحرير، ورغم وجاهة ماتذكر عن (ركن الأسرة) فإننا لا نرى بأساً من هذا العنوان وشكراً على تشجيعك لمحتوى البيان، وندعوك للكتابة والمشاركة.

مسابقـــة
البحوث السنوية

تشجيعاً منها للبحث العلمي والدراسات الجادة يسر مجلة البيان أن تعلن لقرائها الكرام عن مسابقتها السنوية والتي تخصصها هذا العام لموضوع حيوي وهام هو (أزمة الخليج)، وتهيب البيان بقرائها الكرام من الأساتذة والباحثين المشاركة في هذه المسابقة مساهمة منهم في ظهور دراسات جادة وهادفة حيال هذا الموضوع لأخذ الدروس من الأحداث.

محاور البحث

١- دور النفط في أزمة الخليج

٢- مواقف الإسلاميين من أزمة الخليج (دراسة نقدية إصلاحية)

٣- أثر الوفاق الدولي على أزمة الخليج.

٤- أثر أزمة الخليج على الصراع العربي الإسرائيلي.

٥- رؤية مستقبلية لمنطقة الشرق الأوسط بعد أزمة الخليج.

٦- الجانب الديني وأثره في أزمة الخليج.

شروط المسابقة

١- يكتب عن محور واحد من المحاور المذكورة.

٢- يحق للباحث أن يتقدم بأكثر من بحث على أن يتناول في كل مرة محور مختلف.

٣- ألا يكون البحث قد سبق نشره.

٤- يجب أن يكون البحث مطبوعاً في حدود ٣٠ - ٥٠ صفحة.

٥- لا بد من حد مقبول من الالتزام بالنواحي الأسلوبية.

٦- الاعتناء بالمنهج العلمي والتوثيق.

٧- للمجلة حق نشر البحوث الفائزة بالطريقة التي تراها.

٨- ترسل البحوث على عنوان المجلة.

٩- يستحسن إرفاق صورة من السيرة العلمية للباحث.

١٠- آخر موعد للتسليم هو نهاية نوفمبر ١٩٩١م

جوائز المسابقة

١- الجائزة الأولى وقدرها ٥٠٠ جنيه استرليني.

٢- الجائزة الثانية وقدرها ٣٥٠ جنيه استرليني.

٣- الجائزة الثالثة وقدرها ٢٠٠ جنيه استرليني.

ونسأل الله عز وجل أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

المجتمع المخملـي

الذي يتابع بعض المجلات العربية. وخاصة التي تصدر في الخارج. والتي توصف بأنها سياسة إخبارية مصورة... يجد أنه برغم تباين اتجاهاتها ما بين يمين ويسار. ورغم اختلاف أغراضها. فإنها متفقة على شيء واحد يظهر في الصفحات الأخيرة منها وهي صور حفلات (عِلية القوم) من أغنياء ووزراء، وأصحاب شركات وأصحاب أقلام صحفية مغموسة بالرياء والنفاق.

حفلات في أفخم الفنادق في أوربا والبلاد العربية ينفق عليها الآلاف بل الملايين. تظهر فيه هذه الفئة (المترفة) على حقيقتها من حب الظهور و(الفخفخة) والتفاهة. إنهم يعيشون في واد والشعوب العربية في واد آخر.

عندما ترى هذه المناظر (المنكرة) تشعر كم هي سحيقة الهوة بين طبقات مجتمعنا. فلماذا تلوم هذه الصحف الشباب الذي يبحثون عن العمل، عن الشقة. عن إعفاف نفسه بزوجة مستورة الحال فلا يجد إلى ذلك من سبيل.

لماذا يعجبون أن يصبح الشباب في حالة نفسية غير سوية. ويتصرفون تصرفات غير صحيحة؟! إن هؤلاء الصحفيون الذين يتباكون على مشاكل البلاد العربية. ويظهرون الشفقة على مستقبلها يشجعون (المترفين) على الإنفاق حتى يصيبهم شيء منه. إن هذه المفارقات الصارخة ستؤدي إلى الكوارث. وإنها مناظر مؤذية مؤذية..

